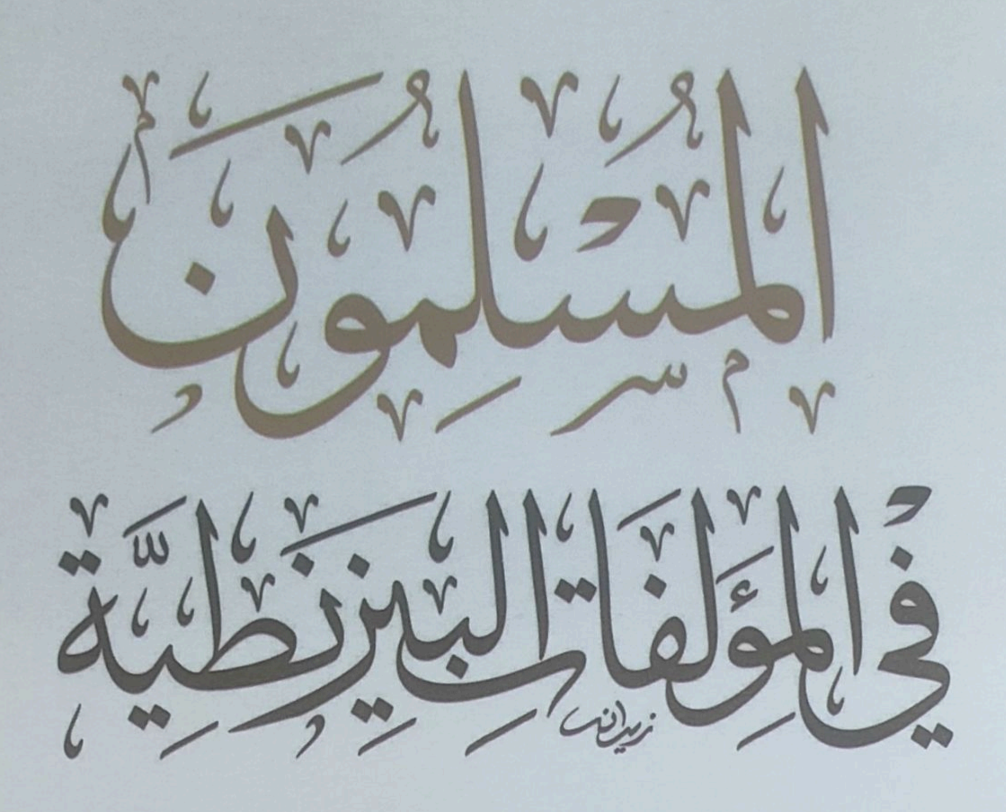


في القرنين الثاني والثالث الهجريين - الثامن والتاسع الميلاديين

تقديم

د. عفاف سيد صبرة

أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر
القاهرة

نور حوران
للدراسات والنشر والتراث

د. أمل فتحي سيد علي محمد زيتون
دكتوراه تاريخ العصور الوسطى - جامعة الأزهر



في القرنين الثاني والثالث الهجريين - الثامن والتاسع الميلاديين



في القرنين الثاني والثالث الهجريين - الثامن والتاسع الميلاديين

د. أمل فتحي سيد علي محمد زيتون
دكتوراه تاريخ العصور الوسطى - جامعة الأزهر

تقديم

أ. د. عفاف سيد صبره
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر
القاهرة

نور حوران
للدراسات والنشر والتراث

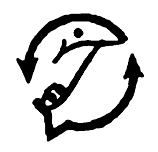
العنـوان: المسلمون في المؤلفات البيزنطية
في القرنين الثاني والثالث الهجريين - الثامن والتاسع الميلاديين
د. أمل فتحي سيد علي محمد زيتون
حجـم الكتـاب: ١٧ × ٢٤
عدد الصفحات: ٥١٢
الطبعة: الأولى
سنة النشر: ٢٠٢٢
الناشر: نور حوران للدراسات والنشر والتراث دمشق
ISBN: 978-9933-658-53-3



دمشـــق - سورية - ص. ب ٥٦٥٨

٠٠٩٦٣ ٩٣٣ ٣٢٩ ٥٥٥
٠٠٩٦٣ ٩٤١ ٣٢٩ ٥٥٥

e.mail: nourpublishing@gmail.com



مختبر الترجمة وتحليل الخطاب
Translation and Discourse Analysis Lab

كلية الآداب
جامعة ذمار- الجمهورية اليمنية

00967 777 006 999
00967 770 002 348

e.mail: labotranslation@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾

(العنكبوت، الآية ٤٦)

الإهداء

إلـــي والـدتي الحبيبة

تقــديراً وعرفانــاً وحباً

أهدي ثمرة هذا البحث

داعية الله عز وجل أن يُمتعها بالصحة والعافية.

إلـــى والـدي العـزيز

تقديراً وحباً

داعية الله عز وجل أن يجزيه عني خير الجزاء

إلـــى أستاذتي الغالية

أ.د/ عفاف صبره

تقــديراً وعرفانــاً

اسأل الله أن يمتعك بالصحة والعافية وأن يجزيك عني خـير الجـزاء، وأن يجعله في ميزان حسناتك.

الباحـــثـة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

يسعدني سعادة بالغة أن أقدم لهذا السفر العلمي المتميز والذي يحمل عنوان "المسلمون في المؤلفات البيزنطية في القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين"، وهو أساساً رسالة علمية أكاديمية حصلت فيها الباحثة أمل فتحي سيد علي محمد زيتون على درجة العالمية - الدكتوراه - في تاريخ العصور الوسطى، من كلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر - بمرتبة الشرف الأولى، وكنت مشرفة عليها وزميلتي الأستاذة الدكتورة وفاء مختار غزالي.

يعتبر هذا الموضوع من الموضوعات المهمة جداً، والتي شغلت المسلمين بمختلف ثقافاتهم، فهي توضح لنا مدى ما واجهه الإسلام من مكائد وافتراءات، فهو يدخل فى موضوع "الأنا والآخر"؛ لأنه لا توجد عقيدة تم التصدي لها كما واجهه الإسلام.

ولعل تحديد هذه الفترة التاريخية "القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين" لعرض ما واجهه الإسلام ونبيه المصطفى ﷺ يعتبر من أهم نتائج هذا البحث؛ لأن هذه الفترة تمثل المرحلة التي تمكنت فيها هذه القوة الإسلامية الوليدة من إذلال وزلزلة الدولة البيزنطية العتيدة، حيث تمكن المسلمون من الاستيلاء على معظم الممتلكات البيزنطية في الشرق، وتحولت جميعها إلى التبعية الإسلامية.... لذلك صب البيزنطيون جام غضبهم وكراهيتهم وبغضهم للإسلام والمسلمين، بل خرجت منهم فئات ادّعت العلم والجدل العقدي؛ لينفثوا عما يجول في صدورهم.

وقد بدأت هذه الحركة الكلامية بظهور عدد ممن يدّعون العلم، ويتصورون قدرتهم على دحض الإسلام ونبي الإسلام وشعائر الإسلام وشرائعه.

لم يترك هؤلاء الحاقدون شيئاً عن رسول الله ﷺ إلا وسموا به نبينا الكريم سواء نسبه وأخلاقه، كما شككوا في مبعثه ورسالته، بل اتهموه اتهامات شخصية مست شخصيته وسلوكه، بل زيفوا الحقيقة في وصفهم لسلوك رسول الله ﷺ مع الرهبان المسيحيين، وهو المنافي تماماً للحقيقة.

ولم تسلم حياته من الافتراءات خاصة في موضوع الزواج، وهو ما وجدوا فيه مادة خصبة تناسب أفكارهم، إلى جانب تعرضهم لسلوكه ﷺ، واتهامه بالعنف فى نشر الدعوة، وتناسوا ما أمره الله "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة".

ومن القضايا التي سطرها البيزنطيون ضد حبيبنا الخاتم هو موقفه من اليهود.

ولعل هذه الكتابات توضح الفهم الخاطئ عن رسول الله ﷺ ورسالته، لكن هناك كتابات أخرى تمس ثوابت العقيدة لأن رسول الله ﷺ، لم يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - فكان في تشكيكهم في أسماء الله وصفاته - لتأثرهم بعقيدة الثالوث، والذين لم يثبتوا فيها على رأي واحد.

بل تطاولوا على الوحي وشككوا في دحض الثواب والعقاب، وشككوا في القصص القرآنية.

لم تكتف الباحثة في عرضها لما سطروه وكتبوه، ولكن تعدت دراستها إلى الرد على كل الافتراءات من واقع الكتاب والسنة والأحداث التاريخية المختلفة بإثبات موقف القرآن الكريم من السيد المسيح عليه السلام وأمه البتول العذراء، والتي رفع مكانتها على نساء العالمين، ثم قدمت دراسة وافية عن قضية تجسد السيد المسيح عليه السلام وصلبه بما يتفق مع الشريعة الإسلامية.

وقد اعتمدت الباحثة في عرض هذه القضايا والرد عليها على أمهات الكتب والمصادر الموثقة، مما يثبت قدرتها على الرد العلمي الديني الصحيح، وليس على الترجيح أو التأويل.

ولعل ما قدمته عن كتابات هؤلاء المؤرخين عن أركان الإسلام صلاة وصياماً وحجاً ما يؤكد العرض العلمي الرصين، ولم تتوقف الباحثة عن عرض لما كتبه هؤلاء عن الممارسات الإسلامية، بل تعدتها إلى ما شرعه الإسلام من محرمات على المسلمين، والختان، والأطعمة، والمرأة التي كان لها النصيب الأكبر من الهجوم البيزنطي على الإسلام ونبي الإسلام ﷺ.

ولم تتوقف الباحثة عند هذه القضايا، بل تعرضت لما اتهموا به المسلمين من نشر الإسلام بالسيف، والتدليل على ذلك بأدلة باطلة إلى جانب ما ذكروا بالتمييز بين المسلمين والمسيحيين في الأراضي المفتوحة، وقتلهم لهم وإجبارهم على ترك دينهم، وعدم احترامهم للمقدسات المسيحية.

ولعل العرض الذي قدمته الباحثة لجميع هذه القضايا ليؤكد اطلاعها على مئات الكتب المصدرية والمراجع، ويوضح استيعابها لهذه القضية التي كانت ولا زالت تمثل صراعاً بين الشرق والغرب أو بين الإسلام وأعدائه.

أتمنى لابنتي أمل فتحي دوام التقدم وعدم التوقف عند هذه الإصدارات، وتكون بنفس الجدة والأصالة.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

أ. د/ عفاف سيد صبرة

المشرفة على البحث

المقدمة

كان العرب قبل ظهور الإسلام أمة مشتتة لا قيمة لها بين الأمم، حيث قسموا ولائهم بين الفرس والروم، فكان ينظر إليهم كرعاة إبل أو لصوص رعاع بلا قيمة، وقد كان لظهور الإسلام أثر كبير عليهم فوحد شملهم وجمع كلمتهم على كلمة رجل واحد.

بدأ الإسلام راسخاً في قلوب أتباعه، وصدع المسلمون الأوائل لأمر ربهم لنشره، لأن الله سبحانه وتعالى أرسل دينه للناس كافة، لذا بدأ الدين الجديد يصبح عالمياً فاصطدم بالقوى العظمى آنذاك، وهما دولتا الفرس والروم، وقد صادف الاحتكاك الأول بهما انتهاء بيزنطة من حروبها مع الفرس، وفي ذلك الوقت لم تول بيزنطة اهتمامها بالدين الجديد حيث لم يخطر ببالهم أنه سيمثل أدنى خطر عليهم، لكن الفتوحات الإسلامية أصابت الدولة البيزنطية بالفزع والذهول من السرعة الإعجازية للفتوحات الإسلامية، التي امتدت شرقاً وغرباً، حيث فقدت الدولة البيزنطية أهم ولاياتها في الشرق ألا وهى بلاد الشام-مهد المسيحية الأول -، ومصر-سلة الغلال -، في وقت قياسي، بل دخل الكثيرون من سكان البلاد المفتوحة في الإسلام عن اقتناع تام وبكامل إرادتهم بعدما لمسوا عظمة الإسلام من خلال احتكاكهم بالمسلمين، لذا رأى البيزنطيون في الإسلام خطراً كبيراً يهدد دولتهم، وذلك بعدما نجح المسلمون في ضم معظم الأراضي البيزنطية إلى حدوده وجعلها جزء من العالم الإسلامي، مما أدى إلى تأجج الخلاف والصراع بين القوتين سياسياً ودينياً.

حاول البيزنطيون التعرف على الإسلام بعدما وجدوا أنفسهم أمام عدو يجب مجابهته بالقوة العسكرية والدينية، لذا كثرت المؤلفات والكتابات التي اتخذت طابعاً هجومياً ضد الإسلام، واحتوت على افتراءات كثيرة على الإسلام والمسلمين، وقد تصدر للقيام بهذه المهمة رجال الكنيسة وعلماء اللاهوت، الذين رأوا عجز بيزنطة عن إيقاف المسلمين أو حتى الدفاع عن ممتلكاتها في

الشرق، لذا لم يجدوا أمامهم وسيلة لوقف المد الإسلامي في المجتمع المسيحي إلا من خلال تشويه صورة الإسلام وصورة نبيه ﷺ ليحولوا بين تأثر المسيحيين بالإسلام ومن ثم اعتناقه.

وقد حمل لواء هذه المهمة يوحنا الدمشقي وتلميذه ثيودور أبو قرة حيث عمدا إلى تشكيك المسلمين في دينهم ظناً منهم أنهم سيتركون الإسلام ويعتنقون المسيحية، وقد سار على دربهما في تشويه صورة الإسلام البطريرك نقفور والمؤرخ ثيوفانيس وكذلك جورج الراهب وغيرهم من المؤرخين البيزنطيين، الذين أظهرت كتاباتهم مدى حنقهم وبغضهم للإسلام وأهله.

ورغم أهمية هذه الفترة والتي تشمل الفترة من القرنين الثاني والثالث الهجريين، الثامن والتاسع الميلاديين إلا أنها لم تلق اهتماماً من الدارسين، ولا توجد دراسة متخصصة لها تشمل وتجمع شتات الأحداث المتناثرة وتعرض في دراسة واحدة لما كتب عن الإسلام وتدحضه.

لذلك رأت الباحثة أن تُسهم بدورها في تحقيق هذا الهدف وكشف النقاب عما كتبه البيزنطيون عن الإسلام خلال هذه الفترة، فجاء اختيارها لموضوع (المسلمون في المؤلفات البيزنطية في القرنين الثاني والثالث الهجريين الثامن والتاسع الميلاديين) ليكون موضوعاً تتقدم به للحصول على درجة العالمية الدكتوراه في تاريخ العصور الوسطى لتُضيف للمكتبة العربية دراسة متخصصة عما كتب عن الإسلام في هذه الفترة.

لذا تهدف هذه الدراسة إلى تقديم المؤلفات البيزنطية التي تحدثت عن الإسلام والمسلمين خلال هذه الفترة وتحليلها ومناقشتها ومحاولة فهم أبعادها وتأثيرها على العلاقات بين الجانبين الإسلامي والبيزنطي والرد على الشبهات التي ألحقت بالإسلام والمسلمين.

أما عن الدراسات السابقة للموضوع، فهناك بعض الدراسات اهتمت بدراسة صورة الإسلام والمسلمين من المنظور البيزنطي أو الأوربي فخصصوا كتاباتهم عن بعض المواضيع، وذلك ضمن دراسات تخص تاريخ الدولة

البيزنطية عامة، أما الدراسات التي تعرضت لما كتب عن الإسلام فنذكر على سبيل المثال ما كتبه د/ سامر سيد قنديل" الرؤى الأوربية عن الإسلام من الفتوحات الإسلامية حتى الحروب الصليبية"[١]، ود/ عمر عبد المنعم إبراهيم "صور الإسلام والمسلمين في الكتابات الإيطالية (القرنان الرابع عشر والخامس عشر الميلاديان)"[٢]، لكن ما كتباه يختلف تمام الاختلاف مع هدف هذا البحث، حيث يعد ما كتاباه من وجهة النظر الأوربية، كما أنهما لم يفندا ما رمى به الإسلام من وجهة النظر الإسلامية.

كما استفاد البحث مما كتبه عدد من الأساتذة المتخصصين في الجانب البيزنطي وعلى ذكر المثال لا الحصر ما كتبه المؤرخ John Meyendorff[٣] الذي تعرض في دراسته لأهم ما كتبه يوحنا الدمشقي وثيودور أبو قرة عن الإسلام لكنه لم يعلق على ما ذكراه مما يوحى للقارئ بأنه مؤيد لما قالاه، وكذلك أطروحة الدكتوراه الخاصة بـ Vila[٤]، David Bertaina[٥]، وكذلك ما كتبته الأستاذة أنجيليكي غريغوري زياكا[٦]، وكذلك ما كتبه أ.د/ طارق منصور[٧]، وقد استفاد البحث من هذه الدراسات[٨] في كل فصوله، ورغم أهمية هذه

---

(١) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٩ م.

(٢)، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠١٥ م.

(3) Byzantine Views of Islam, Dumbarton Oaks Papers, Vol. 18 (1964), pp. 113-132.

(4) Vila, D, H., Christian Martyrs in the first Abbasid century and the development of an Apologetic against Islam, Doctor of Philosophy, School of Saint Louis Univeristy, 1999.

(5) An Arabic Account of Theodore Abu Qurra in Debate at the Court of Caliph al-Ma'mun: A Study in Early Christian and Muslim Literary Dialogues, Doctor of Philosophy, the Catholic University of America, Bertaina Washington, 2007.

(٦) الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين الحوار والمناظرة، ترجمة المستعرب ميخالي جورج سولومونيدس، مجلة التسامح، ع ٢٩، ص٢٣٢-٢٧٤.

(٧) المسلمون في الفكر المسيحي العصر الوسيط، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٨ م.

(٨) كما وجدت دراسات أخرى يمكن الرجوع إليها في ثنايا البحث.

الدراسات إلا أنها لم تشتمل على رد إسلامي منصف لما طرح بها اللهم إلا ما ذكره د/ طارق منصور في دراسته.

استخدمت الباحثة المنهج التاريخي في عرض الأحداث والمقارنة بين المصادر المختلفة، إلى جانب المنهج التحليلي والوصفي في تحليل الأحداث للوصول إلى نتائج مقنعة معللة الاتجاهات المختلفة للقوىِ المتصارعة وفق منهج علمي مع استخدام التفسير الإسلامي للأحداث طبقاً للعقيدة الإسلامية.

وقد كانت صعوبة الحصول على المعلومات واستخلاصها من ثنايا الكتابات البيزنطية في تلك الفترة أهم المشكلات التي واجهت البحث حيث كان يتم الإشارة لهذه الموضوعات بنوع من الإيجاز الشديد، وإن تعرض أحد الكتاب للإسهاب في أحد الموضوعات فإنه للأسف يمر مرور الكرام على باقي الموضوعات دون الخوض في التفاصيل، وقد برز اتفاق الجدليين على عدم تفنيد ودحض ما يصل إليهم من معلومات، ولعل مرد ذلك لاختلاف اللغة أو لأن ذلك صادف هوى لدى الكتاب.

لذا.. حاولت الباحثة انتقاء المادة العلمية المتعلقة بهذه الدراسة من بين ثنايا المصادر التاريخية وإسهامات الباحثين المحدثين.

اشتملت الدراسة على ستة فصول تسبقهم مقدمة تشمل أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة ثم دراسة تحليلية لأهم مصادر البحث وتمهيد، وذيلت الدراسة بخاتمة ومجموعة من الملاحق المهمة إلى جانب قائمة المصادر والمراجع.

أما التمهيد "رؤية البيزنطيين للعرب قبيل ظهور الإسلام وانعكاسها بعد ظهوره".

وتم فيه دراسة علاقة العرب بالإمبراطورية البيزنطية قبيل ظهور الإسلام، ومن ثم التعرف على سياسة البيزنطيين في تعاملهم مع العرب الذين كانوا منقسمين في ولائهم بين الفرس والبيزنطيين، كما ألقت الباحثة الضوء على أهم

المسميات التي نعت بها البيزنطيون العرب، والتي كانت مزيجاً من الرافد التوراتي والرافد الكلاسيكي اليوناني.

"النبؤات والرؤى" والتي كتبت قبيل ظهور الإسلام وانتشرت كرد فعل على ظهور الإسلام وانتشاره في محاولة منهم لتعزيز إيمان المسيحيين لمنعهم من الدخول في الإسلام من خلال ترسيخ بأن الإسلام سيسقط لا محالة لأنه لا يعدوا إلا كونه عقاب من الله على خطايا المسيحيين، فإذا ما عادوا إلى خالقهم سيرفع عنهم هذا العقاب.

أما الفصل الأول فيحمل عنوان: "الرسول ﷺ في الكتابات البيزنطية والرد عليه".

تعرضت الباحثة لنسب الرسول ﷺ فبدأت بالحديث عن وجهة النظر البيزنطية لنسب النبي ﷺ وأخلاقه، فبرز معرفتهم بتسلسل نسبه ﷺ، ومعرفتهم بالكثير عن حياته الخاصة، فبرز استغلالهم لهذه المعلومات للطعن فيه حيث حاول البيزنطيون أن يقللوا من رفعة نسب النبي ﷺ وذلك باستهجانهم وسخريتهم من أصله الذي يعود إلى إسماعيل عليه السلام ابن السيدة هاجر في محاولة منهم للإيحاء بأنه من سلالة العبيد.

عالج البحث ما كتبه الجدليون البيزنطيون عن مبعثه ورسالته ﷺ فتحدثوا عن ظهور الإسلام، وقد برز عدم اعتراف البيزنطيين ببعثة النبي محمد ﷺ ولا برسالته فاتهموا النبي بعدة اتهامات منها أنه أدعى النبوة، بل عدوها محض افتراء منه في محاولة منهم لترسيخ أنه ﷺ هو من ألف رسالته، ومن ثم لا يقبل منه قوله بأن مصدر وحيه إلهي.

كما عرضت الباحثة لتضارب أقوال الجدليين في تحديد مدة الدعوة الإسلامية ومن ثم تقسيمها إلى عدة مراحل.

تناول البحث بعد ذلك بشارات الأنبياء عليهم السلام على رسول الله ﷺ، وذلك في معرض الرد على إدعاء الجدليين البيزنطيين على أن النبي ﷺ لم يبشر به أحد من الأنبياء، فتم تفنيد حجتهم من التوراة والإنجيل.

ومن القضايا المهمة التي تعرض لها البحث والتي تعد من أهم القضايا الجدلية التي أستخدمها الجدليون ضد الإسلام على مدار كل العصور ألا وهى قضية زواج الرسول ﷺ في الكتابات البيزنطية، فلم يحظ نبي بهجوم كما حظي النبي محمد ﷺ في هذا الأمر حيث تعرض لهجوم شديد بسبب زواجه، واستخدام الجدليون بعض الحقائق التاريخية وقاموا بتفسيرها وفق أهوائهم للنيل من الرسول ﷺ، وقد تم تفنيد هذه الفرى ودحضها من خلال الكتاب والسنة.

كما تعرض البحث لاتهام البيزنطيين لرسول الله ﷺ بالعنف في نشر الدعوة، وقد أتفق الجدليون على هذا الإدعاء في محاولة منهم لإيهام النصارى وكأن حياة النبي ﷺ كلها كانت قتال وسفك للدماء، وتناسى أو تغافل هؤلاء الكتاب عن التعرف على الإسلام بعيداً عن تعصبهم الأعمى الذي لم يسمح لهم بمعرفة الأسباب التي أدت إلى غزوات المسلمين.

تعرض البحث لموقف رسول الله ﷺ من اليهود، ومحاولة الكتابات البيزنطية إيجاد نوع من الصلة بين اليهود والرسول ﷺ.

واختتم الفصل برسائل النبي ﷺ إلى القوى المعاصرة المختلفة والتي تعد خير دليل على عالمية الإسلام، وأن الإسلام انتشر بالسلم.

أما الفصل الثاني فيحمل عنوان : "تشكيك المؤلفات البيزنطية في ثوابت الإسلام".

يبدأ المبحث الأول بمعالجة الكتابات البيزنطية التي ادعت ربط الإسلام بالهرطقات المسيحية.

تلي ذلك المبحث الثاني الذي كان عن **"نقد الوحي والدحض فيه"**، والمتأمل لما كتب يجد أنه لم يتعرض كتاب ديني لنقض وتفنيد كما تعرض القرآن الكريم دستور المسلمين، حيث فند البيزنطيون القرآن ونظروا إليه كجزء من العهد القديم والجديد، بل أدعوا أن النبي محمد ﷺ قد حصل عليه من قبل معلمه بحيرى وعبد الله بن سلام وكعب الأحبار، وأيضاً من بعض اليهود

والنصارى الذين التقاهم النبي ﷺ أثناء عمله بالتجارة في الشام، فرفضوا الاعتراف بالقرآن كوحي من عند الله، لذا اهتموا بدراسة القرآن الكريم كي يفندوا ما فيه، لكن معلوماتهم تدل على عدم الفهم والتفسير غير الصحيح للقرآن وكرههم الشديد.

أما المبحث الثالث فتحدثت فيه عن "**دحض الثواب والعقاب**" حيث تهكم البيزنطيون على الوعود الأخروية التي أعطاها النبي محمد ﷺ لأتباعه في الآخرة من عقاب في النار وثواب ونعيم في الجنة، والمتأمل لرفض الجدليين للثواب والعقاب يجد أنهم يناقضون أنفسهم حيث إن كتابهم المقدس قد حوى على أمثلة عدة للثواب الأخروي.

وختم الفصل بمبحث عن "**التشكيك في قصص القرآن الكريم**" وفيه أدعى البيزنطيون أن قصص القرآن ما هي إلا قصص الكتاب المقدس، وأنه نقلها ووضعها في كتابه مستغلاً جهل قومه به، فتم تفنيد هذه الفرية وإثبات أنه من عند الله.

أما الفصل الثالث فهو عن "المسيح في القرآن الكريم".

وتم تناول "**أقوال النصارى في المسيح** عليه السلام"، وقد أتضح أنهم قد ظلموا السيد المسيح عليه السلام وافتروا عليه فقد وضعوه في مرتبة لا يجوز لإنسان أن يصل إليها.

المبحث الأول فكان عن"**الرد الإسلامي على الافتراءات حول قضية المسيح ابن الله**" وفيه تم إبراز رؤية الإسلام للمسيح عليه السلام فاتضح أن الإسلام هو من أعطاه حقه ووضعه في مكانه الصحيح بكونه عبد لله ورسوله مع تنزيهه عن كل ما ألحقه به النصارى زوراً وبهتاناً.

وتحدث المبحث الثاني عن "**الخلاف حول قضية الثالوث المقدس**" الذي أحتل نصيباً كبيراً في المناقشات الإسلامية المسيحية فتم عرض عدة محاورات في هذا الإطار، وقد انتهى البحث بدحض هذا القول.

أما المبحث الثالث فكان عن "**آراء المؤرخين البيزنطيين في أسماء الله وصفاته**" وفيه تم تفنيد ما حاول البيزنطيون وسمه بالإسلام بأنه ذو أصل وثني

وذلك خلال استغلالهم لبعض الألفاظ التي تحدثت عن صفات الله ﷻ حيث لم يفهموا معناها ربما لسوء الترجمة أو لعدم وجود مقابل للكلمة باللغة اليونانية، ولربما جميع ما سبق.

وختم الفصل بمبحث عن "**المؤرخون البيزنطيون وقضية تجسد السيد المسيح وصلبه**"، وقد برز فيه استخدام الجدليون البيزنطيون ما جاء في القرآن الكريم أنه كلمة الله وروحه، فنم عن سوء فهمهم لما قصده القرآن الكريم فتم تفنيد هذه الشبهة، بل لقد أبرز الله ﷻ في كتابه حقيقة صلب المسيح عليه السلام ومن ثم تفنيد حجة المدعين.

أما الفصل الرابع فيدور حول: "**الفقه الإسلامي في الكتابات البيزنطية**"، وجه البيزنطيون سهامهم للفقه الإسلامي وذلك ضمن إطار تشويههم لكل ما يمت للإسلام بصلة.

وقد تعرض المبحث الأول والذي عنوانه: "**أركان الإسلام**" للحديث عن وجه نظر الجدليون البيزنطيون عن أركان الإسلام كالصلاة والصيام والحج، ومن ثم محاولتهم تشويه هذه الأركان وإظهار أنها شيء مبتدع غير منطقي، وقد تم تفنيد هذه الفرية.

أما المبحث الثاني: وعنوانه "**الممارسات الإسلامية**"، وفيه تم إلقاء الضوء على أبرز الشبهات التي وجهها البيزنطيون للممارسات الإسلامية كالختان وما حرم من الأطعمة والأشربة، وقد برز في هذا المبحث تخبط رؤى الجدليين، لإثبات أن هناك أصول يهودية للإسلام.

لكنهم اتهموه بأنه يخالف اليهود بالنسبة لأكل لحم الإبل، وقد تم تفنيد شبهتهم على تلك الأمور.

أما المبحث الثالث فيتناول دراسة عن: "**المرأة**"، وفيه تم استعراض وجهة نظر الجدليون البيزنطيون لما جاء في القرآن الكريم عن وضع المرأة، كما استغلوا إباحة الإسلام لتعدد الزوجات فشنوا حرباً عليه، رغم أن السيد المسيح عليه السلام

لم يرد على لسانه أي شيء يمنع التعدد، وتناسوا أن الإسلام لم يترك التعدد وفق رغبة الرجل بل وضع قيوداً للإباحة، كما هاجم الجدليون الطلاق، وبرز عدم الفهم للحالات التي يتم فيها الطلاق، وأن الإسلام شرع الطلاق لحل بعض المشكلات الاجتماعية بين الرجل والمرأة، كما أنه لم يبحه مطلقاً بل وضع شروطاً لصحته.

أما الفصل الخامس وعنوانه: "الفتوحات الإسلامية في الكتابات البيزنطية"، وفيه تم التعرض لحركة الفتوحات الإسلامية التي بدأت في عهد أبي بكر الصديق ﷺ من وجهة نظر البيزنطيين، لذا وفي المبحث الأول تم دراسة "عمليات الفتح ومجالاتها" حيث تم إلقاء الضوء على الفتوحات التي قام بها المسلمون كفتوح الشام وفتح بيت المقدس وفتح مصر ومحاولات فتح قبرص ومحاولات فتح القسطنطينية التي بشر بها الرسول ﷺ فتكررت المحاوت لتحقيق تلك البشارة، فتم عرض وجهة النظر البيزنطية ومن ثم مقابلتها بما جاء في المصادر الإسلامية وتم تفنيد ما جاء من شبهات.

أما المبحث الثاني فيتناول "المعاهدات"، وفيه تم التعرض للمعاهدات التي تمت بين المسلمين والبيزنطيين، وقد قسمت لثلاثة أقسام:

١- معاهدات بناء على طلب المسلمين، وقد برز فيها أن المسلمين قاموا بدفع جزية للبيزنطيين مقابل الحصول على السلم، ويبدوا من ظاهر المعاهدات ضعف جانب المسلمين، ولكن سياق الأحداث أثبت أنهم هادنوا البيزنطيين إلى حين ترتيب أمور دولتهم.

٢- معاهدات بناء على طلب البيزنطيين، وقد تمت هذه المعاهدات في وقت قوة المسلمين حيث نجحوا في استغلال ضعف البيزنطيين وفرضوا شروطهم.

٣- معاهدات بناء على طلب المتمردين وقد أبرزت هذه المعاهدات محاولة العرب استغلال أي خلاف بين البيزنطيين يمكنهم من السيطرة على أراضيهم وبالطبع فعل البيزنطيون نفس الأمر، لكن المصادر البيزنطية لم تذكر هذا الأمر.

أما الفصل السادس وعنوانه "**المسلمون والنصارى في كتابات البيزنطيين**".

وفي المبحث الأول تم التحدث عن "**اتهام المسلمين بالتميز بينهم وبين المسيحيين**"، وفيه تم تفنيد ما قاله البيزنطيون عن أمر الجزية والتي كانت أقل مما كان يدفعه النصارى لحكامهم قبل نجئ المسلمين، وقد كان يؤخذ منهم هذه الجزية نظير الحماية والأمان، وقد أبرز البحث أن المسلمين أعادوا الأموال إلى أصحابها عندما شكوا في أنهم لن يستطيعوا حمايتهم، وتركوا لهم حرية العقيدة الدينية كما جعل أمرهم بينهم فلا يفصل بينهم إلا من يمثلهم من بني جلدتهم.

أما المبحث الثاني فتحدث عن إشكالية "**إجبار المسيحيين على ترك دينهم وقتلهم**"، وذلك خلال إغرائهم بأن من يترك دينه سيتم إعفائه من الجزية، ومن يرفض يتم قتله، ويدحض هذه الفرية بقاء المسيحيين حتى هذه اللحظة في الأراضي الإسلامية بعد ما يزيد على ألف وأربعمائة عام.

أما المبحث الثالث فقد تحدث عن "**عدم احترام مقدسات المسيحيين**" وقد استخدم الجدليون في إطار هذا عدة شبهات تم ضحدها في هذا المبحث.

وتعرض المبحث الرابع لـ"**تعريب الدواوين**"، وفيه تم التعرض لظروف تطبيقه، وما ترتب على ذلك في الإدارة الإسلامية.

وانتهى الفصل بمبحث عن "الأيقونات"، وفيه ألقي الضوء علي بداية ظهور الأيقونات وتطورها، وصولاً لموقف الإمبراطور ليو الثالث منها.

انتهى البحث بخاتمة شملت أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ثم مجموعة من الملاحق، تلاها ثبت كامل بالمصادر والمراجع الأجنبية والعربية والدوريات العلمية والمواقع الإلكترونية على الشبكة العنكبوتية.

وبعد فإنه من لا يشكر الناس لا يشكر الله، وفي هذا المقام تتوجه الباحثة بالشكر والتقدير والعرفان إلى العالمة الجليلة والأم الحانية **الأستاذة الدكتورة/ عفاف سيد صبره** - أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الدراسات الإنسانية بالقاهرة-جامعة الأزهر على رعايتها الكبيرة التي أمدت بها الباحثة طوال فترة

دراستها، فقد بذلت جهوداً كبيرة في إخراج هذه الدراسة إلى حيز الوجود نصحاً وتوجيهاً وإرشاداً وتدقيقاً لغوياً، فقد شرفت بالتعليم على يديها في مرحلة الليسانس والدراسات العليا، والماجستير وأكرمها الله ﷻ بأن وافقت على الإشراف على هذا البحث، وقد غمرت الباحثة برعايتها الكبيرة طوال فترة الدراسة، كما أنها لم تبخل بوقت أو جهد أو مشورة، وهو ما ينعكس على كل سطور هذه الرسالة، ويعجز اللسان على وصف مدى الامتنان لها، فلم يقتصر دورها على الناحية العلمية فقط بل إنها دائما ما دعمت الباحثة بخبرتها في الحياة حيث ساندتها كثيراً في حياتها الخاصة، وهذا ليس غريب على صاحبة القلب الحنون ويعلم كل طلبة العصور الوسطى مكانة الأستاذة الفاضلة، لذا تبتهل الباحثة إلى الله عز وجل أن يمتعها بالصحة والعافية، وأن يجزيها عنها وعن كل الطالبات خير الجزاء.

كما تتقدم بالشكر والتقدير إلى الدكتورة/ وفاء مختار غزالي-أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد بكلية الدراسات الإنسانية بالقاهرة-جامعة الأزهر على ملاحظاتها القيمة والمهمة والتي أمدت بها الباحثة وعلى قراءتها للبحث فقد وجدت فيها سعة الصدر ودماثة الخلق فجزاها الله خير الجزاء.

كما يسعد الباحثة أن تتقدم بخالص الشكر والتقدير للأستاذة الدكتورة/ زبيدة محمد عطا-أستاذ تاريخ العصور الوسطى، وعميدة كلية الآداب جامعة حلون الأسبق - على موافقة سيادتها على مناقشة البحث رغم مشاغلها الجمة فلها كل الشكر والتقدير.

كما تتقدم الباحثة بالشكر والتقدير للأستاذ الدكتور/ محمد محمد فرحات - أستاذ تاريخ العصور الوسطى ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة قنا السويس السابق -، وعلى تفضل سيادته بقبول المناقشة رغم مشاغله الجمة وتحمله عناء السفر فله كل الشكر والإعزاز.

مع التزام من الباحثة بأن تقوم بتصويب جميع الملاحظات التي سيقدمها الأساتذة الأفاضل، والتي ستضعها نصب عينيها.

كما لا يفوت الباحثة أن تقدم الشكر والعرفان إلى أساتذتها الكرام أعضاء مجلس قسم التاريخ بكلية الدراسات الإنسانية بالقاهرة والذين تتلمذت على أيديهم في مرحل الليسانس وكذلك على تفضلهم بمناقشة خطة البحث وتقديم الملاحظات القيمة، وإلى جميع زملائها الذين قدموا لها النصح والتوجيهات والمساعدة وخاصة جميع أعضاء مجموعة أسرة التاريخ الوسيط، وأعضاء تاريخ العصور الوسطى (على شبكة الإنترنت)، وعلى رأسهم د/ ياسر كامل، د/ علي عمر بدوي، د/ عمر إبراهيم، د/ محمود مهدي، وغيرهم من الأساتذة الأفاضل الذين قدموا لها كل ما احتاجته من كتب فلهم كل الشكر والتقدير.

كما تتقدم الباحثة بالشكر والتقدير للعاملين بدير الآباء الفرنسيسكان بالقاهرة وعلى رأسهم الأب منصور مستريح الذي قدم لها مساعدات عديدة، وترجم كثيراً من النصوص اليونانية، وتسأل الله ﷻ أن يمده بوافر الصحة والعافية، والشكر موصول كذلك لأمين المكتبة أ/ مدحت شاكر.

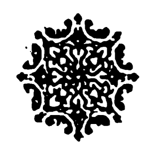
إضافة إلى العاملين بمكتبة الآباء الدومنيكان ومكتبة الجمعية التاريخية والمكتبة المركزية بجامعتي القاهرة وعين شمس، كما تتقدم الباحثة بالشكر والتقدير لكل من أ.د/ عبد العزيز رمضان، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة عين شمس، أ.د/ طارق منصور، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامع عين شمس، أ.د/الأمين أبو سعده، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة طنطا، ود/ محمد زايد-أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد بجامعة الفيوم على إمدادهم الباحثة بما احتاجته من كتب.

كما تتوجه الباحثة بالشكر والتقدير والعرفان لأسرتها الغالية وعلى رأسهم الوالدة الغالية التي تحملتها كثيراً وشجعتها على إنجاز هذا البحث، فوقفت بجانبها بكل معان الدعم فلولاها ما سطر القلم حرفاً؛ ولا تستطيع الباحثة أن توفيها مثقال ذرة من حقها لذا تتوجه إلى الله تعالى أن يرضي عنها في الدارين، وأن يمتعها بالصحة والعافية، وكذلك والدها العزيز فجزاه الله خير الجزاء.

والشكر موصول لزوجها على تشجيعه لها وكذلك أبنائها الأعزاء حسن وصباح سائلة الله أن يجعلهم خيراً مما تتمنى.

والشكر أولاً وأخيراً لله ﷻ الذي يسر لها هذا الأمر وأعانها عليه فلله الحمد في الأولى والآخرة.

فإن أحسنت فمن الله، وأن أخطأت فمن نفسها وحسبها الاجتهاد، وهذا جهد المقل، ودعاء إلى الله تعالى أن يحقق هذا العمل العلمي الهدف المرجو منه، وأن يكون إضافة للمكتبة التاريخية.



دراسة تحليلية لأهم مصادر البحث

اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على مجموعة كبيرة من المصادر المتنوعة مثل: المصادر اليونانية والسريانية والعربية وغيرها.

أولاً: المصادر البيزنطية: Byzantine Sources:

- **يوحنا الدمشقي John of Damascus.**

هو منصور بن سرجيون وعرف بيوحنا الدمشقي، لا نعرف تاريخ ولادته - ويقال أنها كانت عام ٦٧٥م - ولد في دمشق خلال حكم الدولة الأموية، من عائلة مسيحية ذات أصل سوري متأثرة بالحضارة اليونانية ومتعلق بالأرثوذكسية الخلقدونية[١]، وكانت عائلته من الموظفين الكبار المكلفين بجمع الضرائب لحساب الإمبراطور البيزنطي، ثم لعب جده دوراً هاماً في تسليم المدينة للمسلمين عام (٦٣٥م/ ١٤هـ)، مقابل الحفاظ على حياته هو وجميع السكان باستثناء الروم، وقد اعتبره البيزنطيون خائناً، فحافظ بذلك على منصبه حيث كان من عادة المسلمين أن يحافظوا على البُنى الإدارية المحلية ويحجزوا الموظفين الأكفاء، فواصل جبي الضرائب لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ (٦٦١م/ ٤٠هـ) رئيسه الجديد، فأصبح رئيساً لديوان الجباية المالية في الخلافة الأموية، كما عمل والده سرجيون مولى يزيد بن معاوية وزيراً في بلاط الأمويين كان ذلك سبب موقفه عند استيلاء المسلمين على دمشق، وقد عاش يوحنا طفولته وفتوته في دمشق حين كانت عائلته تتمتع بكامل حُظوتها حين كانت على علاقة وطيدة مع

---

(١) نسبة إلى المجمع المسكوني الرابع المنعقد في خلقيدونية عام ٤٥١م، وقد فند فيه آراء نسطوريوس Nestorius وإفتيخيس Eftiches القسطنطينين، وأعلنت عقيدة أن في المسيح أقنوماً واحداً ذو طبيعتين إلهية وإنسانية، وقد سمى أتباع هذا المذهب بالملكيين، انظر: يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٢٠، حاشية ٤٤؛ ثيودور أبو قرة، ميمر في وجود الخالق والدين القويم، تحقيق الأب أغناطيوس ديك، لبنان، ١٩٨٢م، ص ٢٤، حاشية ١.

الخليفة ومحيطه، وفي الثانية عشر من عمره استعان والده براهب من صقلية يدعى قزما Cosmas ليكون مربياً له، فتلقى تنشئة يونانية كلاسيكية متينة، فتعلم علم البيان باللغة اليونانية، والطبيعيات وعلم الحساب والهندسة والموسيقى والتنجيم وعلم اللاهوت والفلسفة فأظهر قدرة وبراعة في تحصيل وإتقان تلك العلوم، فكان يؤلف باليونانية، ويتكلم بالآرامية بالإضافة إلى تعلمه اللغة العربية كغالب من في سنه من المنتسبين للطبقة الاجتماعية سواء أكانوا مسلمين أم لا[١].

دخل وهو في العشرين من عمره معترك الحياة في نهاية عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٨٥-٧٠٥م/ ٦٥-٨٦هـ)[٢] فخلف أباه في إدارة شئون الدولة المالية، وبسبب سياسة التعريب عزل من منصبه، واستبدل بأحد المسلمين في شئون الدولة المالية، حيث بدأ يقل عدد المسيحيين جدياً، لكنه لم يفقد مكانته الاجتماعية التي مكنته من الاحتكاك بشخصيات بارزة في الحكم، كما أن سياسة التعريب لم تسبب مشكلة لعائلته إذ تثقف جميع أعضائها على اللغة العربية، ومن جهة أخرى لم يستمر القرار الذي أتخذ على عهد الوليد بن عبد الملك (٧٠٥-٧١٥م/ ٨٦-٩٦هـ)[٣]، والذي قضى بإقصاء جميع المسيحيين عن العمل الاجتماعي لم يكن سوى قرار مؤقت، فلم يكن في الإمكان تطبيقه، لا سيما وأن المسلمين لم يكن باستطاعتهم تحمل مثل هذه المسؤوليات[٤].

ويبدوا أن يوحنا الدمشقي كان "أمين سر لأمير المدينة أي رئيساً للإدارة المالية الحضرية أي جابياً كما كانت عائلته، وقد كان يوحنا على اتصال بحاشية الخليفة[٥]،

---

(١) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، لبنان، ١٩٩٧م، ص ١٨-٢٧؛ الإكسرخوس جوزيف نصر الله، منصور بن سرجون، المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي "عصره-حياته-مؤلفاته"، نقله للعربية الأرشمندريت أنطوان وهبي، منشورات المكتبة البوليسية، ط ١، بيروت، ١٩٩١م، ص٢٨-٣٦، ٧٥-٧٧.

(٢) عنه انظر ما يلي.

(٣) عنه انظر ما يلي.

(٤) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٢٧-٢٨.

(٥) ويقال أن يوحنا كان كاتباً لعبد الملك بن مروان أو لابنه الوليد الذي حظى عنده يوحنا حظوة كبرى، انظر: الإكسرخوس جوزيف نصر الله، منصور بن سرجون، ص ٣٦، حاشية ٤.

وكان يحظى بمعاشرة شخصيات الحكم البارزة في إطار صلاحياته، فنجح بعقد روابط صداقة معهم استمرت بعد ترك منصبه، وقد مكنه وضعه هذا من الإطلاع على الإسلام من قرب[1].

وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٧١٧-٧٢٠م/ ٩٩ -١٠١هـ)[2] ترك دمشق وذهب لدير مار سابا بفلسطين عام (٧٢٠م/ ١٠١هـ) وعمره أربعون عاماً، ثم أصبح كاهناً، وبدأ في كتابة مقالات نقدية لاهوتية ضد الهرطقات المختلفة ولاسيما هرطقة محطمي الأيقونات[3]، كما كتب مؤلفات نقدية ضد الإسلام باللغة اليونانية، فكانت صعبة الإدراك عند المسلمين، فنجى من التعرض للخطر حتى وفاته، والتي كانت قبل عام (٧٥٤م/ ١٣٦هـ) بعد أربع سنوات من سقوط الأمويين التي ارتبط بها اسمه واسم عائلته في التاريخ، وقد حفظ لنا التاريخ دوره في بلورة الفكر المسيحي أكثر فأكثر، لذا دعاه التقليد البيزنطي "بالمعلم المحنك" نظراً لأهمية ما تركه من مؤلفات أصيلة، فتعود بكاملها إلى المرحلة الثانية من حياته، والتي كانت في دير القديس سابا، وقد كتبها باللغة اليونانية والتي كانت لغة الثقافة والكنيسة في عصره حيث لم يعمم التعريب إلا في نهاية القرن الثامن الميلادي[4].

---

(١) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٢٨-٢٩.

(٢) سيتم التعرض له لاحقاً.

(٣) من أبرز المدافعين عن عبادة الصور، وهو من زعماء المعسكر الأيقوني وله عدة رسائل في تمجيد الصور ودحض مفتريات اللاإيقونيين المهرطقين ومن هذه الرسائل ثلا كتبها في الفترة ما بين عامى ٧٢٧ و٧٣٤ تحت عنوان رسائل ضد أولئك الذين ينكرون الأيقونات المقدسة، ابراهيم على طرخان، الحركة اللاإيقونية في الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ١١، حاشية ٥.

وقد غدر به الإمبراطور ليو الثالث حيث لفق إليه تهمة كادت أن تودى بحياته على يد الخليفة يزيد بن عبد الملك (٧٢٠-٧٢٤م/ ١٠١-١٠٥هـ) عنها انظر: الإكسرخوس جوزيف نصر الله، منصور بن سرجون، ص ٣٨-٤٦، ٧٨-٨٠.

(٤) الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٣٠-٣٥.

ومن أبرز ما ألفه كتاب "ينبوع المعرفة" والذي ألفه بناءً على طلب أخيه بالتبنى قزما أسقف مايوما Mayuma أي بعد (٧٤٣م/ ١٢٥هـ)، وقد ذاع صيته بسبب هذا الكتاب، وقد حاول فيه تنظيم المعارف المتعلقة بالإيمان المسيحي بشكل منطقي، مرتكزاً على فكر الآباء اليونان، وقد قسمه لثلاثة أقسام: اهتم القسم الأول بتعريف كلمة طبيعة والتي كانت سبب خصومات دامية بين المسيحيين ثم ألف المقدمة التاريخية أو كتاب الهرطقات، وهى القسم الثاني، وقد كان هدفه التعريف بالضلالات والمعتقدات الباطلة، وقد احتل هذا الكتاب أهمية كبرى لأنه احتوى على النص اليوناني الأول للأدب المسيحي في ما يتعلق بالتعريف بالإسلام ودحض تعاليمه واعتبره هرطقة مسيحية رقم ١٠١، وأما القسم الثالث: الإيمان الأرثوذكسي، والذي عد الأكثر شهرة ضمن كتاباته، لأنه عد خلاصة لسبعة قرون من الفكر المسيحي، حيث عرض الإيمان المسيحي بشكل دقيق، لذا عد يوحنا الدمشقي سابق أو رائد لمن أتى بعده ورغب أن يكتب عرضاً كاملا لمعتقد الكنيسة كما أنه شق الطريق لكتاب بيزنطيين ليتركوا مؤلفات عن الإسلام وقد قسمه لمئة فصل، وقد شكلت كتاباته عن الإسلام القليل من مجموع مؤلفاته، فلم نملك إلا نصين قصيرين نسبياً لا يتجاوزان العشرين صفحة، والنص الأول عبارة عن مقطع من كتاب الهرطقات، وهو تعريف جدلي أحيانا بمعتقد الإسلام يليه تفنيد بعض الانتقادات الموجهة للمسيحيين ودراسة موجزة لأربع سور من القرآن، أما مناقشة بين مسلم ومسيحي فتبدوا بمثابة مصنف من الأجوبة على الحملات الكلامية التي تحاول النيل من المعتقد المسيحي في بعض النقاط[1].

---

(١) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، لبنان، ١٩٩٧م، ص ٣٣ حاشية ٣١؛ ص ٣٥-٣٨؛ الإكسرخوس جوزيف نصر الله، منصور بن سرجون، ص ٨٥-٨٨؛ أنجيليكي غريغوري زياكا، الإسلام في كتابات العصر البيزنطي، ص ٧؛ طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي، ص ٧٨؛ على بن محمد بن عودة الغامدى، يوحنا الدمشقي، ص ١٤-١٧؛ كتابات للقديس يوحنا الدمشقي، آباء الكنيسة، المجلد ٣٧ (واشنطن دي سي، مطبوعات الجامعة الكاثوليكية الأمريكية، ١٩٥٨؛ فازيليف، العرب والروم، ترجمة د/ محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، د. ت، ص ١٣. =

لذا عُد يوحنا الدمشقي رائداً في الهجوم على الإسلام، لأنه أول من نقد العلوم الإسلامية هادفاً لإبطال عقيدة المسلمين، فلم يكن منصفاً فيما ذكره حيث تحامل على الإسلام ون وجه حق وكان حرى به أن يتحدث بنوع من الحياد خاصة وأنه كان محتكاً بالمسلمين أكثر من أي كاتب بيزنطي آخر، ولكنه ترك العنان لتحيزه لبنى دينه فتغافل عن رؤية عظمة الإسلام فهاجمه بكل شراسة فبرز عدم فهمه لبعض الأحكام.

اعتمد البحث بشكل كبير على ما كتبه يوحنا الدمشقي، ففي الفصل الأول شكك يوحنا في كون الإسلام امتداداً لحنيفية إبراهيم، بل وصف المسلمين بالسرازين، غرضه في ذلك تشويه صورة المسلمين، كما حاول يوحنا ترسيخ وضع الإسلام كهرطقة مسيحية، كما عمد يوحنا الدمشقي على تشويه صورة النبي ﷺ في عيون النصارى بوسمه بأنه قد أخذ زوجة ابنه بالتبني، كما استفاد البحث في الفصل الثاني مما كتبه يوحنا عن نقده للوحي، وحاول يوحنا أن يشكك في الوحي برفضه أن يكون النبي ﷺ بشر به أحد من الأنبياء، بل إنه تحدث أن القرآن ما هو إلا نتاج لأحلام اليقظة؛ لأن الرسول ﷺ تلقاه وهو نائم، وكذلك ما كتبه عن قصص القرآن حيث استخدم يوحنا أسلوباً يملؤه التهكم والسخرية حول قصص القرآن، كما استفاد البحث في الفصل الثالث بما كتبه يوحنا عن المسيح عليه السلام، وذكر يوحنا الدمشقي حديثاً بين المسيح عليه السلام والله ﷻ ينفى فيه المسيح عليه السلام أنه هو من جعل الناس يتخذونه إلهاً هو وأمه وكذلك ما كتبه عن الحج ومناسك الإسلام حيث اتهم المسلمين بمشوهي الله وبعبدة الأوثان، كما أفاد البحث مما كتبه يوحنا عن المرأة وأمر الزواج والطلاق فبرز ضحالة معلوماته حول هذا الموضوع.

= Meyendorff, J., Byzantine view of Islam, pp. 116-117, Smither, E, L., John Damascene in Context: an examination of " The Heresy of the Ishmaelites with special consideration given to the Religious, political, and social contexts during the seventh and eighth century Arab conquests, MA, Lynchburg, Virginia, May, 2009, pp. 52 ff.

وإذا ما أمعنا النظر في كتابات يوحنا الدمشقي المعادية للإسلام نجد أنها تعد نوعاً من رد الفعل ضد الإسلام في زمن لم يكن هناك أي أمل في التحرير الفوري من سيطرة المسلمين، بل الانتظار لسقوطهم السياسي [١].

- ثيودور أبوقرة **Theodore Abu Qurrah** :

ولد في الرها (٧٥٠م-٨٢٥م/ ١٣٢-٢١٠هـ)، لذا لا يمكن أن يكون تلميذاً مباشراً ليوحنا الدمشقي، وربما يكون معلمه الروحي أمضى قسماً من شبابه في بغداد على ما يبدوا، مما يفسر معرفته للإسلام وللغة العربية، بالإضافة لإتقانه السريانية واليونانية، كما أنه اطلع على كافة علوم عصره، ذهب لفلسطين وأصبح راهباً في دير القديس سابا، وسار على خطى يوحنا الدمشقي في مجال الوعظ والدفاع عن العقيدة المسيحية والمذهب الخلقيدوني الذي أخذ به الملكانيون، ثم انتخب أسقفاً لحران عام (٧٩٣م/ ١٧٧هـ)، والتي كان معظم سكانها مونوفيزين [٢]، إلا أنها بقيت مركزاً شهيراً للثقافة اليونانية والوثنية، عاد إلى دير القديس سابا بعدما أقاله البطريرك الأنطاكي ثيوذوريتس فبدأ يجادل كتابة كلاً من الأرمن والأقباط ويناقش اليعاقبة والنساطرة [٣] والمسلمين توفى في بغداد بعد سنة (٨٢٥م/ ٢١٠هـ)، احتل مكانة مهمة بين الجدليين البيزنطيين في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي، له اثنتين وخمسين مقالة قصيرة باليونانية ومعظمها في شكل حوارات مع مختلف الهراطقة كالنساطرة أصحاب الطبيعة الواحدة، له سبعة عشر مقالة موجهة ضد الإسلام، وقد كان على معرفة باللغة العربية، بل أحد الناطقين بها؛ لأنه عاش بين المسلمين، وقد دخل في حوار معهم، برز فيها موقفه السلبي تجاه الإسلام ونبيه ﷺ وتبرز أهميته الفكرية والتاريخية في المجال اللاهوت الكنسي وفي مجال التراث العربي والإسلامي، فهو من أكبر معربي أرسطو ومحاور لأشهر علماء الكلام في العصر العباسي

---

(1) Kraft, A., On the Eschatological Elucidation of the 'Ishmaelite' Phenomenon, Oxford University Research Archive, (2010) P. 79.

(٢) عنه انظر: الفصل الأول.

(٣) عنه انظر: الفصل الأول.

الذهبي خلال عهد هارون الرشيد وابنه المأمون، حاول أبوقرة أن يقدم تعليماً وافياً عن المعتقد المسيحي، لغير المسيحيين، ويجيب في محاوراته على اعتراضات يثيرها بعض المسلمين أمامه على إحدى نقاط العقيدة المسيحية(١) .

وقد كانت كتابات أبو قرة عبارة عن مقالات دفاعية للإيمان المسيحي وجهها للمثقفين المسلمين مستغلاً حالة الانفتاح الفكري السائد في عهد الخليفة المأمون، لكنه لم يلتزم الإنصاف في عرضه مجادلته، حيث تعمد إظهار تميزه وعلو منطقه مقارنة بمن يحاورهم، وقد استفاد البحث في الفصل الأول مما كتبه أبوقرة في كتابه "مجادلة أبي قرة مع المتكلمين المسلمين في مجلس الخليفة المأمون"، عن زواج النبي ﷺ من امرأة زيد ابنه بالتبني فتحدث بنوع من التهكم وقد تم تفنيد حجته.

كما استفاد البحث في الفصل الثاني مما أورده من شبهات بتحريف القرآن الكريم، كما حاول دحض فكرة الثواب والعقاب، وقد برز عدم فهم أبوقرة لمغزى الثواب والعقاب من المنظور الإسلامي، بل اقتصر فكره على المعنى الدنيوي من جهة الفقد ولم يستوعب أن الآخرة ليس بها فقد أو ألم، وبرز عدم فهمه أيضاً خلال حديثه عن وجود النساء في الجنة والفرق بين الإسلام والإيمان وقد تم تفنيد حجته.

وعرج الفصل الثالث على محاولة أبوقرة استخدام أبوقرة آيات القرآن الكريم في شرح نقاط الخلاف في العقيدة الإسلامية وتوظيفها للدفاع عن صحتها بل ونقد ما فيه في محاولة منه للتقليل من شأن الإسلام مقارنة بالمسيحية، وتم تفنيد هذا الأمر.

---

(١) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٣٥، حاشية ٣٣؛ ثيودور أبي قرة، ميمر في وجود الخالق والدين القويم، تحقيق الأب أغناطيوس ديك، المكتبة البوليسية، لبنان، ١٩٨٢م، ص ٣٩ ومابعدها؛ أبي قرة، مجادلة أبي قرة مع المتكلمين المسلمين في مجلس الخليفة المأمون، تحقيق الأرشمندرت أغناطيوس ديك، حلب، ٢٠٠٧م، ص ٧ وما بعدها؛ يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة: ص ٣٥، حاشية ٣٣.
Bertaina, An Arabic Account of Theodore Abu Qurra, pp. 156 ff, Meyendorff, Byzantine view of Islam, PP. 120-121.

كما استفاد الفصل الرابع مما سطره أبوقرة عن الحج وتقديس المسلمين الحجر الأسود حيث قارن أبوقرة بين تقديس المسيحيين للصليب مقابل تقديس المسلمين للحجر، وقد تم تفنيد هذه الشبهة كما أعطى أبوقرة رأيه في القلفة، وقد برز في النقاش قوة حجة ابوقرة وضعف الخليفة المأمون الذي ظهر كمن لا يستطيع أن ينتقى ألفاظه فيعلمه أبو قرة خطأه فيتقبله الخليفة بكل أريحية ودون أدنى معارضة لما يقوله أبو قرة وكأنه مقتنع بكل ما قاله.

- البطريرك نقفور **Nicephoros Patriarch of Constantinople,**

يعد مصدره " التاريخ المختصر Short History ٦٠٢-٧٦٩م "من المصادر البيزنطية الرئيسة التي اعتمدت عليها الدراسة، ولد في القسطنطينية عام ٧٥٠ أو ٧٥٨ م، في عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس كوبرونيموس Constantine V Copronymus (٧٤١-٧٧٥م/ ١٢٣-١٥٨هـ)، ينحدر والده ثيودور Theodore من أسرة عريقة حيث عمل سكرتيراً للإمبراطور، وكان من مؤيدي عبادة الأيقونات، فتعرض للتهديد والوعيد من الإمبراطور قسطنطين الخامس، ونفى لقلعة بيموليسا Pimolissa بالجزء الشمالي لمنطقة أماسيا Amaseia، في ستينات القرن الثامن الميلادي (٧٦٠م/ ١٤٣هـ)، فاستدعاه بعد فترة عله يكون قد تراجع عن موقفه فوجده مصراً عليه فنفاه ثانية لنيقية Nicaea في بيثينيا، وظل بها إلى أن توفى عام (٧٦٧م/ ١٥٠هـ)، أما والدته فتدعى يودكيا Eudocia شاركت زوجها عناء المنفى، وتوفيت بعدما أصبح ابنها بطريرك القسطنطينية، في عهد نقفور الأول Nicephorus I (٨٠٢-٨١١م/ ١٨٦ - ١٩٥هـ)، لا توجد إلا معلومات ضئيلة عن طفولته وتعليمه، ولا نعلم هل كان مع والديه المنفى أم ظل في العاصمة، ولكن يتضح أنه تعلم في مدرسة القصر وهو بين السادسة والثامنة من عمره، وأصبح ضمن حاشية الإمبراطور ليو الرابع Leo IV (٧٧٥-٧٨٠م/ ١٥٨-١٦٣هـ)، بعدما نجح في كسب تعاطفه بترنيمه العذب في كتاب المزامير، ولم يمنعه ذلك من مواصلة تعليمه العلماني الذي مكنه من السير على خطا والده فالتحق بالعمل المدني، ثم تقلد منصب السكرتير الإمبراطوري، فأصبح على مقربة من كبار رجال الدولة مما أكسبه خبرة كبيرة، وقد خصص جزءاً من إنتاجه

الأدبي للجدل الفلسفي اللاهوتي، بزغ نجمه كخطيب مفوه قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره في المجمع المسكون الثامن بنيقية ٧٨٧م/ ١٧١هـ، والذي عقد لإعادة عبادة الأيقونات، ثم أراد البعد عن ضجيج الحياة بالقسطنطينية فاعتزل في ديره الذي بناه على أحد الجبال القريبة من بحر مرمرة Propontis على شاطئ البسفور أملاً في أن يصبح راهباً، ثم عاد لمنصبه بعد تولى نقفور الأول بعد عزل الإمبراطورة إيرين ٨٠٢م/ ١٨٦هـ، فعين مديراً لملجأ الأيتام والفقراء، وفي عام (٨٠٦م/ ١٩٠هـ) انتخب بطريركا بعد وفاة البطريرك تاراسيوس Tarasius الذي جلس على كرسيه عشرين عاما (٧٨٤-٨٠٦م/ ١٦٧-١٩٠هـ)، فأصبح له رأى مسموع في الحياة الدينية والسياسة العامة للإمبراطورية، وفي عهد ليو الخامس Leo V (٨١٣-٨٢٠م/ ١٩٧-٢٠٥هـ) فرضت عليه الإقامة الجبرية لتصميمه على عبادة الأيقونات ورفضه الحلول الوسط؛ لذا عزل عن منصبه (٨١٥م/ ١٩٩هـ) ثم نفى لدير في أعلى البسفور من الجانب الآسيوي، ليكون بعيداً عن مسرح الأحداث، فأضحى في شبه عزلة عن العالم إلى أن مات في منفاه (٨٢٨م/ ٢١٣هـ) الذي ظل به ثلاثة عشر عاماً، وقد أطلق عليه المعترف لأنه اعترف بالأيقونات وضرب أروع الأمثلة في الدفاع عنها، وقد وقف جنباً إلى جنب مع ثيوفانيس في تسجيل أحداث القرنين السابع والثامن الميلادي، بعدما كانت الكتابة التاريخية متوقفة بسبب ما تعرضت له بيزنطة من مشاكل داخلية وخارجية، ترك كتابين هما (التاريخ الزمني، والتاريخ المختصر)، وقد احتلا أهمية كبيرة ضمن المصادر البيزنطية، وقد سجل في كتابه التاريخ المختصر أحداث الإمبراطورية البيزنطية، ويعد تكملة لما كتبه ثيوفيلاكت سيموكاتا Theophylact Simokata صاحب كتاب التواريخ؛ ويعتبر تاريخ نقفور مقتضب ويعود لزمن متأخر من القرن الثامن الميلادي، وقد بدأه من مقتل الإمبراطور موريس (٦٠٢م/ ٢٠ ق.هـ) حتى زواج ليو الرابع الخزري من إيرين ٧٦٩م/ ١٥٢هـ، ورغم أنه أقل تفصيلاً من حولية ثيوفانيس إلا أنه يضارعها في الأهمية التاريخية ويفوقها في الحيادية والموضوعية، بل إن هذا الكتاب كان السبب في تعينه بطريركاً، وقد دار جدل حول وقت تدوينه كتابه، ويبدوا أن الأفضل أن

يكون قد ألفه عام (٧٩٠/ ١٧٤هـ) أو بعده بقليل، وقد امتاز أسلوبه بالسلاسة والبعد عن الألفاظ المبتذلة [١]، ويبدأ تاريخه منذ عهد الإمبراطور فوقاس (٦٠٢-٦١٠م/ ٢٠ ق.هـ-١٢ ق.هـ)، وينتهي بتاريخ قسطنين الخامس (٧٤١-٧٧٥م/ ١٢٣-١٥٨هـ)، وقد اتسم تاريخه بأنه كتب على النهج التاريخي كما أنه تميز بموضوعية كبيرة، ويعد من أهم مؤرخي القرن التاسع الميلادي؛ حيث حوى تاريخه على معلوماته غاية الأهمية اشتملت على معلومات مهمة بالنسبة لعصر الإمبراطور هرقل أحياناً لم تتوفر لدى غيره من المؤرخين المعاصرين [٢]، وقد استفاد البحث في الفصل الأول مما ذكره نقفور عن خروج المسلمين من يثرب، ويعنى بها غزو مؤتة، لكنه أغفل الحديث عن غزوة تبوك لكن البحث استفاد في الفصل الخامس مما ذكره عن الفتوحات الإسلامية فتحدث عن معرفة علاقته بالمسلمين وبمعاركه التي أعدها للاشتباك معهم كإرساله أخيه ثيودور Theodore، ثم عزله واستدعائه للقسطنطينية، وكذلك مفاوضات كيروس/ المقوقس مع عمرو بن العاص، ومن ثم استدعاء هرقل له لتوبيخه على عقد هدنة معه، وقد تفرد نقفور دون المؤرخين بالحديث عن عرض كيرس زواج يودكيا ابنة هرقل من عمرو بن العاص [٣].

- ثيوفانيس المعترف Theophanes the Confessor :

ولد في القسطنطينية من أسرة بيزنطية عريقة سنة (٧٦٠-٨٠٠م/ ١٤٣-١٨٤هـ) في عهد الإمبراطور قسطنطين الخامسConstantine V (٧٤١- ٧٧٥م/ ١٢٣-١٥٨هـ)، ترهبن في سن مبكر من حياته، جاهد لإعادة التوقير للأيقونات، فسجن في عهد لاون الخامس (٨١٣-٨٢٠م/ ٨١٣-٢٠٥هـ) لنشاطه، ونفى إلى ساموتراق Samotarak حيث توفي، عد تاريخه امتداداً لتاريخ صديقه جورج

---

(١) البطريرك نقفور، التاريخ المختصر(٦٠٢-٧٩٩م)، نقله للعربية وعلق عليه، د/ هاني عبد الهادي البشير، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ١-٢٢.

(٢) ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين، القاهرة، ١٩٨٥م، دار النهضة العربية ص ١٢-١٣.

(٣) عنه انظر: الفصل الخامس.

سـنيكولوس George Synkellos (٧٦٠-٨٤٦م/ ١٤٣-٢٣١هـ)، ويعـود عملـه "The Chronicle of Theophanes Confessor"[(١)] إلى العقد الثـاني مـن القـرن التاسع، وقد بدأه بتولي دقلـديانوس Diocletian عـرش رومـا ٢٤٨ م، وانتـهى بنهاية ملك ميخائيـل الأول رانجابيـه Michael I Rangabe (٨١١-٨١٣م/ ١٩٥-١٩٧هـ)، استقى تاريخه من عدة مصادر تاريخية فقد معظمها، ولم تصلنا بصورة مباشرة، لذا اعتبر تاريخه المصـدر الرئيسـي لأحـداث القـرنين السـابع والثـامن الميلاديين، وقد اعتمد عليه بعض المـؤرخين الـذين جـاءوا مـن بعـده، ومـن أشـهرهم قسـطنطين بورفيروجنيتـوس Constantine Porphyrogenitus (٩١٣-٩٥٩م/ ٣٠٠-٣٤٨هـ)، وقد كتب ثيوفانيس تاريخه باللغة اليونانية الدارجـة فيمـا بين عامي ٨١٠، ٨١٤ م، ورغم أنه كان متـأثراً بتحيـز الرهبـان، إلا أنـه احـتفظ لنفسه بحكمه على الأشياء[(٢)]، ويتسم تاريخه بغزارة ما أورده من معلومات حيث سلط الضوء على أحوال الدولة البيزنطية قبل عصر هرقل[(٣)]، لذا يعد مؤلفه مهم لفهم الصورة البيزنطية للإسلام في أوائل القرن التاسع الميلادي[(٤)].

ويعد المؤرخ البيزنطي ثيوفانيس أول من بدأ بعد يوحنا الدمشـقي الجـدل البيزنطي المليء بالافتراءات والتلفيق ضد الإسلام ونبيه محمد ﷺ والذي اعتمـد

---

(1) theophanes, The Chronicle of Theophanes Confessor, Byzantine and Near Eastern History AD 284-813, Translated by Cyril Mango and Roger Scott, Oxford, 1997.

(٢) أنجيليكي غريغوري زياكا، الإسلام في كتابـات العصـر البيـزنطيين الحـوار والمنـاظرة، ترجمـةميخالي جـورج سـولومونيدس، مجلـة التسـامح، ع ٢٩، ٢٠١٠م، ص١٠-١١؛ طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي (العصـور الوسـطى)، القـاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١٣٧-١٣٨؛ ليلى عبد الجوا، تاريخ الدولة، ص ١٣.

Khazdan, A, P., The Oxford Dictionary of Byzantium (OBD), N.Y, 1991, vol. 3, p. 2063.

(٣) ليلى عبد الجواد، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٤.

(4) Vila, D, H., Christian martyrs in the first Abbasid century and the development of An Apoligetic against Islam, PHD, Faculty of Graduate school of Saint Louis, 1999, p. 207.

عليه كل من أتى بعده، حيث عد مرجعاً معتمداً وموثقاً يستمد منه اللاحقون مادتهم عن الإسلام، وقد أشتمل تاريخه على حياة النبي محمد ﷺ الشخصية، ثم انتقل للحديث عن الوحي الذي رآه مرض أصاب النبي ﷺ[1]، كما قام ثيوفانس بصياغة فكرة سلبية عن الإسلام حيث رسم صورة ذهنية وحشية عن المسلمين وذلك خلال حديثه عن تعاليم النبي ﷺ لأصحابه ووعده لهم بالجنة [2]، كما خلط ثيوفانوس سيرة النبي محمد ﷺ بعناصر منتزعة من سير الرهبان الذين كانت الكنيسة تعدهم مبتدعة، والمتأمل لرواية ثيوفانيس عن علاقة هرقل بالمسلمين يجد أنها يشوبها الخلط والغموض والتخبط هذا فضلاً عن أن تحديده الزمني للحوادث لم يكن على درجة كبيرة من الدقة [3].

وقد استفاد البحث منه كثيراً في معرفة استعدادات القبائل العربية المتحالفة مع البيزنطيين لملاقاة جيش المسلمين في معركة مؤتة عام (٦٢٩م/ ٨هـ)، كما ذكر ثيوفانس أن الشخص الذي أخبر القائد البيزنطي ثيودور بتقدم قوات المسلمين إلى مؤتة، كان تاجراً من قريش يدعى قتابة (Koutabes)[4]، ويبدوا أن ثيوفانيس اعتمد على عدد من المصادر لم تصل الينا.

- جورج الراهب **George Monachus** :

من مؤرخي القرن التاسع الميلادي، عرف بالأثيم، كان راهباً أثناء حكم ميخائيل الثالث Michael III (٨٤٢-٨٦٧م/ ٢٢٧-٢٥٣هـ)، استقى تاريخه من عدة تواريخ، أبرزهم ثيوفانيس وكتابه مؤلف رهباني تقليدي، وسمه بـ حوليات العالم[5]، فبدأ تاريخه منذ آدم عليه السلام إلى وفاة الإمبراطور ثيوفيليوس Theophilus

---

(١) عنه انظر: الفصل الأول.

(٢) عنه انظر: الفصل الثاني.

(٣) ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية، ص ١٤.

(٤) عنه انظر: الفصل الأول.

(5) Georgius Monachus (Congnomento Harmartolus), Chronicon Breve Quod E Diversis Annalium Scriptoribus Et Expositoribus Decerpsit, Concinnavitque, patrologiae cursus completes Patrrologiae graecae, tomus. CX, 1863.

(٨٢٩ - ٨٤٢م/ ٢١٣-٢٢٧هـ)، أما استكمال الأحداث حتى عام (٩٤٨م/ ٢٣٤هـ) فمن أعمال اللاحقين عليه في كتابه "تاريخ" أو "تاريخ مقتضب" يخصص جورج الراهب كثيوفانيس فصلاً مختصراً لمحاربة دين الإسلام والنبي العربي، هذا الفصل مع أنه يعتمد على كتاب ثيوفانيس إلا أنه يصف بعض الموضوعات بشكل أوضح وأدق، وعنوانه "زعيم العرب محمد"، فعلى النقيض من أسلافه اهتم جورج بمعرفة المزيد عن الإسلام ليحاربه بأسلوب أقوى، فيقوم جورج على أثر ثيوفانيس بعرضٍ موجز لحياة محمد ﷺ، ويحكي قصة خدمته لخديجة قريبته الثرية التي تزوجها، ثم يتعرض لاختلاطه بالمسيحيين واليهود أثناء رحلاته بالقوافل في فلسطين، واقتباسه لأقوال وتعبيرات الكتاب المقدس، ويزعم جورج أن محمداً ﷺ تتلمذ على يد راهب مهرطق أريوسي من دير كاليستراتوس Callistratus بالقسطنطينية كان منفياً بالجزيرة العربية لهرطقته فيقول: "ومحمد هذا عدوٌ الله ملحدٌ، فلقاؤه باليهود والمسيحيين المزعومين أريوسي، ونساطرة، ووجوده وسَط اليهود جعله يأخذ عنهم -أي اليهود- الوحدانية، وعن الأريوسيين خَلْق الكلمة والروح، وعن النساطرة عبادة البشر وأعدّ منها جميعاً دينا لهثم يتهم محمداً أنه يوقِّر المسيح لكن ليس باعتباره ابناً الله أو كلمته المتجسدة، ويتهمهم في معتقداته عن الجنة في دينهم الإسلام، وفي تعاليمهم عن الوحي الإلهي للقرآن الذي يرفضه صراحةً، ويعتبر أقوال محمد هوساً وإلحاداً فخطابه في بعض المسائل حاد لدرجة أنه يترك انطباعاً سيئاً لدي القاريء المعتدل[1].

وقد استفاد البحث مما ذكره، ومن خلال ما كتب برز تحامله على الإسلام ورسوله محمد ﷺ وعدم إنصافه.

- نيقيتاس البيزنطيNicetas of Byzantium :

هو من رجال القرن التاسع الميلادي، عاصر الإمبراطور ميخائيل الثالث Michael III (٨٤٢-٨٦٧م/ ٢٢٧-٢٥٣هـ)، وقد لقب بالفيلسوف والمعلم،

---

(١) أنجيليكي غريغوري زياكا، الإسلام في كتابات العصر البيزنطي، ص ١١.
Khzdan, ODB, vol. 2. p.836.

ورغم أنه يعد أحد أشهر علماء اللاهوت البيزنطيين إلا أن المعلومات عن حياته الشخصية قليلة بل تكاد تكون غامضة، ترك أعمال جدلية ضد الإسلام، وضد اللاتين، ويعد كتابه (نقد الأكاذيب الموجودة في كتاب العرب المحمديين)[١]، ويعد ما كتبه نقطة تحول في بيزنطة ضد الإسلام، حيث وضع ترجمة يونانية للقرآن الكريم معتمدة على الترجمة اليونانية الباكرة للقرآن الكريم والتي قام بها مجهول الهوية، فعد ما كتبه نيقيتاس البيزنطي الأساس للترجمات التالية، وقد أساءت هذه الترجمة إلى الإسلام ودفعت اللاهوتيين البيزنطيين لتفنيده كلما واتهم الفرصة، حيث لم يستطع المترجم فهم كثير من الكلمات والتعبيرات العربية الواردة في آيات القرآن الكريم فترجمها ترجمة حرفية غير سلسة، أو نقلها نقلاً صوتياً دون إدراك للمعنى الحقيقي للكلمة؛ فمثلاً لم يستطع فهم كلمات كالقارعة أو الكوثر أو الصمد وغيرها، فجاءت ترجمته لمثل تلك الكلمات وآيات أخرى محرفة وغير دقيقة، فأساءت للقرآن الكريم وشوهته بل جعلت بعض اللاهوتيين يتخذون من هذه الترجمة حجة للهجوم على الإسلام، ولا تزال هذه الترجمة الباكرة لمعاني القرآن الكريم تمثل تراثاً لآباء الكنيسة الشرقية [٢].

ومن المرجح أن نيقيتاس كان يكتب في القسطنطينية، وربما على الأرجح لم يتحدث إلى مسلم، لكن المؤكد أن كان لديه نص كامل للقرآن وحاول أن ينتقده بشكل منهجي، والمتأمل لما كتبه يجده يندرج تحت جزئين الأول ركز فيه بشكل رئيسي على عقيدة الثالوث وذلك أثناء حديثه عن سورة الإخلاص، والثاني دحض للقرآن [٣].

---

(1) Demetriades, J, M., Nicetas of Byzantium and his encounter with Islam: A study of the " Anatpoiih " and the two " Epistles " to Islam, PHD, Michigan, 1972, pp. 1-5, Khazdan, OBD, vol, 3, p. 1480.

(٢) طارق منصور ونهى عبد العال سالم، البيزنطيون وترجمة القرآن الكريم إلى اليونانية في القرن التاسع الميلادي: الجزء الثلاثون أنموذجاً.
Journal of Medieval and Islamic History, VIII(2013-2014), PP.84-85, Abou-Seada, A., Byzantium and Islam (9-10 centuries) A Historical evalution of the role of Religion in Byzantine-Muslim Relations, PHD, University of Birmingham, 2000, p. 23.

(3) Myendroof, Byzantine view of Islam, p. 121.

وقد استفاد البحث مما ذكره نيقيتاس البيزنطي عن القرآن الكريم، والمتأمل لنيقيتاس البيزنطي يجده أكثر تجرأ من الكتاب البيزنطيين وذلك عندما تحدث عن زواج النبي ﷺ من السيدة زينب حيث وسمه بالزنا -وحاشاه-، بل إنه اتهم النبي ﷺ بكره الكفار وحث أتباعه على قتالهم، وقد تم تفنيد هذه الفرية[١].

كما استفاد البحث في الفصل الثاني مما ذكره نيقيتاس عن وصف الجنة الذي عده غريب، وتهكم على وجود النساء في الجنة، كما رفض عذاب النار، وبالنسبة لصور القرآن فقد ذكر أنها مائة وثلاثة عشر سور وذلك بحذفه سور الفاتحة، وتحدث أن النبي هو من ألف القرآن، وأنه اعترف بالكتب السابقة كي يعترف أصحابها بكتابه، كما نظر لقصص القرآن على أنها نوع من الثرثرة وأن النبي تأثر بقصص السابقين، وقد تم تفنيد قوله هذا[٢].

كما استفاد البحث مما ذكره نيقيتاس عن صلب المسيح، وقد كان نيقيتاس أكثر الجدليين حدة في نقضه، حيث اتهم النبي بالمزيف والمسيح الدجال وبالأكثر سوءً، وهي اتهامات تدل على عدم امتلاكه إجابة شافية داحضة تبرهن إيمانه المسيحي، كما أراد نيقيتاس البيزنطي أن يبرهن على جهل النبي محمد بالكتاب المقدس فقال لم يقرأه، وعله أراد إن يوحى أن ذلك سبب عدم فهمه لطبيعة الإيمان المسيحي، ولكن قوله هذا عد دحضاً لقول الجدليون البيزنطيون من أن النبي قد استقى معلوماته من الكتاب المقدس، وتعرض نيقيتاس لرفض محمد للطبيعة الإلهية للمسيح، وما ترتب على ذلك من إغلاقه فم كل من اليهود والنصارى، وقد تم تفنيد هذه الفرى[٣].

تعرض نيقيتاس للحديث عن أركان الإسلام فتحدث عن الصلاة والتطهر بشيء من الإيجاز مما دل على رفضه لهما، وتعرض للقبلة وتحولها كنوع من التمييز فبرز تفرده عن كتاب بيزنطة في هذه المعلومة، وتعرض للحديث عن

---

(١) انظر: الفصل الأول.

(٢) انظر: الفصل الثاني.

(٣) انظر: الفصل الثالث.

الصيام فبرز معرفته بما يفعله المسلم وقت الصيام والفطر، وتحدث عن الحج، ووسم الكعبة بالمكان الأكثر تلوثاً بل اتهم المسلمين بعبادة صنم في الكعبة، كما تعرض للممارسات الإسلامية بنوع من الرفض وقد تم تفنيد كل ما ذكره[١].

- **قسطنطين السابع ConstantineVII (٩١٣-٩٥٩م/ ٣٠١-٣٤٨هـ) :**

هو الابن الوحيد للإمبراطور ليو السادس Leo VI والإمبراطورة زوي كاربونوبسينا Zoe Karbonopsina، ولد في القاعة الوردية فلقب بالبورفيروجنيتس Porphyrogenitus، توج كإمبراطور مشارك عام ٩٠٨ م، أصبح تحت وصاية البطرك نيكولاس الأول ميستيكوس Nicholas I Mustikos وبعد وفاة عمه الكسندرAlexander عام ٩١٣ م، لكنه أصبح تحت وصاية قائد الأسطول الروماني رمانوس الأول لاكابينوس Roamanus I (٩٢٠-٩٤٤م) الذي أصبح حميه فيما بعد، ورث عن أبيه ذوقه الأدبي، ولكنه لم يرث عنه كفايته الإدارية فقد عهد بتصريف شؤون الحكم إلى زوجته هيليناHelen ووزرائه، ويرجع السبب إلى تفوق النزعة الأدبية على النزعة السياسية فقد اشتهر بميوله للعلم والمعرفة والدراسات التاريخية وأسهم في التقدم الفكري البيزنطي بما أصدره من مؤلفات عديدة، وما أقدم عليه من تشجيع للآخرين على التأليف وقد أنفق أموالاً طائلة في سبيل تصنيف كتب تتضمن نصوص مختارة من مؤلفات القدماء ومن مؤلفاته كتاب الثغور الذي ألفه عام ٩٣٤م وسجل فيه الولايات البيزنطية وحدودها وسكانها. وأستمد معظم مادته من المؤلفات الجغرافية التي ترجع إلى القرنين الميلاديين الخامس والسادس. وقد ألف كتابه إدارة الإمبراطورية de Administer Imperial[٢] عام ٩٥٣م الذي أهداه لابنه وولي عهده رومانوس الثاني Romanus II (٣٤٨-٣٥٢هـ/٩٥٩- ٩٦٣م) وهو عبارة عن نصائح قدمها لابنه، ويتضمن المبادئ الأساسية في معاملة الشعوب المجاورة للإمبراطورية[٣].

---

(١) انظر: الفصل الرابع.

(٢) اعتمدت الباحثة على الترجمة العربية، والتي ترجمها د/ محمود سعيد عمران، بيروت، ١٩٨٠م.

(٣) انظر: إدارة الإمبراطورية، ص٤١.

OBD, vol, 1, pp.502-503.

وقد استفادت الدراسة مما كتبه قسطنطين عن مراحل الدعوة الإسلامية فبرز نقله معلوماته عن المؤرخ ثيوفانيس[١] عن النار الإغريقية [٢]، والتي تُعد من أهم أسباب انتصار الإمبراطورية على أعدائها، وأيضاً ما ذكره قسطنطين عن بعض الشعوب السلافية وعن أصل تسميتهم وموطنهم الأصلي، وكذلك ما ذكره عن فتح المسلمين لمدينة بيت المقدس ودخول عمر بن الخطاب المدينة وأوامره بعدم التعرض لكنائسها وهيكلها [٣].

ثانياً: المصادر الأرمينية Armenian Sources:

- الراهب الأرمني سيبيوس Sebeos

عاش في ستينات القرن السابع الميلادي، كان أسقفاً لأرمينيا، وعد من أبرز مؤرخي الأرمن في القرن السابع الميلادي؛ حيث اكتسبت كتاباته مصداقية لكونه كان معاصراً لظهور الإسلام ولحركة الفتوحات الإسلامية، كما أنه الوحيد الذي كتب الأحداث في وقتها وذلك بعكس الكتاب البيزنطيون والمسلمون، لذا كان يروها دون أن يخضعها للنقد والفحص، طبقاً للعادة المعمول بها في عصره في التواريخ البيزنطية والعربية، ولم يكتف سيبيوس برواية الأحداث التي رآها بل روى معلومات نقلها بنفسه من شهود العيان كالأسرى الذين أطلق المسلمين سراحهم (لعلهم كانوا من الأرمن الذين قاتلوا المسلمين في سوريا البيزنطية أو في فارس، وقد يكون بينهم جماعات عرقية أخرى) الذين قاتلوا المسلمين وقد دون تاريخه الذي سماه تاريخ هرقل Histoire d'heraclius، والذي اشتملت أحداثه منذ العام ٦٧٥م وحتى ارتقاء معاوية ﷺ الخلافة عام ٦٦١م، معتمداً على بعض المصادر الأرمينية المفقودة، فسطره بالأرمينية وقد تكون من ثمانية وثلاثين فصلاً تناول في ثلاثين فصلاً تاريخ أمته، وتاريخ علاقتها بدولة الروم، فاشتمل على الأحداث التي حدثت في عهد الإمبراطور هرقل الذي كان محور

---

(١) انظر: الفصل الأول.

(٢) انظر: الفصل الخامس.

(٣) ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية، ص ١٥.

روايته، وتطرق لأحداث الحرب بين الفرس والروم، والتي انتهت بالانتصار الحاسم للإمبراطور هرقل عام ٦٨٢ م، ثم خصص الفصل الثلاثين من كتابه وحتى نهايته عن الإسلام منذ ظهور الدعوة المحمدية، وانتشارها في جزيرة العرب[١].

ويعد سيبيوس من أوائل أساقفة النصارى الشرقيين الذين تحدثوا عن الإسلام، وكانت كتاباته تتصف بالموضوعية حيث لم يتعمد التشويه الذي انتهجه الكتاب النصارى الذين كتبوا بعده، وقد استفاد منه البحث حيث عد ما ذكره مادة أصيل نقل عنها كتاب بيزنطة خاصة، فاعتمد البحث عليه في الفصل الأول للتعرف على نسب النبي محمد ﷺ، كما اعتمد عليه في الفصل الخامس حيث عد ما كتبه من أوثق الشهادات التي كتبت عن الفتوحات الإسلامية حيث عد شاهد عيان للأحداث فتفرد بذكر أحداث لم يذكرها غيره.

- **المؤرخ الأرمني جيفوند Gevond :**

سمي بليونت Leonte وأحياناً ليونس Leonce، لا يعرف تاريخ ميلاده ولا وفاته، لكن يتضح من مؤلفه أنه عاش في النصف الأخير من القرن (الثامن الميلادي/ الثاني الهجري)[٢]، ويقال أنه ولد عام ٧٣٠م في قرية Goght'n، فتلقى تعليمه الكنسي في مدينة دوين Dwin وتوفي في نهاية القرن الثامن الميلادي[٣]، ألف تاريخه الموسوم بـ"تاريخ حروب وفتوحات العرب في أرمينية Hidtoire des Guerres et des Conquestes des Arabes en Armenies[٤]،

---

(١) حاتم الطحاوي، فتوح المسلمين لبلاد الشام وأرمينا، قرآة في مصنف المؤرخ الأرميني "سيبوس"، دار عين، أغسطس، ٢٠١٤؛ ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية، ص ٢٦-٢٧.
Khazdan, A, P., The Oxford Dictionary of Byzantium, (OBD), New York, 1991, vol. 3, P. 1863.

(٢) فايز نجيب اسكندر، أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين في ضوء كتابت المؤرخ الأرمينى جيفوند (٦٣٢-٦٦١م/ ١١-٤٠هـ)، ج ١، الإسكندرية، ١٩٨٢م، ص ٦-٧.

(3) Kaegi, W, E., Byzantium and The Early Islamic Conquest, Cambridge Universitty press, 2005, p.3.

(٤) فايز نجيب اسكندر، أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء، ص٣، اعتمدت الباحثة على النسخة الإنجليزية. =

وقد احتل كتابه مكانه هامة بين مصادر تاريخ أرمينية في العصور الوسطى لأنه ينفرد دون غيره من المصادر بإلقاء الأضواء على تاريخ أرمينا خاصة، وتاريخ الإمبراطورية البيزنطي، والعام الإسلامي عامة، وذلك في القرنين (السابع والثامن الميلاديين/ الأول والثاني الهجريين) يغطي تاريخه الفترة من (٦٣٢-٧٨٨م)، وقد تضمن تاريخه أوصاف الغزوات العربية لأرمينيا في منتصف القرن السابع الميلادي، وحروب الخلافة ضد بيزنطة [(١)] وقد استند تاريخه إلى إشارات تعود إلى القرن السابع الميلادي[(٢)].

برز انحيازه لبني وطنه لم تتصف كتاباته بالإنصاف والجياد ففقد أهم صفة للمؤرخ حيث لم يبتعد عن الأهواء الشخصية، نقل الكثير من المؤرخ سيبيوس لأنه لم يكن معاصراً لأحداث القرن السابع الميلادي، كما برزت نزعته اللاهوتية في أسلوب كتابته حيث جعل الهزائم نتيجة لغضب الله عليهم لارتكابهم الخطايا والذنوب[(٣)].

وقد استند إليه البحث في معرفة مدة الدعوة الإسلامية[(٤)]، وكذلك عن حديثه عن الفتوحات الإسلامية وقد أبرزت الدراسة خطأه بأن جعلها بعد وفاة هرقل[(٥)] فبرز صبغه للفتوحات الإسلامية بالدموية، كما استفاد البحث مما ذكره عن محاولة مسلمة بن عبد الملك فتح القسطنطينية وفشله[(٦)].

= Ghewond's History, Translated from Classical Armenian by Robert Bedrosian, Sources of the Armenian Tradition (Long Branch, N. J., 2006.

(1) Ghewond's History, p. I.

(2) Kaegi, W, E., Byzantium and The Early Islamic Conquest, Cambridge Universitty press, 2005, p.3.

(٣) فايز نجيب اسكندر، أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين، ص ٧-٨.

(٤) انظر: الفصل الأول.

(٥) انظر: الفصل الخامس.

(٦) انظر: الفصل الخامس.

- ديونسيوس التلمحري ومؤلفه "تاريخ الأزمان"[1]

عرف بمار ديونسيوس الأول عاش في القرن التاسع الميلادي ولا نعرف تاريخا محدداً لميلاده، ومن المرجح أنه ولد في الربع الأخير من القرن الثامن الميلادي، ولربما فيما بين عامي ٧٨٠-٨٠٠م، ولد في بلدة تلمحرة من أعمال الرها عاصمة السريان الثقافية والحضارية، انتسب إلى دير قنسرين فنشأ فيه إلى أن احترق عام ٨١٥ م، والذي كان يُعد مركز إشعاع للثقافة اليونانية، والذي ذاع صيته وطبقت شهرته أنحاء العالم، فانتقل لدير مار يعقوب في كيسوم بين حلب والرها في مقاطعة سميساط وأتم فيه دراساته العلمية والعلمانية، فنال شهرة واسعة، وفي عام ٨١٨م انتخب بطريركاً لأنطاكيا لمدة سبعة وعشرين عاماً، وتوفى في عام ٨٤٥ م، وتاريخه ضخم اشتمل على تاريخ العالم منذ الخليقة حتى عصره[2].

وقد استفاد منه البحث في الفصل الأول في معرف رأيه في مجيء النبي محمد ﷺ فبرز تحيزه وعدم إنصافه، حيث وسم النبي بالملك واتهمه بأنه شرع لهم تعاليم تتناسب مع نزعاتهم، ولم يعلق على دعوة قومه لعبادة إله واحد.

ثالثاً: المصادر الفارسية:

- البيهقي (٣٨٤-٤٥٨ هـ/ ٩٤٤-١٠٦٥م) :

هو أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي، ولد في بيهق (٣٨٤-٤٥٨هـ)، وكتابه دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة [3].

---

(١) ديونسيوس التلمحري، تاريخ الأزمان، ترجمة، شادية توفيق حافظ، مراجعة، السباعي محمد السباعى، المركز القومي للترجمة، ع ١٢٧٧، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١١-١٣؛ ديونسيوس التلمحري، رحلات البطريرك ديونسيوس التلمحري في عهد الخليفتين المأمون والمعتصم، تحقيق تيسير خلف، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، ط ١، بيروت، ٢٠١٤م، ص ١٣-١٤.

(٢) ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية، ص ٢٨.

(٣) تحقيق د/ عبد المعطى قلعَجي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، السفر الأول.

ويعد كتابه مصدراً أصيلاً حيث استفاد منه البحث في التعرف على معجزات النبي ﷺ.

رابعاً: الكتاب المسيحيين الشرقيين:

استفادت الدراسة من مجموعة من الكتاب المسيحيين الشرقيين ومنهم:

- يوحنا النقيوسي :

ينسب إلى مدينة نقيوس (أبشادي بمركز تلا منوفية) ولد سنة ٦٤١م تقريباً في الوقت الذي دخل فيه المسلمون إلى مصر، عاش في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي ومستهل القرن الثامن الميلادي، كان أسقفاً للمدينة في الفترة من (٦٦١-٦٦٧م/ ٤١-٤٧هـ)، وتعد مخطوطته " تاريخ العالم القديم ودخول العرب مصر "[١] من المصادر الهامة لأنه تحدث عن أحداث الفتح العربي لمصر، وترجع أهميتها لأن الكتاب المسلمين الذين تحدثوا عن أحداث الفتح عاشوا في وقت متأخر عن هذه الحوادث وأقدمهم ابن عبد الحكم والبلاذري وترجع كتاباتهما إلى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الميلادي، أما المصادر البيزنطية فلم ترو إلا أخبار ضئيلة الأهمية عن الفتح ومن ثم انفرد تاريخ يوحنا بما لديه من معلومات قيمة عن الفتح، وقد كتب تاريخه في نهاية القرن السابع الميلادي، ولم يكن قد مضى إلا زمن قصير على فتح مصر؛ لذا يعد يوحنا أول من أرخ لحوادث الفتح العربي لمصر من رجال الدين النصارى[٢]، وقد اتصف بالتعصب ضد المسلمين فوصف المسلمين بالوثنين، وبذلك يكون ثاني كاتب نصراني يُلصق تهمة الوثنية بالمسلمين بعد أسقف بيت المقدس البيزنطي صفرونيوس، وقد علق على اعتناق بعض النصارى في مصر للإسلام بقوله قوم ارتدوا عن دينهم المسيحي ودخلوا في دين البهائم، فظلة تهمة الوثنية ملصقة بالمسلمين طوال العصور الوسطى[٣].

---

(١) تقديم القمص بيشوى عبد المسيح، القاهرة، د. ت.

(٢) النقيوسي، تاريخ العالم، ص٧ وما بعدها؛ ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية، ص٢٥-٢٦.

(٣) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص ١١.

وقد استفاد منه البحث في الفصل الخامس عند الحديث عن فتح العرب لمصر حيث أزال كثيراً من اللبس الموجود في الروايات الأخرى.

- ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونيين وكتابه تاريخ بطاركة كنيسة الإسكندرية :

المعروف باسم أبي البشر بن المقفع الكاتب أو أبي البشر جا- رود الكاتب المصري، عاش ساويرس في القرن العاشر الميلادي، ولد حوالي عام ٩١٥ م، نشأ في منف الشرقية- القاهرة الآن- تربى تربية علمية فجمع بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية، فعرف الفلسفة التي كانت مزدهرة في الإسكندرية وعلوم الكلام التي قرأها في مصادرها، وأتقن اللغة العربية، وعمل في الوظائف الإدارية والدواوين، فتدرج في الوظائف حتى أصبح كاتباً ماهراً، تخلى عن وظيفته ليترهبن في أحد الأديرة[١]، لم يعرف على وجه التحديد تاريخ وفاته، وقد كتب تاريخه مستعيناً بالوثائق اليونانية والقبطية التي وجدها في أديرة مصر، فترجمها بمساعدة بعض القساوسة ورجال الدين، وقد تعرض خلال حديثه عن بطاركة الإسكندرية المعاصرين لهرقل لأحداث تهم الباحث في عصر هرقل ولعل أبرزها فتح العرب أو المسلمين لمصر وكذلك فتح الإسكندرية [٢].

وقد استفاد منه البحث في الفصل الخامس وذلك عند ذكر معلومات عن فتح مصر حيث برز أنه ملماً بكثير من الأحداث وأنه منفرد بها.

- الكندي :

هو عبد المسيح بن إسحاق الكندي، عاش في القرن العاشر الميلادي، كان عاملاً في بلاط الخليفة المأمون والذي كتب رداً على رسالة عبد الله الهاشمي التي يدعوه فيها إلى الإسلام[٣]، وقد حوت رسالة الكندي الكثير من

---

(١) ابن المقفع، ساويرس، تاريخ مصر من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة، تحقيق عبد العزيز جمال الين، القاهرة، ٢٠١٢م، ج ١، ص ٢٣ وما بعدها.

(٢) ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية، ص ٢٢-٢٣.

(٣) رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحق الكندي يدعوه بها إلى الإسلام ورسالة عبد المسيح إلى الهاشمي يرد عليه.

القدح في النبي ﷺ والقرآن، وقد تلقف كتاب القرون الوسطى هذه الرسالة بلهفة وأدرجوها في مؤلفاتهم ضد الإسلام وصارت ما تحويه من تشويه مفاهيم ثابتة في الفكر المسيحي، ولم يختلف الكندي عن كتاب بيزنطة عندما نسبوا الإسلام لرهبان النصارى، وأيد قوله هذا بما في القرآن من ذكر المسيح والنصرانية والذب عنها، وتزكية أهلها والشهادة لهم أنهم أقرب مودة، وأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون، ثم تحدث الكندي عن تحول ولاء النبي ﷺ لليهود بعد وفاة الراهب وأصبح عبد الله بن سلام وكعب المعروف بالأحبار هما من يمدانه بالعلم حتى أنهما كانا يرضانه على النصارى، ثم تعرض الكندي للحديث عن القرآن وقدح فيه ووسمه بأنه ينقض بعضه، ثم تعرض لأركان الإسلام بنوع من التهكم قادحاً فيها.

- محبوب المنبجي / أغابيوس :

هو محبوب بن قسطنطين الرومي المنبجي أسقف منبج- عاصمة إقليم الفرات- في القرن العاشر الميلادي، وكان معاصراً للمؤرخ سعيد بن بطريق بطريق الإسكندرية غير أنه لا يعرف إذا كان كليهما يعرف الآخر أم لا، ولكن يبدوا أن تاريخ سعيد بن بطريق كان يسبق تاريخ أغابيوس بعدة سنوات، وكتابه يسمى "المكلل بفضائل الحكمة المتوج بأنواه الفلسفة الممدوح بحقائق المعرفة"[(١)]، وقد بدأه من بدء الخليقة وحتى عام ٣٣٠ هـ/ ٩٤١م[(٢)].

وقد استفاد منه البحث في الفصل الخامس عند الحديث عن فتح الشام وأمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه للبطريرك وفتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر وموقف الإمبراطور هرقل، وكذلك ما ذكره من فتح المسلمين لقبرص، وكذلك ما ذكره عن محاولات فتح القسطنطينية التي حدثت في عهد الأمويين، كما استفاد البحث مما ذكره أغابيوس من موقف المسلمين من المردة وأكد على أن الإمبراطور قسطنطين هو من كان يحرضهم لإشغال المسلمين عن الغزو.

---

(١) بيروت، ١٩٠٧ م.

(٢) ليلى عبد الجواد، الولة البيزنطية، ص ٢١-٢٢.

خامساً: المصادر العربية:

- ابن إسحق :

هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار أبو بكر القرشي المدني المطلب المدني، (٨٠-١٥١هـ)، نشأ في بيئة علمية، وأخذ العلم عن جم غفير من العلماء الأفاضل وارتحل في طلبه إلى بلاد شتى، ألف عدد من المصنفات العلمية منها كتاب "السيرة النبوية"[١]، وهو أصل السيرة النبوية لابن هشام، لذا يعد من أوائل المؤرخين المسلمين الذين كتبوا سيرة النبي ﷺ[٢]، وقد استفاد البحث كثيراً مما كتبه عن حياة النبي ونشأته وشبابه وبعثه، وهجرته وغزواته، كما استفاد البحث من كتابه السير والمغازي[٣]، وذلك خلال ذكره لمغازي النبي ﷺ حيث حدد موضع وقوعها وأسبابه وكذلك نتائجها.

- الواقدي :

أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد، ولد بالمدينة المنورة (٧٧٧-٨٢٢م/ ١٣٠-٢٠٧هـ) ثم هاجر إلى بغداد حيث شغل منصب القاضي بها، وقد كان عالماً بالحديث والمغازي والفتوح، وعرف بغزارة علمه، وكان ثقة في أخبار الناس والسير والفقه وسائر الفنون، وكان المأمون يقدره تقديراً عالياً ويبالغ في رعايته حتى أنه قربه إليه، وولاه القضاء بعسكر المهدي[٤]، ومن أهم مؤلفاته التي اعتمد عليها البحث كتاب "المغازي"[٥] الذي استفاد البحث كثيراً خلال التعرض لسيرة الرسول ﷺ وغزواته خاصة مؤتة وتبوك، وحديث أبي سفيان مع

---

(١) تحقيق أحمد فريد المزيدي، لبنان، ٢٠٠٤م، ج١-٢.

(٢) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج ١، ص ٦؛ الذهبى، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى (ت ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري، ج ٩، دار الكتاب العربي، ط ٢، لبنان، ١٩٩١م، ص ٥٨٨-٥٩٣.

(٣) تحقيق د/ سهيل زكار، دمشق، ١٩٧٨م.

(٤) ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية، ص ٣٠-٣٢.

(٥) تحقيق د/ مارسدن جونس، ج ١، عالم الكتب، د. ت.

هرقل[1] وكذلك وكتاب "فتوح الشام"[2]، فقد أمد الدراسة بمعلومات ذات أهمية لتفصيلاته الكثيرة التي غطت جميع مراحل الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام[3] أما كتاب فتوح مصر والإسكندرية فأفاد البحث في الحديث عن إرسال النبي حاطب بن أبي بلتعة للمقوقس حاكم مصر من قبل هرقل، وكذلك عند حديثه عن فتح عمرو لمصر، كما تحدث عن فتح قيسارية والمصاعب التي واجهت المسلمين في فتحها.

- ابن هشام :

هو أبو محمد بن عبد الله بن هشام، ولد بالبصرة، وتلقى العلم فيها ورحل إلى مصر وأقام بها، وقد قام بجمع سيرة النبي ﷺ من المغازي والسير لابن إسحاق وهذبها ولخصها واشتهر بها، وتوفى بالفسطاط عام ٢١٣هـ/ ٨٢٨م، وقيل ٢١٨ هـ/ ٨٣٤م[4]، ويعد كتابه السيرة النبوية[5] من أهم الكتب التي أفادت البحث وذلك للتعرف على سيرة النبي وحياته ومغازيه وزواجه ورسائله لملوك العالم في عصره.

- ابن سعد :

هو محمد بن سعد بن منيع الزهري توفى ببغداد عام (٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، وهو أحد الفضلاء والنبلاء الأجلاء، صحب الواقدي وكتب له فعرف به أي بكاتب الواقدي، فاكتسب منه الكثير من المعرفة بالحوادث التاريخية والنقلية[6]، كتابه "الطبقات الكبير"[7]، يعد كتابه من المصادر المهمة التي أمدت البحث

---

(١) انظر: الفصل الأول.

(٢) ضبطه وصححه عبد اللطيف عبد الرحمن، ج ١، دار الكتب العلمية، ط ١، لبنان، ١٩٩٧.

(٣) انظر: الفصل الخامس.

(٤) ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية، ص ٣٢-٣٣.

(٥) تحقيق أ. د/ عمر عبد السلام تدمري، ج ١-٤، ط ٣، بيروت، ١٩٩٠م.

(٦) ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية، ص ٣٣.

(٧) تحقيق د/ على محمد عمر، ج ٢، القاهرة، ٢٠٠١م، في مغازي رسول الله ﷺ =

بمعلومات طيبة عن غزوات الرسول ﷺ ومعاركه مع البيزنطيين، كما استفاد البحث منه في معرفة سيرة الصحابة الذين تعرض لهم البحث.

- الأزدي :

هو أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري، نبغ في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وتوفى ببغداد (ت ٢٣١هـ)، وكان ثقة[١]، وكتابه "فتوح الشام"[٢]، وقد استفاد البحث منه عند الحديث عن فتوحات المسلمين في بلاد الشام، ومن ثم اشتباكهم مع الروم والذي انتهى بانتصارهم، ومن ثم فتح مدن الشام.

- ابن عبد الحكم :

هو أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم أبو القاسم القرشي، ولد بالفسطاط (١٨٧-٢٥٧ هـ/ ٨٠٣-٨٧١م)، وكتابه "فتوح مصر وأخبارها"[٣]، يعد من أهم المصادر التي تحدثت عن فتح مصر، بل يعد واضع حجر الأساس الأول في مصادر تاريخ مصر الإسلامية بروايته هذه[٤]، وقد استفاد البحث منه خلال سرده لكتاب النبي للمقوقس عظيم مصر، ثم أورد تفاصيل فتح عمرو بن العاص لمصر بدءً من مسير الحملة لمعرفته بطرق مصر ومسالكها والفتوحات التي قام بها وانتهاءً بسيطرته على مصر بعد عقد معاهدة مع المقوقس ثم حصار الإسكندرية.

= وسراياه، ج ٤ في الطبقة الثانية من المهاجرين والأنصار ممن لم يشهدوا بدراً ولهم إسم قديم وشهدوا أحداً وما بعدها من المشاهد، ج ٥ في الطبقة الثالثة من المهاجرين والأنصار ممن شهد الخندق وما بعدها.

(١) ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية، ص ٣٣-٣٤.

(٢) صححه وليم ناسوليس، الإيرلندي، كلكتة، ١٨٥٤م.

(٣) تقديم وتحقيق، محمد صبيح، دار التعاون للطبع والنشر، مصر، د. ت.

(٤) ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية، ص ٣٥.

- البلاذري (ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢م) وكتابه فتوح البلدان[١]:

أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي، ولد في بغداد أواخر القرن الثاني الهجري، جمع الروايات المبكرة عن الفتوحات مرتبة بحسب المناطق كان معاصراً لابن عبد الحكم، ولربما وضع روايته عن الفتوحات الإسلامية في نفس الوقت تقريباً الذي دون فيه ابن عبد الحكم، وقد أفاد البحث في الحديث عن الفتوحات الإسلامية للشام ومصر[٢]، جُمل من أنساب الأشراف[٣] وقد استفاد منه البحث في معرفة الأنساب.

- اليعقوبي:

هو أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب (ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، كان مؤرخاً ورحالة في آن واحد، انتقل في ديار الإسلام فقضى سنوات طويلة في أسفاره وعاد إلى بغداد حيث توفى بها، يبدأ تاريخه[٤] بآدم عليه السلام ويستمر حتى قبيل وفاته أيام الدول العباسية[٥]، وقد استفاد البحث منه خلال حديثه عن الخلفاء وأهم الأحداث التي جرت في عهدهم، وكذلك ما أورده من رد هرقل على كتاب الرسول[٦]، ومعلوماته عن معركة أجنادين وحصن بابليون وفتح مصر، وقد جمع الروايات المبكرة عن الفتوحات مرتبة بحسب المناطق، كما استفاد البحث منه عند الحديث عن المعاهدات[٧].

---

(١) فتوح البلدان، القاهرة، ١٩٠١ م.

(٢) ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية، ص ٣٥-٣٦.

(٣) ج٢، الشمائل النبوية وأخبار الإمام علي بن أبي طالب، حققه وقدم له د/سهيل زكار، د/ رياض زركلي، لبنان، ١٩٩٦ م.

(٤) تاريخه، ليدن، ١٨٨٣م، ج ١-٢.

(٥) ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية، ص ٣٦-٣٧.

(٦) انظر: الفصل الأول.

(٧) انظر: الفصل الخامس.

- ابن أعثم الكوفي:

هو أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤ هـ/ ٩٢٦م)، مؤرخ مسلم يعد مؤلفه "كتاب الفتوح"[١] من المصادر المهمة التي اعتمد عليها البحث عند البحث عن الفتوحات الإسلامية حيث أسهب في ذكر العديد من المعارك[٢].

- خليفة ابن خياط :

هو أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة خليفة بن خياط الليثي العصفري الملقب بـ شباب "(١٦٠-٢٤٠هـ/٧٦٦-٨٥٤م)، نشأ في البصري في بيت علم فكان جده وأبيه من رواة الحديث، فتلقى العلم على أيديهم وعن الشيوخ الكثيرين في مدينته فأخذ عنهم علوم القرآن والحديث والأنساب والأخبار، فكان متقناً عالماً بأيام الناس وأنسابهم، عاصر انتعاش حرك المعتزل في خلافتي المأمون والمعتصم فوقف في صف خصومهما بصراحة، نقل مادته العلمية من مصادر أصيلة، يعد كتابه "تاريخ بن خليفة"[٣] من كتب الحوليات الهامة لقدمه وما حواه من معلومات قيمة[٤]، استفاد منه البحث في التعرف على الغزوات التي قام بها النبي ﷺ، ورسائله إلى الملوك والأمراء[٥]، وكذلك ما ذكره من مادة جيدة عن الفتوحات الإسلامية[٦].

- ابن سلام :

هو أبو عبيدة القاسم بن سلام (١٥٧-٢٢٤ هـ/ ٧٧٤-٨٣٧م)، يعد مصنفه "كتاب الأموال"[٧] أول عمل كبير في تراث الإسلام -وصل إلينا- حيث حوى

---

(١) تحقيق علي شيري، ج ١-٢، دار الأضواء، ط ١، لبنان، ١٩٩١م.
(٢) انظر: الفصل الخامس.
(٣) تحقيق د/ أكرم ضياء العمري، دار طيبة، ط ٢، الرياض، ١٩٨٥م.
(٤) ابن خليفة، تاريخه، ص ٥-٣٠.
(٥) انظر: الفصل الأول.
(٦) انظر: الفصل الخامس.
(٧) تحقيق د/ محمد عمارة، القاهرة، ١٩٨٩م.

على آيات وأحاديث ومأثورات ووقائع وتطبيقات الأموال في شريعة الإسلام ودولته، وكذلك اجتهادات المذاهب الفقهية[1]، وقد استفاد منه البحث عند الحديث عن الجزية[2].

- علي بن ربن الطبري:

هو أبو الحسن على بن سهل، ويعرف بابن ربن الطبري طبيب وحكيم، انفرد بالطبيعيات، وكان من العلماء في الأديان، لم يضع ترجمة ذاتية لنفسه، لذا لا نعلم إلا نبذة يسيرة عنه، وبالنسبة لتاريخ ولادته والأرجح أنه ولد في أواخر أيام أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٢٥٨هـ) أو في أوائل خلافة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ) كان من أسرة نصرانية عريقة في نصرانيتها، فنشأ في بيت علم وأدب ودين، فعرف بعضهم في أفق العراق وخراسان وتولى بعضهم أهم الأعمال لولاة طبرستان فكان عمه مشهوراً بالجل والبراعة، ألف كتاباً في الرد على أهل الأديان، كما أن ابن ربن كان من حملة لواء المسيحي ودعاتها ثم هداه الله إلى الإسلام بعدما ذهب إلى بغداد فاعتنقه على يد الخليفة المعتصم، وقد أختلف حول تاريخ وفاته ولربما مات بعد عام ٢٤٧ هـ، وقد ترك عدداً من الكتب أبرزها، الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ[3]، كما تم الاستفادة من كتابه الرد على أصناف النصارى[4].

وقد استفاد البحث كثيراً مما أورده ابن ربن في إثبات نبوة النبي محمد وذكر بشارات الأنبياء عليهم السلام بالنبي ﷺ، وفند شبه نشر الإسلام بالسيف[5]، وكذلك ما سطره عن مكانة القرآن الكريم، ودحضه لرفض النصارى النعيم في الآخرة ومن ثم رفض الثواب في الآخرة[6] وأيضاً تفنيده لقانون النصارى[7].

---

(١) ابن سلام، كتاب الأموال، ص ١٩ وما بعدها.
(٢) انظر: الفصل السادس.
(٣) تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، ط١، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٥ وما بعدها.
(٤) تحقيق وتقديم خالد محمد عبده، القاهرة، ٢٠٠٥م.
(٥) انظر: الفصل الأول.
(٦) انظر: الفصل الثاني.
(٧) انظر: الفصل الثالث.

- الترجمان:

هو أبي محمد عبد الله الترجمان الميورقي، وهو الاسم الذي اختاره بعد دخول الإسلام، حيث كان يدعى قبل إسلامه "أنسلم تورميدا"، لقب بالترجمان لانشغاله بالترجمة، كما ينسب لجزيرة ميورقا التي ولد فيها وهي جزيرة في الطرق الجنوبي الشرقي من أسبانيا - عاش منذ صغره وتعلم بها الإنجيل، حيث عاش في بيئة نصرانية، فانتقل وهو في السادسة من عمره في البلاد الإسبانية وتلقى في أديرتها وكنائسها علوم العقيدة المسيحية وطقوسها وشعائرها، فكان شديد الصلة بأكابر رجال المسيحية، فأرسله أحد القساوسة الكبار ليحضر مؤتمراً مسيحياً بدلاً منه فكان له أكبر الأثر عليه حيث تحول بعدها للإسلام بعدما ناقش مع القس ما نوقش في المؤتمر حول كلمة البركليت، فساعده القس في الذهاب لتونس ومن ثم التحول للإسلام، وقد استغل معرفته السابقة بالديانة المسيحية وبكتابها في تفنيدها، فألف كتابه "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب"[1] وتوفي عام (٨٣٢هـ)[2].

وقد استفاد البحث مما كتبه حول إثبات نبوة النبي محمد ﷺ[3]، وما كتبه عن الختان وتأكيده لوجوبه وذلك باستشهاده وقوعه من الأنبياء وما أثبته من أن الدعوة للرهبانية وترك الزواج إنما يعود لبولس الرسول فنفى بذلك أن يكون السيد المسيح هو من دعى لذلك[4].

- الطبري :

أبي جعفر بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠ هـ/ ٨٣٨-٩٢٢م)، ينسب إلى طبرستان إذ ولد ببلدة آمل- قصبة طبرستان الواقعة على الساحل الجنوبي من

---

(١) دراسة وتحقيق وتعليق عمرو وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، ط ١، بيروت، ١٩٨٨ م.

(٢) الترجمان، تحفة الأريب، ص ٢٣ وما بعدها.

(٣) انظر: الفصل الأول.

(٤) انظر: الفصل الرابع.

بحر طبرستان، ورحل إلى بغداد لتلقى العلم، ثم أخذ يتنقل بين مراكز العلم في المشرق الإسلامي سعياً وراء تحصيله فرحل إلى الشام وأطال المقام في بيروت ثم رحل إلى مصر وعاد بعد ذلك إلى بغداد حيث عاش بها بقية عمره بها إلى أن توفى، ألف كتابه "تاريخ الرسل والملوك"[١]، ورتبه على السنين، فبدأه منذ الخليقة وانتهى عند سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م، وقد عرض فيه الروايات دون أن يرجح أحداها على الأخرى فيقف بذلك موقفاً حيادياً، وقد اعتمد في رواياته على الإسناد ربما لوفرة مصادره لذا استحق أن يلقب بعمدة المؤرخين[٢].

وقد استفاد البحث منه خلال الحديث عن خلق آدم ﷺ[٣] وخطاب الرسول ﷺ لهرقل وحديثه مع أبي سفيان، كما عرض الروايات التي تحكم بإسلام هرقل دون أن يقطع برأي فيها، ولعله كان يترك الترجيح للقارئ، كما تحدث عن غزوة مؤتة وتبوك[٤]، وقد تحدث عن شبهة قول النصارى عن مريم أخت هارون[٥]، وحملة أسامة بن زيد للشام، كما اهتم بالفتوحات الإسلامية في الشام ومعارك المسلمين المهمة ضد الروم وخاصة أجنادين واليرموك، وتعرض لفتح بيت المقدس ومحاولة البيزنطيين استعادة بيت المقدس مرة أخرى وفشلهم في ذلك، كما تعرض لفتح مصر وكتاب عمرو بن العاص الأمان لأهلها بعد توقيع صلح بابليون ثم فتح الإسكندرية[٦].

- ابن الأثير :

وهو أبي الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين

---

(١) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف؛ ط ٢، مصر، د. ت، ج ١، ١٩٦٨م، ج ٢، ١٩٧٠م، ج ٤، ١٩٦٤م، ج ٦.

(٢) ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية، ص ٣٧-٣٨.

(٣) انظر: الفصل الثالث.

(٤) انظر: الفصل الأول.

(٥) انظر: الفصل الثاني.

(٦) انظر: الفصل الخامس.

(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، يعد كتابه الكامل في التاريخ[١] من أهم المصادر التاريخية التي اعتمد عليها البحث، وذلك لما يتمتع به ابن الأثير من رؤية تاريخية صائبة وتحليل دقيق للأحداث، وقد استفاد البحث مما أورده من معلومات عن العلاقات الإسلامية البيزنطية خلال فترة الدراسة، كما استفادت الباحثة مما أورده من معلومات في الفصل الأول والثالث والخامس.

- ابن الجوزي:

هو أبي الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد ابن الجوزي ينتهي نسبه لأبى بكر الصديق ﷺ، ويقال إنه ولد ببغداد (٥٠٨هـ-٥٩٧هـ) لأسر تعمل بالتجارة، فلقب بالصفار نسبة إلى النحاس، كان شغوفاً محباً لطلب العلم، فأكسبه حب العلم والإقبال عليه ثقافة واسعة مستمدة من معاهد العلم ببغداد، حتى أصبح من أئمة عصره في شتى العلوم، بدأ في التصنيف وهو في الثالثة عشر من عمره، ولعل أبرز ما ألف كتابه "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"[٢]، أفاد البحث في التعرف على رسائل النبي للملوك الأمراء[٣]، وكذلك عند الحديث عن خلق آدم عليه السلام[٤]، وكذلك ما ذكره من أمر هارون الرشيد مع نقفور[٥].

- ابن خلدون :

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، ولد في تونس (٧٣٢-٨٠٨هـ / ١٣٣٢-١٤٠٦)، ينحدر من أصل أندلسي أشبيلي، تلقى العلم على عدد كبير من العلماء الأندلسيين الذين هاجروا إلى تونس، ارتحل إلى بلاد الشام ومصر

---

(١) تاريخ ما قبل الهجرة النبوية الشريفة، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، بيروت- لبنان، ١٩٨٧م، ط١، مج ١- ٢.

(٢) دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١٣ وما بعدها.

(٣) انظر: الفصل الأول.

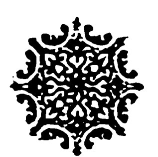
(٤) انظر: الفصل الثالث.

(٥) انظر: الفصل الخامس.

حيث ولى منصب قاضى القضاة المالكية، ويعد من كبار أئمة الأدب، استخدم أسلوباً تميز بالسهولة والوضوح والدقة، ويعتبر كتابه "تاريخه المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذي الشأن والأكبر"(١) تاريخاً شاملاً للأمم منذ بدء الخلق وأنساب الأمم، وقد تميز كتابه بتحليل للحوادث التاريخية وذلك بدراسة طبائع البشر والعمران وأنظمة الحكم والسلطان واستقصاء عللها وأسبابها لفهم التاريخ واستخلاص منه العبر، وقد توفي بمصر بعد رحلة عطاء(٢).

استفاد البحث منه في التعرف على عمر النبي حينما سافر مع عمه للشام، وكذلك كيفية نزول الوحي على رسول الله ﷺ وبعض الأحداث التاريخية(٣)، وكذلك الأحوال المختلفة لنزول الوحي على النبي ﷺ(٤).

كما استفادت الباحثة من الدراسات الحديثة من مراجع ومقالات علمية ذات الصلة بموضوع البحث والتي تتضمنها قائمة المصادر والمراجع.



---

(١) ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس أ. خليل شحادة، مراجعة د/ سهيل زكار، ج٢، بيروت، ٢٠٠٠م.

(٢) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى يوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس أ. خليل شحادة، مراجعة د/ سهيل زكار، ج١، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠١م، الناشر.

(٣) انظر: الفصل الأول.

(٤) انظر: الفصل الثاني.

التمهيد

رؤية البيزنطيين للعرب قبيل ظهور الإسلام وانعكاسها بعد ظهوره

يعود الاهتمام بشبه الجزيرة العربية وما يحيط ويمر بها من الطرق التجارية إلى فترة مبكرة منذ بدايات العصر الإمبراطوري الروماني؛ عندما أقدم أول الأباطرة أوكتافيوس أوغسطسOctavianus Augustus (٢٧ ق.م - ١٩ أغسطس ١٤م.) بتكليف والي مصر آيليوس جاللوسAelius Gallus بتجريد حملة على اليمن ٢٤ ق.م لهدف اقتصادي، فحشد الوالي حملة قوامها عشرة آلاف جندي، كان بينهم ألف نبطي أرسلهم عبادة الثالث مع وزيره صالح Syllaeus[١] ليكون دليلاً للحملة، وسرعان ما أدرك الأباطرة الرومان صعوبة الغزو العسكري المباشر لجزيرة العرب وجنوبها؛ لطبيعة المنطقة، وبعد المشقة، فازداد اهتمامهم بتقوية أسطولهم التجاري في البحر الأحمر، وتحسين علاقتهم السياسية مع زعماء القبائل العربية للحفاظ على مصالحهم الاقتصادية ولتحقيق أهدافهم السياسية[٢].

قسم الرومان بلاد العرب أو شبه الجزيرة العربية جغرافياً إلى ثلاث مناطق أكبرهم بلاد العرب السعيدة Arabia Felix حيث اشتملت على كل المناطق التي

---

(١) قيل إنه السبب في فشل الحملة فبعد أن تم الإتفاق معه على أن يكون دليلاً للحملة وأن يوفر جميع احتياجاتهم، غدر بهم حيث استخدم الجيش الروماني في التجسس على البلاد وتدمير بعض المدن والقرى كي ينصب نفسه سيداً على كل شئ، لذا لم تكن الرحلة آمنة لا في البحر ولا في البر حيث سار بهم في مناطق وطرق ملتوية فالشواطئ كانت صخرية وضحلة وليس بها موانئ مما تسبب في محنة كبيرة، كما جعلهم يمرون مناطق فقيرة، فعانى الجند من الجوع والمرض، فاضطر جاليوس على قضاء كل الصيف والشتاء حتى يتعافى جنده، وبعد ستة أشهر عاد الجيش للأسكندرية وعوقب صالح بقطع رأسه.

Strabo, The Geography of Strabo, Trans, Jones, H.L., London, MCMXXX, vol. VII, pp. 353-363.

(2) Gibson, D., Suggested Solutions for Issues Concerning The Location of Mecca in Ptolemy's Geography, Nabataea, 2013, p. 6, in http://nabataea.net

يُطلق عليها شبه الجزيرة العربية في الكتابات العربية ولم يحددوا لها حدوداً شمالية ثابتة، وقد ازدهرت بها حضارات اليمن القديمة من السبئيين والمعينيين والحميريين، والمنطقة الثانية وعرفت بالعربية الصخرية أو الحجرية Arabia Petreae وقد سكنها الأنباط وعاصمتها البتراء[1]، وقد كان حكامها خاضعين للرومان والبيزنطيين وتمتد من شرق مصر وحتى خليج العقبة "الخليج الفاري قديماً، والمنطقة الثالثة أطلق عليها العربية الصحراوية Arabia Deserta[2]، وتمتد من شرق سوريا حتى نهر الفرات غرباً وشمالاً، ولم يكن لها حدود دقيقة من الجنوب وحدودها الجنوبية الغربية كانت العربية الصخرية ومملكة الأنباط[3].

---

(١) قيل إنهم هاجروا من العراق، وأقاموا على الأطراف الخارجية لمنطقة فلسطين في حوالى القرن الخامس قبل الميلاد، فأسسوا دولتهم وجعلوا البتراء وعاصمتها، فكونت حضارة عربية في لغتها، آرامية في كتابتها، سامية في ديانتها، يونانية رومانية في فنها وهندستها المعمارية، وللتعرف عليهم انظر: محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د. ت، ص ٤٩٤ وما بعدها، ولمعرفة تاريخ الأنباط يمكن الرجوع إلى: إحسان عباس، بحوث في تاريخ بلاد الشام، دولة الأنباط، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن، ١٩٨٧ م؛ محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص ٩٦-٩٧؛ محمد مبروك نافع، عصر ما قبل الإسلام، القاهرة، ٢٠١٧م، ص ١٠٠-١٠٢.

(٢) تسمى في المصادر الجغرافية بالعربية الصحراوية والجزء الأوسط من بلاد العرب السعيدة، ولم تكن ذات أهمية كبيرة لطبيعتها الجغرافية حيث كانت بيئتها موحشة وفقيرة وقد اهتمت بها بيزنطة في القرن السادس لأن بها طرق التجارة وحدث صراع مع الفرس حولها، سامر سيد قنديل، الرؤى الأوربية عن الإسلام من الفتوحات الإسلامية حتى الحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٩م، ص ٦٠-٦١، لم يفرق اليونان بين العرب الصحراوية والصخرية؛ حيث كان من الصعب عليهم فصلهم، فاعتبروا القسم الشمالي من شبه الجزيرة العربية منطقة واحدة، محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص ٩٧.

(٣) سامر سيد قنديل، الرؤى الأوربية عن الإسلام، ٦٢-٦٣؛ محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص ٩٥.

وقد فصل بطليموس في تقسيمه بين شمال الجزيرة العربية فضم العربية الصخرية والصحراوية وبين جنوبها الذي شمل بلاد العرب السعيدة فجعل الأخيرة في الجزء السادس الخريط السادسة لأسيا، انظر "جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، بغداد، ١٩٩٣م، ج ١، ص ١٦٣.

وجد في العهد القديم وصف للأراضي التي سكنها العرب عند الحديث عن هجرة إبراهيم ﷺ من أور الكلدانيين/ العراق إلى أرض كنعان/ فلسطين[1]، فقسم العرب لمعاهدين كغسان وسليح وكندة، وبدو وهم الذين كانوا يغيرون على الحدود الرومانية وقامت القبائل المعاهدة بصدهم والدفاع عن حدود الإمبراطورية، وقد قسم العرب المعاهدون ولائهم بين الرومان والفرس مابين القرنين الثالث والسابع الميلاديين فدانت القبائل الساكنة في المنطقة الشمالية الشرقية للفرس والقبائل الساكنة في المنطقة الشمالية الغربية للرومان[2]، وقد ورد لفظ العرب في التوراة[3] بنفس المعنى في الكتابات الأشورية بمعنى بداوة وإمارة ومشيخة وذلك في إشارةٍ للقبائل التي تسكن على حدود العراق بنعتي البداوة والأعرابي والجفاف والفقر والعزلة والوحشة[4]، وقد عرف العرب بأنهم بدو أصحاب إبل يعيشون عيشة الرحل وأن حياتهم مفعمة بالفقر والبؤس ويغلب عليهم الجوع والفاقة[5]، ويكثر فيهم المتربصون على طرق القوافل[6]، وقد انتظموا في قبائل متصارعة فيما بينهم، فتمسكت كل قبيلة بعاداتها وآلهتها

---

(١) "أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين....." سفر التكوين، الإصحاح الخامس عشر، آية ٧-٢١.

(٢) سامر قنديل، الرؤى الأوربية، ص ٦١-٦٢.

(٣) "ولا يخيم هناك أعرابى، وحي من جهة بلاد العرب في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الديدانيين، اشعيا نبؤة عن العرب، سفر أشعيا، الإصحاح الثالث عشر آية ٢٠، الإصحاح الحادي والعشرون، آية ١٣.

كما جاءت لفظ العرب بمعنى عرب البادية في الطرقات جلست لهم كأعرابي في البرية، وكل ملوك العرب وكل ملوك اللفيف الساكنين في البرية" سفر إرميا، الإصحاح الثالث، آية ٢، الإصحاح الخامس والعشرون، آية ٢٤.

(٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص ١٦، ١٨.

(٥) محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص ١٤٥؛ نينا فيكتوريا بيغوليفسكيا، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، نقله عن الروسية، صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الخرطوم/ ١٩٨٣م، ص٢٧.

(٦) "في الطرقات جلست لهم كأعرابي في البرية"، سفر أرميا، الإصحاح الثالث، آية ٢.

واستقلالها، فكانت حياتهم بسيطة يسودها الفقر بحكم طبيعة الصحراء الجافة القاسية [١].

وقد اختلف المؤرخون والعلماء في تحديد أصل التسمية "عرب" وأول من ذكرهم من أهل الأخبار من اليونان "(أسكيلوس، أسخيلوس)" أشيلس، أخيلوس "Aechylus (٥٢٥-٤٥٦ ق.م)، ثم هيرودوت شيخ المؤرخين (٤٨٤-٤٣٠ ق.م)[٢]، فالكلمة علماً لقومية تشمل كل العرب، فلفظة العربية/ عرابيا Arabae/ Arabia عند اليونان والرومان تعني بلاد العرب التي تضم الجزيرة العربية وبلاد الرافدين وبلاد الشام وسيناء وشرقي النيل، على اختلاف لغاتهم ولهجاتهم، وكانت البداوة هي الغالبة على هذه الأرض وقد ورد لفظ العرب علماً على العرب جميعاً من حضر وأعراب ونعت لسانهم باللسان العربي، وقد كانوا ينعتون ألسنة غيرهم بأعجمية، والقرآن الكريم أشار على أنها علم واسم للسانهم، ويؤيد ذلك قول الله تعالى في القرآن الكريم "﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾[٣]،

---

(١) جوزيف نسيم، الإسلام والمسيحية وصراع القوى بينهما في العصور الوسطى، دار الفكر الجامعي، ط ١، الإسكندرية، ١٩٨٦م، ص ١٠.

(٢) كما ورد ذكر العرب في الكتابات المسيحية، ولعل أشهرها كتابات يوسابيوس القيصري (٢٦٤-٣٤٠م) الذي كان واحداً من آباء الكنيسة البارزين في عصره، وعد أول مؤرخ كنسي يعتد به حتى لقب بأبي التاريخ الكنسي وبهيرودوت النصارى وبروكبيوس Procopius of Caesareas المولود في نهاية القرن الخامس الميلادي في قيصرية بفلسطين والمؤرخ لعصر جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م)، وتلى ذلك آخرون، للمزيد انظر: محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص٣٣-٣٧، ١٤٦؛ بروكوبيوس القيصري، نصوص من بروكوبيوس القيصري ص ١٣٠، ويمكن الرجوع إليه في www.academia.edu/38001527.

(٣) سورة فصلت، آية ٤٤.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾[1]، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾[2]، ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[3]،

ولعلماء العربية آراء في معنى لفظة عرب لكنها مبنية على آراء لا تعتمد على نصوص جاهلية ولا على دراسات عميقة مقارنة، وإنما وضعت على الحدس والتخمين؛ لذا ظهر علماء العربية حيارى في تعيين أول من نطق بالعربية[4]، والعرب هم أهل الأمصار، والأعراب هم سكان البادية، وقد أطلق لفظة العرب على الجميع[5]، فبرزت الكلمة في مقابل كلمة "روم"، وأصبحت تستعمل للتعبير عن المعنى القومي للجنس العربي[6]، الذي له موطن معلوم ولسان خاص به يميزه عن سائر الألسنة، وذلك من بعد الميلاد حتى اليوم، فأضحى كل من ولد ونشأ في بلاد العرب عرباً[7]، وقد ذكرت في العهد القديم بنفس المعنى [8].

عاش على أرض شبه الجزيرة العربية شعوب أخرى كالإسماعيليين[9]

---

(١) سورة الرعد، آية ٣٧.

(٢) سورة الأحقاف، آية ١٢.

(٣) سورة النحل، آية ١٠٣.

(٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص ١٣-٢١؛ عرفان شهيد، روما والعرب، دمشق، ٢٠٠٨م، ص ١٠-١١، محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص ١٣٧-١٤١، ١٤٦-١٤٧.

(٥) محمد الأمين السويدي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، ط، بمبى، ١٢٩٦ هـ، ص٦.

(٦) محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص ١٥١-١٥٢.

(٧) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص ٣٢-٣٣.

(٨) "وكل ملوك العرب" سفر ارميا، الإصحاح الخامس والعشرون، آية ٢٠، "... قتلهم الغزاة الذين جاؤوا مع العرب" خبار الأيام الثاني، الإصحاح الثاني والعشرون، آية ١، وحي من جهة بلاد العرب"، سفر أشعيا، الإصحاح الحادي والعشرون، آية ١٣.

(٩) وهم أبناء إسماعيل والكلمة معناها بالعبرية سمع ايل، أي يسمع الله أو سميع الله، =

والهاجريين المواببن Moabites والأمونيين Ammonites والأدوميين Adomites والميـــدانيين Medianites والديـــدانيين Dedanites والأمـــالكيين Amalekites والسابينيين Sabaenns، وقد اختلطت هذه الشعوب مع العرب، وكـانوا جميعـاً خارج الأمة اليهودية، وقد كانوا إما في حالة عداء معها أو خضوع لها [١]، ويرى بعض علماء التوراة[٢] أن كلمة عرب إنما شاعت وانتشرت عنـد العـبرانيين بعـد ضعف الإشماعيليين/ الإسماعيليين، وتدهورهم وتغلب الأعراب عليهم حـتى صارت اللفظة مرادف عنـدهم كلمـة الإسمـاعيليين ثم تغلبـت علـيهم فصـارت تشملهم، مع أن الإشماعيليين كانوا أعراباً كذلك، أي قبائـل بـدوي تنتقـل مـن مكان لآخر طلباً للمرعى وللماء، فكانوا يسكنون المناطق التي سكنها الأعراب/ أهل البادية، لذا اعتبروا أن كلمة عرب لفظة متأخرة[٣]، وقـد اسـتعملت ألفاظـاً

= وهو الابن الأكبر لنبي الله ابراهيم الخليل من هاجر جارية زوجته سارة، ولم تفصل قصـة ولادته في القرآن وإنما في التوراة في سفر التكوين، وقد وردت قصته في سـور مختلفـة في القرآن، كما ورد اسمه ١٢ مرة معطوفاً على غيره من الأنبياء عليهم السـلام، ويرجـع سبب التسمية أن الرب قد سمع، لذا فقد أطلق الرب عليه إسمـه قبـل أن يولـد، انظـر: علي بن ربن الطبري، الـدين والدولـة في إثبـات بنـوة الـنبي محمـد ﷺ، تحقيـق عـادل نويهض، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٥٤-٥٥، حاشية ٤٢؛ قاموس الكتاب المقدس، تـأليف نخبة من الاختصاص ومن اللاهوتيين، ط Compubraill، د. ت، ص ٥٥.

Tolan, J, V., " A Wild man whose hand will be against all '; Saracens and Ishmaelites in Latin Ethnographical traditions, from Jerome to Bede ", in Vision of community in the post-Roman world, the west, Byzantium and the Islamic world, 300-1100, ed. Walter Pohl and others, Ashgate, N. D, p, 516.

(١) سامر قنديل، الرؤى الأوربية، ص ٦٤-٦٥.

(٢) أو التورة وهي كلمة عبرية تعنى الهداية والإرشاد، ويقصد بهـا الأسـفار الخمسـة الأولى (التكوين والخروج واللاوين والعدد والتثنيـة) وتنسـب إلى موسـى ﷺ وهـي جـزء مـن العهد القديم، والذي يطلق عليه تجاوزاً اسم التوراة من باب إطلاق الجزء علـى الكـل، أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى، وأطلق عليها العهد القديم؛ تميزاً لهـا عـن العهـد الجديد كتاب المسيحيين المقدس، وهو كتـاب يضـم إلى جانـب تـاريخهم، عقائـدهم وشرائعهم ويقسمه أحبار اليهود إلى ثلاثة أقسام: الناموس والأنبيـاء والكتابـات، محمـد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص ٢٩.

(٣) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص ٢٠.

أخرى بمعنى عرب، ومرد ذلك تباين الأصول التي استمدت منها المعلومات، فعدت كتابات الأقدمين مصدراً أساسياً لكل مسيحي أراد أن يعرف معلومات عن المسلمين فاصطبغت الرؤى المسيحية عن الإسلام والمسلمين بالطابع النمطي، فعد ما عرف عن الأقدمين كالأعراف التي يتوارثها الأبناء عن الأجداد وينقلونها دون النظر لمدى مصداقيتها، لأنها من المسلمات[١]، فبالنسبة للإسماعيليين الذين أصبح اسمهم مرادفاً للعرب[٢]، نجد أن هذا الاسم ظل موجوداً حتى بعد ظهور الإسلام، حيث وجدنا يوحنا الدمشقي قد ربطه بالمسلمين، فعُد من أوائل الكتاب المسيحيين الذين نعتوا المسلمين بالإسماعيليين والهاجريين، ولم ينقل الكتاب البيزنطيون كلمة إسلام ومسلم إلى اليونانية إلا في حقبة لاحقة، ولربما عد هذا منطقي لأنهما كلمتان موثوقتان للدلالة على الإسلام وأتباعه[٣] ويرجع نسل الإسماعيليين لإبراهيم ﷺ[٤]، وفي ذلك يقول أفرام والذي كتب ما بين ٦٤٠-٦٩٢م نهاية العالم "هم من نسل إبراهيم وهاجر"[٥]، وقد ذكروا في نبوءة ميثوديوس وأثاناسيوس بأنهم أبناء إسماعيل[٦]، لذا صارت هذه اللفظة نسباً

---

(١) سامر قنديل، الرؤى الأوربية، ص ٢٥.

(2) Firestone, R., Hagar and Ishmael in Literature and Tradition as a foreshadow of their Islamic Personas, Bormann: Abraham's family/ Mohr Siebeck/ 01.06.2018/ Seite 397, p, 401.

عبد العزيز رمضان، سياسة بيزنطة التنصيرية تجاه العناصر العربية المسلمة (القرون ٧-١١م)، ص ١٣٩، حاشية ٣٣ in www.academia.edu.

(٣) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٤١- ٥٠.

(٤) هو أبو الأنبياء إبراهيم الخليل، ورد اسمه في القرآن الكريم ٦٩ مرة، ونعت بعدة صفات منها: إبراهيم الخليل، والصديق، والحليم والمنيب والوفي والحنيف، انظر: ابن ربن، الدين والدولة، ص ٥٤، حاشية ٤١.

(5) Suermann, H., The Apocalypse of Pseudo-Ephrem, in Christian Muslim Relation A Bibliographical History, Edited by Board David Thomas and others,vol. 1 (600-900) , Leiden, Boston, 2009, pp. 160-161.

(6) Greisiger, L, The Apocalypse of Pseudo-Methodius (Syriac) , **in Christian** Muslim Relation, vol. 1, p, 164.

ودُعى إسماعيل جد العرب[1] المستعربة/ العدنانيين[2]، لذا فالإسماعيليين هم نسل إسماعيل بن إبراهيم، وقد ذكروا في التوراة بأنهم هم الذين اشتروا يوسف بن يعقوب عليهما السلام من إخوته[3].

وقد قال سيبوس Sebeos : "يجب مناقشة (سلالة) ابن إبراهيم ليس الذي ولد من المرأة الحرة، ولكن الذي ولد من الخادمة"[4]، وبالاقتباس من الكتاب المقدس يتحقق وبشكل كامل وصريح، أن يده سوف تكون على الجميع، والجميع سيكون أيديهم عليه نجد أن سارة لم تنجب فزوجت زوجها إبراهيم عليه السلام

---

(١) ذكر في سفر التكوين مواليد إسماعيل بن إبراهيم وهاجر المصرية، الإصحاح الخامس والعشرون، آية ١٢-١٦.

(٢) قسم العرب لثلاثة طبقات ١- عرب بائدة وهم الذين هلكوا واندثروا قبل الإسلام ولم يبق منهم غير آثار وذكريات، وكانوا عرباً خلصاء ذوى نسب عربي خالص، ويتكونون من قبائل عاد وثمود وطسم وجديس وغيرهم، ٢- وعرب عاربة (القحطانيون) ٣- العرب المستعربة/ المتعربة (العدنانيون) ، وقد كتب لهم البقاء عند ظهور الإسلام، للمزيد انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص٢٠، ٢٩٨ وما بعدها، ص ٤٣٣، ، محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص ١٥٥-١٦٠، وللتعرف على نسب العدنانيين يمكن الرجوع إلى: أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، نسب عدنان وقحطان، نسخه وصححه، عبد العزيز الميمنى الراجكوتى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الهند، ١٩٣٦م، ص ١-٢٠، السويدي، سبائك الذهب، ص ٧.
وقد هاجروا لشبه الجزيرة، فأخذوا لغة وثقافة "العرب الأصليين" (al-‘arab/ al-‘ariba) الذين عاشوا هناك منذ القدم.

Firestone, Hagar and Ishmael, p, 397, Firestone, The “ Other ” Ishmael in Islamic Scripture and Tradition, pp. 420-421.

(٣) "وإذا قافلة إسماعيليين قادمة....، ..... تعالوا فنبيعه للإسماعيليين" سفر التكوين، الإصحاح السابع والثلاثون، آية ٢٥، ٢٧-٢٩، وأما يوسف فأنزل إلى مصر واشتراه فوطيفار خصر فرعون رئيس الشُرط رجل مصري من يد الإسماعيليين، الإصحاح التاسع والثلاثون، آية ١، كما ورد ذكر للإسماعيليين في سفر القضاة، الإصحاح الثامن، آية ٢٥، مزمور الثالث والثمانون، آية ٦.

(4) Sebeos, History, Translated from Classical Armenian by Robert Bedrosian, New York, 1985, p. 121.

من جاريتها هاجر التي أنجبت الولد، لكنه لن يستحق العهد الإلهي الذي يقيمه الرب لإسحق أخيه الذي هو من زوجته الشرعية -سارة-، لكن الله استجاب لتضرع إبراهيم ومذلة هاجر فوعدهم بأنه سيكثر نسله ويكون إنساناً وحشياً يسكن أمام إخوته وتكون يده على يد الجميع أي سيحارب الجميع وهم أيضاً سيحاربونه[1]، فأنجب إسماعيل اثنى عشر ولداً[2] انتشروا في ولاية العربية[3] وحكموا هناك، وهم الأوائل الذين حكموا العرب؛ كان هذا النظام السياسي للعرب في القرن الأول قبل الميلاد[4]، وقد ذكر الإنجيل أبناء إسماعيل الإثني عشر[5]، وأشار أن الأنبياء بالموعد وليس بالجسد فلم يعدوا كل ابن لإبراهيم ابن لله[6].

---

(١) "وأما ساري امرأة إبراهيم فلم تلد له...، يده على كل واحد ويد كل واحد عليه"، سفر التكوين، الإصحاح السادس عشر، آية ١-١٢ ﷺ الإصحاح السابع عشر، آية ١٨-٢٢.

(٢) وللتعرف على أبناء إسماعيل يمكن الرجوع لسفر التكوين، الإصحاح الخامس عشر، آية ١٢-١٦.

(٣) هي البوادي والفلوات التي أطلق الأشوريون ومن جاء بعدهم على أهلها لفظة الأعراب وعلى باديتهم عرابيا، وهي جزيرة العرب وتمتد من الفرات شرقاً إلى أرض الحضر بلاد الشام ويدخل فيها بادي فلسطين وطور سيناء إلى شواطئ النيل، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص٣٥، وتقع بين الخابور ودجلة بيت عرباية (بيت العربية وهي عرابيا/ ولاية العربية بين النهرين وهي عرابيا/ العربية التي يشير له المؤلفون الإغريق واللاتين عندما يتحدثون عن منطقة ما بين النهرين، عرفان شهيد، روما، ص٢٦٢، وقد ذُكِر أن إبراهيم ترك لأبناءه من بعده العربية/ بلاد العرب كانوا أمة عربية سموا أنفسهم بهذا الاسم نظراً لقوة تأثيرهم والإجلال الذي يحيط بأبيهم إبراهيم، سامر قنديل، الرؤى الأوربية، ص ٦٦، والعربية" في سياق الكتاب المقدس تشير إلى شبه الجزيرة العربية والتي تمتد من اليمن جنوباً إلى الصحراء السورية الشمالية.
Firestone, The “Other” Ishmael in Islamic Scripture and Tradition, p. 419.

(٤) عرفان شهيد، روما، ص ١٧٠، ١٧٦-١٧٧.

(٥) سفر التكوين، الإصحاح الخامس والعشرون، آية ١٣-١٦.

(٦) "ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد، بل إسحاق يُدعى لك نسل، أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله، بل أولاد الموعد يُحسبون نسلاً لأن كلم الموعد هي هذه "رسالة بولس لأهل رومية، الإصحاح التاسع، آية ٦-٩.

ويتضح مما سبق أن العبارات التي ذكرت في الإنجيل شبيهة بما وردت في التوراة[١]، توضح طبيعة النظرة للآخر المختلف عن اليهودي أو المسيحي المقدس في الأصل، وتبرز فكرة الاختيار الإلهي[٢]، فبرزت الوحشية التي اتصف بها إسماعيل على أنها سبب حرمانه من الوعد الإلهي واصطفاء إسحاق، وأن الوعد بالكثرة في النسل الذي سيأتي منهم الملوك والرؤساء أي البركة المؤقتة/ الدنيوية، أما الحياة الأبدية فليس لهم سلطان عليها[٣]، فهم بذلك منبوذون ولا يشملهم الوعد الإلهي[٤]، وعادة ما تثير قصة إسماعيل وهاجر[٥] نوعية العلاقة بين إسرائيل والرعاة العرب "الآخر"، وقد اتفق العلماء على أهمية قصة هاجر وإسماعيل؛ لذا تم تحريرها عدة مرات، على الرغم من عدم وجود اتفاق عام بينهم، لكن برز فيها رسالة فوقية عدت جزءاً لا يتجزأ من التوتر والصراع؛ وذلك من خلال الفصل بين سارة وهاجر وذريتهم، مما يعكس الهدف من جعل إسرائيل فوق المجموعات المجاورة لها، ومن ثم فقد ارتكز الفهم المسيحي للخلاص على هذه الصورة[٦]، فانتقلت هذه الصفة السلبية لأدبيات العصور الوسطى وظهرت في كتاباتهم عندما تحدثوا عن الإسلام[٧]،

---

(١) سفر التثنية، الإصحاح السابع، آية ٦-٨، أشعياء، الإصحاح التاسع والأربعون، آية ٢٢-٢٣، الإصحاح الستون، آية ١٠.

(٢) رقية العلواني وآخرون، مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨م، ص ٥١.

(٣) سامر قنديل، الرؤى الأوربية، ص٦٨.

(٤) عرفان شهيد، روما، ص ١٨٢.

(٥) ولمزيد من التفاصيل عن قصة إسماعيل ﷺ وأمه السيدة هاجر يمكن الرجوع إلى:
Cohen, A., Hagar and Ishmael: A Commentary, Interpretation: A Journal of Bible and Theology, 2014, Vol. 68(3) , pp. 247–256, Nikolsky, R., Ishmael Sacrificed grasshoppers, 2010, pp. 243-262, in www.academia.edu, Yusuf, J., From Hebrew 'Slave' to Arabian 'Sage': Linking the Jewish and Muslim Narratives in the Story of Hagar, the African in Pre-Islamic Arab History, CJR: Jan, 2017, pp. 1-28, in www.academia.edu, Martínez, F, G., Hagar in Targum Pseudo-Jonathan, No date, pp. 263-274 in www.academia.edu.

(6) Firestone, Hagar and Ishmael, pp. 402-403, 412.

(٧) سامر قنديل، الرؤى الأوربية، ص ٦٨.

وقد وجدت إشارة واحدة إلى إسماعيل في حوليات التأريخ Chronicon والتي تشير إلى العرب والشخصيات العربية في التاريخ السياسي للقرون الثلاثة الأولى من الفترة الرومانية(١)، كما عرف العرب بالهاجريين نسبة لهاجر(٢) فورد ذكرهم في الكتاب المقدس على أنهم هم الذين انتصر عليهم أسباط رأوبين وجاد ونصف سبط منسى بن يوسف ومعهم اثنان من قبائل بني إسماعيل ونافيش ويطور(٣)، وفي ذلك إشارة على أنهم قبيلة غير الإسماعيليين أو أمة مختلفة، كانت على احتكاك بالإسماعيليين والقبائل المجاورة ثم انفصلوا عنهم وعرفوا باسم الهاجريين(٤)، لذا فمصطلح هاجرين وإسماعيليين أو العرب يمثل نفس السكان(٥)، وقد أطلق بعض المؤرخين أمثال "يوسبيوس Euesebius وهيرونيموس Hieronymus هذه اللفظ على الإسماعيليين الذين كانوا يعيشون في البراري في قادش في برية فاران أو مدين حيث جبل حوريب وقد عرفوا بالهاجريين ثم saracenes(٦)، وقد أريد بهم المسلمين(٧)، ومما سبق يتضح أن رؤية البيزنطيين عن الإسلام والمسلمين اعتمدت على الرافد التوراتي عبر الكتاب المقدس والذي أصل فكرة إثنية وعقائدية للأمم والشعوب المختلفة وميز بينها وبين الأمة اليهودية التي تنحدر من نسل إبراهيم عليه السلام(٨).

---

(١) عرفان شهيد، روما، ص ١٦٩-١٧٠.

(2) Firestone, Hagar and Ishmael, p, 402.

" يا هاجر جارية ساراى..."، سفر التكوين، الإصحاح السادس عشر، آية ٨.

(٣) سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح الخامس، آية ١٨-٢٢، وفي نفس السفر تم ذكر رجل هاجري " وعلى الغنم يا زِيزُ الهاجري، الإصحاح السابع والعشرون، آية ٣١.

(٤) سامر قنديل، الرؤى الأوربية، ص ٦٥.

(5) Firestone, Hagar and Ishmael, p. 403.

(٦) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص ٢٧.

(7) Matthews, A, J., in Defence of his lord: An Examination of ST John Damascene's critique of Islam, p. 3, in www. Academia. edu.

(٨) عرفان شهيد، روما، ص١٧٠.

والمعروف تاريخياً أنه لم يكن ثمة اتصال مباشر بين روما والعرب حيث كانت مملكة الأنباط الدرع الواقي لروما ضد شبه الجزيرة العربية، وكانت تدير العلاقات مع العرب، لكن بسقوطها عام ١٠٦م[1]، بدأ الاتصال المباشر مع عرب شبه الجزيرة العربية التي أصبحت أراضيهم مفتوحة أمام الجند الرومان، لذا وخلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين[2]، استخدمت الإمبراطورية السلاح والدبلوماسية خلال تعاملهم مع العرب ساكني الخيام المنقسمين لقبائل متعددة؛ لذا أضحت التسمية العامة "العرب" غير كافية لأنها شاملة حيث استوعبت كل المجموعات المختلفة من بدو رحل وشبه رحل، وحضريين، لذا لم تكن دقيقة بما فيه الكفاية؛ لذا ونتيجة للوضع الجديد الذي نشأ عام ١٠٦م، والذي تحول بموجبه الأنباط كسكان للأقاليم الرومانية ومواطنين ٢١٢ م، وجدت الحاجة لإيجاد تسمية للعرب خارج حدود الإمبراطورية يميزهم ولا يخلط بين بدو الجزيرة العربية الرحل والعرب مواطني الإمبراطورية الرومانية في

---

(١) حل الغساسنة محل الأنباط منذ نهاية القرن الخامس، وهم ملوك عرب الشام، يرجع أصلهم إلى اليمن فهم من الأزد تركوا اليمن خشية السيل فتفرقوا، فنزلوا على ماء يقال له غسان فصيروه شربهم، فسموا غسان وللتعرف على دور الغساسنة وعلاقتها بالبيزنطيين يمكن الرجوع إلى: الأصفهانى، تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ص ١١٤-١٢١؛ محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص٥٦١-٥٧٥؛ السويدي، سبائك الذهب، ص ٩؛ سلامة النعيمات، علاقة إمارة الغساسنة بالدولة البيزنطية خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج ٦، ع ٤، ٢٠١٢م، ص ٣٦-٦٥؛ ثيودور نولدكه، أمراء غسان، وهى رسالته أمراء غسان من آل جفنة، التي نشرتها أكادمية العلوم البروسيانية في برلين، نقلها للعربية بندلى خورى، قسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣ م؛ نينا فيكتوريا، العرب، ص ٥١؛ أحمد حسين الجميلى، العلاقات الخارجية لدولة الغسانة، الأردن، ٢٠١٦.

(٢) كان لدى البيزنطيون في القرنين الرابع والخامس الميلادين معلومات ليست بالقليلة عن العرب، نينا فيكتوريا، العرب، ص ٢٣، ص ٦٠-٦١.

عرابيا/ ولاية العربية [1]، لـذا تبنى البيزنطيون تعبير سرقيني الـذي أضحى مصطلحاً مناسباً[2]؛ فاستخدم اليونان لفظ Saraceni ، Saracenes بمعنى العـرب فأطلقت على القبائل العربية التي كانت تقيم في بادية الشام وطور سيناء وفي الصحراء المتصلة بأدوم وتوسع مدلولها بعد الميلاد، ولاسيما في القـرن الرابع الخامس والسادس[3]، حيث أطلقت على العرب عامة وأقدم من ذكرها هو ديوسقوريدسDioscurides of Anazarbos الـذي عاش في القـرن الأول الميلادي، وشاع استعمالها في القرون الوسطى حيث أطلقها النصارى على جميع العرب، وأحياناً على جميع المسلمين[4]، وقد استخدم الكتاب والجغرافيون اليونانيون مصطلح saracenus للإشارة إلى سكان الجزيرة العربية، وقد شكلت صورة saracens في العصور الوسطى من خلال اندماج نوعين من التعاليم " كالخطاب التوراتي[5]، والخطاب الروماني فوصفوا بالمغيرين " saraceni /Scenitae في الجزيرة العربية[6]، ويعد ديسقورديس Dioscurides

---

(١) عرفت كمقاطعة رومانية منذ عام ١٠٥م، وقد وقعت في المنطقة الشمالية الغربية لمملكة الأنباط للمزيد عنها انظر: .Khazhdan, ODB, vol. P. 147

(٢) وللمزيد عن مراحل تطور الإسلام انظر: عرفان شهيد، روما، ص ٢١٩.

(٣) فقد ذكر أن ماوية ملكة القبائل العربية ٣٧٦م ملكة السرقينيين، كانت السبب في الحرب التي وقعت بمنطقة الثغور العربية بفلسطين، فخربت القلاع والمدن ونسفت القرى والأرياف، فأضعفت بهذا القتال الدائم القوات الرومانية، وأهلكت الكثيرين فاضطر الباقون للهروب، ولم تعقد صلحاً إلا بتعين قس عربي من قبيلتها أسقفاً على العرب، نينا فيكتوريا، العرب، ص ٢٤، ٤٨، ٥٣– ٥٨.

(٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص ٢٦-٢٧.

(٥) الذي لم يذكر مصطلح السراقنة، والذي كان مرتبطاً منذ البداية بالإسماعيلين Ismaelites والذين هم أحفاد الإبن الأكبر لإبراهيم والذي ولد من خادمة زوجته سارة جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص ٢٦-٢٧.

(6) Tolan, wild man, pp. 513-515.

(٥٠م) أول من استخدمه في موسوعته الطبية[1]، كما استخدم بطليموس Ptolemy مصطلح السراقنة في القرن الثاني الميلادي وذلك في كتابه الجغرافي، واستخدم كمصطلح عام لبدو العربية[2]، ثم تلا ذلك ما قاله إميانوس ماركلينوس Ammianus Marcellinus في منتصف القرن الرابع والذي ذكر كلمة Scenitae وأراد بها ساكني الخيام[3]؛ لذا وجد الرومان أن من الضروري أو المناسب أن يستعملوا مصطلح سرقيني كمصلح وتعبير عام للإشارة إلى عرب سكيناتي/ سكان الخيام[4]، فأطلقت على الأعراب المستقرون بعض الاستقرار[5].

وقد علق عرفان شهيد على ذلك قائلاً: "إن تعبير سكيناتي (سكان الخيام) لم يكن عربياً على وجه الخصوص حيث يمكن أن يطلق على غير العرب من سكان الخيام، ولذا فمصطلح سرقيني خدم الهدفين عاكساً الضوء على عروبة سكان الخيام وبداوة المرتحلة، سكان الخيام يشير لدلالات أكثر اتساعاً وشمولاً، وتستحق تعبير سرقيني فحصاً مفصلا ودقيقاً"[6]، فساكني الخيام

---

(1) Discorides, de materia medica, Johannesburg South Africa, First published, 2000, p. XXiV, in archive.org.

(2) Macdonald, M.C.A., On Saracens, the Rawwāfah Inscription and the Roman Army, in Literacy and Identity in Pre-Islamic Arabia, Ashgate, N. D, p, 1.

هم كالبدو الرحل في بلاد ما بين النهرين " العراق "، لكنهم في الحقيقة اكثر تحضراً لقربهم من السوريين.

Strabo, The Geography, p, 255.

(٣) سامر قنديل، الرؤى الأوربية، ص ٥٩.

Tolan, wild man, pp.513-514.

ولربما كان للرافد التوراتي أثره في هذه التسمية "ولا يخيم هناك أعرابي ولا يربض هناك رعاة"، سفر أشعياء، الإصحاح الثالث عشر، آية ٢٠.

(٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص ٣٠؛ عرفان شهيد، روما والعرب، ص ٢١٨.

(٥) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص ٣٠-٣١.

(٦) روما والعرب، ص ٢٠٥، ٢١٩-٢٢٠.

لا يخص العرب وحدهم؛ فقد تعددت الشعوب الساكنة للخيام كالأدوميون[١] الذين سكنوا نفس المكان الذي تأسست فيه مملكة الأنباط العربية[٢]، كما أن بني إسرائيل كان منهم من سكن الخيام[٣] ومنهم من سكن المدن[٤]، ولربما تعود الكلمة لترجمة أخذت من الفرس أو الآشوريين أو غيرهم من الشعوب[٥]، لذا ترى الباحثة أن هذا الربط يبدو غير منطقي.

وقد ظهر السراقنة بملمحيين أساسيين في المصادر الأدبية وكلاهما مناقضاً للآخر، فقبل الفتوحات الإسلامية ظهرت كلمة سراقنة لتصف الساكنين على الحدود الإمبراطورية بأنهم مصدر نعمة ونقمة حيث كانوا إما مهاجمين/ لصوص قطاع طرق، يهاجمون الرومان والفرس غرضهم السلب والنهب[٦]،

---

(١) "فسكن عيسو بن إسحاق في جبل سعير، وعيسو هو أدُوُم"، سفر التكوين، الإصحاح السادس والثلاثون، آية ١، ٨، وهؤلاء ينسبون لعيسو بن يعقوب وقد ذكر الأدوميون في سجلات مصر في عصر الأسرة الثانية عشرة التي حكمت من سنة ٢٠٠٠ إلى سنة ١٧٨٨ ق.م. وقد طرد عيسو ونسله الحوريين من أرض أدوم وسكنوا في موضعهم، الكتاب المقدس، ص ٣٠-٣١.

(٢) سامر قنديل، الرؤى الأوربية، ص ٧٢.

(٣) وأما يعقوب فارتحل إلى سكوت وبنى لنفسه بيتاً... وابتاع قطع الحقل التي نصب فيها خيمته" سفر التكوين، الإصحاح الثالث والثلاثون، آية ١٧-١٩، "كل واحد في خيمته يا إسرائيل الآن انظر إلى بيتك يا داود، وذهبكل إسرائيل إلى خيامهم"، أخبار الأيام الثاني، الإصحاح العاشر، آية ١٦.

(٤) "وأما بنو إسرائيل الساكنون في مدن يهوذا فملك عليهم رحبعام"... "وأقام رحبعام في أورشليم وبنى مدناً للحصار في يهوذا، فبنى بيت لحم وعيطام وتقوع وبيت صور.... "أخبار الأيام الثاني، الإصحاح العاشر، آية ١٧، الإصحاح الحادى عشر، آية ٥-١٠.

(٥) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص ٣١.

(٦) وصف أحد الكهنة في فلسطين السراسنة العرب "بأنهم ذئاب الصحراء، لا يتورعون عن القيام بأي عمل تخريبي، أناس غير متحضرين في أطباعهم وسلوكهم، يقومون بأعمال شريرة كثيرة " كما وصف هؤلاء السراسنة "بالفضاضة وعدم جدارتهم بالثقة"، سلامة النعيمات، ومحمد النصرات، السراسنة (Saracens) وعلاقتهم بالامبراطوريتين الرومانية والبيزنطية القرنين الثالث والرابع الميلاديين)، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج، ٣٨، ع ٢٠١، ص ٦٣٣.

كما كانوا يغيرون على القوافل التجارية والمسافرين في الصحراء[1] ما بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب، فذكر أنهم دأبوا على مهاجمة التجار القادمين من بلاد العرب السعيدة، وقد استطاعت الحامية الرومانية في سوريا تأمين الطريق[2]، أو مرتزق يخدم في جيوشهما، أو تاجر وأحياناً كوسيط تجارى أو مرشد في الصحراء، وسفير وبائع حيوانات، أو من يمد المسافرين بالمؤن ووسائل المواصلات في السفر والإقامة[3]، وبذلك تم الربط بين الإسماعيليين والسرقينيين فتضمن التعبيران مدلولات ازدرائية كقطاع طرق ومنبوذون، ويعزز هذان التعبيران الواحد منهما لآخر ليشكلا الأساس لصورة العرب في التاريخ الكنسي[4]، وبالنسبة للقول القائل إن الكلمة مشتقة من سرق، فيكون المراد من كلمة Saraceni سراكين، السراقين أو السارقين إشارة إلى غزوهم وكثرة سطوهم[5].

وبالنسبة للأصل الثاني سارق/ سارقين، وتعنى لص/ لصوص -الغزاة المغيرون- السلابون النهابون، وجذر الكلمة سرق، تسرق تنهب، تسلب، ويمكن القول أن هذه التسمية قد تكون طبيعية للبدو وأطلقها عليهم المقيمون في مملكة الأنباط وتعنى هذه التسمية التي أطلقها الرومان نفس التوازي في التطبيق للتسمية النهابون Latrones على جميع الشعوب البربرية خارج حدود الإمبراطورية، ليست شائعة الاستعمال في اللغة العربية وقد يكون التعبير مختلفاً

(١) "فكانت يد إلهنا علينا فأنقذنا من يد العدو الكامن على الطريق" سفر عزرا، الإصحاح الثامن، آية ٣١.

(2) The Geography of Strabo, vol. VII, p. 265.

(٣) سامر قنديل، الرؤى الأوربية، ص ٦٣-٦٧، وبذلك أصبحوا في مرتبة متوسطة بين الرحل والمستقرين، فكتور سحاب، إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، المركز الثقافى العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٣٦.

Mayerson, p., The Word Saracen (Cαρακηνόc) in the Papyri Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik, Bd. 79 (1989) , p. 283.

(٤) عرفان شهيد، روما، ص ١٨٢.

(٥) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص ٢٨؛ عرفان شهيد، روما، ص ٢٠٨.

في تلك الفترة القديمة، لذا قد لا تكون لهجة الازدراء القوية للتعبير قد انتقلت معه إلى الأزمنة اللاحقة، وتعنى السلابون بكل بساطة صفة للمحارب الجسور الذي يسلب وينهب، وقد تكون قد أتت مثل هذه التسمية الشخصية لأنفسهم[1]، نجد أن هذا المصطلح غير دقيق، إلا أنه أصبح شائعاً للبدو العرب[2]، والذي لا يخلو من التحقير للعرب خاصة في ضوء النظرة العدائية التي حملها المؤرخون الرومان والبيزنطيون للعرب، لطريقة عيشهم كبدو[3]، وبالنسبة للمصادر البيزنطية المعاصرة لفترة دراستنا نجد أنها أطلقت على العرب لفظ السراسنة فوجدنا يوحنا الدمشقي الذي عد رائداً في استخدام هذا المعنى عندما تحدث عن المسلمين فقال: " سارين، الذين جردتهم سارة من الميراث"[4].

كما استخدم البطريرك نقفور وثيوفانيس نفس المعنى عندما يريدون التحدث عن العرب [5]، ويبدوا أن عدم وجود معنى محدد لكلمة سراقنة هو عدم تحدث أحد من الكتبة اليونان والرومان والسريان عن أصل لفظة Saraceni وسراكينو Sarakenoi، وأن العلماء لم يلتفتوا للبحث في أصل التسمية إلا بعد النهضة العلمية الأخيرة، ولهذا اختلفت آراؤهم في التعليل، فزعم بعضهم أنه

---

(١) عرفان شهيد، روما، ص ٢٠٨.

(2) Macdonald، On Saracens، p. 2.

(٣) للمزيد انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص ٢٦-٢٨؛ سامر قنديل، الرؤى الأوربية، ص٧٥؛ سلامة النعيمات، ومحمد النصرات، السراسنة Saracens وعلاقتهم بالامبراطوريتين الرومانية والبيزنطية، مج، ٣٨، ع ٢٠١، ص ٦٣٠، ٦٣٢؛ عرفان شهيد، روما، ص ٢٠٧-٢١١، ٢١٣، ٢١٦؛ نينا فيكتوريا، العرب على حدود بيزنطة، ص ٢٣، ٤٩.

Macdonald, On Saracens, p. 2.

(٤) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٤٠، ٥٠.

Sahas, John Damascus, p. 99.

(٥) البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ص ١٢٣، حاشية ٦٦.

Theophanes, The Chronicle of Theophanes Confessor, Byzantine and Near Eastern History AD 284-813,Translated by Cyril Mango and Roger Scott, Oxford, 1997, p. 464, Sahas, John Damascus, p. 99.

مركب من سارة زوج إبراهيم ولفظ قين ويكون المعنى عبيد سارة[1]، ولعل ارتباط مصطلح ساراقيني Saracen بسارة زوج إبراهيم التي أرسلت إسماعيل خالي الوفاض، وهدفه التحقير من شأن العرب؛ لأن السيدة سارة قد دبت الغيرة في قلبها عندما أنجبت السيدة هاجر ولداً لإبراهيم عليه السلام الذي كان يبلغ من العمر ستة وثمانين عاماً، أسماه إسماعيل، ولما اشتدت غيرتها طلبت من إبراهيم أن يُغيب وجه السيدة هاجر عنها، فأخذها هي ورضيعها ورحل بهما ووضعهما حيث مكة اليوم[2]، وترى الباحثة أن سياق قصة النبي إبراهيم عليه السلام وزوجتاه السيدة سارة والسيدة هاجر رضي الله عنهما لا يليق أن يتم تصوير نبي كمن ينساق وراء غيرةَ زوجته ويلقى بفلذة كبده الذي جاء على اشتياق في صحراء جرداء معرضاً حياته للخطر كي يرضى زوجته، فهذا لا يليق بمقام النبوة، صحيح أن جزء من القصة قد حدث لكن نبي الله ترك ابنه في الصحراء تنفيذاً لأمر الله.

---

(١) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص ٢٦- ٢٨؛ عرفان شهيد، روما، ص١٢.

(٢) تعد أهم مواضع الحضر في الحجاز على الإطلاق، وترجع في نشأتها الأولى إلى عهد الخليل إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام، سكنها إسماعيل وأبنائه من بعده إلى جانب قبائل عربية كالعماليق وجرهم وخزاعة، وقد اختلف المؤرخون في اشتقاق كلمة مكة، قيل أنها تمك الجبارين، أي تذهب نخوتهم، وقيل انها تقع بين جبلين مرتفعين، وهى في هبطة بمنزلة المكوك، وقيل إنها مشتقة من أمتك من قولهم أمتك الفصيل ضرع أمه أي مصه مصاً ديداً، ولما كانت مكة مكاناً مقدساً للعبادة فقد امتكت الناس، أي جذبتهم من جميع الأطراف، ولربما يعود إسمها للغة الجنوبيين التي سكنوها " مكة أو مكرب وتعني بيت الرب، وقد أطلق القرآن عليها عدة أسماء منها بكة، البيت، وأم القرى، وقيل أن أقدم ذكر لها يرجعفى القرن الثاني الميلادي لدى الجغرافى بطليموس، فدعاها ماكورابا (مكربة) Macorba ورآى العلماء انها مكة المكرمة، للمزيد انظر: محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص ٣٩١-٣٩٦، وللمزيد يمكن الرجوع إلى: الأزرقي، الإمام أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي (ت ٢٥٠هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، دراسة وتحقيق، عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط ١، ٢٠٠٣م، وللمزيد انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ١، ص ٢٩؛ طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٧٩-٨٠.

وقد وجدت إشارات في المصادر العربية المتأخرة كالمسعودي ق ٤ هـ/ ١٠م، ونقل عنه ابن الأثير قوله: "كانت ملوك الروم تكتب على كتبها من فلان ملك النصرانية، فغير ذلك نقفور الأول (٨٠٢- ٨١١م)[1]، وكتب ملك الروم وقال هذا كذب ليس أنا ملك النصرانية أنا ملك الروم وهذا كذب والملوك لا تكذب، وأنكر على الروم تسميتهم العرب ساراقينوس تفسير ذلك عبيد سارة طعناً منهم على هاجر وابنها إسماعيل الذي كانت أمه أمة لسارة، وتسميتهم عبيد سارة كذب والروم إلى هذا الوقت (٣٤٥هـ) تسمى العرب سارقينوس"[2]، ثم ذكر ابن بطوطة أنه عند زيارته للقسطنطينية "سمعتهم يقولون سراكنوا سراكنوا ومعناه المسلمون"[3]، وقد وجد رأى يرفض هذا الرأي يقول كاتبه "إن المتأمل يجد أن الكلمة قد فسرت تفسيراً خيالياً بقولهم (عبيد سارة)، حيث لم يقف أحدهم لحظة أمام الكلمة فيعالجها ويردها إلى أصلها، بل إن الكثيرين ممن مروا

---

(١) المسعودي، أبي الحسن على بن الحسين بن على، كتاب التنبيه والإشراف، ليدن، بمطبعة بريل، ١٨٩٣م، ص ١٦٧-١٦٨.

(٢) وهو نقفور بن إستبراق قيل إنه من ولد جفنة من غسان ممن تنصر آباؤه، وقيل من ولد اصله عربي من عرب الغساسنة المتنصرين أو متنصرة إياد الذين دخلوا في أرض الروم من بلاد الجزيرة زمن عمر بن الخطاب وقد بايع لابنه استبراق بالملك بعده، فكانت كتبه تصدر من نقفور واستبراق ملكي الروم، كانت ملوك الفرس والروم قبله تحلق لحاها، لكنه أبي ذلك وقال: هذا تغيير لخلق الباري سبحانه الحاكم الثامن والثلاثون، ملك سبع سنين وثلاثة أشهر في أيام الرشيد وهلك في أول خلافة الأمين توفى ١٩٣هـ، المسعودي، كتاب التنبيه والاشراف، ص ١٦٧-١٦٨؛ ابن الأثير، أبي الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تاريخ ما قبل الهجرة النبوية الشريفة، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضى، مج ١؛ ط ١، بيروت- لبنان، ١٩٨٧م، ص ٢٥٨.

(٣) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اللواتى، رحلة ابن بطوطة تُحفة النُظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار تقديم وتحقيق/ محمد عبد المنعم العريان، راجعه وفهرسه/ مصطفى القفاص، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٧م، ج ١، ص ٣٥٥.

بها، وتركوها غامضة الوضع، عسيرة الفهم، وقد فسروها بعجل، حيث تعكزوا على الهجاء الأول "سارا" من كلمة "ساراقينوس"، بل جعلوا ملك من ملوك الأصفر وهو نقفور يدافع عن العرب بدحضه الفرية عنهم وإذاعته على الملأ؛ أن تسميتهم عبيد سارة كذب، وأن نقفور قد تملق أهل الضاد[1]، وترى الباحثة أن المسعودي مشهور بأنه من الثقات في نقل الأخبار، وأنه نقل لنا الاسم الذي شاع استخدامه بين البيزنطيين، وتنامى لمسامعه، ورغم نقل المسعودي وابن الأثير وابن بطوطة هذا الخبر، إلا أن هذا الاسم لم يظهر كلقب للعرب في المصادر العربية، كما انه لم يكن شائعاً في الاستخدام بينهم، ويبدوا رغم ذلك أنه قد تنامى إلى مسامعهم معنى الاسم، لذا لم يكن لفظ السراقنة محبب للعرب ولم يجدوا له تفسيراً إلا الذي ساقه رجال الكنيسة وهو عبيد سارة، ولو أن أصل المسمى من اشتقاق عربي لعرفه المؤرخون أو اللغويون العرب ولفسروه، وكذلك لو كان من أصل سرياني[2].

وقد اتضح مما سبق أن جميع المسميات كانت تعنى العرب سكان الجزيرة العربية[3].، وأضحى اسمهم العام الذي أطلقوه على أنفسهم، وقد أخذوا هذه التسمية من العربية الخصبة التي هي موطنهم، وهى المنطقة المحصورة بين نهر الفرات شمالاً حتى البحر الجنوبي، ومن البحر الأحمر حتى خليج بحر فارس شرقاً[4].

---

(١) للمزيد يمكن الرجوع إلى: موسى زناد سهيل، السراكينوي بين أكذوبة نقفور وحقائق التاريخ، بحوث ودراسات، المورد، ٢٠٠٦م، ع ٤.

(٢) نينا فيكتوريا، العرب، ص ٢٨.

(٣) طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي، ص ١٤، حاشية ٣.

وللمزيد يمكن الرجوع إلى: موسى زناد سهيل، المورد- العراق، مج ٣٣، ع ٤.

(٤) السرياني، مار ميخائيل السرياني الكبير، تاريخه، ج ٢، عربه عن السريانية مارغريغوريوس صليبا شمعون، أعده وقدم له مارغريغوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردين، ١٩٩٦م، ص ٢٩٨.

- النبؤات والرؤى في الكتابات البيزنطية :

إن المتأمل للكتابات المسيحية التي تحدثت عن ظهور الإسلام وانتشاره يجدها قد كتبت كرد فعل على الفتوحات الإسلامية ككتابات النبوءات التي تحدثت عن نهاية العالم[1]، فانتشرت نبوءات عدة في المجتمعات المسيحية تتحدث عن نهاية العالم، والأحداث الكارثية التي حدثت في القرن السابع والتي استمرت لعدة قرون فذكرت حملة هرقل على بلاد الفرس والذي يواكبه ظهور الإسماعيليين، وامتداد ملكهم على حساب المسيحيين، فتحدثت عن انتصارات العرب ومحاولاتهم الفاشلة للسيطرة على القسطنطينية، ورمزت إلى العرب بوحش الجنوب[2]، واعتبرت ما يحدث كعقوبة إلهية بسبب خطايا المسيحيين وذنوبهم، وعندما لم ينته العالم وظل المسلمون يحكمون تأقلم المسيحيون واليهود معهم وظلوا كجماعات دينية فحدث نوع من التوازن استمر لعدة قرون[3].

ولعل أبرز تلك النبؤات رؤيا دانيال (توفى في القرن السادس قبل الميلاد)، والتي تحدث فيها دانيال عن الصعوبات التي سوف تأتي على الأرض، فتحدثت عن أربعة وحوش مثلوا الممالك الأربعة التي نشأت على الأرض فكانت الأولى مملكة الغرب وهي بيزنطة، ويمثلها وحش إنساني قطع أجنحته رفع من الأرض، وقيل أن هذا كان عبادة الأصنام الشيطانية، وكان منتصبا كرجل، له قلب إنسان، والوحش الثاني يشبه الدب وكان في الشرق ويسمى المملكة الساسانية - مملكة الفرس -، وكان للدب ثلاثة أضلاع في فمه، والوحش الثالث كان كالنمر وله أربعة أجنحة كالطيور، ويمتلك أربعة رؤوس [النمر المجنح] ويمثل المملكة الشمالية يأجوج ومأجوج ورفاقهم الاثنين

(1) Treiger, A., The Arabic tradition, article in The Orthodox Christian World, ed. Augustine Casiday, London, 2012, p.92.

(2) Hoyland, R,G., Seeing Islam as others saw it A survey and evaluation of Christian, Jewish and Zorastrian writings on early Islam, New Jersey, 1997, pp. 294.

(3) Treiger, The Arabic tradition, p.92.

الذين أخذوا السلطة وانطلقوا بقوة إلى الشمال، أما الوحش الرابع فكان رائعاً ومروعاً بأسنان من الحديد ومخالب من النحاس سوف تأكل وتلتهم، ثم يدوس الباقين بأقدامه، وقد خرج من الجنوب وهو يمثل مملكة الإسماعيليين، وكما قال رئيس الملائكة: سيأتي الوحش الرابع بمملكة أكبر من أي مملكة، وسوف تلتهم العالم بأسره خلال عشرة قرون، يسيطر عليهم عشرة ملوك وسوف يأتي بعدهم آخرين(١) يفوقون جميع السابقين في الشر(٢).

وقد وجدت نسخة يونانية لرؤيا دانيال تسمى الرؤيا الرابعة عشر لدانيال والتي تحدثت عن أخبار بيزنطة في القرن الثامن الميلادي فتحدثت عن أبناء هاجر وخروجهم لأسيا الصغرى وحربهم التي شنوها على بيزنطة(٣)، ووصفت الهجوم على القسطنطينية من قبل أبناء هاجر الذين ذبحوا مجموعة من الرومان، وتحدثت عن تخلى الله عنهم لدرجة جعلت الإسماعيليين يصرخون بصوت عال أين هو إله الرومان؟، وقد هُزم البيزنطيون بعدما دخلوا في حرب كبيرة مع أبناء هاجر، فهرب نبلاء بيزنطة إلى الجبال والجزر ثم تظهر شخصية وهمية تنشر السلام على وجه الأرض(٤).

أما زائفة ميثوديوس Ps. methodius فهي لأسقف أوليمبوس Olympus بليكا Lyca (ت ٣١٢م) ويبدوا أن مؤلفها كان راهباً أو كاهناً في الكنيسة الأرثوذكسية السورية، وقد ترجمت زائفة ميثوديوس إلى اليونانية في وقت متأخر من القرن السابع أو أوائل القرن الثامن الميلادي(٥)، في وقت كانت أسيا

---

(١) وفي النسخة القبطية تسرد تسعة عشر ملكاً إسماعيلياً.

Hoyland, Seeing Islam as other saw it, pp. 289-293.

(2) Sebeos, ***History***, **Translated from Classical Armenian by Robert Bedrosian**, Sources of the Armenian Tradition (New York, 1985) p.134-136.

(3) Sacramento, M., Three Apocalypses of the Early Muslim Period in the Context of Confrontations.
, PHD Thesis, Cardiff University, 2005, p. 6-8.

(4) Hoyland, Seeing Islam as other saw it, pp. 294-296, Sacramento, Three Apocalypses of early Muslim period, p. 25.

(5) Witakowski, W.,The eschatological program of apocalypse of Pseudo-Methodios: does it make sense ? Roczink orrientalistyczny (annual of oriental studies) , 53:1 (Warsaw, Poland, 2000) , pp. 33-35.

الصغرى تتعرض فيه لهجمات المسلمين الذين كانوا في أوج قوتهم وذلك خلال الحصار الطويل للعاصمة نفسها، فتحدثت الزائفة عن المصائب التي حلت بالمسيحيين وعبرت عن آمالهم بإعادة الإمبراطورية الرومانية، وهزيمة أعدائها على يد حاكم مسيحي، فتماثلت هذه الرؤيا مع رؤى دانيال لكنها اختلفت عن الرؤيا السريانية باهتمامها بالقسطنطينية مدينة التلال السبعة وذكرت كفاح الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري Leo III (٧١٧-٧٤١م)[١] ضد العرب، ونشره السلام على وجه الأرض، ولربما كتبت الرؤيا في بداية عهد ليو، في شتاء (٧١٦-٧١٧م) عندما كان العرب خارج أسوار القسطنطينية[٢]، وقد اعتبرت الفتح العربي تحقيقاً لنبوءات العهد القديم، ونتيجة لخطايا الرومان فالرومان يتم تدميرهم لأنهم أبادوا الشعوب الأخرى لذا سيقطعهم سيف أبناء إسماعيل[٣]، وقد نظر لهم كأداة الله لعقاب المخطئين[٤]، وهذا لا يعني أن الله يحب بني إسماعيل لكنه يستخدمهم لمعاقبة المسيحيين على أخطائهم الجنسية، ولربما روج لهذه الزائفة كرد على دخول المجتمع إلى الإسلام[٥]، وتعد هذه النبوءة

---

(١) من أصل سوري من مرعش، ولد عام ٦٨٥م، واسمه في المعمودية كونو kono، وبمجرد تولى العرش أسس الأسرة الأيسورية، وقد لعب دوراً في الدفاع عن القسطنطينية اثناء حصار العرب لها للمزيد انظر: OBD, vol. 2, p. 1208.
أسد رستم، الروم، ص ٢٩١.

(2) Hoyland, Seeing Islam as other saw it, pp. 294-296, Sacramento, Three Apocalypses of early Muslim period, p. 25.

(3) Tolan J., Réactions chrétiennes aux conquêtes musulmanes. Etude comparée des auteurs chrétiens de Syrie et d'Espagne. In: Cahiers de civilisation medieval, 44e année (n°176) , Octobre-décembre, 2001. P. 355.

(4) Heilo, O., Empire of Clay and Iron: Divisions in the Byzantine state ideology and Christian apocalyptic expectations from the reigns of Heraclius to Leo III (610-718) , Instructions for contributors to Scandinavian Journal of Byzantine and modern Greek Studies, No. 1, 2015, p. 59, Kraft, A., On the Eschatological Elucidation of the 'Ishmaelite' Phenomenon, pp. 67-78, Witakowski,The eschatological program of apocalypse of Pseudo-Methodios, p. 37.

(5) Bertaina, An Arabic Account of Theodore Abu Qurra, p. 79, Kaegi, W, E., Initial Byzantine Reactions to the Arab Conquest, Church History, Vol. 38, No. 2. (Jun., 1969) , p. 139.

واحدة من النبوءات الأكثر تأثيرا في بيزنطة[1] وقد صيغت على شكل نبوءة تتحدث عن المستقبل بحيث بدت وكأنها ظهرت قبل ظهور الإسلام، بينما هي في الحقيقة قد كتبت بعد نجاح حركة الفتوح الإسلامية، كما أنها مقالة تبرر الهزائم التي حلت بالنصارى أمام المسلمين بوصفها قدراً محتوماً، وتشير في ألم وتوجع إلى اعتناق الكثير من النصارى للإسلام، وتعطي الأمل بانتصار النصرانية في نهاية المطاف، وقد كُتبت هذه المقالة باللغة السريانية في شمال بلاد النهرين وترجمت فوراً إلى اللغة اليونانية[2].

وقد تكرر نفس الأمر في أسطورة بحيرى الذي تحدث عن أربعة وحوش وحش أبيض (الأسد الأبيض) له اثنتي عشرة قرناً، وهي مملكة أبناء إسماعيل التي أتت من الجنوب واستقرت في الغرب، والثاني وحش أسود له سبعة قرون وهي مملكة أبناء هاشم نجل محمد، ويأتون من الشمال ويستقرون في بابل، ويعيثون فساداً كبيراً، والوحش الثالث هو الثور وله خمسة قرون، وهى مملكته المهدي بن فاطمة، ويأتي من الجنوب ويستقر في آشور، ثم يحدث أثناء حكمه سلام عظيم وتقيد صارم للقوانين والرابع نمر يرتدى ملابس بها دم، والتي تشير إلى أبناء سفيان -مملكة الدم- والذين يأتون من الغرب ويدمرون أبناء إسماعيل ثم يعودون ليثرب، والخامس المعزة وتشير إلى نسل يقطان الذين يأتون من الشمال، ويذهبون للأرض الموعودة، والسادس الأسد ويشار به إلى المهدي بن عائشة ويأتي من جنوب الصحراء ويقضي على الجميع، والسابع الرجل الذي يرتدى الملابس الخضراء ويأتي من الشرق وهو آخر ملك ومملكته ستقضي على ممالك بني إسماعيل وفي عهده سيسود السلام في وسيعيد بناء الكنائس والأديرة وسيعاقب الخارجين عن المسيحية ثم تأتى مركبة الرومان اللامعة وتحكم العالم لمدة أسبوع ونصف في الأيام الأخيرة، يبدوا من سياق الحديث أن سفر الرؤيا يعد الأساس لهذه النبوءة، وقد فسر الوحش الأبيض بأنه يمثل الأمويين،

---

(1) Martinez, F, J., Eastern Christian Apocalyptic in the early Muslim period: Pseudo –Methodius and Pseduo –Athanasius, PHD Thesis, The Catholic university of America, Washington, 1985, p. 11.

(٢) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص ١١-١٢.

وأن العباسيين الذين كانوا يرتدون الأسود، استقروا في العراق (بابـل) وأطلقـوا على أنفسهم أبناء هاشم "المنصور أنجب سبعة ملـوك ومملكـة المهـدي مملكـة المأمون، والنمر الأحمر يشار للخرمية بأذربيجان[١].

كما تحدثت زائفة عزرا عن سلسلة من الحيوانـات كالثعبـان -الأمـويين - والنسر -العباسيين - والأفعى- الأمويين-، الفهد- الأتراك -، الثور- الفـرس - وشبل الأسد- هرقل- ومفادها أن العـرب سـيحكمون عشـرة قـرون ويـدمرون الأرض ويفرضون الجزية وفي نهاية الأمر ستتدمر مملكة الإسماعيليين[٢].

كما وجدت نبوءة لنهاية العالم نسبت لشينودة Shenute الزاهـد وهـو مـن صعيد مصر وتعود للقرن الخامس الميلادي، وهى عبارة عن عظة ألقاها تحدث فيها عن عجائب وآيات الله التي تجلت علي يديه لتمجيده الثالوث، وتحدث عن المصاعب والمآسي التي سيعاني الرجال منها ليكونوا على حذر وليكونـوا علـى أهبة الاستعداد، كي لا يسلموا أرواحهم للشيطان ثم تحدث عما كشفه المسـيح له من المستقبل ونزول الفرس إلى مصر واضطهاد ومعاناة المصـرين مـن وطـأة حكمهم، وتحدث عن مغادرتهم مصر التي ستعود لحكم ملك الرومـان والـذي سيعهد برئاستها للقادة العسكريين والإجراءات التي قاموا بها لتحصينها خوفا من الفرس، ثم عرج على سوء معاملة القائد - الرومان - لرئيس أساقفة الإسكندرية وفراره مع المسيحيين جنوباً، وظهور أبناء إسماعيـل، وملاحقتـهم للمسـيحيين وغلبتهم وحكم كل العالم وإعادة بناء الهيكل الذي في أورشـليم، ثم قـال: وإذا حدث ذلك فأعلم أن نهاية العالم تقترب وسترى [الـرجس] الخـراب الـتي قـال عنها دانيال النبي الذي قال: إنه يقف في المكان المقدس[٣].

---

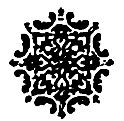
(1) Hoyland, Seeing Islam as other saw it, pp. 270-276.

(2) Hoyland, Seeing Islam as other saw it, pp. 276-278.

(3) Hoyland, Seeing Islam as other saw it, p. 279-282, Martínez, F, J., La Literature Apocaliotica Las primeras reacciones cristianas Ala conquista Islamica en oriente, Conferencia del ciclo "Europa y el islam" Real Academia de la Historia, 29 de abril del año 2002, p. 13.

أمـا زائفـة البطريـرك أثناسـيوس الإسـكندري (د. ٣٧٣ Ps. Athanasius فتحدثت عن نهاية العالم، وبها دعوة للتوبة من الخطايا بالصلاة والصـوم، وقـد سارت هذه الزائفة بنفس تسلسل أحـداث شـينوده بابتـدائها بـالهجوم الفارسـي وما ترتب عليه، وتحدث عن الحيوان الرابع الذي ذكره الـنبي دانيـال وأن هـذه الأمة ستتسلط بلا رحمة على العديد من البلدان ويصبحوا سـادة الأمـم فيضـطر كثير من المسيحيين بالدخول في دينهم ليتخلصوا من الاضطهاد [١].

وما سبق يتضح أن القرن السابع كان قرناً مناسباً لانتشار النبـؤات والـرؤى رغم عدم معرفتنا بالتراكيب المروعة لتلك الفترة [٢] والـتي انتشـرت في أعقـاب الفتوحات العربية بين المسيحيين الذين كـانوا منزعجـين مـن التنبـؤات المتعلقـة بمجيء المسيح الدجال ونهايـة العـالم [٣]، فعكسـت ظـروف الحـرب البيزنطيـة الإسلامية في منتصف القرن السابع إلى القـرن الثـامن المـيلادي [٤]، وقـد كـان الغرض من نصوص نهاية العالم/ الزائفة تعزيز إيمان المسيحيون وتشجيعهم على التحمل من أجل وعود السماء، وقد روجـت تحـدياً للإسـلام [٥] وقـد وجـدت ممارسات واسعة الانتشار في إسناد هذه الرؤى الغيبيـة للنتـائج المرعبـة للغـزو الإسلامي لشخصيات تاريخية حقيقية خاصة بآباء الكنيسة، وأضفت عليهم بأكبر قدر ممكن هالة من السلطة وتصديق ما ينقل إليهم في المجتمع [٦].



---

(1) Hoyland, Seeing Islam as other saw it, p p. 282-284.

(2) Witakowski,The eschatological program of apocalypse of Pseudo-Methodios, p. 36.

(3) Lapidus, I, A History of Islam societies, third edition, USA, 2014, p. 154.

(4) Sacramento, Three Apocalypses of the Early Muslim Period, p. 3.

(5) Griffith, S, H., Disputing with Islam in Syriac: the case of the monk of Bet hale and A Muslim emir, Hugoye: Journal of Syriac Studies, Vol. 3: 1, P P. 29-54.

(6) Maccoull, L.S.B., The Coptic Apolypse of pseudo-pesyntheus: Coptic protest under Islamic rule, in Coptic Church Review, vol. 9, Number.1, spring 1988, p. 17.

الفصل الأول

الرسول ﷺ في الكتابات البيزنطية والرد عليها

أولاً : نسبه وأخلاقه ﷺ.

ثانياً : مبعثه ورسالته ﷺ.

(أ- ظهور الإسلام ب- الرسول ﷺ والرهبان المسيحيين).

ثالثاً : بشارات الأنبياء عليهم السلام على رسول الله ﷺ.

(أولاً : في التوراة - ثانياً : بشارته ﷺ في الإنجيل)

رابعاً : زواج الرسول ﷺ في الكتابات البيزنطية.

خامساً : اتهام البيزنطيين لرسول الله ﷺ بالعنف في نشر دعوته.

سادساً : موقف رسول الله ﷺ من اليهود.

الفصل الأول

الرسول ﷺ في الكتابات البيزنطية والرد عليها

أولاً: نسبه وأخلاقه ﷺ

كان البيزنطيون على معرفة بأصل ونسب النبي محمد ﷺ وعلى رأسهم المؤرخ البيزنطي ثيوفانيس المعترف Theophanes the Confessor (٧٦٠ - ٨١٨م/ ١٤٣-٢٠٣هـ)، والذي يُعد من أهم المؤرخين البيزنطيين في القرن التاسع الميلادي، والمؤرخ جورج الراهب George Monachus حيث قالا: " من الضروري التحدث عن أصل هذا الرجل الذي ينحدر من قبيلة واسعة الانتشار جداً، وهي من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام حيث يعتبر نزار وهو من نسل إسماعيل عليه السلام أباهم جميعاً، وقد رزق ولدين هما مضر وربيعة، ورزق مضر قريش وقيس وتميم وأسد وآخرين غير معروفين، وقد سكنوا جميعاً صحراء مدين[1] حيث عاشوا في خيام، وعملوا في تربية الماشية، وهناك كان آخرون يعيشون في أماكن بعيدة وليسوا من قبيلتهم بل من الحميريين الذين كانوا يعرفون بالعمالقة[2]، وكان بعض هؤلاء التجار يتاجرون في إبلهم"[3].

---

(١) هي قرية من أرض معان في أطراف الشام مما يلي الحجاز، وكانت تمتد من خليج العقبة إلى مؤاب وطور سيناء، وقد ورد ذكرها وأهلها في القرآن الكريم عندما قص نبأ النبي شعيب عليه السلام، محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص ١٩٢-١٩٤.

(٢) جدهم عمليق ويعرفون بالعرب العاربة، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب، ص١٤٠.

(3) The Chronicle of Theophanes, p. 464, Georgius Monachus, Congnomento Harmartolus, Chronicon Breve Quod E Diversis Annalium Scriptoribus et Expositoribus Decerpsit, Concinnavitque, patrologiae cursus completes Patrrologiae graecae, tomus. CX, 1863, pp. 863, 866.

- الإمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجينتوس، ادارة الإمبراطورية البيزنطية، ص٧٣.

ومن خلال هذا السرد يتضح أن جورج الراهب قد اعتمد على ثيوفانيس الذي يبدو أنه قد اعتمد هو الآخر على سيبيوس الأرميني مؤرخ القرن السابع الميلادي في معرفة نسب الرسول ﷺ حيث قال: "رجل من بني إسماعيل اسمه محمد"[١] لكنه قدم تفصيلات أكثر منه فلربما اعتمد على بعض المصادر الشرقية[٢]، والتي ذكرت أن النبي ﷺ ولد يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، عام الفيل بمكة عام ٥٧٠م[٣]، وذلك في عهد الإمبراطور جستين الثاني أو الأصغر Justin II the younger ٥٦٥-٥٧٨م[٤]، واسمه محمد[٥]

---

(1) Sebeos, History, p. 122.

(٢) طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي، ص١٤٠-١٤١.

(٣) ابن إسحق، السيرة النبوية، ج١، ص ٩٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ١٨٣؛ البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، السفر الأول، تحقيق د/ عبد المعطى قلعَجي، ط١، بيروت، ١٩٨٨م، ص٧٤؛ ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب ابن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادى (ت ٢٤٥) ، المحبر، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، صححه د/ إيلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د. ت، ص ٨-٩.

- وللتعرف على قصة أصحاب الفيل، انظر: ابن اسحق، السيرة النبوية، ج١، ص ٤٣ وما بعدها، ص١١١ وما بعدها.

(٤) هو ابن أخت الإمبراطور جستنيان الأول Justinian I، عمل ضابطاً صغيراً في إحدى وحدات الحرس الإمبراطوري Candidato، وكان يدعى بطرس سباتيوس Petrus Sabbatius، تبناه خاله وجعله شريكاً له في الحكم، لذا خلفه على الكرسي الإمبراطوري في ١٤ نوفمبر ٥٦٥م، فحكم ثلاثة عشر عاماً، ترك له خاله إمبراطورية فسيحة الأركان فأجهد نفسه في التفتيش عن موارد تعينه للوفاء بسداد تكاليف ما يحتاجه للدفاع عنها، فانتهج سياسة الإقتصاد والتقشف لتوفير ما يمكن توفيره عن طريق عدم دفع الجزية للفرس، فاشتعلت نيران الحرب بينهم ٥٧٢م للمزيد عنه، انظر:

- The chronicle of theophanes, P. 355 ff, Khazdan, Goldsworthy, A., How Rome fell, U.S.A, 2009, P. 387, ODB, vol. 2, pp. 1082-1083

دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ترجمة وتعليق د/ حسن حبشى، القاهرة، ٢٠٠٣، ص١٠٣-١٠٤.

(٥) لا يعرف في العرب من تسمى بمحمد قبله ﷺ إلا ثلاثة طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر=

ابن عبد الله بن عبد المطلب، وينتهي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام[1]، والمتعارف عليه لدى النسابون أن مضر وربيعة هما من

= محمد وبقرب زمانه وانه يبعث في الحجاز أن يكون ولدهم وهم: محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق الشاعر والآخر محمد بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحمى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، والآخر محمد بن حمران بن ربيعة، كانوا قد وفدوا على بعض الملوك الذي لديه علم بالكتاب الاول وأخبرهم بمبعث نبي واسمه وكانوا قد خلوا زوجاتهم حوامل فنذروا أن يسموا ففعلوا، الاسم منقول من الصفة فمحمد في اللغة هو الذي يُحمد حمدا بعد حمد، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٨٠-١٨١، حاشية ١، وللمزيد يمكن الرجوع: البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثاني، ص١١٤-١١٥؛ البلاذري، الإمام أحمد بن يحيى ابن جابر (ت ٢٧٩ هـ-٨٩٢م)، جُمل من انساب الأشراف، تحقيق د/ سهيل زكار، د/ رياض زركلي، لبنان، ١٩٩٦م، ج٢، الشمائل النبوية وأخبار الإمام علي بن أبي طالب، ص٢٠٣.

- وبالنسبة لاسم أحمد الذي في الكتب وبشرت به الأنبياء منع الله بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يُدعى به مدعو قبل حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك، وكذلك محمد أيضاً، فلم يسم به أحد من العرب ولا من غيرهم، إلى أن شاع قبيل وجوده أن نبياً يبعث اسمه محمداً في الجاهلية، وقد حمى الله تعالى هؤلاء أن يدعى أحد منهم النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه شيء من سِماتها، حتى تحققت لنبينا ﷺ، انظر: الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق د/ مصطفى عبد الواحد، ج١، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٥٠٣-٥٠٥.

(١) البخاري، أبي عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ-٨٦٩م)، كتاب التاريخ الكبير، القسم الأول من الجزء الأول، من نسخة كوبريلي، تحقيق، الشيخ عبد الرحمن ابن يحيى اليماني، إسلامبول، طبع بحيدر آباد الدكن، ١٣٦٢هـ، ص٥-٦، للحصول على إسم كل جد من جدوده عليه السلام وصفاته يمكن الرجوع إلى: ابن اسحق، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٧ ومابعدها؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١١-١٦. كان رسول الله إذا انتهى في النسب إلى معد بن عدنان أمسك ثم قال: كذب النسابون، قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ سورة الفرقان، آية ٣٨، قال ابن عباس وبينهما ثلاثون أباً، انظر: الكلبي، أبي المنذر هشام بن محمد السائب، جمهرة النسب، رواية السكري عن أبي حبيب، تحقيق د/ ناجي حسن، عالم الكتب، ط ١، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٧، وللتعرف على شرف نسب النبي ﷺ انظر: البيهقي، =

نسل إسماعيل عليه السلام[١]، وهو ما يتفق مع رواية ثيوفانيس وأنهم كانوا يعملون بالرعي والتجارة[٢].

أدرك علماء الدين البيزنطيون تفاصيل حياة النبي محمد ﷺ وتعاملوا بشيء من الغرور في استخدام جوانب حياته[٣]، فنقلوا عن سيبيوس قوله: "كان تاجر"[٤] وقد برز معرفتهم هذه عندما تحدث ثيوفانيس عن مرحلة شبابه ﷺ فقال: "عاش محمد معوزا ويتيما، ولأنه كان معدماً ويتيماً فقد قرر الدخول في خدمة امرأة ثرية كانت من أقاربه وتدعى خديجة Chadiga كأجير عندها على أن يعمل في تجارةِ القوافل على ظهر الجمل بين مصر وفلسطين"[٥]، أما جورج الراهب فقد قال: "كان بلا حول ولا قوة، لذا دخل في خدمة امرأة غنية، تسمى خديجة مقابل رسوم فخرج بالجمال للتجارة مع زملائه من رجال القبيلة"[٦].

ومما سبق نجد أن هؤلاء المؤرخين قد اشتركوا في نقلِ خبر عمله ﷺ بالتجارة، لكن ثيوفانس نظر بشكل سلبي لكون النبي ﷺ عربياً ويتيماً رغم أن العديد من القديسين والشهداء جاؤوا من خلفيةٍ متواضعة[٧]، صحيح أنه عاش يتيماً[٨]،

= دلائل النبوة، السفر الأول، ص١٦٥ وما بعدها؛ مهدى رزق الله، صفوة السيرة في سيرة خير البرية، الرياض، ١٤٣٠هـ، ص ٥٨؛ أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي البلنسى، الإكتفا في مغازى المصطفى ومغازي الثلاثة الخلفا، المكتبة الأحمدية (معهد المخطوطات العربية)، رقم ٣-٥٦، تصوير أغسطس ٢٠٠٥

(١) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ج ١، ص ١٧؛ المبرد، أبي العباس محمد بن يزيد، نسب عدنان، صححه عبد العزيز اليمنى الراجكوتى، الهند، ١٩٣٦م، ص ١.

(٢) طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي؛ ص ١٤١.

(3) Nikolaou, S., A Survey of Byzantine responses to islam, MA, in theology from Australian catholic university, 2007, p. 4.

(4) Sebeos, History, p. 122.

(5) The Chronicle of Theophanes, p. 464.

(6) Georgius Monachus, Chronicon, p. 866.

(7) Nikolaou, A Survey of Byzantine, p. 4.

(٨) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج ١، ص٩٧، ص١١٥-١١٦؛ ابن هشام، السيرة النبوية، =

ولعل الله قد أراد بيتمه ﷺ حكمة أن لا يدخل لقلوب الناس ريبةً أو إيهام بأن محمداً قد أخذ دعوته ورسالته منذ صباه بإرشاد وتوجيه من أبيه وجده ليصل إلى جاه الدنيا باصطناع النبوة، ولعل في يتمه أسوة للأيتام في كل زمان ومكان ليعرفوا أن اليُتم ليس نقمةً، وأنه لا يجب أن يقعد بصاحبه عن بلوغ أسمى المراتب[1].

وقد اتفق ثيوفانيس وجورج الراهب في القول بأن النبي ﷺ هو من قرر الدخول في خدمة السيدة خديجة مما يعد مخالفاً لما هو متعارف عليه لدى المؤرخين المسلمين[2]، الذين قالوا: "ولما استوى وبلغ أَشُدَّهُ وليس له كثير مال استأجرته خديجة، وكانت ذات مال وشرف وكانت تضارب الرجال بشيء تجعله لهم فلما بلغها من صدق حديثه وعظيم أمانته وكرم أخلاقه[3] بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً تعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار فخرج بمالها للتجارة"[4]، أي أنها هي من أرسلت في طلبه ليخرج بمالها إلى الشام وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار بعدما عن سمعت عن صدقه وأمانته، وبالنسبة لقول ثيوفانيس أنه كان يخرج بالتجارة لمصر وفلسطين فلا يوجد دليل أن النبي كان يخرج بالتجارة لمصر كما زعم ثيوفانيس بل كان

= ج ١، ص ١٨١، ص ١٩٣-١٩٤؛ ابن خيثمة، أبي بكر أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب (ت ٢٧٩م)، التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة، تحقيق صلاح بن فتحي هَلَل، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط ١، مج ١، القاهرة، ٢٠٠٤، ص١٥٢؛ البيهقي، دلائل النبوة، السفر الأول، ص١٨٧-١٨٨.

(١) مهدى رزق الله أحمد، صفوة السيرة، ص ٦١-٦٢.

(٢) طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي، ص ١٤١.

(٣) وللتعرف على جميل أخلاقه ﷺ يمكن الرجوع إلى: الأصبهانى، الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، المعروف بأبي الشيخ (ت ٣٦٩هـ)، أخلاق النبي ﷺ وآدابه، دراسة وتحقيق د/ صالح بن محمد الونيان، دار المسلم، الرياض، ١٩٩٨م، ج ١، ص ٧١ وما بعدها؛ مخطوطة البلنسي، الاكتفا في مغازى المصطفى.

(٤) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٢٨-١٢٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص٢١٢-٢١٣؛ البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثاني، ص ٦٦.

يخرج لفلسطين والشام[١]، ولعل اتفاقهم على عمله بالتجارة ربما يرجع لاطلاعهم على مصدر إسلامي، حيث ذكرت المصادر الإسلامية عمله ﷺ بالتجارة[٢].

وترى الباحثة أن القديس يوحنا الدمشقي لم يتعرض لنسب النبي ﷺ أو لفترة شبابه كما فعل ثيوفانيس، رغم أنه عاش واختلط بالمسلمين، ولا نعرف هل هذا تهاوناً منه أم ماذا؟، لكن هذا لم ينف عنه كونه رائداً في الهجوم على الإسلام؛ لأنه أول من نقد العلوم الإسلامية هادفاً لإبطال عقيدة المسلمين حيث عُدت كتاباته مصدراً أساسياً لكل من أتى بعده، لأنها لاقت قبولاً وتأييداً كبيراً لديهم لأنها لامست بغضهم للإسلام ونبيه محمد ﷺ، وقد تعمد الدمشقي تغير اسم النبي فكما ذكر المؤرخ ساهاس Sahas "أن يوحنا الدمشقي كتب اسم النبي محمد معميث Mameth "[٣].

ولم يكن الدمشقي وحده من ذكر ذلك بل سار على دربه جورج الراهب عندما كتب Mahomotus، Moameth [٤]، رغم أن حرف الدال يعد ركناً أساسياً في اسمه والحرف موجود في اللغة اليونانية[٥].

ثانياً: مبعثه ورسالته ﷺ:

ظهور الإسلام :

ذكرت الكتابات البيزنطية أن الأديان كاليهودية والمسيحية كانتا معروفة في مكة، مما جعل محمد ﷺ ينظر للمعتقدات والخرافات المحلية السائدة في بلاد

---

(١) طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي، ص١٤١-١٤٢.

(٢) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج ١، ص١٢٢، ١٢٨؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص٢٠٤-٢٠٥؛ البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثاني، ص ٢٤ -٢٦، ص ٦٥-٦٧.

(3) Sahas, John of Damascus on Islam, p. 133.

(4) Georgius Monachus, chronicle, pp. 835, 863.

(٥) علي بن محمد عودة الغامدي، يوحنا الدمشقي (٣٥-١٣٢هـ/ ٦٥٥-٧٥٠م) رائد العدوان الفكري على الإسلام، الكتاب الأول، ط١، مكة المكرمة، ٢٠١٥م، ص٢١-٢٢.

العرب على أنها مجلبة للخزي والعار[1]، فادعى النبوة[2]، وقد كان أول القائلين بهذا القول يوحنا الدمشقي الذي لم يتوان من النيل من الإسلام ورسوله محمد ﷺ من حيث وسمه بما ليس فيه فقال في كتابه الهرطقة المئة: " لقد كان العرب يزاولون عبادة الأوثان علناً حتى عهد هرقليوس Herakleios (٦١٠-٦٤١)[3]، ومنذ هذا العهد وحتى أيامنا هذه قام فيما بينهم نبي منتحل النبوة اسمه محمد"[4].

وكرر المؤرخ ديونسيوس التلمحري نفس القول مع بعض الإضافة فقال: "ظهر من بينهم أول ملك يُدعى محمداً، وهو الذي كانوا يدعونه "نبياً" لأنه هو الذي صرفهم عن دياناتهم المتعددة إلى عبادة إله واحد خالق، وسن لهم القوانين بعد أن كانوا متجهين إلى عباد الشياطين والأصنام ولا سيما عبادة

---

(١) ريتشارد ساليفان، ورثة الإمبراطورية الرومانية، الغرب الجرماني -العالم الإسلامي- الدولة البيزنطية، ترجمة وتقديم د/ جوزيف نسيم، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص ٦٤.

(2) Oman, C.W.C., Byzantine Empire, New York, ١٩١٥, p. 159.

(٣) أرمني الأصل ولد عام ٥٧٥م، وكان أبوه حاكم قرطاجة الذي إستغاث به أهل القسطنينية لينقذهم من طغيان الإمبراطور فوكاس وجبروته، فنجح في الإطاحة به عام ٦١٠م وأن يحل محله في حكم الإمبراطورية فواجهته مصاعب داخلية تمثلت في التدهور الداخلي وصادفه أخطاراً خارجية تمثلت في الأفار والصقالبة من ناحية الشمال، وحربه مع الفرس في الشرق، فنجح في التخلص منها، ومن ثم تفرغ للقيام بإصلاحات مختلفة داخل إمبراطوريته فأعاد تقسيم الولايات مما عاد بالنفع على الجيش والإقتصاد والزراعة، كما جعل اللغة اليونانية اللغة الرسمية للإمبراطورية، كما حاول رأب الخلاف بين أتباع المذاهب المختلفة في إمبراطوريته وإحلال السلام بالكنيسة فأصدر مرسوماً توافقياً عرف بالمونوفستية ٦٣٨م/ ١٧ هـ، وبه أقر بأن للمسيح إرادة واحدة، توفى هرقل مكلوباً بعدما رأى ممتلكات إمبراطوريته في الشام سقطت في أيدى العرب، البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ص ٥٧ وما بعدها؛ دونالد نيكول، معجم التراجم، ص ١٦٥-١٦٨.

Theophanes, Chronographia, pp. 427 ff؛ OBD, vol. 2, pp. 916-917

(٤) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص٤٩-٥٠.

Sahas, John of Damascus on Islam, p. 133.

الأشجار، وعندما سن لهم قوانين تتفق مع نزعاتهم أطلقوا عليه النبي ورسول الله"[1].

ولتفنيد هذه الفرى نجد أن كل من يوحنا الدمشقي وديونسيوس اتفقا على عدم الاعتراف بكون محمد ﷺ رسول فالأول وسمه بمدعى النبوة، والآخر قال إنه ملك، صحيح أن العرب عرفوا الملوك في الجاهلية كاللخميين والغساسنة والحميريين والمناذرة[2]، لكن لم تثبت المصادر الإسلامية فضلاً عن اليونانية أن النبي محمد ﷺ كان ملكاً، ونلاحظ أن ما ذكره يوحنا الدمشقي والتلمحري يعد الأساس لقاعدة جديدة في تشويه سيرة النبي في عيون النصارى، حيث أشير

(١) التلمحري، تاريخ الأزمان، ص ٢٢.

(٢) اللخميون فرع من فروع الأزد، هاجروا من مدينة مأرب إلى العراق والشام بعد سيل العرم، فهم ملوك عرب العراق، وقد انقطع ملكهم على يد كسرى بن هرمز ملك الفرس، أما المناذرة أو مملكة الحيرة من القبائل العربية التي هاجرت من اليمن على أثر تصع سد مأرب، وهو اسم أطلق على ملوك الحيرة، وكانت خاضعة لدولة الفرس، فكانت مملكة المناذرة مملكة قوية من أقوى ممالك العراق العربية قبل الإسلام، أما الحميريون فهم ملوك عرب اليمن، وينسبون لحمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي، أقاموا بسبأ، ويقال إن ملوكهم قد بلغوا الألف، وللتعرف على تاريخ الحميريين يمكن الرجوع إلى: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت ٥٧٣هـ)، ملوك حمير وإقبال اليمن وشرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب الملوك التبابعة، تحقيق، علي بن إسماعيل المؤيد، إسماعيل بن أحمد الجرافي، دار العودة، بيروت ط ٢، ١٩٧٨م، ص ١٥ وما بعدها؛ كتاب التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبي إدريس ابم سنان عن وهب ابن المنبه ﷺ، صنعاء، ط ١، ١٣٤٧هـ؛ الحموى، الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومي البغدادي، معجم البلدان، بيروت، د. ت، مج ٢، ص ٣٠٦-٣٠٧؛ حلمي، محروس إسماعيل، الشرق العربي القديم وحضارته بلاد ما بين النهرين والشام والجزرة العربية القديمة، الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص ٢٠٢-٢٠٩، ص ٣١٧ وما بعدها؛ محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص ٣٣٥ وما بعدها، ص ٥٧٧-٥٩٧.

باقتضاب إلى سيرة النبي ﷺ قبل البعثة[1]، وقد انفرد يوحنا الدمشقي بهذا الخبر دون غيره من المؤرخين البيزنطيين.

وقد اتفق كل من يوحنا الدمشقي والتلمحري على أن العرب عبدة أصنام، لكنهم لم يكونوا منصفين بقولهم هذا حيث أن العرب لم يكونوا كلهم عبدة أوثان، فقد رفض بعضهم الأصنام ونبذوها فكان منهم موحدون بالله أو قل إن شئت حنفاء كزيد بن عمرو[2] وورقة بن نوفل[3]، وإذا كان يوحنا الدمشقي قد اتهم النبي محمد ﷺ بأنه هو من ادعى النبوة، فإن التلمحري لم يبتعد عن هذا الاتهام لكنه ذكره بطريقة أخرى عندما قال: إن قومه هم من أطلقوا عليه "النبي ورسول الله" عندما سن لهم قوانين تتفق مع نزعاتهم، وإذا ما تأملنا قول التلمحري نجده يحاول أن يرسخ وكأن النبي محمد ﷺ هو من ألف رسالته/ دعوته وبذلك ينفى أن يكون مصدر وحى إلهي.

وبالانتقال إلى المؤرخ البيزنطي ثيوفانيس نجده قد تحدث عن ظهور الإسلام لكن بشكل أكثر إسهاباً من يوحنا الدمشقي مما يدل على إطلاعه على كتب السيرة النبوية، ولكنه لم يكن أميناً في ذكر الأحداث حيث شوهها فقال عن النبي ﷺ: "كان يعاني من الصرع، ولم تعلم خديجة إلا بعدما تزوجته، فكانت

---

(١) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص٢٥.

(٢) سيتم التعرض له لاحقاً.

(٣) وهو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عم السيدة خديجة يجتمع مع النبي في جد جده، وهو حكيم جاهلى من قريش كره عبادة الاوثان قبل الإسلام فاعتزلها وامتنع عن أكل ذبائحا، وطلب الدين في الآفاق، كان يكتب باللغة العربية وبالحرف العبراني فقرأ الكتب واستحكم في النصرانية واتبع الكتب من اهلها حتى علم علماً من أهل الكتاب، وقد أدرك أوائل عصر النبوة، ولم يدرك الدعوة، انظر: ابن هشام، السيرة، ج١، ص ٢٥١-٢٥٢، ٢٦٩؛ البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثاني، ص١٢٠-١٢١، حاشية ٢؛ الألوسي، السيد محمود شكرى الألوسى البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، عُني بشرحه وتصحيحه وضبطه، محمد بَهجَة الأثري، ج ٢، القاهرة، ١٩٢٤م، ص٢٦٩.

متأثرة إلى حد كبير، نظراً لأنها قد تزوجت من رجل مثله ليس فقيراً فحسب، ولكنه يعاني أيضاً من الصرع، فحاول بمكر استرضاءها قائلا: إن ذلك لرؤية الملاك جبريل، وبسبب عدم قدرته على تحمل رؤيته، فإنه يخاف ويسقط، فقالت له إن لديها صديق راهب، كان قد نفي لمذهبه الفاسد[١]، فقصت عليه كل شيء، بما في ذلك اسم الملاك، فقال متمنياً إرضاءها: لو قال الحقيقة فهذا هو الملاك الذي يتم إرساله إلى جميع الأنبياء، ولما سمعت كلام الراهب الكاذب كانت أول من آمن به وأعلنت لغيرها من نساء قبيلتها أنه كان نبياً، وهكذا انتشر الأمر من النساء إلى الرجال، وكان أول من آمن منهم أبو بكر Abou bacharos الذي جعله خليفته"[٢].

وقد أسهب أيضاً جورج الراهب في ذكر بداية الإسلام وذكر نفس أحداث ثيوفانيس مما يوحى بإطلاعه على نفس المصدر الذي استقى منه ثيوفانيس مادته العلمية، لكنه انفرد بذكر اسم الدير الذي خرج منه الراهب المنبوذ فقال: "اكتشفت زوجته أنه يعاني من مرض الصرع فحزنت للغاية؛ لأنه لم يكن رجلاً فقيراً فقط، ولكنه أيضاً يعانى الصرع، ولكنه قال لها: إن سقوطه كان بسبب رؤية الملاك جبرائيل حيث لم يتحمل رؤيته، فذهبوا لرئيس دير وهو أحد الرهبان الأريوسين[٣] الزائفين، المطرودين من دير monasterio Callistrati بالقسطنطينية

---

(١) سيتم التعرض له في الفصل التالي.

(2) The Chronicle of Theophanes, pp. 464-465.

(٣) هم نصارى أتباع أريوس أحد رهبان الإسكندرية ويدعى أريوس السكندري (250-٣٣٦م)، وكانوا متمسكون بدين عيسى ﷺ وكانوا لا يقولون أنه ابن الإله، بل إنه مخلوق بشر، وأنه أقل من الله في الجوهر، وبالتالي فإنه أقل منه مرتبة، فليست له صفة الألوهية بل مخلوق تسري عليه قوانين الخليقة، وأضاف بأنه لابد أن يكون هناك وقت لم يكن فيه المسيح مخلوقاً، وكان فيه الله الخالق وحده، فأنكر أريوس ألوهية المسيح، وأنكر صفة الشبه بين الله والمسيح، انظر: الأنصاري، المصباح المضئ، ج ٢، ص٧٦، ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق د/ أحمد حجازى السقا، المكتبة=

لآرائه السيئة، فاستخدام أدلة وقال إن ما رآه كان الملاك جبرائيل، وهو الملاك الذي أتى جميع الأنبياء، وقد خُدعت المرأة بكلام رئيس الدير، وأعلنت المرأة في كل مكان أنه نبي، وآمن به أبو بكر الذي سيخلفه ويرثه"[١]، وقد ردد قسطنطين بورفيرجيتوس Constantine VII Porphyrogennetos (٩١٣-٩٥٩م)[٢] نفس الفرية فقال: "صدقوه لأن أحد الأريوسيين الذي ادعى أنه راهب شهد زوراً بصحة هذه الرؤيا وأيدها"[٣].

= القيمة، ط ٤، القاهرة، ١٤٠٧هـ، ص ٢٤٩؛ أغابيوس المنبجي، المكلل بفضائل الحكمة، ص٢٧٩-٢٨٤؛ حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٢٨- ٢٩؛ علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص٢٣، حاشية ٥٧. وعلى الرغم من إعلان الكنيسة بطلان مذهبه إلا أنه إنتشر إنتشاراً واسعاً في مصر وبلاد الشام لاسيما فلسطين وأسيا الصغرى، انظر: طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي، ص ١٤٣-١٤٤.

(1) Georgius Monachus, Chronicon, p, 866, Theophanis Chronographia, ex recensione Ioannis Classeni, vol, I, Bonnae, MDCCCXXXIX, p. 511.

(٢) هو الابن الوحيد للإمبراطور ليو السادس Leo VII (٨٨٦-٩١٢م) ومحظيته زوي كاربونسينا karbonsina ذات العيون السوداء، وزوجته الرابعة فيما بعد، وقد ولد في عام ٩٠٥م، ولقب ببورفيروجنيتوس porphyrogenitus أي المولود في الغرفة الإرجوانية، وقد عمد في السادس من يناير عام ٩٠٦م في كنيسة آيا صوفيا St. Sophia في إحتفال مهيب رغم معارضة بعض الشخصيات، وتوج إمبراطوراً في التاسع من يونيه عام ٩١١م فأصبح للإمبراوورية ثلاثة أباطرة ليو السادس وأخوه الكسندر Alexander (٩١٢-٩٣) وقسطنطين السابع، وفي العام التالى تسلم الكسندر مقاليد الوصاية على قسطنطين الذي كان يبلغ من العمر سبع سنوات، ثم أصبح تحت وصاية رومانوس الأول ليكابينوس قائد الأسطول الرومانى لمدة أربع وعشرين سنة، ولم يصبح صاحب الأمر والنهي إلا عندما زال رومانوس، ولم يكن قسطنين يؤرقه وضعه هذا حيث كان منشغلاً بمطالعة الكتب، فكان رجل معرفة وإطلاع أكثر مما هو رجل سياسة ونشاط وحركة، فترك مؤلفات تتعلق بالإمبراطورية واحتفالات البلاط والمقاطعات الإدارية الحربية، للمزيد انظر: ص ٩-٢٣؛ دونالد نيكول، معجم التراجم، ص ١٣٥-١٣٧.
OBD. vol. 1, pp. 502-503.

(٣) إدارة الإمبراطورية، ص٧٤.

ولتفنيد هذه الفرية نجد أن ثيوفانيس وجورج الراهب عُدا من أوائل المسيحيين الذين قالوا إن النبي ﷺ عانى من هذه المشكلة الصحية "الصرع" وحاول إخفاء هذا المرض مدعياً أن سلوكه الغريب بسبب الرؤى النبوية[١]، وهو أمرٌ قد أصبح مفضّلاً للأدب البيزنطي حول الإسلام[٢].

وقد ذكر المؤرخ Lcdr: "أنه أصيب بصداع رهيب أثناء سنته الأربعين، مما دفعه للحصول على راحة في جبال الصحراء قرب مكة المكرمة، وأثناء زيارته للجبال أدعى أنه أوحي إليه من الله"[٣] فزعم الوحي لإخفاء الصرع، بل نسبوا الوحي للشيطان، وأحياناً يمزج الاثنين، وقد رفضت بيزنطة قبول الانتشار الهائل للإسلام لذا نسبته للنشاط البشرى[٤]، والمتأمل لهذه الفرية نجد أن اتهام النبي بأنه كان مجنوناً أو مصاباً بمرض عصبي تهمة قالها كفّار قريش وسجلها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[٦]، ولإثبات ضعف تلك التهم تحدى الله سبحانه وتعالى المشركين أن يأتوا بمثل القرآن أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله. وثبت عجزهم، بل العجز قائم على كل البشر إلى الأبد، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٧]، ولعل الهدف من اتهام الرسول بالصرع الطعن في الوحي الذي نزل عليه ﷺ ليصبح ما كان يقوله إنما قد

---

(1) Łodź, B, C., Islam, the Arabs and Umayyad Rulers, according to Theophanes the confessor's chronography, Studia Ceranea 2, 2012, p. 99.

(٢) أنجيليكى غريغوري زياكا، الإسلام في كتابات العصر البيزنطي، ص١٠.

(3) Lcdr, D, E, K., Arab-Byzantine war 629-644 AD, MA OF Military Art and Sience Militry History, Faculty of U. S. A Army, Kanssas, 2007, p. 22.

(4) Nikolaou, A Survey of Byzantine responses to islam, p.10.

(٥) سورة القلم، آية ٥١.

(٦) سورة الحجر، آية ٦.

(٧) سورة الاسراء، آية ٨٨.

صدر عن شخص مريض تفوه به أثناء نوبة الصرع، والثابت تاريخياً أن الرسول ﷺ كانت تنتابه شدة من الوحي، وقد عاد للسيدة خديجة وهو يرتجف عندما نزل عليه الوحي أول مرة ويقول لها زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، حينئذ أخذ يقص عليها ما حدث وعلى اثر ذلك توجهت لورقة....[1]، ومن الواضح أن قصد ثوفانيس وجورج الراهب من هذا الحديث إظهار أنه حتى امرأته خديجة خجلت منه، وهدفه الجدل لتشويه سمعة محمد ﷺ، بالإشارة إلى أن جسده المادي كان معيباً، مما يعني أن بقية ما يصدر منه يكون معيباً، وبذلك أضحى ثيوفانيس لا يهاجم شخصية محمد ﷺ فقط، بل يهاجم قول المسلمين بأن الوحي منزل من الله من خلال الملاك جبريل عليه السلام لمحمد ﷺ[2]، لذا لم يكونوا منصفين عندما ذكرا حالة النبي وقت نزول الوحي حيث لم تذكر المصادر الإسلامية ولو حالة صرع واحدة انتابته[3]، كما أن ثيوفانيس وجورج الراهب قد افترضا حدوث صعوبات في زواجه بخديجة بسبب الصرع[4]، وقد أخطأ بقولهم هذا حيث لم يذكر أي مصدر إسلامي هذا الحدث.

---

(١) طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي، ص١٤٧.

(2) Vila, D, H., Christian martyrs in the first Abbasid century and the development of An Apoligetic against Islam, PHD the Faculty of Graduate school of Saint Louis University, 1999, pp. 219-220.

(٣) ويمكن الرجوع الى: ابن اسحق، السيرة النبوية، ج١، ص١٦٧ وما بعدها؛ انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص٢٦٤، ٢٦٧-٢٧١، الهمذاني، قاضي القضاة عبد الجبار ابن أحمد الهمذاني، تثبيت دلائل النبوة، حققه وقدم له د/ عبد الكريم عثمان، لبنان، ١٩٦٦م، ج ١، ص ب.

انظر حديث السيدة عائشة عن بدء الوحي، وحديث جابر بن عبد الله الأنصاري، الزبيدى، الإمام زين الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي (ت ٨٩٣هـ)، فتح الباري على مختصر البخاري حاشية على التجريد الصحيح، تحقيق أبي عبد الله محمد يسري، دار اليسر، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٧م، حديث رقم ٢-٤، ص ١٣-١٦؛ البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثاني، ص١٣٥، محمد حسين هيكل، حياة محمد، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ١٤٨- ١٤٩، وللتعرف على كيفية نزول الوحي عليه ﷺ انظر: ابن اسحق، السيرة النبوية، ج١، ص١٨٩؛ ابن هشام، السيرة، ج١، ص ٢٦٧-٢٦٨، حاشية ٢.

(٤) أنجيليكي غريغوري زياكا، الإسلام في كتابات العصر البيزنطي، ص١٠.

وقد أخطأ ثيوفانيس عندما قال إن ورقة أحد أصدقاء خديجة والصحيح أنه ابن عمها، كما أن الصداقة بالمفهوم البيزنطي[١] بين الرجل والمرأة لم تكن منتشرة في بيئة محافظة كبيئة العرب[٢]، ثم شدد ثيوفانيس هجومه ضد رسالة الإسلام بالإدعاء أن "الراهب" الذي لم يذكر اسمه أقنع خديجة بأن محمد ﷺ قد تلقى بالفعل وحي من الله ﷻ وهكذا ووفقاً لثيوفانيس يكون أصل الإسلام وقبوله في وقت مبكر لا يرتبط بانحطاط محمد فقط، ولكن يعود أيضاً إلى هرطقة الراهب[٣] الذي كان قد نفي لمذهبه الفاسد[٤]، ولم يذكر ثيوفانيس أي شيء عن شخصية الراهب المنفي المجهول، وسار جورج الراهب على أثر ثيوفانيس في عرض حياة محمد بشكل موجز، لكنه كان على النقيض من أسلافه في اهتمامه بمعرفة المزيد عن الإسلام ليحاربه بأسلوب أقوى، لذا انفرد عن ثيوفانيس بتحديد الراهب الذي ذهب النبي ﷺ إليه لكنه لم يحدد اسمه، لكن شخصية الراهب ستصبح محددةً لدى كُتّابٍ متأخرين منهم خاصةً بارثولوميوس الرهاوي الذي ذكر أن هذا الراهب هو بَحيرى وهو من أبناء عمومة خديجة الذي كان راهباً طيباً لديه هبة التنبؤ، وهو معروف في التراث المسيحي والإسلامي أيضاً، ولكن في التراث الإسلامي يُذكر بَحيرى باسم أخر هو ورقة، وتذكر الكتابات الإسلامية أن ورقة عندما تقابل مع محمد ﷺ باقتراح من خديجة تبينت له رسالة محمد النبوية المستقبلية، وعلى النقيض من ذلك يعتبر التراث المسيحي هذا الراهب مهرطقاً، وتارةً نسطورياً وتارةً أخرى أريوسي، ومصدراً للأباطيل والأقوال المزيّفَة التي كان محمد ﷺ يُحدِّث بها[٥]، كما انفرد قسطنطين بورفيرجيتوس وأفصح عن هوية الراهب فقال إنه الأريوسي.

---

(١) وللتعرف على هذا المفهوم يمكن الرجوع إلى: عبد العزيز رمضان، المرأة والمجتمع في الإمبراطورية البيزنطية من القرن التاسع وحتى نهاية القرن الثاني عشر، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١٨٠-١٨١.

(٢) طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي، ص ١٤٨.

(٣) سيتم التعرض له فيما يلي.

(4) Vila, Christian martyrs, p. 220.

(٥) أنجيليكي غريغوري زياكا، الإسلام في كتابات العصر البيزنطي، ص١٠-١١.

ويتضح اتفاق كل من ثيوفانيس وجورج الراهب مع الروايات العربية في القول بأن السيدة خديجة رضي الله عنها أول من آمن برسول الله ﷺ، وصدقت به وآزرته فخفف الله بها عن نبيه ﷺ[١]، وأنها قامت بدور مهم، فكانت المتحدث الرسمي والرئيسي في الفترة الأولى من مهمة محمد ﷺ[٢]، وقد أصابهما الصواب عندما ذكرا أن أبا بكر ﷺ أول من آمن من الرجال[٣] لكنهما أخطأ عندما قالا أنه ﷺ جعل أبو بكر ﷺ خليفته من بعده [٤].

ويكمل ثيوفانيس هجومه على النبي فيقول "وعند مطلع ظهوره اعتقدت فئة من اليهود أنه المسيح الذي ينتظرون ظهوره ومن هنا انضم له بعض قادتهم ودخلوا دينه بينما تخلوا عن دين موسى ﷺ الذي رأى الله ﷻ، وكان عدد هؤلاء اليهود عشرة، فسادت هذه البدعة في منطقة يثرب Ethribos، وعندما وجد اليهود أنه يأكل لحم الإبل أدركوا بالفعل أنه ليس من يعتقدون بظهوره وأصبحوا في حيرة فيما عليهم فعله فهم يخافون أن يرتدوا عن دينه، وقد لقنته تلك الفئة الضالة مبادئ غير مشروعة ضدنا نحن المسيحيون وقد ظلوا معه حتى مقتله"[٥]، أما جورج الراهب فقد قال: "خرج محمد زعيم السراسنة إلى يثرب التي أصبحت مقراً لملكه الذي رسخه بالدم، فسادت البدعة في يثرب"[٦].

ولتفنيد هذه التهمة، لابد أن نشير أولاً إلى سبب دعوة الرسول ﷺ غير القرشيين وموقفهم من الإسلام، فنجد أنهم رفضوا الإسلام لأنهم رأوه يهدد مصالحهم التجارية فلجأوا لاستخدام العنف ضد النبي الذي تعرضت حياته ﷺ للمخاطر بعد وفاة زوجته وعمه أبو طالب[٧]، فتتابعت عليه ﷺ المصائب

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٧٤؛ ابن خيثمة، التاريخ الكبير، مج ١، ص١٥٦.

(2) Łodź, Islam, the Arabs, p. 98.

(٣) انظر ما يلي.

(٤) سيتم التعرض لظروف تولي أبي بكر الخلافة في الفصل الخامس.

(5) The Chronicle of Theophanes, pp. 465-466

(6) Georgius Monachus, Chronicon, pp. 835, 866.

(٧) داهموس، سبع معارك فاصلة، ص ٦٠. =

بهلاك خديجة التي كانت له خير معين يشكو إليها، وبهلاك عمه أبي طالب الذي كان له عضداً وحرزاً في أمره ومنعة وناصراً على قومه[1]، وبموتهما نالت قريش منه ما لم تنله من قبل[2]، فأضحى النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل وكان من ضمنهم ستة رجال[3] من الأوس والخزرج[4]، الذين كانوا يسمعون من جيرانهم اليهود أن نبياً قد أهل زمانه حيث كان اليهود يستفتحون على الذين كفروا[5]، ويقولون إن نبي قد أهل زمانه لنتبعنه ولنقاتلنكم قتال عاد وإرم حيث كانوا يظنون أنه سيبعث منهم كجميع أنبيائهم، ولكن عندما خص الله تعالى به العرب ظهر بغيهم وحسدهم وضغنهم فكان أحبارهم يسألون النبي ﷺ ويتعنتون معه ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه، ويبدوا أن ثيوفانيس يتحدث عن رهط الخزرج الذين التقاهم النبي عام ١٠ق.هـ/٦٢٠ م، عند العقبة وآمنوا به وواعدوه أن يأتوا العام القادم وبالفعل جاء إثنا عشر رجل من الأنصار، وبايعوه بيعة العقبة الأولى/ بيعة النساء[6].

= فقد توفيت زوجته في العام العاشر من البعثة قبل موت عمه أبي طالب وكان بين وفاتها وموته شهر وخمسة أيام، ويقال خمس وخمسون ليلة، ويقال ثلاثة أيام، وآراء أخرى، انظر: البلاذري، كتاب جمل من أنساب الأشراف، ج٢، ص٣٤-٣٥.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٦٤-٦٦.

(٢) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج١، ص٢٧٠-٢٧١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص٦٧.
- ويمكن الرجوع لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص، انظر: الزبيدي، فتح الباري، حديث رقم ١٥٥١"، ص ٦٢٨.

(٣) عن الستة اللذين التقوا النبي وبيعة العقبة الأولى انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٧١-٧٨.

(٤) وهم قبيلتان عظيمتان من قبائل اليمن ذو بأس وشدة وأموال، وذو شوكة شديدة وعدد وعدة، ترددوا على النبي وسمعوا دعوته فأجابوه على البراءة من أديانهم التي كانوا عليها، انظر: الهمذاني، تثبيت دلائل النبوة، ص ٢٣.

(٥) قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ سورة البقرة، آية ٨٩.

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٧١-٧٨. =

ويبدو أن ثيوفانيس قد خلط بين الأوس والخزرج وهما من القبائل العربية المقيمة بيثرب[1]، وبين اليهود المقيمين هناك، وإذا ما تأملنا لقول ثيوفانيس وجورج الراهب "بدعة" نجد أنهما حاولا أن يرسخا في أذهان المسيحيين أن الإسلام ليس ديناً بل بدعة ليبعدا عن عقولهم أي محاولة لفهم ماهية هذا الدين، وبالنسبة لقولهم سادت في يثرب يدل على معرفتهم باسم المدينة المنورة قبل الإسلام، ويشير لمعرفتهم بهجرة النبي إليها[2]، لكنهما لم يذكرا أي شيء عن الهجرة أو حتى عن الإجراءات التي عقدها النبي محمد ﷺ لتأسيس المجتمع الإسلامي في يثرب/ المدينة المنورة، كما أنهما لم يتعرضا لفئات المجتمع وكيف كان وضعهم قبل هجرة النبي ﷺ وبعد الهجرة وموقف النبي ﷺ من هذه الفئات سواء كانوا مسلمين أو أهل كتاب أو عبدة أصنام[3]، كما أنهما لم يكونا الوحيدين اللذين أغفلا هذه الأحداث فقد سبقهما كل من يوحنا الدمشقي وثيودور أبو قرة، وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على أنهم يحذفون كل ما يحسب

= بايع الانصار رسول الله وكانوا اثنى عشر رجلاً بيعة العقبة الأولى "بيعة النساء"، على ألا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا، وذلك قبل أن تفرض الحرب وقد أرسل النبي معهم مصعب بن عمير معلماً، ثم اجتمعوا معه ثانية بالعقبة أوسط أيام التشريق وبايعوه بيعة العقبة الثانية وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتان، وقد بايعوه على النصرة، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٧٩-٩٠.

(١) ثانى مدن الحجاز بعد مكة، ودار الهجرة التي نصرت الإسلام، فسميت بالمدينة المنورة، عرفت بطيب هوائها وجودة تربتها، وكانت على طريق القوافل التي تحمل الطيوب بين اليمن والشام، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب، ص ٤٢٩-٤٣٥.

(٢) وللتعرف على أحداث الهجرة وما ترتب عليها يمكن انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ١٠٩-١٢٣.

(٣) وضع النبي ما عرف بوثيقة/ صحيفة المدينة، أوضح فيها حقوق وواجبات كل فئة، وللمزيد انظر: أحمد قائد الشعيبي، وثيقة المدينة المضمون والدلالة، سلسلة كتاب الأمة، ع ١١٠، ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦م، قطر؛ جاسم محمد راشد العيساوى، الوثيقة النبوية والأحكام الشرعية المستفادة منها، الإمارات، ٢٠٠٦؛ عمرو عثمان، دستور المدينة: قراءة في تاريخ نص، مجلة أسطور، ع ٣، يناير، ٢٠١٦م، قطر، ص ٦٧-٩٠.

للإسلام ونبيه ﷺ، هادفين بذلك حجب صورة الإسلام الصحيحة عن بني دينهم كي يرونه ديناً مبتوراً غامضاً ومن ثم لا يدخلوا فيه.

والمعروف أن حاخامات اليهود أظهروا العداء والكراهية للرسول ﷺ لأن الله ﷻ قد اختاره من العرب، ولربما يقصد ثيوفانس بقوله من أصبحوا في حيرة وخافوا أن يرتدوا عن دينه هم حقيقة كانوا المنافقين والذين كان ميلهم نحو اليهود لأنهم اعتبروا الرسول كاذباً وسعوا ضد الإسلام[1]، كما حاول ثيوفانيس أن يشير إلى اليهود ورد فعلهم على دين محمد فاستخدم طريقة مثيرة في عرضه حيث ذكر أنهم كانوا في البداية يقبلون هذا المذهب، ولكن انتابهم شكوك حول دين الإسلام وفي وقت لاحق رفضوا هذا الدين الكاذب، وثيوفانيس بذلك يشير إلى أنه حتى اليهود المجرمون أنفسهم رفضوا ذلك الدين[2].

وبالنسبة لقوله لقنته الفئة الضالة المبادئ غير مشروعة يريد أن يُلمح أن اليهود هم من يمدونه بما يفعل، وترى الباحثة أن قول ثيوفانس إن اليهود هم من حرضوه ضد المسيحيين يثير التساؤل حول ما قاله سابقاً عن أنه كان يلتقي بيهود ونصارى أثناء تجارته، فهل لم يعجبه الدين المسيحي، أم أن اليهود نجحوا في استمالته إلى دينهم، وإن كان الأمر كذلك فكيف ينتابهم شكوك حول دينه إن كانوا هم من وضعوا قواعده وأسسه، وإن كان هو ينفذ تعاليمهم حيال النصارى فيضطهدهم، ولعل الغرض من هذا القول أن النبي محمد ﷺ قد ورث عداء اليهود للنصارى، وهذا بالطبع أمر عار من الصحة.

ثم قسم ثوفانيس دعوة النبي ﷺ إلى مراحل ثلاث، المرحلة الأولى "البسرية" وحددها بعشر سنوات والمرحلة الثانية مرحلة الحرب ومدتها عشر سنوات والثالثة مرحلة الجهر ومدتها تسع سنوات، وقد كان ثيوفانيس غير دقيق "عندما ذكر أن محمد حكم تسع سنوات ثم توفى"[3]، وقد نقل قسطنطين

---

(1) Vila, Christian martyrs, p. 213.

(2) Łodź, Islam and the Arabs, p. 99.

(3) The Chronicle of Theophanes, pp. 464-465. =

بورفيروجينتس[1] نفس الخبر عن ثيوفانيس دون تعديل مع انه خطأ، وقد خالف التلمحري ثيوفانيس في تحديد مدة الدعوة حيث عدها سبع سنوات، وكرر نفس الخطأ عندما حدد تاريخ وفاته عندما قال "مات ملك العرب، أي نبيهم محمد (٦٢٦-٦٢٧م)"[2]، لكن المؤرخ جيوفند أصاب في تحديد تاريخ وفاة النبي عندما قال "توفي محمد ﷺ قائد المؤمنين عام ٦٣٢ م، بعدما حكم لمدة عشرين سنة"[3].

ويتضح أن كل من ثيوفانيس والتلمحري وجيفوند أخطأوا جميعاً في تحديد مدة الدعوة، فبالنسبة لمسار الدعوة نجد أن ثيوفانيس أصاب في أنها كانت سرية في البداية، حيث بدأ النبي يدعوا أهله وأقاربه فآمن به علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وهو ابن عشر سنين وزيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله وعدد من الصحابة رضوان الله عليهم[4]، وقد أسفرت هذه المرحلة عن إسلام ستين شخصاً أغلبهم من وجهاء قريش[5]، لكن ثيوفانيس أخطأ عندما جعلها عشر سنوات والواقع أنها ثلاث سنوات فقط، ثم تأتي مرحلة الجهر بالدعوة بناء على أمر الله ﷻ، الذي أصدر الأمر لرسوله ﷺ بأن ينذر أقاربه" ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[6]، ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[7]، وقد استجاب النبي لأمر

= - ذكر ثيوفانيس أن ذلك ابتداءً من السنة الثالثة عشر لحكم هرقل انظر:
Theophanis Chronographia, Vol. I, p. 471

(١) انظر: إدارة الإمبراطورية، ص ٧٦.

(٢) التلمحري، تاريخ الأزمان، ص ٢٣.

(3) Ghewond's History, Translated from Classical Armenian by Robert Bedrosian, Sources of the Armenian Tradition (Long Branch, N.J., 2006) , p. 1.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٨١-٢٨٥ وما بعدها.

(٥) ولمعرفة أسماء من أسلم في الفترة السرية، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص٢٨٣ ومابعدها.

(٦) سورة الشعراء، اية ٢١٤-٢١٦.

(٧) سورة الحجر، آية، ٩٤.

ربه ﷺ فدعى أهله وعشيرته[1]، فعاداه قومه وتآمروا على من يُظهِر دين الله[2]، وقد استمرت مرحلة الجهر بالدعوة حتى فتح مكة ٨هـ/ ٦٣٠م، ثم وفاة الرسول ١١هـ/ ٦٣٢ م، غير أن ثيوفانيس يجعل مغازي الرسول مرحلة مستقلة ويجعلها بعد مرحلة سرية الدعوة وهذا أمر يشوبه عدم الصحة نظرا لأن مرحلة الجهر بالدعوة صحبتها معارك وغزوات عدة داخل وخارج الجزيرة العربية في سبيل نشر الإسلام ومن ثم فإن الدعوة الإسلامية انتشرت على مرحلتين هما الدعوة السرية ثم الجهرية بدء من عام ٩ ق.هـ/ ٦١٣م.

وإذا كان قد أراد أن يقسمها تقسيما مفصلاً لكان حرى به أن يقول: المرحلة الأولى: الدعوة سراً واستمرت ثلاث سنوات، والمرحلة الثانية: الدعوة جهراً وبها الكف عن القتال واستمرت إلى الهجرة، والمرحلة الثالثة: الدعوة جهراً مع قتال المبتدئين بالقتال، واستمرت إلى صلح الحديبية[3]، والمرحلة الرابعة: الدعوة جهراً مع قتال كل من يقف في سبيل سير الدعوة[4].

---

(١) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج١، ص ١٨٨-١٨٩؛ البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثاني، ص١٧٦ ومابعدها.

(٢) وفي هذه المرحلة هاجر المسلمون للحبشة، ثم ليثرب ولحق بهم النبي.
انظر: ابن اسحق، السيرة النبوية، ج١، ص٢١٤-٢١٧؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٣٤٩ وما بعدها؛ البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثاني، ص ٢٧٤ وما بعدها؛ الأنصاري، الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن على بن أحمد بن حديدة الأنصاري (ت ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م)، المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، صححه وعلق عليه الشيخ محمد عظيم الدين، عالم الكتب، ج ٢، بيروت، د. ت، ص ١٩ وما بعدها، وللتعرف على موقف المكيين من الهجرة انظر: ابن اسحق، السيرة النبوية، ج١، ص ٢٤٨ ومابعدها؛ الأنصاري، المصباح المضئ، ج٢، ص ٤٧-٥٠؛ عبد الرحمن أحمد سالم، المسلمون والروم في عصر النبوة، دراسة في جذور الصراع وتطوره بين المسلمين والبيزنطيين حتى وفاة الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٥٧-٥٨.

(٣) هو صلح عقده النبي ﷺ مع أهل مكة في ذى القعدة في آخر سنة ست من الهجرة، للمزيد انظر: ابن إسحق، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٤٥٤-٤٦٦؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٥٥-٢٦٨.

(٤) مهدي رزق الله، صفوة السيرة، ص ٩٧.

ومن الأخطاء التي انزلق إليها ثيوفانيس أن جعل مدة الدعوة إلى الإسلام تسعة وعشرون عاما بيد أن الدعوة الإسلامية منذ نزول الوحي (١٣ق.هـ/ ٦١٠م، وحتى وفاته ﷺ (١١هـ/ ٦٣٢م) [(١)]، ونفس الأمر ينطبق على التلمحري الذي قلص مدة الدعوة لسبع سنوات، وهذا التحديد خطأ حيث روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أُنزل على رسول الله وهو ابن أربعين، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة، ثم أمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة فمكث فيها عشر سنين، ثم توفي[(٢)]، وعمره ﷺ ثلاث وستين سنة[(٣)]، وذلك يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول ودفن الأربعاء[(٤)].

وقد ذكر الكندي وجود أسطورة تتنبأ بمبعث محمد ﷺ بعد موته بثلاثة أيام، لذا تأخر أتباعه عن دفنه تحسباً لقيامته، لكن انتشر على جسده علامات التعفن فأيسوا من تلك المواعيد الباطلة ووقفوا على كذبه وواروه التراب[(٥)].

وبالطبع هذا ضرباً من الخيال حيث لم يذكر مصدر أو مرجع إسلامي مثل هذه القصة، كما لم يذكرها أي من مؤرخي بيزنطة، بل علها لم تصل إلى أسماعهم وإلا لتلاقفوها وتنافسوا في تسجيلها.

ومما سبق اتضح أن ثيوفانيس خصص في تاريخه فصلاً وجيزاً عن الإسلام ونبيه محمد ﷺ، وتعرض لحياته بإسهاب[(٦)].

---

(١) طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي، ص ١٤٨-١٤٩.

(٢) البخاري، التاريخ الكبير، ص٨؛ الزبيدى، فتح الباري، حديث رقم ١٥٥٠، ص ٦٢٨.

(٣) البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثاني، ص ١٣١؛ ابن حبيب، المحبر، ص ١٢؛ وانظر: حديث عائشة رضي الله عنها، الزبيدي، فتح الباري، باب وفاة النبي، حديث رقم ١٤٤٩، ٥٩٢.

(٤) ابن خيثمة، تاريخه، مج ٢، ص ٣٩.

(٥) الكندي، عبد المسيح بن إسحق، رسالته إلى عبد الله بن إسماعيل الهاشمي، ليدن، كليكتة، د. ت، ص ٦٤-٦٥.

-Szilagyi, K., Aprophet like Jeuses ? Christians and Muslims debating Muhammad's death, JSAI, 2009, tom, 36, pp. 134.

(٦) أنجيليكي غريغوري زياكا، الإسلام في كتابات العصر البيزنطي، ص١٠.

الرسول ﷺ والرهبان المسيحيين :

يعتبر يوحنا الدمشقي أول المسيحيين الذين تعرضوا للإسلام ونعتوه بالهرطقة ففي كتابه "هرطقة الإسماعيليين" والذي يعد أقرب المناقشات الصريحة للإسلام من قبل اللاهوتيين المسيحيين[١] وقد قال: "قام فيما بينهم نبي منتحل النبوة اسمه محمد فأنشأ هرطقته الخاصة بعد أن تعرف بالصدفة على العهدين القديم والجديد، وبعد أن تحاور كما يبدوا مع راهب أريوسي"[٢].

وقد سار ثيوفانيس على نهج يوحنا الدمشقي في اتهام النبي ﷺ بعدة اتهامات باطله منها أنه " ذهب إلى الراهب المنبوذ، وأنه كلما جاء إلى فلسطين كان على اتصال باليهود والهراطقة المسيحيين فحصل منهم على بعض المسائل الدينية، فسادت هذه البدعة في منطقة يثرب Ethribos"[٣].

كما كرر نفس القول نيقيتاس البيزنطي Nicetas Byzantium الذي قال: "استخدم العهدين القديم والجديد وزورهما كما يروق له، متأثراً بتعاليم المانويين Manicheanistic[٤]، وكان يكرر في كل سورة تقريبا الأصل الإلهي

---

(1) Rhodes, B., John Damascene in context: An Examination of " The Heresy of the Ishmaelites" with special consideration given to the Religious, Political, and social contexts during the seventh and eighth century Arab conquest, <u>MA Thesis</u>, L ynchburg, Virginia, 2009, p. 54.

(٢) وبذلك يشير إلى أنه التقى بأناس من اليهود ومن المسيحيين وهؤلاء كانوا نساطرة أو أريوسيين أي هراطقة وأنه إقتبس عن اليهود فكرة الإله الواحد، وعن الأريوسيين أن الكلمة والروح مخلوقان، أما النساطرة فأخذ عنهم فكرة عبادة الإنسان وهذه الهرطقة تقوم على إنكار ألوهية المسيح، انظر: يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص٤٩-٥٠، حاشية ٢.

(3) The Chronicle of Theophanes, pp. 464-465.

(٤) تنسب لمانى Mani (٢١٦-٢٧٤/ ٢٧٧م) الزعيم الدينى ومؤسس هذا المذهب، وقد نظر البيزنطيون إليه نظرة سلبية فاعتبروه زنديقاً، وقد سمى بن ديصان نسبة لأنه ولد على نهر يقال له ديصان، ومذهب مزيج من المجوسية والنصرانية، ابن النديم، أبو الفرج محمد ابن إسحاق بن محمد الوراق البغدادى (ت ٤٣٨هـ)، كتاب الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والحدثين وأسماء كتبهم، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، د. ت، ص ٣٢٤ وما بعدها. OBD, vol. 2, p. 1285.

لكتابه المقدس في محاولة منه لإقناع نفسه وأتباعه، وأدعى النبوة من خلال تعاليمه بالوعظ عن الله، كما في سورة يونس والتي أكد فيها لشعبه أن الله قد اختار واحداً منهم ليشهد لهم، وبشر المؤمنين به بخبر سار، وفي سورة الأعراف "وجد بها علامات مميزة وبراهين أوضحت أن الكتاب قد أخذه من الله"[١].

ولكي نفند هذه الفرية يتضح لنا مما سبق أن هؤلاء الكتاب قد اتفقوا جميعاً على أن النبي ﷺ قد أنتحل النبوة، وهذا يعد أمر عار من الصحة، لما عرف عن النبي ﷺ من صدق الحديث، وعظيم الأخلاق[٢]، فكيف بمن لم يكذب على الناس أن يكذب على الله، كما أنهم قد أجمعوا على الاستفادة من لقاء النبي محمد ﷺ بالراهب للتشكيك في مصدر القرآن[٣]، وتناسوا قوله ﷺ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[٤].

كما اتفقا يوحنا الدمشقي ونيقيتاس البيزنطي على القول صراحة بأنه تعرف على العهد القديم والعهد الجديد -الكتاب المقدس عند أهل الكتاب-، لكن ثيوفانيس أشار لذلك ضمن حديثه عندما قال: "أنه التقى بيهود وراهب منبوذ"، وهذه فرية يشهد الواقع التاريخي بكذبها حيث كان النبي ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب، أي أن مصدر كلامه الله ﷻ، ويثبت ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[٥]، وقد قال ابن كثير في تفسيرها "أي لبثت في قومك من قبل أن تأتي بهذا القرآن عمراً لا تقرأ كتاباً ولا تحسن الكتابة، بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أمياً لا تقرأ ولا تكتب، وهكذا صفته في الكتب المتقدمة"[٦]، بل وحتى على فرض أن رسول الله كان

---

(1) Demetriades, Nicetas Byzantium, pp. 33, 43.

(٢) سبق وأن أشرنا إلى هذا.

(3) Bertaina, an Arabic account of Theodore Abo Qurra, p. 116.

(٤) سورة النجم، آية ٣-٤.

(٥) سورة العنكبوت، آية ٤٨.

(٦) تفسير القرآن العظيم، مج٦، ص ٢٨٥.

قارئاً أو كاتباً، ما جاز لأحد أن يرتاب، فهذا القرآن يشهد بذاته على أنه ليس من صنع البشر؛ فهو أكبر جداً من طاقاتهم ومعرفتهم وآفاقهم[1].

ومما سبق يتضح حدوث نوع من التوافق بين الكتاب مفاده اتصال النبي بهراطقة، لكن كل واحد من هؤلاء الكتاب اختار نوعاً من الهرطقة مختلف عن الآخر، ويعد حديث يوحنا الدمشقي عن تردد النبي محمد ﷺ على راهب أريوسي غريباً فقد أظهر في مواقع سابقة إطلاعه على العلوم الإسلاميّة من تفسير وسيرة وحديث وفقه، فكيف يقول ذلك القول؟[2].

برز مما سبق انفراد يوحنا الدمشقي بذكر تحاور النبي ﷺ مع راهب أريوسي، لكنه لم يصرح باسم الراهب الأريوسي الذي تحدث عنه، ولربما كان يلمح إلى قصة لقاء النبي محمد ﷺ بالراهب بحيرى كنوع من الاتهام لربط الإسلام بالهرطقة المسيحية، وهى من البدع المألوفة لعصره دون ذكر للتفاصيل، لكنه أشار إليه ليكون مصدراً لدين محمد ﷺ[3]، **وقد صارت هذه الإشارة ذات أبعادٍ مهمة فيما بعد، حيث رسخ أن محمداً رسولَ الإسلام ﷺ تكلم مع راهب أريوسي مهرطق، ودَرَسَ عليه التعاليم الهرطوقية التي أثّرَت عليه، ثم وضع فيما بعد هرطقته الخاصة، وهذه الرواية تتعلق في التراث المسيحي والإسلامي بالراهب بَحيرى**[4]، وقد كان يمكن أن يكون ما كتبه يوحنا الدمشقي مصدراً قيماً للمجتمع المسيحي في دمشق ليساعد الكنيسة في التصدي لتهديد هذه البدعة الجديدة، لكنه كان غير مجدٍ لأنه لم يكرس سوى سوء الفهم، والمتأمل لهذا التأثير يجده لم يكن ليحدث لو لم يكن يوحنا الدمشقي يمتلك الخلفية والتجربة[5].

---

(١) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص ٢٢-٢٣.

(٢) محمد حسن بدر الدين، بواكير الجدل الكلامي المسيحي العربي جدل يوحنا الدمشقي مع المسلمين، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية، مارس ٢٠١٨م، ص٢٧.

(3) Rhodes, John Damascene, pp. 56-57, 73-74.

(٤) أنجيليكي غريغوري زياكا، الإسلام في كتابات العصر البيزنطي، ص٧.

(5) Rhodos, John Damascene, pp. 57, 73-74.

وبالنسبة للمؤرخ نيقيتاس البيزنطي فقد انفرد بالقول أن الهراطقة المانويين هم من أثروا بمحمد ﷺ، لكنه لم يذكر لنا موضعهم أو كيفية لقائهم به، أما المؤرخ ثيوفانيس فقد قدم بعض التفصيلات عن الراهب عندما نعته بالراهب المنبوذ، وحدد موضعه بفلسطين، وهو بذلك لم يجعل مصدر معلومات محمد ﷺ شخصاً واحداً كما قال يوحنا الدمشقي بل ذكر عدة أشخاص عندما ضم اليهود والهراطقة المسيحيين، ليرسخ في عقول المسيحيين أن محمداً قد استقى تعاليمه من عدة منابع لكنها ضالة.

ومما سبق يتضح أن هؤلاء الكتاب لم يتفقوا على هرطقة واحدة لتكون أصلاً للإسلام، ولعل مرد ذلك اختلاف المنبع الذي استقوا منه كتاباتهم، وهذا يذكرنا بموقف مشركي قريش عندما قرروا أن يوحدوا رأيهم في النبي محمد وما جاء به[١]، وهذا الموقف يقوم على حقيقة أن القرآن قد أظهر حقيقية اليهودية والمسيحية، لذا مال هؤلاء الكتاب إلى تطبيق المعايير المسيحية الأرثوذكسية على الإسلام واتهامه بأنه بدعة مسيحية[٢]، فتم اعتبار الإسلام هرطقة مسيحية متمردة أكثر من اعتباره دين مستقل، وبذلك وضع الإسلام خارج دائرة الأديان[٣]، والغرض من ذلك محاولة إثبات أن محمداً لم يكن نبياً حقيقياً.

وقد علق المؤرخ مايندروف Meyendroff على ذلك فقال: "اعتبروا محمداً أريوسي لأنه أنكر اللاهوت والروح القدس، صحيح وجد نوع من الاتصال في بداية الإسلام مع المسيحية وذلك من خلال المونوفيزيين[٤]

(١) يمكن الرجوع لكتب السيرة في ذلك.

(2) Meyendroff, J., Byzantine views of islam, DOP, Vol.18, 1964, p. 119.

(3) Griffith, S., The Melkites and the Muslims: The Qur'ān, Christology, and Arab Orthodoxy, Al-QanTara XXXIII 2, julio-septiembre 2012, p. 421, Rhodes, John Damascene, p. 54.

(٤) المونوفيزية أو الطبيعة الواحدة هي حركة دينية ظهرت في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي، وترى أن ليسوع طبيعة واحدة إلهية، وتعني اتحاد الطبيعتين (الإلهية والبشرية) في السيد المسيح وإمتزاجهما معاً، وقد ساد هذا المذهب في الأقاليم الشرقية التابعة للإمبراطورية البيزنطية خاصة سوريا وفلسطين، ومصر حيث أخذت الكنيسة =

والمجتمعات النسطورية[1] وبالتأكيد ليس مع الأريوسين"[2].

وترى الباحثة أن هؤلاء الكتاب بمحاولتهم الربط بين الإسلام والمسيحية بجعل الأول هرطقة مسيحية هدفهم وضع سد منيع بين المسيحيين والإسلام فلا يفكر أحد منهم في بالبحث في هذا الدين أو التعرف عليه فضلاً عن التفكير في اعتناقه.

وبالنسبة لقول ثيوفانيس كان يلتقي بفلسطين باليهود والمسيحيين إشارة بأن التجارة والتي هي مهنة النبي محمد ﷺ قد سمحت له بإتصال متكرر مع اليهود والمسيحيين [3] حيث كان يذهب لفلسطين للتجارة فاطلع على عقيدة اليهود

= المصرية بهذا المذهب، تعتبر المونوفيزية فكرة معارضة لعقيدة مجمع خلقيدونية ٤٥١م، والتي ترى أن للسيد المسيح طبيعتين إلهية وبشرية، ليلى عبد الجواد، الإمبراطورية البيزنطية، ص١٤٢، ويتلر، الهرطقة في المسيخية تاريخ البدع الدينية المسيحية، ترجمة جمال سالم، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ٩٤-٩٨.
ODB, vol. 2, pp. 1398-1399.

(١) النساطرة نسبة إلى رجل يدعى نسطوريوس Nestorius وهو من أصل فارسى، نشأ في مدينة جرمانيقة (مرعش) في أواخر القرن الرابع الميلادي، ووترهب بدير قرب أنطاكية، ثم أصبح كاهناً على كنيسة أنطاكية، ثم بطريركاً على القسسطنطينية عام (٤٢٨م) في عهد ثيودسيوس الثاني Theodosius II (٤٠٨-٤٥٠م)، وقد اشتهر بالتقوى وفصاحة اللسان، وقد كان أحد تلاميذ مدرسة أنطاكية التي نادت بنفس تعاليم أريوس، والتي نادت بأن السيد المسيح إختاره الله ليضع فيه الطبيعة الإلهية وهو في نفس الوقت ابن السيدة العذراء مريم فهو بشر في طبيعة إلهية، ومريم ليست أم إله لكنها أم السيد المسيح، وقد نادت هذه المدرسة بانفصال الطبيعتين مع تغليب الطبيعة البشرية على الطبيعة الإلهية، لذا كان أول من تولى نشر دعوة النسطورية بين الناس جهراً، وتحمس لمناصرتها حتى إشتهرت بإسمه، وقد إشتهر هذا المذهب اللاهوتي في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي.، انظر: عزيز سوريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ص ٦٠-٦٢، ص ٢٩١ وما بعدها؛ ليلى عبد الجواد، تاريخ مصر وحضارتها في الحقبة البيزنطية-القبطية، دار الثقافة العربية، ٢٠٠٧م، ص ١٢٧-١٣٠؛ ويتلر، الهرطقة في المسيحية، ص ٩١-٩٤.
ODB, vol. 2, pp. 1459-1460.

(2) Meyendroff, Byzantine view of Islam, p. 119.

(3) Łodź, Islam, the Arabs and Umayyad rulers, p. 98.

الخاصة بوحدانية الله من خلال تداوله الحديث معهم فاستحسن عقيدتهم وجنح إليها لأنه كان يرى قومه يعبدون الأصنام والحجارة والخشب، لذا عند عودته طرح عقيدة اليهود على قومه فآمن به قلة في البداية، ثم تزايد عددهم وقوى أمرهم[١]، والمتأمل لتأكيد ثيوفانيس على علاقة النبي محمد ﷺ باليهود والمسيحيين أثناء رحلاته التجارية إلى فلسطين يوحى للقارئ بأنه استقى منهم أخبار النبيين السابقين وغير ذلك من المسائل اللاهوتية[٢]، وهو بذلك ينحرف عن الروايات التاريخية الواردة في المصادر العربية والتي تتحدث عن خروج النبي ﷺ مع عمه للشام، والتقائهم بحيرى الراهب عند بُصرى بأرض الشام، وحديثه معه وطلبه من عمه أن يعود به ويحميه من اليهود كي لا يبلغه شراً منهم، وتنبأ بأنه سيكون له شأن عظيم، فخرج به عمه سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا فيما روى الناس: أن زريرا وتماما ودريسا -وهم نفر من أهل الكتاب- قد كانوا رأوا من رسول الله مثل ما رآه بحيرى في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب فأرادوه فردهم بحيرى الذي ذكرهم بالله وبما يجدون في كتبهم من ذكره وصفته وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخصلوا إليه ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قاله لهم وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه[٣]، وكانت الرواية السابقة من وجهة النظر الإسلامية والتي أكدت مكانة محمد كنبي، وقد ورد ذكر قصة بحيرى/ سرجيوس Sergius[٤] من وجهة نظر مسيحية حكاها على لسان بحيرى أحد الرهبان ويدعى مار ياهب الراهب

---

(١) السرياني، تاريخه، ج٢، ص ٢٩٨، وقد قال الإمبراطور قسطنطين نفس الحديث انظر: إدارة الإمبراطورية، ص٧٣.

(٢) طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي، ص١٤٣-١٤٤.

(٣) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج ١، ص١٢٢-١٢٤؛ ابن هشام، السيرة، ج١، ص ٢٠٤-٢٠٧؛ البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثاني، ص٢٤-٢٩؛ ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا، المكتبة القيمية، ط ٤، القاهرة، ١٤٠٧هـ، ص ١٥٥-١٥٧.

(٤) دعى معلم محمد الراهب المسيحي بعدة أسماء كبحيرى وسرجيوس ونستور.
Theophanes, Chronographia, p. 466, reference, 4.

فقال Mar Yahb: "إنني رجل خاطئ من أنطاكية مضيت إلى طور سيناء "[1] وفيها تحدث عن رؤيا رآها مفادها زوال ملك الإمبراطور موريس Maurice II (٥٨٢-٦٠٢م) [2] ملك الروم وملك كسرى ملك الفرس[3] ثم سقوط الإمبراطوريتين[4]، وبعد ذلك بدأ بحيرى يسرد قصته فتحدث عن لجوءه للبرية قرب بني إسماعيل بعدما طرده قومه لأنه طلب منهم ألا يسجدوا إلا لصليب واحد، ثم تحدث عن أنه آنس إلي بني إسماعيل ﷺ وأنهم آنسوا إليه فآوي إلى دير وحفرت بئر ماء عذبة، فصارت العرب تجئ وتستقى، كما كانوا يأتون إليه فيقضى حوائجهم ويقضون حوائجه، وكانوا يفعلون ما يأمرهم به ولا يخالفونه، فأخذ يخبرهم بخبر أبيهم إسماعيل ﷺ ووعد الله لإبراهيم ﷺ فيه بإظهار الملك والسلطان وكثرة النسل وبخبر أمه هاجر ووعده لها[5]، ثم أنبئهم بما سيملكونه في المستقبل، ثم ذكر بحيرى لقائه بالنبي محمد ﷺ فقال: وفي بعض الأيام كنت

---

(١) يتوافق هذا مع النص الخاص بشرق سوريا، والذي يذكر أنه كان ذاهباً للحج للقدس ثم لجبل سيناء.

Szilagyi, K., Muhammad and the monk: the making of the christian Bahira legend, (JSAI), 34, 2008, p. 171.

(٢) ويدعى موريشيوس Mauricius وهو أعظم خلفاء الإمبراطور جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧-٥٦٥م) دخل في خدمة الإمبراطور تيبيريوس Tiberius II (٥٧٨-٥٨٢م) كقائد حربى ضد الفرس، وتوجه امبراطورا وزوجته وابنته، قاد حروبا كثيرة كبدته ثمنا فادحا وأموالا باهظة فاضطر لفرض المزيد من الضرائب المرهقة لتغطية نفقاته الحربية، تمرد جنده عليه بقيادة فوكاس Phokas (٦٠٢-٦١٠م) فخلع وطرد ثم قتل.

Theophanes, Chronographia, pp. 373-374, ff, OBD, vol. 2, p. 1318.

دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ص ١٤٩-١٥٠.

(3) Gottheil, R., A Christian Bahira legend, Arabic text (MS, Paris Arabie 215), first puplished in Zeitchrift fur assyriologie, vol. 13 (1898), p, 252-260, Odier, B, J., Levi Della Vida. Une version latine de l'Apocalypse syro-arabe de Serge-Bahira. In: MAH, tome 62, 1950, pp. 126. 147, Szilagyi, Muhammad and the monk, p.171.

(4) Szilagyi, Muhammad and the monk, pp. 173- 174.

(٥) انظر: التمهيد.

واقفاً على البئر استقى الماء بعد حديثي بسوابيع فأبصرتهم مقبلين إلى ومعهم شاباً صغيراً[1] فصيح شهم شليط متراس عاقلاً أديباً فهما يأمر الجمالين وينهاهم، وكذلك التجار يقبلون منه، فقلت في سرى واستخرت ربى، وحرزت عليه وقلت ينبغي أن يترأس هذا الرجل على بني إسماعيل ويكون ملكاً عليهم ويكون للدولة؛ لأنه شاب نسبته الرئاسة فإن له جرصة وصولة فقلت يا فتى ما اسمك؟ فقال: محمد، فقلت له: أنت صاحب الملك والسلطان ولك تكون الدولة واسمك هو المذكور، وإليك تكون القبائل والشعوب ويذكر اسمك في أقطار الأرض وينتشر خبرك في جميع الدنيا، وكل من ذكر اسمك وعظمه يكون قد قرب قرباناً لله نقياً زكياً، ثم أشرت عليه بالانصراف مع أصحابه والرجوع إلى بعد ذلك وحده حتى أعرفه وأوقفه على كل ما يريد أن يعلمه، فانصرف الغلام مع الأعراب الذين كانوا معه وهم حزناء وقد امتلؤوا عليه حسداً، ثم رجع إلى بعد ثلاثة أيام وهو قلقاً معلق القلب بما خبرته به فجلس عندي وحدثته وحدثني وسألني واستقصا مني واختبر واعتبر، فقال لي: جعلت فداك إني قد سمعت من شيوخاً حديثا لا أدري هو حق أم لا، فقلت له: أي حديث سمعت؟ فقال لي: إن قبائل العرب ملكوا الشام، وقد استعبدوا الخلق وصاروا في قبضتهم ستين سنة حتى قام عليهم رجل من بني إسرائيل يقال له جدعون القاضي، فحاربهم وهزمهم وانتصر عليهم، ولم يفلت منهم إلا بعضهم ورجع إلى هذا الموضع فاستأنس إليه أنجاد من العرب وسكنوا بالشام، ولم يرجعوا إلى هذه الغابة وأخاف أن تصير هذه المرة أيضا مثل الأولى، فانصرف أنا وأصحابي خاسرين فأجبت وقلت له: لا لعمري ما تنصرف خاسراً بل تغلب وتنتصر وتملك سبع سوابع مسبعة ويزيل أهل بيتك جميع قومك عن سجودهم للأصنام إلى السجود لله تعالى وحده، ثم أكمل بحيرى "فقال لي: بقى على شدة كيف يقبل أهلي وقومي أن أكون ملكاً عليهم أنا عندهم حقيراً فقيراً لأني يتيم عند عمى أبي طالب مقيم، فقلت له إدعي النبوة أول بدء فهي تفتح لك الباب وتدخل الدار فإذا أنت دخلت

---

(١) وفي رواية أخرى كان صبيا صغيراً بشوشاً ذكياً شغوفاً بالتعلم.

Szilagyi, Mohammad and the monk, p. 169.

كنت المخير، فهو أصلح لك وأرشد وأصوب؛ لأنه قد تنبأ أنبياء فقراء حقراء مثل داود النبي ﷺ الذي لم يكن في إخوته أدنى منه ولا أحقر ولا أفقر ولم يُكذب ولم يُخالف، وكذلك أنت ليس أحداً يُكذبك ولا يُخالفك إذا قلت إني رسول الله إليكم، فقال لي كيف يصدقوني وأنا لا كتاباً بيدي، فقلت له: أنا أعلمك في الليل وتعرفهم أنت في النهار، وتقول لهم إن جبريل يخبرني وأنا أعرفكم بما يعلمني، وقلت له: علي أن أكتب لك على يدك ما تحتاج إليه وأقول لك كل مسألة يسألونك عنها من معقول وغيره وألقفك العلم والمسائل إن شئت من الكتب وان شئت من المعقول إن شاء الله تعالى، فقال لي ابتدئ واكتب لي شيئاً أقوله وأتعلمه"[1].

ومما سبق يتضح أن هناك فرقاً بين ما ورد في المصادر الإسلامية وهذه الرواية حول لقاء النبي ﷺ ببحيرى، ولابد أن نتساءل، كم كان عمر النبي فالروايات التي تحدثت عن خروج النبي مع عمه للشام ذكرت عدة أعمار لعل أقربها دقة أن عمره حينها إثنتا عشرة عاماً[2]، وصحبته مع عمه تؤكد وجود شاهد على تحركات هذا الطفل إذ انه في حله وترحاله أسير لرأى وعمل عمه، فيحل ويقيم حيث يريد عمه كما أن سنه لا تسمح له بتلقي معلومات غاية

---

(1) Bahkou, A., The Monk Encounters the Prophet—The Story of the Encounter between Monk Bahīra and Muhammad as It Is Recorded in the Syriac Manuscript of Mardin 259/2, CRS, Nov.- Dec. 2015, Vol. 3, No. 6, p. 349-357, Gottheil, A Christian, pp. 252-265, pp. 56-58, Griffith, S., The Qur'an in Arab Christian texts ; The Deveopment of an Apologetical argument: Abu Qurrah in the maglis of Al-Ma'mun, In: Parole de l'Orient: revue semestrielle des etudes syriaques et arabes chretiennes: recherches orientales: revue d'etudes et de recherches sur les eglises de langue syriaque, vol. 24 (1999), p.208, Hoyland, R, G., Seeing Islam As others saw it A Survey and Evaluation of Christian, Jewish and Zoroastrian writings on early Islam, New Jersey, ١٩٩٧, P. 270.

(٢) البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثاني، ص٢٥-٢٦، حاشية ٩.

اختلفت الروايات في سن النبي حينها فابن الأثير يقول عمره تسع سنوات، وقيل كان عمره ثلاث عشرة، ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص٢٠٥، حاشية ٢، وقيل سبعة عشر" انظر: ابن خلدون، تاريخه، ج٢، ص ٤٠٨.

الشمول والتعقيد والإحاطة بتنظيم حياة الفرد والأسرة والمجتمع والأمة، وغنى عن الإشارة أنه كان أمي لا يعرف القراءة أو الكتابة[1].

وترى الباحثة لو فرضنا قبول ما قيل فكيف بمن هو في مثل عمره، ولم يدخل مرحلة الشباب بعد أن يتذكر أحداث لقاء مضى عليه ما يزيد عن الثمانية والعشرين عاماً أي إلى وقت بعثه ﷺ، فالثابت تاريخيا أن النبي ﷺ أوحى إليه وعمره أربعون عاماً فهل ظل بحيرى على قيد الحياة إلى أن بلغ النبي هذا السن؟ أم أنه قد مات قبل ظهور دعوة النبي ﷺ، أضف لذلك أنه لم يترك عمه أبي طالب، كما أن هذا لقاء لم يتجاوز ساعة طعام فمتى صاغ الراهب هذا الدين لمحمد ﷺ؟، كما أن القول بتعدد اللقاءات بينهما لا يمت للحقيقة بصله، فلقاء رسول الله ﷺ بالراهب كان مرة وهو صغير كما ذكرت المصادر الإسلامية [2].

وقد قال ابن تيمية: "إن النبي محمد ﷺ باتفاق أهل المعرفة بحاله كان أمياً من قوم أميين مقيما بمكة ولم يكن عندهم من يحفظ التوراة ولا الإنجيل ولا الزابور، فلم يخرج من بين ظهرانيهم ولم يسافر قط إلا سفرتين إلى الشام خرج مرة مع عمه أبي طالب قبل الاحتلام ولم يكن يفارقه، ومرة أخرى مع ميسرة في تجارته وكان بن بضع وعشرين سنة مع رفقة كانوا يعرفون جميع أحواله فلم يفارقهم، ولم يجتمع قط بأحد من أهل الكتاب ليأخذ عنه شيئاً لا من علماء اليهود ولا النصارى ولا من غيرهم لا بحيرى ولا غيره، ولكن بحيرى لما رآه عرفه لما كان عنده من ذكره ونعته فأخبر أهله بذلك، فلم يتعلم من بحيرى ولا من غيره كلمة واحدة، ولم يعرف غير هاتين السفرتين"[3].

لذا لم يقابلنا غير هاتين الروايتين عن رؤية محمد ﷺ لبعض رهبان الشام وهو في طريقه للتجارة من مكة للشام ولا يوجد ما يثبت أنه استمع لهم أو نقل

---

(١) إقبال بن عبد الرحمن إبداح، الوحي القرآني بين المفسرين والمستشرقين، دراسة تحليلية مقارنة، دار دجلة، ط ١، الأردن، ٢٠١١م، ص ٢٩٣.

(٢) انظر أعلاه.

(٣) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مج ١، ص ٤٠٠-٤٠١؛ الجواب الصحيح، مج ٢، ص٧٢ وما بعدها.

عنهـم، ومن ثم فلا سند يجعل هذه الرواية حقيقة؛ لـذا لا يستطيع الباحـث أن يعـول على روايته لهذه النقطة والتي يبدوا أنها نقلت عن مصدر سرياني بصـورة واضحة حيث نجد المؤرخ ثيوفانيس يردد فكرة اتصال الرسـول بورقة بن نوفـل الأريـوسي المذهب - الراهب المنبوذ بسبب هرطقته المسيحية - الـذي سـاعده على دراسة العهدين القديم والجديد والإعداد لظهور مذهبه أو دعوته(١)، وذلك عندما قال: "ذهبت للراهب الكاذب"(٢)، وهذه حجة واهية فلو كـان هنـاك أقـل قدر من التواصل بين محمد ﷺ وورقة لافترضته قـريش ولبنـت مزاعمهـا عليـه، فمثل هذه الصلات الدينية لا تخفى في مجتمع وثنى ضيق مكشوف لبعضه(٣).

وقد قال المؤرخ Godard: "إن الغرض الأساسـي للأسـطورة كـان وضـع تفسير رسمي وحقيقي للمسيحيين عـن مجـيء الإسـلام باعتبـاره وفـاءً للوعـود الإلهية لبني إسماعيل ﷺ، ومن جهة أخرى ليوضح أن اليد الواردة في الكتـاب المقدس هي ظاهرة عابرة، ستسقط في نهاية المطاف"(٤)، وقد بدء تـداول هـذه الأسطورة من القرن التاسع الميلادي باللغتين السريانية والعربية(٥).

وقد رأى المؤرخ جون بلوك John Block: "أن هذه الأسطورة هي عبـارة عن محاولة لتفسير الأحداث التاريخية الإسلامية المبكرة من خلال نظرة مسيحية لمسيحيين يعيشون تحت الحكم الإسلامي"(٦)، وأنها رسخت القول القائـل بـأن بحيرى قد قاد محمد للضلال، وإذا ما تأملنا القصص المتعلقة ببحيرى/ سرجيوس

---

(١) طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي، ص١٤٦.

Łodź, Islam, the Arabs and Umayyad Rulers, p. 99.

(2) The Chronicle of Theophanes, pp, 464-465.

(٣) إقبال بن عبد الرحمن، الوحي القرآني، ص ٣١٥.

(4) Goddard, B., Review of Roggema's The Legend of Sergius Bahira: Eastern Christian Apologetics and Apocalyptic in Response to Islam ', SJMS, vol, 85, no. 4, p. 1024.

(5) Griffith, The Qur'an in Arab Christian, p. 207.

(6) Block, V, J., Competing Christian Narratives on the Qur'an, The Qur'an in Christian-Muslim Dialogue: Historical and Modern Interpretations, ed. Ian Richard Netton, Isalmic Culture and Civilization (London: Routledge, 2013), p. 9.

نجدها قد تركت أثراً مثمراً في تشكيل الحوارات الأدبية في كل من المجتمعات المسلمة والمسيحية الغرض منه استخدام الحجج الجدلية أثناء عرض مبادئ الأديان الأخرى[1].

وترى الباحثة أن هذه الأحداث هي مزيج من رؤى رآها بحيرى في منامه نتيجة قرأته في الإنجيل عن سيدنا محمد ﷺ، وإن كان ما قاله بحيرى حقاً من أنهم كانوا يطيعونه لنجح في استمالتهم إلى دينه، لكن الثابت تاريخياً أنهم ظلوا على وثنيتهم حتى مبعث النبي ﷺ، كما أن هذه الرواية تختلف عما ذكر في الرواية الإسلامية من حديث بحيرى مع عم النبي ﷺ فجعلت الحديث مقتصراً على النبي فقط، كما أن الرواية الإسلامية لم تذكر أن النبي ﷺ قد التقى مرة ثانية ببحيرى، وذلك بعكس ما جاء في الرواية المسيحية، أضف لذلك أن الرواية الإسلامية لم تعطنا معلومات عن ذلك الراهب، بعكس الرواية المسيحية التي ذكرت قصة الراهب حتى وفاته، كما أنها رسخت أن بحيرى هو من أملى على النبي ﷺ القرآن الكريم؛ وذلك للتقليل من قيمة القرآن ككتاب وحي إلهي، كما أن ما جاء فيها لا يعتبر جديداً على ما قاله يوحنا الدمشقي وثيوفانيس ونيقيتاس البيزنطي الذي قال دحض الكتاب الكاذب لمحمد العربي[2]، وهو بذلك ينسبه للنبي محمد ﷺ، لكن بحيرى نسب الأمر لنفسه، والمتأمل لهذه الرواية يجدها في غاية الخطورة لأنها تنقض رسالة الرسول ﷺ وقدسية شريعته لأنها تنسب لأحد المسيحيين تعليمه القرآن الكريم، وقد رد الله ﷻ على مثل هذه الدعاوى الباطلة فقال ﷻ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾[3]، وقد برز أيضاً أن بحيرى كان يدعوا النبي محمد ﷺ للتبشير بالمسيحية[4]،

---

(1) Bertaina, An Arabic Acount of Theodore, pp. 91-110.

(2) Demetriades, Nicetas Byzantium, p. 22.

(٣) سورة النجم، آية ٣-٥.

(٤) كان بحيرى قد حثه على تبشير العرب بالمسيحية لكنه أصيب بخيبة أمل لأن محمد قد علم متبعيه ما يخالف المسيحية.

Odier, Levi Della Vida. Une version latine de l'Apocalypse syro-arabe de Serge-Bahira, p. 130.

وترى الباحثة إذا كان الأمر كذلك فكيف وعده برعاية مصالح المسيحيين والحفاظ عليهم وعلى ممتلكاتهم كما جاء في الأسطورة[١] إن كان سيصبح منهم؟! ، أضف لذلك أن هذه الرواية حاولت أن ترسخ وضع محمد ﷺ كتلميذ مطيع لبحيرى[٢]، كما أنها تحدت الإسلام بتحدي ماضيه من خلال إعادة كتابة أحداثه بما يحرم الإسلام من القول بأن أصل وحيه مقدس، بنسبه لعمل بشرى[٣]، فبذلك يظهر الإسلام وكأنه خلقاً بشرياً[٤]، وترى الباحثة أن هذه الرواية حاولت أن تثبت أنه قد تنامى لمسامع العرب بعض النبوءات ولربما هذا صحيح، ولكن بالنسبة لقوله إن محمداً ﷺ كان تلميذاً مطيعاً لبحيرى، يعد فرية؛ فإن كان قوله حقيقي فلماذا لم يذكر لنا دوره عند وفاة معلمه كقيامه بدفنه، أو حتى إظهار حزنه عليه.

ثم اختتمت الرواية بندم بحيرى على ما فعله فيقول مرهب الراهب راوي الرواية "بعدما فرغ بحيرى من ذكر النبوءة التي تنبأ بها تنهد وبكى على ما فعله من الخطيئة بمخالفته لله، فبكيت عليه وقلت الله يرحم عبيده الذين يؤمنون بقيامته، فقال لي: يا أخي مرهب أعلم أن ذنوبي جلبت على بما فعلته وتضمنه هذا الكتاب، وأنه سوف يقع في يد كثير من النصارى ويلوموني على صنعي الذي صنعته بهم؛ لأننى قد أيدت عليهم أعداءهم، لا تلومني أنت ولا يلمني الذي يسمعه فيما قد فعلته ووضعته"[٥]، ثم ذكر مرهب أنه جلس مع بحيرى عدة أيام فأصيب خلالها بحيرى بمرض ومات وكفنه، ولأنه تنبأ للعرب بما أعجبهم

---

(١) وذلك في قوله: "ما أريد منك من غرض الدنيا ولا ما قل ولا ما جل ولا مناى إلا العناية بأمر النصارى في أيام ملكك وملك قومك..".

.Gottheil, Achristian Bahira Legend, p. 267.

(2) Bertaina, An Arabic Account of Theodore, p. 120.

(3) Griffith, The Melkites and the Muslims, p, 427, Szilagyi, Muhammad and the monk, p. 169.

(4) Szilagyi, Muhammad and the monk, P. 169.

(5) Gottheil, A Christian, enclusion of the arabic text, p. 89- ff.

وكتب لهم كتاباً - القرآن -، حنطوا جسده ودفنوه بتبجيل وفخامة[١]، وترى الباحثة إن محاولة إظهار بحيرى نادم على ما فعله مع محمد ﷺ، يجعلنا نتسائل عن حقيقة رؤياه التي ذكرها فإذا كانت رؤياه صادقة ونافذة فما الذي يدعوه للحزن، خاصة أن ما فعله معه كان لابد أن يقع، أضف لذلك أنه قد صور نفسه في بداية رؤياه كمن تجرد من الدنيا وما فيها عندما رأى عذاب أهل النار وقال: "فبكيت وقلت ما يفيد الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه"[٢]، وتتسائل الباحثة إن كان بحيرى قد وصل لهذه الدرجة من الصفاء -كما صور نفسه- فهل يمكن أن يُدلس بعدما رأى ما رأى، وبالنسبة لقول مرهب بأن العرب حنطوا بحيرى وبجلوه، يجعلنا نتسائل إن كان الأمر كذلك فلما لم يرد ذكره في المصادر الإسلامية سواء المتقدمة أو المتأخرة، ولابد من التساءل أيضاً عن وقت موت بحيرى، ليتسنى لنا أن نقف على حقيقة قوله، وهل مات قبل فتح مكة أم بعده، لأن المصادر الإسلامية ذكرت أن العرب لم يؤمن معظمهم إلا بعد فتح مكة فهل عاش للفتح، ليوقره العرب بعد موته، لأنه كان السبب في هدايتهم ورفعة شأنهم، لذا كان حرى بمرهب أن يحدد لنا وقت موته ليتسنى لنا معرفة صدق قوله، وبالنسبة لقوله حنطوه... يحق لنا أن نتسأل هل كان التحنيط معروفاً بين العرب أم ماذا كان يقصد بحيرى بذلك.

وقد استغل هذا اللقاء في الكتابات البيزنطية التي يعود تاريخها إلى القرن التاسع الميلادي فاستخدم في الجدل البيزنطي للتدليل على أن النبي قد أخذ تعاليمه من الراهب المشوه للمسيحية[٣]، ويتضح مما سبق أن قصة بحيرى

---

(1) Bahkou, A., The Monk Encounters the Prophet—The Story of the Encounter between Monk Bahīra and Muhammad as It Is Recorded in the Syriac Manuscript of Mardin 259/2, CRS, Nov.-Dec. 2015, Vol. 3, No. 6, p. 350, Szilagyi, Muhammad and the monk, p. 171.

(2) Gottheil, A Christian Bahira Legend, p. 259.

(3) Odier, Levi Della Vida. Une version latine de l'Apocalypse syro-arabe de Serge-Bahira, p. 128.

الراهب في كل من المصادر الإسلامية والمسيحية عكست التفاعل الذي استمر لقرون طويلة بين الرهبان والعرب[١].

وقد أثيرت التساؤلات حول هوية معلم محمد ﷺ، فالراهب المسيحي في بعض الأحيان يدعى بأسماء مختلفة كسرجيوس[٢]، بحيرى[٣]، أو نستور Nastur[٤] ويقول المؤرخ Vila: "دعى الراهب في المصادر الإسلامية باسم بحيرى، أما في الأحاديث البيزنطية المبكرة ذكر بالراهب المجهول، لكنه عرف في أحاديث المسيحيين السوريين والتي يرجع تاريخها إلى القرن التاسع أو ربما العاشر الميلادي بالراهب سيرجيوس، ومن الواضح أن ثيوفانيس كان على دراية بالاسم الذي ذكره المسلمون"[٥]، وقد عدوا تعاليم محمد ﷺ جزء من احتيال معلمه لدعوة العرب لعبادة الله الواحد[٦]، وقالوا إن سرجيوس كان معلماً لجميع العرب، ولكن بعد ظهور محمد ﷺ تحول لمعلم خاص لمحمد ﷺ ويبدوا أنهما أحاطا مناقشاتهما بالسرية[٧].

وقصة لقاء محمد ﷺ بالراهب المسيحي تعد الأساس لسلسلة من الرؤى الرهبية والنبوءات التي تهدف إلى إظهار عدم وجود أي شيء أصلي على الإطلاق في تعاليم النبي محمد ﷺ[٨]، وأنه حُرض على ممارسة هذا الاحتيال من

---

(1) Bradford, B, C., The Qur'anic Jesus: A Study of Parallels with Non-Biblical Texts, PHD Theis, Michigan University, August 2013, p. 77.

(٢) يعرف كمعلم لمحمد ﷺ Theophanes, Chronologia, pp. 465-466, Reference 4.

(٣) هى كلمة سريانية وتعني "المختار".

Odier, Levi Della Vida. Une version latine de l'Apocalypse syro-arabe de Serge-Bahira, P. 128.

(4) The Chronicle of Theophanes, p. 465-466, reference, 4, Goddard, Review of roggema's the legend of sergius Bahira, p. 1023, Rhodes, John Damascene, p. 57

(5) Vila, Christian martyrs, pp. 214-215.

(6) Gottheil, Christian Bahira legend, p. 189.

(7) Goddard, Roggema the legened, p. 284.

(8) Bahkou, A., The Monk Encounters the prophet, The Story of the Encounter between Monk Bahīra and Muhammad as It Is Recorded in the Syriac Manuscript of Mardin 259/ 2, CRS, Nov-Dec. 2015, Vol. 3, No. 6, pp. 349-357.

قبل معلمه، الذي تمنى جلب العرب الجاهليين إلى معرفة إله واحد، كما تعد شكلاً من المهاترات الأدبية في العصور الوسطى، ولنا أن نتسائل لماذا يلجأوا للاحتيال ليعرف الناس التوحيد وهل حاول أحد قبلهم وعجز عن إقناعهم، لذا استخدم بحيرى هذه الحيلة؟، فالمعروف أن النفس السوية تقبل التوحيد بكل سلاسة لأنه يتوافق مع فطرتها السليمة.

وبالنسبة لقولهم التقى باليهود، تعد إشارة إلى تأثير اليهود عليه كعبد الله ابن سلام وكعب الأحبار[1]، وهذا الأمر غير صحيح فقد عاش النبي ﷺ في مكة ثلاثة عشر عاماً ولم يكن فيها أحد من اليهود، حيث كانوا يتواطنون في المدينة المنورة وما حولها، فلم ينقل إلينا أن النبي ﷺ رحل أو تردد على أي موضع من مواضعهم، أضف لذلك أن الكتاب المقدس لم يترجم للعربية إلا في القرن التاسع الميلادي أي بعد موت النبي ﷺ بثلاثة قرون، هذا فضلا عن أن القرآن الكريم في الفترة المكية كان دائم التأكيد على جوانب العقيدة وتصحيح أخطاء اليهود والنصارى فكيف يكون اليهود بتحريفهم وتزيفهم مصدراً للقرآن، وإن حصل ذلك فلماذا لم يواجهوا النبي ﷺ بأخذه عن كتابهم بعدما بادر بمعاداتهم، كما أنه لم يؤثر عن أحد من قدامى اليهود أو النصارى والذين عاصروا نزول الوحي ما يفيد بدعوى الأخذ عنهم؛ لذلك فإننا نجزم بأن اليهودية لم تكن مصدر معلومات للرسول ﷺ[2]، ويقول ابن القيم: "وقولهم هذا به بهت لأن أساس شريعة الإسلام كتاب الله الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وتحدى به الأمم كلها"[3].

ثالثاً: بشارات الأنبياء عليهم السلام برسول الله ﷺ

حاول يوحنا الدمشقي أن ينفى عن النبي ﷺ صفة النبوة فتسائل قائلاً: "من أعلن من الأنبياء أن سيأتي نبي كهذا؟ ومن هم الأنبياء الذين تنبأوا أن هذا نبي

---

(1) Munoz, F, G.,Consideraciones sobre la versión latina de las cartas de al-Hašimi y al-Kindi, Christiana Orientalia 2 (2005), p. 64.

(٢) إقبال بن عبد الرحمن إبداح، الوحي القرآني، ص ٢٩٥-٢٩٦.

(٣) هداية الحيارى، ص ١٨١.

سوف يظهر؟، وكيف يكون نبي وهو لم يأت بنفس طريقة الأنبياء ليس عليه شهود لم يشهد عليه أحد قبل مجيئه"[1]، وبذلك يكون يوحنا الدمشقي هو من بدأ هذا الزعم.

وكرر قوله البطريرك النسطوري تيموثي Timothy I (٧٧٩-٨٢٣م)[2] عندما سأله الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٥٨م)[3] عن النبي ﷺ فقال: "لم أر البتّة آية واحدة في الإنجيل أو في الأنبياء وغيرهم تشهد عن محمّد وعن أعماله

---

(١) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٥٢.

Nikolaou, A Survey of Byzantine responses to islam, p. 210, Sahas, John of Damascus, p. 135.

(٢) نسطوري وبطريرك كنيسة المشرق، ويعتبر أحد أهم بطاركة هذه الكنيسة خلال تاريخها حيث حاز على شهرة لنشاطه الأدبي وكقائد ديني ودبلوماسي فأصبح الممثل الرسمي لجميع المسيحيين الذين يعيشون تحت حكم العباسيين، وقد قام خلال عهده بعدة إصلاحات أعطى خلالها صلاحيات أكبر للبطركيات التبشيرية، غير أنه لم يعطها حق المشاركة في الإنتخابات البطريركية ساهمت هذه الإصلاحات في زيادة ونجاح الإرسالات التبشيرية لكنيسة المشرق في آسيا الوسطى والصين، للمزيد انظر:

Hackenburg, An Arabic-to-English Translation of the Religious Debate between the Nestorian Patriarch Timothy I and the 'Abbāsid Caliph al-Mahdī, MA, The Ohio State University, 2009, pp. 2-6.

كان عالماً مسيحياً بارعاً أنتج العديد من القطع اللاهوتية، بما في ذلك الأدب الاعتذاري، وكان يجيد لغات مختلفة كاليونانية والسريانية.

Harmakaputra, H, A., Muslim-Christian Debates in the early Abbasid period:The Cases of Timothy I and Theodore Abu Qurra, MIQOT Vol. XXXVIII No. 2, Juli-Desember 2014, p. 436.

(٣) هو محمد بن عبد الله المنصور، تولى الحكم بعد وفاة أبيه؛ فبويع له بالخلافة يوم السبت لست خلون من ذى الحجة، وبويع له ببغداد يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة، وتوفى لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة فكانت خفته عشر سنين وشهراً واثنين وعشرين يوماً، ابن حبيب، المحبر، ص ٣٦-٣٧؛ ابن قتيبة الدينوري أبي محمد عبد الله بن مسلم (٢١٣-٢٧٦ هـ/ ٨٢٨-٨٨٩م)، كتاب المعارف، تحقيق د/ ثروت عكاشة، ط ٤، دار المعارف، ١٩٨١م، ص ٣٧٩-٣٨٠.

واسمِهِ، ولو كان له ذكر في الإنجيل لكان ينبغي أن يصرّح عن مجيئه واسمه وذكر أمّته وشعبه في الكتب، كما يوجد محرّراً عن مجيء عيسى ﷺ في التوراة والأنبياء بنوع واضح فلا شيء من ذلك مذكور عنه البتة، وليس له ذكرٌ في الإنجيل قط، ويكمل كذبه فيقول: نحن لم نقبل محمّد ﷺ من حيث ليس لنا برهان واحد عنه في كتبنا؛ فلذلك ليس لنا ذنب في هذا، بل حاول أن يقنع المهدي بصدق قوله قائلا: لو رأيتُ نبوّة واحدة في الإنجيل عن مجيء محمّد لتركتُ الإنجيل وتبعتُ القرآن، وكنت أنتقل من هذا إلى هذا، كما انتقلتُ من التوراة والأنبياء إلى الإنجيل"(١)، لم يكتف الخليفة المهدي بهذا القول بل أراد معرفة معتقد البطريرك تيموثي فقال له: ماذا تعتقد في محمد ﷺ؟ فأجاب تيموثي قائلاً: إنّ محمّداً ﷺ يستحقّ المدح من جميع الناطقين، وذلك لأجل سلوكه في طريق الأنبياء ومحبّي الله، لأن سائر الأنبياء قد علّموا عن وحدانيّة الله، ومحمّد ﷺ علّم عن ذلك فسلك طريق الأنبياء، وكما أنّ جميع الأنبياء أبعدوا الناس عن الشرّ والسيّئات وجذبوهم إلى الصلاح والفضيلة، هكذا محمّد ﷺ أبعد بني أمّته عن الشرّ، وجذبهم إلى الصلاح والفضائل فإذاً هو أيضاً قد سلك في طريق الأنبياء ثم إنّ جميع الأنبياء منعوا بني البشر من سجدة الشياطين وعبادة الأوثان، وحرّضوهم على عبادة الله ﷻ، والسجود لجلالته، هكذا محمّد منع بني أمّته من عبادة الشياطين والسجدة للأوثان، وحرضهم على معرفة الله والسجود له تعالى، الذي هو وحده إله وليس بإله آخر سواه فقد اتّضح إذاً أنّ محمّداً ﷺ قد سلك في طريق الأنبياء ثم إن كان محمّد ﷺ قد علّم عن الله وكلمتِهِ وروحه، فجميع الأنبياء تنبأوا عن ذلك فمحمّد ﷺ إذاً قد سلك في طريق الأنبياء فمن لا يمدح ويكرّم ويبجّل ذاك الذي يحارب من أجل الله؟ ليس بالكلام فقط، بل وبالسيف أيضا أظهر الغيرة لأجل الباري تعالى"(٢).

---

(1) Hackenburg, C., An Arabic-to-English Translation of the Religious Debate between the Nestorian Patriarch Timothy I, pp. 78, 84, 85, 87.

(2) Hackenburg, An Arabic-to-English Translation of the Religious Debate between the Nestorian Patriarch Timothy I, pp. 9, 99.

والمتأمل لهذا القول يجده قد قام بذكر جميع الأشياء الإيجابية التي سنها لشعبه كالاعتقاد في إله واحد والتخلي عن عبادة الأصنام، ورغم ذلك لم يصرح بأن محمداً ﷺ كان نبياً.

لكنه قال إنه سلك طريق الأنبياء وكما فعل موسى النبي عليه السلام في بني إسرائيل الذين صنعوا عجلاً من الذهب وسجدوا له، فقتل بالسيف وأباد جميع الذين سجدوا للعجل؛ هكذا محمّد ﷺ أيضاً صنع، لمّا أظهر الغيرة لأجل الباري سبحانه تعالى، وأحبّه وكرّمه أكثر من نفسه وعشيرته وبني أمّته، والذين كانوا يتبعونه في إكرام الله ومخافته، كان يمجدهم ويكرّمهم ويمدحهم، ويوعدهم بالجنّة والمجد والإكرام من لدن الله في هذا العالم وفي الآخرة بالجنّة والذين كانوا يعبدون الأصنام ويسجدون لها، كان يحاربهم وينذرهم بعذاب أليم في نار الجحيم التي بها يحترق المنافقون وهم فيها خالدون وكما فعل إبراهيم خليل الله الذي ترك الأوثان وأبناء جنسه، واتبع الله وسجد له، فصار يعلّم عن وحدانيّة الله للأمم؛ هكذا صنع أيضاً محمّد، لمّا ترك سجدة الأوثان والذين كانوا يسجدون لها من بني جنسه وغيرهم من غرباء، فأكرم فقط ذاك الذي هو وحده إله الحقّ وسجد له لذلك كرّمه الله وسلّطه على الأمم"[1].

ولتفنيد هذا الزعم نجد أن يوحنا الدمشقي يعد المحرك الأول لهذا القول، ولربما ظنوا أن هذا الزعم الكاذب من أقوى حججهم ضد الإسلام والحق أن علماء أهل الكتاب يعلمون علم اليقين أن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ولا يكتمه منهم إلا جاحد معاند للحق أو ضال جاهل؛ لأنه ما من نبي من الأنبياء إلا وأخبره الله بمبعث محمد ﷺ[2] قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[3].

---

(1) Hackenburg, An Arabic-to-English Translation of the Religious Debate between the Nestorian Patriarch Timothy I, pp. 100-103.

(٢) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص٣٥-٣٦.

(٣) سورة ال عمران، آية ٨١.

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1]، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[2]، ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[3]، فقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[4]، ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[5]، ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[6]، وقد فند ابن ربن هذه الفرية فقال: "إن كانت نبوة الأنبياء لا تثبت ولا يجب قبولها إلا بتقدم النبوات عليها، فإن من صدق بنبي من الأنبياء لم تتقدمه نبوة نبي عليه فقد ضل وفتن فليخبرونا عن موسى عليه السلام[7] النبي من ذا

---

(١) سورة الاعراف، آية ١٥٧.

(٢) سورة البقرة، آية ١٤٦.

(٣) سورة البقرة، آية ٨٩.

(٤) سورة البقرة، آية ٧٥.

(٥) سورة النساء، آية ٤٦.

(٦) سورة المائدة، آية ١٣.

(٧) موسى بن عمران عليه السلام (القرن ١٣ ق.م) من أولى العزم من الرسل، ذكر القرآن قصته منذ ولادته وما حدث بينه وفرعون وبني إسرائيل والخضر، ثم دخوله الأرض المقدسة، وقد ورد ذكره في القرآن ١٣٤ مرة انظر: ابن ربن، الدين والدولة، ص٤٨، حاشية ٢٨.

الذي كان تنبأ عليه أو على داود عليه السلام[1]، أو أشعيا عليه السلام[2] أو أرميا عليه السلام[3]، وهم عندهم من أفاضل الأنبياء عليهم السلام ولا نبوة متقدمة عليهم فمن آمن بهم فقد خالف الحق إلى الباطل بقبوله إياهم وباء بسخط من رب العالمين[4]، لذا فلا حاجة في تصحيح خبر الأنبياء إلى نبوة متقدمة عليهم وقد كان من الأنبياء من له آية مذكورة ونبوة ناطقة في كتابه، لكنه ولم يتنبأ عليه قبله نبي، فلم يدفع بذلك حقه مثل موسى ودانيال[5] وأشعيا، ونظرائهم عليهم السلام، وأن منهم من جمع الله له ذلك كله مثل المسيح عليه السلام، الذي أظهر آيات باهرات، وتنبأ على الغائبات المستورات وتظاهرت عليه نبوات قبل ظهوره، ومنهم من له آية وليست له نبوة مذكورة في كتابه مثل أليسع[6] فإنه أحيا ميتين ولم يتنبأ بنبوة، وبعضهم لم يكن

---

(١) الحفيد الحادي عشر لإبراهيم عليه السلام وهو والد النبي سليمان عليه السلام وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل ورد ذكره في القرآن الكريم، كان غلاماً يرعى الغنم، انضم لطالوت/ شاول ملك إسرائيل في حربه مع الفلسطينين فاستطاع رغم حداثة سنه أن يقتل جالوت الجبار، الذي سرعان ما أراد قتله بالغدر لكن الله نصره وآتاه الملك والنبوة، اتخذ أورشليم عاصمة له، وقد أنزل الله عليه الزبور الذي هو مجموعة من القصائد والأناشيد التي تتضمن تسبيح الله وتمجيده والثناء عليه وقد كان يلحنها ويرددها بصوته الجميل فتأخذ بمجامع القلوب، فكانت الجبال والطيور تردد تسابيحه التي عرفت بالمزامير، ابن ربن، الدين والدولة، ص ٤٨-٤٩، حاشية ٢٩.

(٢) أحد كبار أنبياء بني إسرائيل الأربعة، قيل انه مات في القرن ٧ ق.م، انظر: ابن ربن الطبرى، الدين والدولة، ص٤٩، حاشية ٣٠.

(٣) أحد كبار بني اسرائيل ٦٥٠-٥٨٥ ق.م، تنبأ لمواطنيه بسقوط أورشليم ودعاهم إلى الخضوع لملوك بابل فاضطهدوه، وبعد سقوط المدينة نجا من السبي وهرب لمصر ومات بها، وينسب له كتاب مراثى ارميا، انظر: ابن ربن، الدين والدولة، ص٤٩، حاشية ٣١.

(٤) الدين والدولة، ص ٤٨-٤٩.

(٥) نبي من أنبياء بني اسرائيل لم يرد ذكره في القرآن، ورويت قصته في التوراة في سيرته المعروفه باسمه، انظر: ابن ربن، الدين والدولة، ص٥٠، حاشية ٣٢.

(٦) اسمه اليسع/ اليشع عليه السلام وهو أحد أنبياء بني إسرائيل، ويقال إن إليسع هو رفيق إلياس في رحلته وكان قد شفاه من مرض في صباه فأصبح تابعاً له فلقيا في طريقهما عليهما السلام=

لهم آية وكانت لهم نبوة وقد صحت نبوتهم بعد دهر طويل فلا حاجة له فيها على من شاهده ولا لمن قبل حجه في تصديقه إياه من غير آية أظهرها لأهل زمانه كحزيقال[١] النبي ويوشاع[٢] عليهم السلام، ومنهم من لم تكن له آية ولا نبوة ولا خبر مقنع في كتابه وهو معدود في زمرة الأنبياء مثل مالاخى[٣] وحجى[٤] وناخوم[٥] عليهم السلام، وكتاب الأنبياء منهم في ثلاث ورقات أو أربع فقط، ويوجد من ليس له كتاب ولا نبوة ولا آية ولا دلالة وقد عدوا من الأنبياء كمريم النبية أخت وحنة النبية[٦]، إذا بأي حال سموا أنبياء وهذه حالهم"[٧]، كما قال ابن تيمية: "ليس من شرط النبي أن يبشر به من تقدمه كما أن

= الصالح وهو الخضر، ويقال إنه العبد الصالح الذي ذكر في سورة الكهف، انظر: ابن ربن، الدين والدولة، ص٥٠، حاشية ٣٣، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم مرتين، ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ سورة الأنعام، آية ٨٦، ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾، سورة ص، آية ٤٨.

(١) أحد أنبياء إسرائيل الأربعة الكبار تنبأ بين ٥٩٣، ٥٧١ ق.م شجع شعبه في محنته بعد سقوط مملكة أورشليم في أيدى البابليين سنة ٥٨٦ ق.م، أي بعد السبي، ابن ربن، الدين والدولة، ص٥٠، حاشية ٣٤.

(٢) هوشع نبي من أنبياء بني إسرائيل الصغار تنبأ بين ٧٨٠-٧٣٠ ق.م، ويبكّتهم على نقضهم عهدهم مع الله، انظر: بن ربن، الدين والدولة، ص٥٠، حاشية ٣٥.

(٣) أحد انبياء بني اسرائيل في النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد، انظر: بن ربن، الدين والدولة، ص٥١، حاشية ٣٦.

(٤) حاجى، وهو من أنبياء بني إسرائيل عاش في الجلاء في العهد الفارسي ثم عاد لأورشليم فدعا لتجديد بناء الهيكل ٥٢٠ ق.م، ونبوءته سفر من أسفار العهد القديم، انظر: ابن ربن، الدين والدولة، ص٥١، حاشية ٣٧.

(٥) من أنبياء بني اسرائيل تنبأ على خراب أشور ٦١٢ ق.م، انظر: ابن ربن، الدين والدولة، ص٥١، حاشية ٣٨.

(٦) حنة من بنات إسرائيل التقيات ذكر إنجيل لوقا أنها كانت أرملة مسنة وجدت في هيكل أورشليم يوم قدم يسوع شغلى سمعان الشيخ فأشادت بمديحه، انظر: ابن ربن الطبري، الدين والدولة، ص٥١، حاشية ٤٠.

(٧) ابن ربن الطبري، الدين والدولة، ص٤٨-٥١.

موسى كان رسولاً إلى فرعون ولم يتقدم لفرعون به بشارة وكذلك الخليل أرسل للنمرود ولم يتقدم به بشارة، وكذلك نوح وهود وصالح وشعيب ولوط لم يتقدم هؤلاء بشارة إلى قومهم بهم مع كونهم أنبياء صادقين"[١].

وبالنسبة لقول البطريك تيموثي يحق لنا أن نتسائل هل هذا القبول تصالحي أو السلبي لنبوة محمد من جانب البطريرك؟ على الأرجح كان تدبيراً بلاغياً بسيطاً استخدمه المسيحيون عند مناقشة المسلمين، حيث مكنتهم من التمسك بإجابة غير مرضية لكنها في نفس الوقت لا تسيء لأسيادهم المسلمين، ولدحض قولهم بأنه لم يبشر به أحد من الأنبياء نجد القرآن الكريم يُقر بأنه مكتوب في كتبهم وصف ونعت النبي ﷺ قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[٢]، ومن أمثلة ما جاء في الكتاب المقدس من بشارات عدة:

أولاً: في التوراة:

أ- بشارة موسى عليه السلام على النبي محمد ﷺ:

حوت التوراة على بشارات بالنبي محمد منها "جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبل فاران"[٣]، وهذه إشارة إلى نزول التوراة على موسى عليه السلام في جبل سيناء والإنجيل على عيسى عليه السلام في ساعير قرب بيت المقدس والقرآن على محمد ﷺ في مكة، التي قصد بها فاران، التي عاش فيها نبي الله إسماعيل عليه السلام وأبناؤه من بعده ومنهم النبي محمد ﷺ حفيده، كما ذُكر في سفر التكوين عن إسماعيل عليه السلام "وسكن في برية فاران"[٤]، وقد علق ابن ربن فقال: "فولده

---

(١) شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ت ٧٢٨ هـ، تحقيق وتعليق د/ على حسن بن ناصر وآخرون، دار العاصمة للنشر، ط ٢، السعودية، ١٩٩٩م، مج ٢، ص٣٢.

(٢) سورة الأعراف، آية ١٥٧.

(٣) تثنية، الإصحاح الثالث والثلاثون، آية ٢.

(٤) الإصحاح الحادي والعشرون، آية ٢١.

إسماعيل عليه السلام وأعقابه فيها وفيما حولها يعرفون مأوى جدهم ولا يجهلون بلده ووطنه"[١]، وقد علق الترجمان على هذه الآية فقال: "جبال فاران هي مكة وأرض الحجاز، وفاران اسم رجل من ملوك العمالقة الذين اقتسموا الأرض فكان الحجاز وتخومه لفاران القطر كله باسمه، وفي مقولة التوراة[٢] جاء الله من طور سيناء، يريد ظهور دينه وتوحيده ما أوحاه لموسى عليه السلام بطور سيناء، وطلع من سعير يعنى جبلاً بالشام به كان ظهور دين عيسى عليه السلام بما أوحاه الله إليه، وظهر من جبل فاران يريد ما أظهره وأكمله من دين الإسلام بمكة والحجاز على يد نبينا محمد ﷺ بما أوحاه إليه، وقوله القديسون "فهم الرجال الصالحون وهم أصحاب نبينا محمد ﷺ لأنهم كانوا معه ولم يتركوه قط[٣]، كما جاء في سفر التثنية قول الله لموسى عليه السلام: يقيم لك الرب إلهك نبياً وَسَطِكَ من إخوتكَ مثلى له تسمعون.... أقيم لهم نبياً من وسط إخوانهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أُوصيه به، ويكون الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه [٤]، وفي هذا النص يتضح أن كليم الله موسى عليه السلام كان يريد أن يطمئن على بني إسرائيل من بعده فأعلمه الله أنه سيرسل رسولاً مثله، فهذه بشارة بمحمد ﷺ، فالنص يقول إن الله يقيم نبياً من وسط أخوتهم مثلك" ولم يقل منهم، أي من بني إسرائيل، فلم يرسل الله نبياً من إخوة بني إسرائيل إلا محمداﷺ من إخوتهم، ولو كان منهم لقال الله من أنفسهم، ومن ادعى أن هذه النبوة في المسيح فقد ظلم لأن المسيح بن داود عليه السلام وهو من أنفسهم وليس من إخوتهم[٥]، والمقصود بإخوتهم بني إسماعيل، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[٦].

---

(١) الدين والدولة، ص١٣٩.

(٢) "جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران" تثنية، الإصحاح الثالث والثلاثون، آية ٢.

(٣) الترجمان، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٤) الإصحاح الواحد والعشرون، آية ٢١.

(٥) ابن ربن، الدين والدولة، ص١٣٨؛ الترجمان، تحفة الأريب فى، ص ٢٦٠-٢٦٤.

(٦) سورة البقرة، آية ١٢٩.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1]، أي محمد ﷺ، والمعروف عبر العصور التالية لموسى عليه السلام أنه لم يأت نبي بمثل ما أتى به موسى عليه السلام إلا محمداً ﷺ الذي جاء بالقرآن وبالشريعة الكاملة، فبعدما نكص اليهود عن شريعة موسى عليه السلام وعطلوها وحرفوا فيها، وقوله: "واجعل كلامي في فمه"، أي القرآن يوحيه الله تعالى إلى نبيه ثم يتلوه بفمه على الناس، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾[2]، فالله سبحانه وتعالى يسر كلامه على لسان محمد ﷺ ليتلوه على الناس ويُنذرهم به، وأمره بأن يجير المشرك حتى يسمع كلام الله، ومعروف أن المشرك لن يسمع كلام الله مباشرة منه تعالى، ولكن يسمعه من رسوله الذي يبلغه للناس جميعاً، فالقرآن هو كلام الله ﷻ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا سبيل لأحد إلى تحريفه لأن الله تكفل بحفظه قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[3]، إضافة إلى أن الله لم يقم لبني إسرائيل نبياً منهم مثل موسى عليه السلام، فكل أنبياؤهم كانوا أقل مرتبة منه، ودليل ذلك في سفر التثنية "ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه"[4]، وفي هذا نفي مطلق أن يظهر في بني إسرائيل نبي مثل موسى عليه السلام الأمر يثبت قطعاً أن النبي المشار إليه من بني أخوتهم هو محمد ﷺ فلم يكن لهم شريعة غير التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام وبهذا يتضح أنه ليس هناك نبي مثل موسى عليه السلام جعل الله كلامه على فمه غير محمد ﷺ[5]، ولأحمد ديدات رد بليغ حيث قام بعقد مقارنة بين المسيح وموسى عليهما السلام، والنبي محمد ﷺ

---

(1) سورة الجمعة، آية ٢.

(2) سورة مريم، آية ٩٧.

(3) سورة الحجر، آية ٩.

(4) الإصحاح الرابع والثلاثين، الآية ١٠.

(5) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص ٣٨.

خلص بها أن يسوع ﷺ لا يشبهه موسى ﷺ بل محمد ﷺ هو الذي يشبهه، وأن المراد بني أخوتهم هو محمد ﷺ[1].

ب- بشارة داود ﷺ على النبي محمد ﷺ:

تحدث النبي داود ﷺ في مزاميره عن النبي محمد ﷺ فقال: "أنت أبرع جمالاً من بني البشر إنسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد..."[2]، وأيضاً قوله: " يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق..."[3]، وقد علق ابن ربن قائلاً: " لا نعرف أحداً تجب له هذه المعاني من تقليد السيف وشحذ النصول وهيبة اليمين، ووقوع الأمم تحته إلا النبي ﷺ فقد ركب كلمة الحق وتواضع لله بالديانة، وجاهد المشركين حتى ظهر الدين، وخرت الملوك بين يديه وأمته سجداً على الركب ولحس أعداؤه التراب، وأتته ملوك اليمن بالقرابين، ولا نعلم أحداً يصلي ويبارك عليه في كل وقت غير محمد وهو قول الأمم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، فأية دلالة أشهر ونبوة أظهر وأنور من هذه"[4]، وقد وجدت بشارات في سفر إشعيا تحدثت عن بعثة النبي محمد ﷺ[5] كما بشر حبقوق النبي ﷺ[6] ....

---

(١) أحمد ديدات، ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد، ترجمة وتحقيق إبراهيم خليل أحمد، تقديم عوض الله جاد حجازي، دار المنار، ١٩٨٨م، ص ١٩-٥٢.

(٢) مزامير، المزمور الخامس والأربعون آية ٢- ٥، ١٦- ١٧.

(٣) مزامير: المزمور الثاني والسبعون آية ٢- ١٩.

(٤) ابن ربن، الدين والدولة، ص١٣٩-١٤٢؛ علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص٤٢.

(٥) الإصحاح الخامس، آية ٢٦-٣٠، الإصحاح التاسع، آية ٢-٤، الإصحاح الثاني والأربعون، آية 1-21، الإصحاح الرابع والخمسون١- ١٧؛ ابن ربن، الدين والدولة، ص ١٤٥-١٤٦؛، ص ١٥٨-١٥٩؛ الترجمان، تحفة الأريب، ص ٢٨٠.

(٦) نبي في يهوذا من سبط لاوي وأحد المغنين في الهيكل، وسفره يعد الثامن في النبوات الصغيرة، قاموس الكتاب المقدس ص ٢٠١، ٦٣٨، ابن ربن، الدين والدولة، ص١٦٨، حاشية ٢٨٦؛ ومعنى حبقوق المعانق، ويقال إنه كان كيعقوب يصارع الله بالصلاة، ويقرون أنه كان لاوياً من سبط لاوي بن يعقوب، ويتكون سفره من ثلاث اصحاحات، انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح، مج ٢، ص ٢٤، حاشية ٢.

على النبي محمد ﷺ[(١)]، بشارة إرميا عليه السلام على النبي محمد ﷺ[(٢)] بشارة النبي دانيال عليه السلام [(٣)] على النبي محمد ﷺ[(٤)]، وعلى الرغم مما أحدثه أحبار يهود في التوراة المتداولة من تحريف وطمس اسم محمد ﷺ[(٥)].

ثانياً: بشارته ﷺ في الإنجيل

أ- يوحنا المعمدان يبشر بمحمد ﷺ

وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلا توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات[(٦)]، فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين[(٧)] يأتون إلى معموديته قال لهم: يا أولاد الأفاعي من أراكم أن

---

(١) حبقوق، الإصحاح الثالث، آية ٣-١٥، وقد علق ابن ربن على هذا الإصحاح، انظر: الدين والدولة، ص١٧٠.

(٢) إرميا، الإصحاح الأول، آية ٤-١٠، ابن ربن، الدين والدولة، ص ١٧٤.

(٣) من سبط يهوذا ويمتد نسبه إلى عائلة داود بن يسى، ومعنى اسمه في العبرية " الله ديانى أو قاضي"، عاش عصر المحنة الكبرى التي تعرض لها شعب يهوذا، وقد أسر في غزو بابل، وهو الذي فسر حلم ملك بابل عن التمثال العظيم كما ورد في سفر دانيال، بن ربن، الدين والدولة، ص ٢٤ -٢٥، حاشية ٥.

(٤) الإصحاح الثاني، آية ٣١-٤٥، الإصحاح السابع، آية ١-٢٥، بن ربن الدين والدولة، ص١٨١- ١٨٢.

(٥) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص٤٣-٤٤.

(٦) انجيل متى، الإصحاح الثالث، آية ١-٣؛ انجيل مرقس، الاصحاح، ١، اية ٢-٣؛ انجيل لوقا، الاصحاح الثالث، اية ٤، انجيل يوحنا، الإصحاح الأول، آية ٢٣؛ الكتاب المقدس، إصدار دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط

(٧) فرِّيسيّ، فَرِّيسيون: الكلمة من الأرامية ومعناها "المنعزل" وهي أحدى فئات اليهود الرئيسية الثلاث التي كانت تناهض الفئتين الأخرين فئتي الصدوقيين والأسينيين، وكانت أضيقها رأياً وتعليماً، كان الفريسيون في أول عهدهم من أنبل الناس خلقا وأنقاهم دينا، وقد لاقوا أشد الاضطهاد، غير أنه على مر الزمن دخل حزبهم من كانت أخلاقهم دون ذلك، ففسد جهازهم واشتهر معظمهم بالرياء والعجب فتعرضوا عن استحقاق للإنتقاد اللاذع والتوبيخ القاسي. =

تهربوا من الغضب الآتي فاصنعوا ثماراً تليق بالتوبة ولا تفكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم، والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار"[1]، وأيضاً "أنا أعمدكم بماء التوبة، ولكن الذي يأتي بعدى هو أقوى مني الذي لست أهلا أن أحمل حذاءه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار الذي رفشه في يده وسينقي بيدره[2] ويجمع قمحه إلى المخزن وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ"[3].

إن المتأمل لهذه النبوءة يجد أن يوحنا عاصر المسيح ﷺ، لذا فإنه عندما يقول اقترب ملكوت السموات إنما يعني محمد ﷺ وليس المسيح ﷺ، فهذا يدل أن البشارة بمحمد ﷺ وليس عيسى ﷺ، وكلمة صوت صارخ في البرية هو صوت المسيح ﷺ الذي يمهد الطريق للرسالة الخاتمة، كما أن يوحنا يوبخ الصدوقين والفرسيين لاستنادهم لمجرد النسب لإبراهيم ﷺ، وحديثه أن الفأس وضع على أصل الشجرة إنما يعنى به أن النبوات والرسالات قد تتابعت فيهم

= أما صدوقيٌ/ الصدوقيّون: يظهرهم العهد الجديد أنهم والفريسيين طائفتان متخاصمتان في اليهودية، والصدقيون فرقة صغيرة نسبيا ولكنها مؤلفة من مثقفين جلهم أغنياء وذو مكانة مرموقة، لأن هذه الطائفة مؤلفة من رؤساء الكهنة والأرستقراطية الكهنوتية، وقد عم الرأي أن اسمها مشتق من صادوق رئيس كهنة في أيام داود وسليمان، وفي عائلته حفظت رئاسة الكهنوت حتى عصر المكابيين فكانت تقود شؤون في القرنين الرابع والثالث في العصرين الفارسي واليوناني أخذت وربما غير واعية تضع الاعتبارات السياسية فوق الدينية فزجوا بأنفسهم في السياسة فكانوا يصرون على أهمالهم لعادات الشيوخ وتقاليدهم والتقرب إلى الثقافة والنفوذ اليوناني، وقد تأثروا بالمذهب السقراطي فرفضوا كل ما لا يدعمه العقل، انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٦٨، ص ٤٦٢.

(١) إنجيل متى، الإصحاح الثالث، آية ٧-١٠؛ لوقا، الإصحاح الثالث، اية ٧-٩.

(٢) رفشه: معوله وفأسه، البيدر: الجرن الذي يدرس فيه القمح ليفصل عن التبن انظر: محمد عبد الرحمن عوض، والإختلاف والإتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة، دار البشير للطباعة، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١٢٧، حاشية ١ -٢.

(٣) إنجيل متى، الإصحاح الثالث، آية ١١-١٧.

ردحاً من الزمن، وأن قطع الشجرة يعنى أن المسيح عليه السلام هو آخر أنبياء بني إسرائيل ثم تنتقل لأبناء إسماعيل عليه السلام، وبالنسبة لطريقة تعميد يوحنا ستظل في عهد المسيح لكنها ستتغير منذ عهد محمد ﷺ فبمجرد أن يشهد الإنسان الشهادة يضحى مسلماً، وتحل فيه روح الإيمان، وقوله الذي يأتي بعدي أقوى مني إشارة للنبي ﷺ لأن المسيح كان مطارداً حتى رفعه الله ﷻ للسماء ومحمد ﷺ هزم أعداءه، وقوله لست أهلاً أن أحمل حذاءه تشير للنبي ﷺ لأن المسيح عليه السلام قد تعمد على يديه، وقوله سينقي بيدره يعنى مكة لأن الناس يذهبون للطواف وهو أشبه بما يحدث في البيدر، ولم يحدث أن نظف أحد بيدره كالرسول ﷺ فمكة محرمة على المشركين، وقوله يجمع قمحه إشارة لمن آمن بمحمد ﷺ، ومن رفض فهو أهون على الله فيحرقهم بالنار[1].

ب-المسيح عليه السلام يبشر بمحمد ﷺ:

تعرض الخليفة المهدي لكلمة البارقليط/ الفارقليط أثناء حديثه مع البطريرك تيموثي في أواخر القرن الثامن الميلادي حين قال له: من هو الفارقليط؟ فأجاب البطريرك: هو روح الله، وأقر بأن الكلمة موجودة بالفعل لديهم، لكنه رفض جعلها شهادةً عن محمّد بل قال إنّها تعنى روح الله، فسأله المهدي: وما هو روح الله؟ فأجاب البطريرك: إن روح الله هو الله، ذو الطبيعة الإلهية، وله خاصة أن ينبثق كما علمنا عنه يسوع المسيح، فقال المهدي: ومن هو الذي تكلم عنه عيسى عليه السلام؟، فأجاب البطريرك: إن المسيح قال لتلاميذه: "لما أصعد إلى السماء أرسل لكم الروح الفارقليط الذي ينبثق من الآب؛ الذي العالم لم يقدر أن يقبله، وهو عندكم وفي وسكم، الذي يعرف كل شيء ويفحص كل شيء حتى أعماق الله، وهو يذكركم بجميع الحق الذي قلته لكم، ذاك يمجدني؛ لأنه يأخذ مما لي ويخبركم، فقال المهدي: هذه جميعها تدل عن مجيء محمد ﷺ، فأجابه البطريرك قائلاً: إن كان محمد هو الفارقليط،

---

(١) محمد عبد الرحمن عوض، والاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة، ص١٢٧-١٣٠.

فالفارقليط هو روح الله؛ فإذاً محمد هو روح الله، وروح الله ليس بمحدود كالله؛ فإذاً محمد هو غير محدود والذي هو غير محدود، لا يُدرك بالنظر؛ فإذاً محمد لا يُدرك بالنظر، والذي هو غير مدرك بالنظر هو غير مجسم؛ فإذا محمد هو غير مجسم والذي هو غير مجسم هو غير مركب فإذا محمد هو غير مركب وإن كان محمد هو مركب ومُجسَم ومنظور ومحدود، ليس هو بروح الله والذي ليس هو بروح الله، ليس هو الفارقليط، فإذاً محمد ليس هو الفارقليط، ثم إن الفارقليط هو من السماء ومن الآب، ومحمد هو من الأرض من طبيعة آدم؛ فإذاً محمد ليس بالفارقليط، والفارقليط أيضاً يعرف أعماق الله، ولكن محمد يعترف بأنّه يجهل أيضاً الأمور التي تقع به وبالذين يؤمنون به؛ فإذاً محمد ليس هو الفارقليط ثم إن الفارقليط كان مع الحواريّين وفي وسطهم، كما قال المسيح إذ كان يخاطبُهم ومحمد لم يكن مع الحواريين ولا في وسطهم؛ فإذا ليس هو بالفارقليط وأيضاً، إن الفارقليط بعد عشرة أيّام لصعود عيسى ﷺ إلى السماء تظاهر للحواريّين ومحمد بعد ستمائة سنة ونيّف ظهر؛ فإذاً محمد ليس بالفارقليط، وأيضاً، إن الفارقليط علّم الحواريّين عن الله أنّه بثلاثة أقانيم، ومحمد لا يعتقد بذلك[1]؛ فإذا ليس هو الفارقليط، ثم إن الفارقليط قد صنع على أيادي الحواريّين معجزات كثيرة وآيات متعددة، ومحمد لم يصنع آيةً واحدة على أيدي أصحابِه وتابعيه؛ فإذاً ليس هو بالفارقليط، ثم إن الفارقليط هو مساوى للآب والابن بالطبيعة؛ ومن ذلك يُعرف أنّه أيضاً خالقّ القوات السماويّة، مثلما قال داود النبي عن روح الله" وبروحِه خُلِقت جميع القوات السماويّة والأرضيّة، والحال أن محمد ليسهو بخالق فإذاً ليس هو بالفارقليط"[2].

والمتأمل لقول البطريرك يجده يعترف بأن الفارقليط قد ذكره المسيح فعلاً وأنه ظهر، لكنه يحاول أن يمحى أن الاسم مرتبط بالنبي محمد ﷺ ويتجاهل تماماً ما جاء على لسان النبي عيسى ﷺ بشارات عدة بالنبي محمد ﷺ منها ما جاء في

---

(١) عنه انظر: الفصل الثالث.

(2) Hackenburg, An Arabic Arabic-to-English Translation of the Religious Debate, pp. 79-84.

إنجيل برنابا[١]، متى[٢]، ولوقا ومرقس[٣]، ويوحنا[٤]، وقد جاء في هذه الأناجيل ما يثبت أن النبي محمد هو خاتم الأنبياء، كما أوضح المسيح عليه السلام نكوص بني إسرائيل وعدم وفائهم بعهدهم مع الله وموقفهم من أنبيائهم، إلى أن نزع الله منهم الخيرية والنبوة ببني إسماعيل وبعث فيهم محمداً ﷺ فهو حجر الزاوية في بيت الأنبياء وخاتم المرسلين فقد أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة أن النبي قال: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين[٥]".

وكلمة المعزي الموجودة في الترجمات الحالية هي كلمة الفارقليط الشائعة في الترجمات القديمة[٦]، ولفظ محمد في الإنجيل Paraclete البارقليط/ الفارقليط، وهي كلمة يونانية قديمة وتعني أحمد الحماد المحمود الأحمد أي

---

(١) "أن الله سيأخذ من تلك الكتلة مئة وأربعة وأربعين ألفاً مسومين بسمة النبوة ورسول الله الذي خلق الله روحه قبل كل شيء، الفصل الخامس والثلاثون، وقد جاء الأنبياء كلهم إلا رسول الله الذي سيأتي بعدي لأن الله يريد ذلك حتى أهيئ طريقه"، الفصل التاسع والثلاثون، الفصل الحادى والأربعون، إنجيل برنابا، ترجمه من الانجليزية، د/ خليل سعادة، دار البشير، القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٢٧-١٢٨، ص ١٣١-١٣٤.

(٢) "أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه"، الإصحاح الحادي والعشرين آية ٣٣-٤٣، توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات"، الإصحاح الرابع، آية ١٧، الإصحاح السادس، آية ٩-١٠، الإصحاح العاشر، آية ٧.

(٣) لوقا، الإصحاح الثامن، اية ١؛ مرقس الإصحاح الأول، آية ١٤-١٥.

(٤) انجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر، آية ١٥-١٦، الإصحاح الخامس عشر، آية ٢٦-٢٧، الإصحاح السادس عشر، آية ٧.

(٥) العسقلاني، الإمام أحمد بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ج6 ، المكتبة السلفية، الرياض، ١٣٧٩هـ، ص ٥٥٨-٥٥٩، حديث رقم3534 -٣٥٣٥

(٦) ابن ربن، الدين والدولة ص 124-125.

كثير الحمد، وإذا حرف نطق لفظ فارقليط قليلاً يصير بيريكليت ومعناه الحمد أو الشكر وهو قريب من لفظ أحمد [(١)]، وقد قال الله على لسان عيسى عليه السلام في محكم كتابه" ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [(٢)]، حاول أصحاب الإنجيل أن يجعلوه معزياً، والمتأمل لوصف فارقليط/ بارقليط أو المعزى وما تلاها من يعلمكم كل شيء أو يمكث معكم للأبد يجده وصف للرسول ﷺ [(٣)]، وقد أشار إلى هذه الحقيقية الترجمان فقال: "الفارقليط اسم للنبي محمد ﷺ الذي نزل عليه الكتاب الرابع، وقد كانت هذه الكلمة هي سبب إسلامي [(٤)].

وقد كان حرى بالبطريرك تيموثي أن يوضح أكثر من ذلك خاصة أن ما ذكره يعد غير كاف للتعرف عليه، بل إنه يناقض نفسه، فإذا ما رفض قبول كون النبي ﷺ الفارقليط لأنه يدرك، فكيف نزل الفارقليط للحواريين وكيف رأوه وأدركوه إن كان من صفاته ألا يدركه أحد لأنه غير محدود ولا يراه أحده، فإن رأوه بطلت حجته، وترى الباحثة أن ما ذكره البطريرك تيموثي وفق اعتقاده يتطابق مع رؤية النصارى للمسيح، بل وكأنه يتحدث عن مسيح آخر مكمل للمسيح عليه السلام، وبالنسبة لقوله إن الفارقليط يعرف أعماق الله، يعد تجاوزاً منه فوافق كلامه أن المسيح هو من أرسله، والكتاب المقدس حوى أخبار عن عدم معرفة المسيح للغيب [(٥)] مما يتطابق مع وضع النبي محمد ﷺ.

رابعاً: زواج الرسول ﷺ في الكتابات البيزنطية

يعتبر موضوع زواج الرسول ﷺ من أهم الموضوعات التي نالت حظاً لدى الجدليين البيزنطيين فتعاملوا معه بطريقتين فريق اختار الحديث عن تفاصيل

---

(١) محمد عبد الرحمن عوض، الاختلاف والاتفاق، ص ١٢٥.

(٢) سورة الصف، آية ٦.

(٣) محمد عبد الرحمن عوض، الاختلاف والاتفاق، ص ١٢٦.

(٤) الترجمان، تحفة الأريب، ص ٦٧-٦٨، ٢٦٨-٢٦٩.

(٥) سيتم التعرض له في الفصل الثالث.

زواجه من بعض النساء، وحاولوا أن يلصقوا بالنبي تهماً، وذلك من خلال اتهام النبي ﷺ بما ليس فيه، وفريق آخر تحدث عن موضوع الزواج بشكل عام ولم يتعرض لأزواجه ﷺ.

وبالنسبة لأصحاب الفريق الأول فقد تصدرهم المؤرخ البيزنطي ثيوفانيس الذي خصص حديثه عن السيدة خديجة، ولم يتكلم بوجه عام فقال: "وشيئاً فشيئا أصبح أكثر جرأة وحظوة مع تلك المرأة التي كانت أرملة، لتصبح زوجته، فحاز على جمالها وثروتها"[١].

وقد كرر نفس القول جورج الراهب الذي قال: "وشيئاً فشيئا حصل على ثقة المرأة فحاز على الجمال والجواهر[٢] أي إنها ارتقت به إلى الثروة والترف"[٣]، والمتأمل لقولهم يجدهم يحاولون أن يلصقوا بالنبي ﷺ عدة اتهامات أبرزها أنه سعى لاستغلال السيدة خديجة بالتودد إليها ومن ثم الزواج منها، حتى يستولى على أموالها[٤]، وما سبق يوضح أن البيزنطيين كانوا على بينة بزواج محمد من خديجة التي كانت تكبره بنحو ١٥ عاماً؛ كما كانوا يعرفون أنه كان يعمل عندها سابقا، لذا وضعوا دوافع سلبيه بخصوص هذا الزواج حيث رأوا أن زواجه من أرملة تكبره بخمسة عشر عاماً يعد شيء انتهازي للحصول على الثروة والمكانة في المجتمع[٥]، وبذلك استخدم ثوفانيس نغمة سلبية خلال حديثه في هذه الفقرة حيث صور خديجة كضحية لمحمد ﷺ[٦].

وبالنسبة لقول ثيوفانيس "تزوج الأرملة، فرغم أنه ذكر حدث صحيح وهو زواجه ﷺ من أرملة غنية [٧]، ألا وهي السيدة خديجة [٨] بنت خويلد بن أسد بن

---

(1) The Chronicle of Theophanes, p. 464.

(2) Harmartolus, Chronicon, p, 866.

(3) Lcdr, Arab-Byzantine war, p, 22.

(٤) طارق منصور، والمسلمون في الفكر المسيحي، ص ١٤١.

(5) Lcdr, Arab-Byzantine war, p. 22, Nikolaou, A Survey of Byzantine, pp. 4-5.

(6) Vila, Christian martyrs, p. 217-218.

(٧) جوزيف داهموس، سبع معارك، ص ٦٠؛ ريتشارد ساليفان، ورثة الإمبراطورية، ص٦٤.

(٨) وجدت أحاديث عدة توضح فضل ومكانة خديجة رضي الله عنها يمكن الرجوع إليها انظر: الزبيدي، فتح الباري، حديث رقم ١٥٤٣ -١٥٤٤، ص ٦٢٥-٦٢٦.

عبد العزى بن قصي بن كلاب[1]، وهي أول من تزوج، وهو في الخامسة والعشرين ولم يبحث عن " البكر " التي تكون أحظى للقبول وأولى للباحثين عن مجرد المتعة وإنما تزوج امرأة تكبره بحوالي خمسة عشر عاماً، ثم إنها ليست بكراً بل هي ثيب[2]، لكنه لم يكن منصفاً في ذكر ما جاء في المصادر الإسلامية من أنها هي التي اختارته بعد ما لمست بنفسها أمانته وعفته وطيب شمائله ﷺ وذلك من خلال مباشرته لتجارتها[3]، والمتعارف عليه أنه عندما أخبرها غلامها ميسرة بما قاله له الراهب[4] عن محمد ﷺ عرضت نفسها عليه[5]، فقالت يا بن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك مني وشرفك في قومك ووسطتك فيهم وأمانتك عندهم، وحسن خلقك وصدق حديثك، وقد كانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا، وكل قومها قد كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر على ذلك [6]، فذكر كلامها لأعمامه فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خُويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوجها[7].

والمتأمل لهذه الفرية يجد أنهم يحاولون أن يظهروا النبي بأنه استحوذ على أموالها ليحقق نفوذاً سياسياً يؤهله للسيطرة على الشعوب، وعلهم بذلك يحاولون الإيحاء بأنه كان بلا مكانة في مجتمعه وأن زواجه من خديجة هو من رفعه وأعلى من شأنه وهذا شيء عارٍ من الصحة، فالنبي قد اشتهر في مكة بحسن خلقه

(١) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج١، ص ١٢٩-١٣٠؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٢١٢، حاشية ٣، ٢١٤؛ البلاذري، كتاب جمل من أنساب الأشراف، ج٢، ص٢٣.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص ٢٩١.

(٣) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج١، ص ١٢٨؛ البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثاني، ص٦٧.

(٤) لم يذكر ابن إسحق وابن هشام إسم الراهب، بل ذكره ابن خلدون ونعته ببحيرا، انظر: تاريخه، ج ٢، ص ٤٠٨.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص٢١٢-٢١٤.

(٦) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج١، ص ١٢٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص٢١٢-٢١٤.

(٧) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج١، ص ١٣٠؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص٢١٥؛ البيهقي، دلائل النبوة، السفر الأول، ص ٩٠-٩١.

وأمانته وصدقه[١]، بل كان هذا دافع لخديجة لتطلبه ليعمل بتجارتها كما سعت للزواج منه لأمانته وصدقه، أضف لذلك أن النبي كان ذو نسب وشرف كبير[٢]، وقد قال الله عن أخلاق النبي ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣]، وقد تزوجها النبي ﷺ لشرفها ونبلها، حتى إنها كانت تلقب بالعفيفة الطاهرة والمتأمل لزواجها بالصادق الأمين وإنجاب الذرية الصالحة لمكرمة أكرم بها الله نبيه ﷺ ليظل في مكانة اجتماعية مرموقة لا مطعن فيها[٤]، ولم يتزوج ﷺ على خديجة في حياتها، حيث ظلت زوجته الوحيدة لمدة خمسة عشر عاما، وما تزوجهن بعد ذلك غالبتهن أرامل[٥]، كما عاش عمره بعد وفاتها - رضي الله عنها - محبّاً لها يحفظ لها أطيب الذكريات ويعدد مآثرها وهى مآثر لها خصوص في حياته وفي نجاح دعوته، فكان ﷺ لا يكف عن الثناء عليها والوفاء لذكراها والترحيب بمن كن من صديقاتها، حتى أثار ذلك غيرة السيدة عائشة - رضي الله عنها، فقال لها النبي ﷺ " والله لقد آمنت بي إذ كفر قومك، ورُزِقت مني الولد وحرمتموه"[٦].

وقد أخطأ هؤلاء المؤرخون في روايتهم حول زواج النبي محمد ﷺ من السيدة خديجة، والذي لا نجد لها أثراً لدى كل من يوحنا الدمشقي، ثيودور أبو قرة، سيبيوس، وجيفوند، ولابد لنا أن نتسائل من أي مصدر استقى ثيوفانيس وجورج الراهب هذا الإدعاء الذي لم يذكره أي ممن سبقوهم، وكانوا أكثر احتكاكاً بالإسلام والمسلمين منه.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٢) وللتعرف على علو نسبه ﷺ يمكن الرجوع إلى: الصالحى الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج ١، ص ٢٦٩ وما بعدها يؤكد ذلك ما قاله أبو سفيان عن نسب النبي عندما سأله عنه هرقل.

(٣) سورة القلم، آية ٤.

(٤) مهدي رزق الله، صفوة السيرة، ص٨٤-٨٥.

(5) Saunders, J, J., A History of medieval Islam, New York, 2002, p. 35

(٦) ابن إسحق، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٧١-٢٧٢.

زينب بنت جحش :

وإذا ما نظرنا ليوحنا الدمشقي نجده خص السيدة زينب بنت جحش بالحديث عندما تحدث عن زواج النبي ﷺ محاولاً جعل زواجه ﷺ منها طعناً فيه فقال: "كان لمحمد عشير اسمه زيد ﷺ، وكان لهذا الرجل امرأة جميلة شغف بها محمد، وعندما كانا جالسين معاً قال محمد: يا صاحِ، لقد أعطاني الله أمراً باتخاذ امرأتك لي، فأجاب زيد ﷺ: إنك رسول فافعل كما قال لك الله واتخذ لك امرأتي، وحتى نباشر القصة منذ بدايتها بأكثر دقة، قال له محمد: لقد أعطاني الله أمراً بأن تطلق امرأتك، فطلقها، وبعد بضعة أيام قال له: لقد أعطاني الله أمراً بأن اتخذها لنفسي، وبعد أن اتخذها وزنى معها في هذا الحال، أصدر هذا القانون: من يرغب في أن يطلق امرأته فليفعل؛ أما إذا عاد إليها بعد تطليقها فليتزوجها آخر، إذ ليس مسوغاً في الواقع أن يتخذها ما لم يتزوجها آخر"[1]، وقد كرر نفس القول ثيودور أبو قرة فقال: " لما رأى امرأة زيد هويها فقال: إن الوحي نزل عليه، فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها تزويجاً جديداً، وكان الله الخاطب لها وجبريل الشاهد، وطلق زيد امرأته وتزوج هو بها بأمر ربه، وهذا القبح تحكيه عن نبيك وتصلى به في صلواتك وتنسبه إلى الله تعالى"[2].

وقد كرر الكندي نفس القول فقال: "أما الهنات التي كانت بينه وبين زينب بنت جحش امرأة زيد ﷺ فإني أكره ذكر شيء منها إجلالاً لقدر كتابي هذا عن ذكرها فيراني آتى بشيء مما حكاه في كتابه ويذكر الآية الكريمة، وينتفي لذي عقل من القصة بنموذجها إذ لا يخيل ذلك على المميزين"[3].

ومما سبق يتضح أن يوحنا الدمشقي وأبوقرة والكندي قد تحدثا عن زواجه ﷺ من زينب بنت جحش، في الوقت الذي لم يتعرض له أي من الكتاب الآخرين، فاستخدما زواجه ﷺ من زينب ابنة عمته والتي كانت متزوجة ابنه بالتبني زيد

---

(١) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٥٦-٥٧.

(٢) ثيودور أبو قرة، مجادلة أبي قرة مع المتكلمين المسلمين، ص ٨١.

(٣) الكندي، رسالته، ص ٥٠.

كدليل على نهمه الجنسي وأنه تلاعب بشكل ماهر لتبرير رغباته [1]، ولعل الغرض من عرض زواج النبي محمد ﷺ من زينب بنت جحش الإيحاء للقراء المسيحيين بأنه يوجد شيء مخزي في حياة محمد ﷺ، وهو أمر عارٍ من الصحة؛ حيث إن الله قد رد على هذه الفرية بشكل مفصل في كتابه العزيز حين قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[2]، وقد نزلت هذه الآية في زيد بن حارثة ﷺ، الذي كان عبداً لرسول الله ﷺ فأعتقه وتبناه قبل الوحي، فلما تزوج النبي ﷺ بزينب بنت جحش، والتي كانت تحت زيد بن حارثة ﷺ قالت اليهود والمنافقين: تزوج محمداً امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها! فأنزل الله تعالى هذه الآيات[3]، ولكي نفند هذه الفرية لابد أن نعلم أن زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية، هي ابنة أميمة بنت عبد المطلب عمته ﷺ كانت عند زيد بن حارثة ﷺ مولى رسول الله ﷺ[4]، وهو الذي زوجها لمولاه "زيد" ﷺ ولو كانت به رغبة فيها لاختارها لنفسه؛ خاصة أنه رآها كثيراً قبل فرض الحجاب، وكان النساء في المجتمع الجاهلي غير محجبات فما كان يمنعه -إذاً- من أن يتزوجها من البداية؟!؛ ولكنه لم يفعل، لذا لا يصح في حقه ﷺ ما قيل انه عندما رآها أعجبته -وحاشاه ﷺ- قال "سبحان مقلب القلوب"[5]، وقد

---

(1) Nikolaou, A Survey of Byzantine, p.14.

(٢) سورة الاحزاب، آية ٣٧-٣٨.

(٣) الواحدى، الإمام أبي الحسن علي بن أحمد (ت٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق ودراسة، كمال بسيوني زغلول، ط١، لبنان، ١٩٩١م، ص ٣٦٥.

(٤) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج١، ص٢٨٣؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص ٢٩٢؛ البلاذري، كتاب جمل من أنساب الأشراف، ج٢، ص٦٧.

(٥) البلاذري، كتاب جمل من أنساب الأشراف، ج٢، ص٦٧.

كان زيد بن حارثة ﷺ يتردد على الرسول ليخبره عن رغبته في تطليق زينب لأن حياته معها لم تكن على الوفاق أو التواد المرغوب فيه؛ لأن زينب بنت جحش لم تنس أبداً وهى الحسيبة الشريفة والجميلة أيضاً أنها أصبحت زوجاً لرجل كان رقيقاً عند بعض أهلها، وأنه عند الزواج بها كان مولىً للرسول ﷺ أعتقه بعد ما اشتراه ممن أسره من قريش وباعه بمكة، فهو وإن تبناه محمد ﷺ وبات يسمى زيد بن محمد في عرف المجتمع المكي كله، لكنه عند العروس الحسيبة الشريفة والجميلة أيضا ما يزال كما كان بالأمس الأسير الرقيق الذي لا يمثل حُلم من تكون في مثل حالها من الحسب والجمال، وليس هذا بغريب بل إنه من طبائع الأشياء، ومن ثم لم تتوهج سعادتها بهذا الزواج، وانعكس الحال على زيد بن حارثة ﷺ فانطفأ في نفسه توهج السعادة هو الآخر، وبات مهيأ النفس لفراقها، وقد شكا زيد ﷺ للنبي ﷺ سوء خلق زينب واستأمره في طلاقها [1]، فقال له النبي أرابك فيها شيء قال لا والله فقال له الرسول أمسك عليك زوجك واتق الله [2]، ولو كان النبي كاتماً شيئاً لكتم هذا الحديث [3]، ولم يكن - كما زعم المرجفون- أن زيد ﷺ شعر أن الرسول ﷺ يرغب فيها فأراد أن يتنازل عنها له وأما قوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ ...﴾ [4]، فإن ما أخفاه النبي ﷺ هو كتم ما كان الله قد أخبره به من أن زينب يوماً ما ستكون زوجاً له؛ لكنه لم يصرح به خشية أن يقول الناس: إنه تزوج زوجة ابنه بالتبني [5].

وللإمام ابن كثير كلام رائع عند تفسيره هذه الآية حيث قال: "ذكر ابن جرير، وابن أبي حاتم هاهنا آثاراً عن بعض السلف، رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها، فلا نوردها" [6]، ولما ضاق زيد ذرعا بما رأى

---

(١) البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثالث، ص٤٦٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج ٢، ص ٦٩.

(٣) البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثالث، ص٤٦٥.

(٤) سورة الأحزاب، آية ٣٧.

(٥) البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثالث، ص٤٦٦.

(٦) أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠-٧٧٤هـ)، تفسير القرآن=

من سوء خلقها فطلقها [1] قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ...﴾ [2]، أي فلما فارقها زيد ﷺ وحلت وأنزل الوحي فقال النبي ﷺ من يبشر زينب أن الله قد زوجنيها [3].

ومجمل القول إن زواجه ﷺ من السيدة زينب لم يكن وراءه أبداً شهوة أو رغبة جنسية وإنما كان أمراً من قدر الله وإرادته لإعلان حكم وتشريع جديد في قضية إبطال عادة التبني التي كانت شائعة بين العرب في الجاهلية واستمرت في الإسلام حتى أراد الله ﷻ إلغائها لأنها تضر بالأسرة ومن ثم المجتمع لأنها تعد تزييفاً لحقائق الأمور وكان لها في واقع الناس والحياة آثار غير حميدة من نزاعات أسرية خاصة في أمر المواريث، ولأن هذه العادة كانت قد تأصلت في مجتمع الجاهلية أصدر الله ﷻ تشريعاً تردد صداه بأقوى قوة في المجتمع الجاهلي الذي كانت عادة التبني أصلاً من أصوله وتقليداً مستقراً فيه، فكان السبيل لإبطالها أن يتم التغيير في بيت النبوة وعلى يد الرسول ﷺ نفسه وكان في بيته الإعلان العملي عن إبطال هذه العادة، ولقد قال الله ﷻ: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [4]، والمتأمل لهذه الآية الكريمة يجدها تساوى بين الناس إذ لا فرق بينهم.

= العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط ٢، السعودية، ١٩٩٩م، مج ٦، ص٤٢٤-٤٢٥، وقد ذهب لهذا المفسرون كالزهري والقاضي أبو بكر بن العلا القشيري، والقاضي أبو بكر بن العربي، والقاضى عياض في الشفاء، انظر: محمد عبد الحليم، شبهات وافتراءات حول الرسول ﷺ وردود كبار العلماء عليها، دار الكتب، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٣٧.

(١) البلاذري، كتاب جمل من أنساب الأشراف، ج٢، ص٦٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٣٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٢، ص ٦٩.

للمزيد انظر: البلاذرب، كتاب جمل من أنساب الأشراف، ج٢، ص٦٧؛ البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثالث، ص ٤٦٦.

(٤) سورة الأحزاب، آية ٥.

ومما سبق يتضح أن الجدليين البيزنطيين وعلى رأسهم يوحنا الدمشقي قد قاموا بدس هذه الفرية على رسول الله ﷺ والتي تتعارض مع الآية الكريمة السابقة الذكر وكذلك مع خلق النبي ﷺ، ولربما كان ما دسه يوحنا الدمشقي عائداً لخلفيته من كتابه المقدس والذي فيه أن داود النبي ﷺ قد أحب زوجة أوريا فقتله وبعدما تخلص منه تزوجها[1].

وبالنسبة لأصحاب الفريق الثاني نجد ثيودور أبو قرة قد تصدر الحديث عن موضوع زواج النبي حيث رأى في زواجه ﷺ عدة مرات دليلاً على أنه ما كان له شغل غير النكاح وقد مات عن أربعة عشر زوجة[2].

وقد سار على نفس النهج الكندي فقال: "لم يكن له فكر وإهتمام إلا في امرأة حسنة يتزوجها أو قوم يغير عليهم فيسفك دماءهم ويأخذ أموالهم وينكح نساءهم ويشهد على ذلك بقوله حبب إلى الطيب والنساء"[3]، ولم يقتصر الأمر على هذا بل إتهمه نيقيتاس البيزنطي بأبشع الإتهامات وذلك أثناء عرضه لسورة المائدة "فاتهمه ﷺ - وحاشاه - بالزنا"[4].

وللرد على هذه الفرية نجد أن ثيودور أبو قرة والكندي اتفقا على شغف النبي بالنساء، أما نيقيتاس البيزنطي فقد تجاوزهم في القول ورماه بالزنا، صحيح أن محمداً ﷺ تزوج عدة مرات، إلا أن هذا كان وفق العادة - في عصره -، لكن الجدليين البيزنطيين عدوا هذا دليلاً على أن محمداً كان شهواني وهذا أمر وهمي، ورغم أن البيزنطيين كانوا يدركون تماماً أن أنبياء العهد القديم مثل إبراهيم ويعقوب عليهما السلام عددوا الزوجات، لكنهم اتبعوا تقاليد العصر الرسولي القائلة

---

(١) "اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت....، فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات رجلها ندبت بعلها، ولما مضت المناحة أرسل دتود وشمها إلى بيته فصارت امرأته"، سفر صموئيل الثاني، الإصحاح الحادي عشر، آية ١٥، ٢٥-٢٦.

(٢) مجادلة أبي قرة مع المتكلمين المسلمين، ص ٨١.

(٣) رسالته، ص ٥٠.

(4) Demetriades, Nicetas of Byzantium, p. 41.

بزوجة واحدة[1]، وأنه استغل الدين لإرضاء رغباته الحسية[2]، وإن كان النبي ﷺ شهواني كما يدعون لكانت برزت هذه الخصلة وهو في زهرة الشباب وكامل الفتوة إذ ليس من العقل أن يكون الرجل شهواني ويستطيع أن يتحكم في شهواته في شبابه وعندما يبلغ الخمسين من عمره وهى السنّ التي تنطفىء فيها جذوة الشهوة وتنام الغرائز الحسية بدنياً لا يتحكم فيها.

صحيح أن النبي ﷺ قد تزوج ثلاثة عشر امرأة بني بأحد عشر امرأة، لكن هذا التعدد كان له أسبابه[3]، كما أن تعدد الزوجات كان مقبولاً على نطاق واسع في جزيرة العرب، والزيجات المختلفة لمحمد ﷺ كانت من أجل تعزيز روابط الإخوة المتبادلة في المجتمع الإسلامي الجديد[4].

خامساً: اتهام البيزنطيين لرسول الله ﷺ بالعنف في نشر دعوته

لم يفهم الروم فيما يظهر كنه الرسالة العربية، ولم يكتبوا شيئاً عن الإسلام من ناحيته السياسية وظنوا بادئ ذي بدء أن هذه القوات العربية ليست سوى

---

(1) Nikolaou, A Survey of Byzantine responses to islam, pp. 13-14.

(2) Saunders, A History of medieval Islam, p. 35.

(٣) يمكن الرجوع للمصادر الإسلامية لمعرفة تفاصيل زواج النبي من كل زوجة من زوجاته انظر: ابن اسحق، السيرة النبوية، ج ١، ص٢٧٩-٢٨٨، ج ٢، ص٤٤٣، ٤٨٠، ص٥٠٣؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٢٥٢-٢٥٣، ج٤، ص ٢٩٢-٢٩٥؛ ابن حبيب، أبوجعفر محمد بن حبيب ابن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادى (ت ٢٤٥)، المحبر، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، صححه د/ إيلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د. ت، ص ٧٧-٩٩؛ البلاذري، كتاب جمل من أنساب الأشراف، ج٢، ص٣٦، ٣٨، ص٥٤، ص٦٢-٦٣، ص٧٢-٨١؛ الأنصاري، المصباح المضئ، ج ٢، ص ٣٨-٤٠؛ البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثاني، ص٤٠٩ ومابعدها، السفر الثالث، ص١٥٨-١٥٩؛ الزبيدى، فتح الباري، حديث رقم ١٥٦٠-١٥٦١، ص ٦٣٣-٦٣٤، رقم ١٥٧٩، ص ٦٤٦-٦٤٧، رقم ١٦١٩، ص ٦٦٥-٦٦٦، ١٦٢٥، ص ٦٦٨.

(4) Thomas, L, W., A critical analysis of Christian responses to Islamic claims, A critical analysis of Christian responses to Islamic claims about the work of the Prophet Muhammad, `the Messenger of God, Durham theses, Durham University, (1993), p. 50.

عصابات صغيرة تبغي السلب والنهب كسائر عصابات البدو حينئذ[1]، لذا عقدوا عزمهم على اتهام الرسول ﷺ بأنه جاء بالعنف، ويعد يعقوب من أوائل من قال هذا القول في رسالته حيث قال "إن هذا النبي لابد أن يكون كاذباً لأن الأنبياء لا يأتون مسلحين بالسيف، ولا يصح أن نطلق عليه نبي بل سافك دماء الرجال[2]، وقال ثيوفانيس: "ظل يحارب عشر سنوات وكان يعلم أتباعه أن من يقتل عدوه أو يُقتل على يد عدوه سوف يكون مصيره الجنة"[3]، أما جورج الراهب فقال: "أسس ملكه بالدم في يثرب، التي سادت فيها البدعة"[4].

كما قال نيقيتاس البيزنطي Niketas Byzantios: "كان يحث أتباعه على قتل الكفار أينما كانوا، وعلمهم أن من يكرهكم فاكرهوه، فأعد برابرته للحرب مؤكدا لهم أن النصر سيكون حليفهم بسبب إيمانهم"[5].

وقد أسهب الكندي في هذا الموضوع فقال: "استصحب قوماً فراغاً أصحاب غارات ممن يصيب الطريق على سنة البلد وعادة أهله الجارية عندهم، وأقبل يبث الطلائع ويدس العيون ويبعث إلى المواضع التي ترد القوافل إليها من الشام بالتجارات فيصيبونها قبل وصولها فيغيرون عليها فيأخذون العير والتجارات ويقتلون الرجال، والدليل على ذلك أنه خرج في بعض أيامه فرأى جمالاً مقبلة من المدينة إلى مكة، وكانت لأبى جهل ويسمى ذلك غزواً على سبيل ما تسميه أعراب البادية إذا خرجت، أرسل حمزة ﷺ في ثلاثين راكباً إلى العيص من بلد جهينة يعترض عير قريش التي جاءت من الشام فلقي أبا جهل بن هشام في

---

(١) أسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف، ط ١، بيروت، ١٩٥٥م، ج ١، ص٢٣٩.

(2) **Doctrina Iacobi nuper baptizati** " Teachings of Jacob, the newly baptized " in Christian Muslim Relations A Bibliographical History, edit, David Thomas and others, vol, I (600-900), Leiden, Boston, 2009, p. 118.

(3) The Chronicle of Theophanes, p. 465.

- سار بورفيروجينتس على نفس نهج ثيوفانيس وكرر نفس الكلمات، انظر: إدارة الإمبراطورية، ص٧٤.

(4) The Chronicle, p. 835.

(5) Demetriades, Nicetas of Byzantium, pp. 36, 38.

ثلاثمائة رجل من أهل مكة فافترقوا لأن حمزة خاف لقاء أبي جهل فلم يكن بينهم قتال، فأين شروط النبوة....، ثم تساءل الكندي إن كان حمزة ﷺ رسول نبي مُبعث مؤيد فلما سالم أبي جهل الكافر ولم يقاتله ولما خاف من العدد، وبذلك يكون الأمر عكس ما تعتقد، ثم أورد الكندي أمثلة لأنبياء أيدهم الله على عدوهم رغم قلة عدد جنودهم وهو بذلك يعمد للطعن في نبوة النبي"(1).

وللرد على هذه الفرية نجد أن جميع الكتاب قد اتفقوا على وسم الرسول بنشر العنف والقتل، بل إن ثيوفانس قد حدد هذه المرحلة بعشر سنين، وهو بقوله هذا يرسخ في عقول المسيحيين أن العشر سنين كانت ملئ بالحروب، وهذا أمر عار من الصحة، صحيح أنه حدثت عدة مواجهات لكن في مجموعها لا تأتي ربع الوقت الذي حدده، ولو كان ثيوفانيس منصفاً لذكر ولو مختصراً للأحداث التي حدثت وأدت لنشوب القتال، كما أنه تغافل عن ذكر الأحداث التي حدثت قبل العشر سنوات وبذلك حاول أن يمحوا فترة مهمة في تاريخ الإسلام، وما رمى به الرسول من اتهامات لا يتناسب مع طبيعة الرسول ولا مع تعاليمه التي جاء بها، فالمتعارف عليه أن النبي ﷺ جاء لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور فآمن به من شرح الله صدره للإسلام وكفر به المتجبرون بل لم يقتصر الأمر على تمسكهم بكفرهم بل عذبوا واضطهدوا وفتنوا من آمن بمحمد ﷺ، لكن النبي وأصحابه لم يواجهوا هذا البغي والكره والعداء كما قال ثيوفانس بالكره بل كان ﷺ يحث أصحابه على الصبر ودعوة الناس بالحسنى ممتثلا لقول الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾(2).

﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾(3).

---

(1) رسالته، ص ٤٤-٤٥.

(2) سورة النحل، آية ١٢٥.

(3) سورة الأحقاف، آية ٣٥.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ ... ﴾[1]، ولم تذكر كتب السيرة حالة صدام أو اعتداء واحدة قام بها المسلمون في مكة مع المشركين رغم العذاب والهوان الذي عاشوه، حيث أنهم لم يؤمروا بالقتال، بل أُمروا بالصبر والإعراض عن المشركين، مع تبشيرهم وإنذارهم، وذلك بعكس المرحلة المدنية التي حدث بها استعداد لمواجهة خطر المشركين فحدثت عدة غزوات خلال العشر سنوات التي حددها ثيوفانيس، ولم يكن القتال طوال الوقت، وإذا ما تأملنا السبب في حمل المسلمين السلاح نجد أن القتال لم يكن شيئاً غريباً على العرب بل إنه كان من عاداتهم، لكن الإسلام هذب من طباع أتباعه ورسخ في عقولهم وقلوبهم احترام الناس والحفاظ على ممتلكاتهم أياً كان دينهم، لكن عندما بُغى عليهم وأخرجوا مع نبيهم إلى يثرب ولكي لا يُفتتن الناس في دينهم أمر الله ﷻ نبيه بالقتال[2]، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[3]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ ... ﴾[4]، وتعد هذه الآية بداية الشرارة الأولى للجهاد في مجتمع جديد وتحت قوة منظمة تحت راية محمد ﷺ وجهها ضد من قاسى على أيديهم فيما مضى[5]، ثم فرض عليهم قتال من يقاتلهم[6] ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[7].

---

(١) سورة النساء، آية ٧٧.

(٢) شرع الجهاد على مراحل بدأ بالإذن، ثم أوجب قتال منم قاتل المسلمين: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾، سورة البقرة، آية ١٩٠، ثم أمروا بقتال المشركين كافة ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ سورة البقرة، آية، ابن تيمية، الجواب الصحيح، مج ١، ص ٢٣٤، حاشية ٣.

(٣) سورة الحج، آية ٣٩-٤٠.

(٤) سورة الأنفال، آية ٦٥.

(٥) ريتشارد ساليفان، ورثة الإمبراطورية، ص ٦٦.

(٦) مهدى رزق الله، صفوة السيرة، ص٢١٦.

(٧) سورة البقرة، آية ١٩٠.

وفي تلك الفترة لم يكن النبي يقاتل إلا مشركي قريش، وعندما تكالب عليهم الأعداء فرض عليهم قتال المشركين كافة، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[2]، لذا فما سبق يؤكد أن القتال كان من أجل الدفاع عن العقيدة، ولم يكن النبي يعدهم للحرب من أجل السلب، ويوضح أنه لم يأت بالدم كما قال جورج الراهب، فإن كان كذلك لما بقى مشرك في مكة، وقد مكث بها ثلاثة عشرة سنة، أو عندما فتحها وأطلقهم جميعاً.

وبالنسبة لإبهام الكندي بأنه كان يشن غارات يعد نوعاً من حجب الحقيقة؛ فقد كان حرى به أن يعرض السبب الذي أدى للقيام بهذا الأمر، فالمعروف أنه كان من عادة السائرين ببعير قريش أن يمروا بالمدينة المنورة أثناء ذهابهم وعودتهم للشام، فرأى الرسول أن يصادر تجارتهم ذاهبة وآيبة ليكون في ذلك عقاب لمشركي مكة حتى تضعف قوتهم المالية فلا يتربصوا بالمسلمين.

لذا عندما أذن الله لنبيه ﷺ وللمؤمنين بالقتال أعدوا أنفسهم لرد عدوان قريش ومن على شاكلتها، فلما أرادت قريش أن ترى المسلمين أن لها يداً في داخل المدينة أراد المسلمون أن يروا قريشاً أنهم ليسوا بذلك الهوان الذي يتصورونه وأنهم قادرون على كسر شوكة قريش بل وحصارها اقتصادياً وسياسياً لرد حقوقهم المسلوبة، والمتعارف عليه أن خير وسيلة للدفاع الهجوم لذا عندما رأى النبي أن قريش كانت مصممة على الحرب معه قرر المبادرة بخوض المعركة ولكي يحدث هذا كان لابد من السيطرة على طرق تجارة قريش فأرسل الرسول السرايا وقاد غزوات لمهاجمة القوافل القرشية وإقامة أحلاف حققت مراده من إرباك قريش[3].

---

(١) سورة التوبة، آية ٣٦.

(٢) سورة التوبة، آية ٧٣.

(٣) كغزوة ودان/ الأبواء، وسرية عبيدة بن الحارث، وسرية حمزة لسيف البحر، وغزوة بواط من ناحية رضوى، وغزوة العُشيرة من بطن ينبع، وسرية سعد بن أبي وقاص،=

وبالنسبة لحادثة لقاء حمزة ﷺ بأبي جهل نجد أن الكندي لم يسرد إلا نصف الحقيقة صحيح أنه لم يحدث قتال بينهم، لكن السبب كما ذكره ابن هشام: "أن مجدي بن عمرو الجهني الذي كان موادعاً للفريقين قد حجز بينهم" بين سرية حمزة ﷺ وأبي جهل وقافلته"، فانصرف بعض القوم عن بعض، ولم يكن بينهم قتال[1]، فأين خوف حمزة ﷺ من هذا، والمتعارف عليه أن النبي ﷺ كان ينتقى من يبعثهم، فما بالنا بحمزة ﷺ الذي لقبه رسول الله ﷺ بعد ذلك بأسد الله لعدم خوفه أحد في ذات الله، وبالنسبة لذكره تأييد الله لبعض أنبيائه في الحرب، وتسائله عن تأييد الله للنبي فكان حري به أن يرجع جيداً لكتب السيرة ليعرف كيف أيد الله نبيه ليس في غزواته بل منذ أكرمه برسالته.

أ- غزوة بدر الكبرى السابع عشر من رمضان ٢هـ (٦٢٤م) :

تعرض بعض الكتاب لذكر ملابسات بعض الغزوات واتخذوها ذريعة للنيل من الإسلام ورسوله ﷺ، فنجد الكندي قد جعل مغازي الرسول ﷺ ستا وعشرين غزوة غير السرايا التي كانت تخرج بالليل والنهار، وقد كان سبب القتال ببدر انه خرج في طلب عير لقريش ولكنه رجع صفراً ولم يصنع شيئاً، ثم يتسائل الكندي إن كان صاحبك نبياً كما تدعى، فما للأنبياء وشن الغارات، والخروج لإصابة الطرق والتعرض لأخذ أمتعة الناس، وماذا ترك صاحبك للصوص وقطاع الطرق"[2].

= وغزوة سَفَوان/ بدر الأولى، وسرية عبد الله بن جحش انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص٢٣٣-٢٤٧، غزوة بن سُلَيم بالكُدر/ قرقرة الكُدر، غزوة السويق، غزوة غطفان،غزوة ذى أمَر، غزوة الفُرع من بُحران، وسرية زيد بن حارثة على القَرَدة، غزوة حمراء الأسد، غزوة ذات الرقاع، غزوة بدر الآخرة، غزوة بن لحيان، غزوة قَرَد، غزوة بني المصطلق، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٥-٨، ١١- ١٢، ٦٥، ١٥٥، ١٦٠، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٥، وغزوات الرسول سبعاً وعشرون وبعوثه وسراياه ثمانياً وثلاثين، انظر: ابن اسحق، السيرة النبوية، ج٢، ص ٦٧٤-٦٧٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص٢٥٥-٢٥٦؛ ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)، كتاب الطبقات الكبير، ج ٢، ص ٥ وما بعدها؛ ابن خياط، تاريخه، ص ٥٦ وما بعدها.

(١) السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٣٨.

(٢) رسالته، ص ٤٧.

وللرد على هذه الفرية نجد أن الكندي قد أقتطع الحقيقة ولم يشر إلى السبب الذي جعل النبي ﷺ يطلب العير فقد سمع النبي ﷺ أن أبا سفيان بن حرب ﷺ مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون، فقال النبي ﷺ هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا لأن رسول الله ﷺ يلقى حرباً، وقد علم أبو سفيان ﷺ من بعض الركبان ما يريده محمد ﷺ فأرسل ضمضم بن عمرو الغفاري ﷺ لقريش يستنفرهم، فتجهزوا لقتال الرسول ﷺ ومن معه، فأعز الله نبيه ﷺ وأمده بممد من عنده ونصره على قريش[1]، وقد نجح المسلمون في بدر في إثبات قوتهم[2]، وأصبح لانتصارهم على المكيين الأقوياء صدى على الفور في جميع أنحاء شبه الجزيرة، وأضحى الجميع ينظر لمحمد ﷺ كقوة لا يستهان بها[3].

والمتأمل لغزوة بدر يجدها قد حظت بمكانة عظمى في التاريخ الإسلامي إذ عدت مرحلة انتقال بين عهدين أو كما قال القرآن الكريم فرقاناً بين الحق والباطل" يوم التقى الجمعان يوم الفرقان، ولم يخرج النبي ﷺ لسلب أموال غيره

---

(١) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج١، ٣١٤ ومابعدها؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص٢٤٩-٢٨٩؛ الواقدى، كتاب المغازي، ج ١، ص٢٠ وما بعدها؛ ابن سعد، محمد ابن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)، كتاب الطبقات الكبير، تحقيق د/ على محمد عمر، القاهرة، ٢٠٠١م، ج ٢ في مغازى رسول الله ﷺ وسراياه، ص ١٠-٢٥.

- لقد صور القرآن موقف المسلمين ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، سورة الأنفال، آية ٩، للإستفاضة انظر: ابن اسحق، محمد ابن اسحق المطلبي الشهير بابن اسحاق (ت ١٥١هـ)، السير والمغازي، تحقيق د/ سهيل زكار، دمشق، ١٩٧٨م، ص ٣٠٦ وما بعدها؛ البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثالث، ص٢٨ وما بعدها؛ وقد وردت أحاديث عدة عن غزوة بدر وشهود الملائكة مع المسلمين، انظر: الزبيدي، فتح الباري، حديث رقم ١٥٧١، ١٥٧٣-١٥٧٧، ص ٦٤٣-٦٤٦.

(2) Thomas, A critical analysis of Christian, p. 40.

(3) Qutbuddin, T., Muhammad, in Islam A Short Guide to the Faith, Edit, Allen & Shawkat M. Toorawa,Cambrdige, 2011, P. 32.

كما يحاولون اتهامه، فالمتعارف عليه أن أهل مكة قد استولوا على أموال المسلمين عند هجرتهم وأخذوها منهم ظلماً وعدواناً [1]، ولم يتحدث أحد غير الكندي عن هذه الغزوة من الكتاب المسيحيين المعاصرين لفترة البحث، ولا نعلم هل هذا تهاوناً منهم، أم ماذا؟.

ب- غزوة أحد ٣هـ (٦٢٥م)[2]

انفرد الكندي أيضاً بالحديث عن غزوة أحد وما حدث للنبي ﷺ فيها من أذى وتساءل أين كانت الملائكة ولماذا لم تنقذه خاصة وأنه كاد يتعرض للموت لولا أن طلحة بن عبيد الله التيمي ﷺ قد فداه بيده فقطعت إصبعه ويعرض مثال لرجل قطعت أذنه بحضرة المسيح عليه السلام فأعادها، فيتسائل الكندي لماذا لم يدعوا ربه ليعيدها خاصة وأنه فقدها وهو يدافع عنه ولكانت آية نبوة، ثم يتسائل أين تأييد الله له وأين الملائكة عن معونته"[3]، بالنسبة لقول الكندي "لم يتخل الله وملائكته عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم فالنصر كان حليفاً لهم، ولكن عندما خالف الرماة أمر رسول الله[4] فهزموا فكان لا بد أن يذوقوا مرارة الهزيمة حتى لا يخرجوا على أمر رسول الله ﷺ ثانية، وقد أنزل الله بهم هذا البلاء تمحيصاً لهم، وبالنسبة لقوله إن المسيح عليه السلام قد أعاد أذن رجل قد قطعت

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٤٩ وما بعدها.

(٢) عن أحداث الغزوة انظر: ابن اسحق، السيرة النبوية، ج١، ص٣٣٠ ومابعدها، ج٢، ص٣٥١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص٢٣؛ الواقدى، كتاب المغازي، ج ١، ص١٩٩ ومابعدها؛ وللإستفاضة يمكن الرجوع: ابن اسحق، السير والمغازي، ج ٣، ص٣٢٢ وما بعدها، ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، ج ٢، ص ٣٣-٤٥، كما صور القرآن ما حدث في أحد، فمن يقرأ الآيات يستحضر ذهنه أحداثها فكأنه حضرها لدقة الوصف، سورة آل عمران، آية ١٢١.

(٣) رسالته، ص ٤٩.

(٤) كان النبي ﷺ قد أمر على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف ومعه خمسون رجلاً وأمرهم أن يصرفوا عنهم الخيل بالنبل كي لا يؤتى المسلمون من خلفهم، انظر: البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثالث، ص ٢٢٧.

ويتساءل أن لو شاء النبي لرد يد طلحة ﷺ ولكانت علامة لنبوته، خاصة وأنه فقد أصابعه وهو يدافع عن رسول الله ﷺ، فهذا الخبر صحيح لكن الكندي لم يكمل الخبر وهو أنه قد برزت آية لنبوة الرسول مع طلحة ﷺ وغيره فبالنسبة لطلحة ﷺ فقد روى أنه عندما التجأ الرسول للشعب مع نفر من أصحابه، نهض الرسول إلى صخرة من الجبل ليعلوها، وكان قد بدن وظاهر رسول الله بين درعين[1]، فلما ذهب لينهض لم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ﷺ فنهض به حتى استوى عليها[2]، فقال النبي ﷺ أوجب لطلحة ما فعل، من أراد أن ينظر إلى شهيد حي فلينظر إلى طلحة ﷺ[3]، وبالنسبة لدليل النبوة المنظور فيروى أنه قد أصيبت عين قتادة بن النعمان ﷺ على وجنتيه فردها رسول الله ﷺ بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما وأصبحت لا تمرد إذا رمدت الأخرى[4].

كان هذا على الصعيد الداخلي أما عن تعامله مع أعداء الخارج فنرى أنه وبمجرد هجره النبي ﷺ ليثرب ٦٢٢م، بدأ في توطيد قواعد دولته ووضع الأسس التي ستقوم عليها، لذا لم يهتم الروم وحلفائهم من عرب الشام بالمسلمين بعد الهجرة للمدينة ولم يبدوا أي نوع من مقاومته لأنه لم يمثل خطرا عليهم، لكن انتصار المسلمين في بدر لفت الأنظار لظهور قوة جديدة على الساحة بعدما تسامع الناس خارج الجزيرة، فقد كان القرشيون بمكة العربية على صلة تجارية وثيقة بأقاليم الدولة البيزنطية وبالأخص إقليم الشام[5] الذين فوجئوا بقوة المسلمين الذين خرجوا من مكة تحت الضغط والقهر[6] وبدأ يلوح في الأفق أن مستضعفي الأمس أضحوا خصماً شديد المراس[7] حيث هددوا طريق تجارة

---

(١) كان يلبس درعاً فوق درع، البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثالث، ص ٢٢٧، حاشية ١٥.

(٢) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج ١، ص٣٤١.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٤٣، ٤٩.

(٤) البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثالث، ص ٢٥١-٢٥٢.

(٥) عبد الرحمن أحمد سالم، المسلمون والروم، ص٥٩.

(٦) مهند صادق محمد العلة، الجهود الإسلامية في فتح القسطنطينية، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، فلسطين، ٢٠١١م، ص ٢٣.

(٧) عبد الرحمن أحمد سالم، المسلمون والروم، ص٥٩-٦٠.

قريش للشام وتحكموا فيه وانتزعوا من قريش ويهود الحجاز دورهم الاقتصادي، وقاموا بتسيير القوافل التجارية للشام[1]، ولم يعد الحجاز منطقة نفوذ تجاري لبيزنطة كما كان من قبل[2]، فبدأ عرب الشام (الغساسنة) التابعين لبيزنطة تضيق الخناق على المسلمين، وحاولوا أن يحكموا حصاراً اقتصادياً عليهم، لذا قامت عدة مناوشات[3] بينهم مما يدل على أن المسلمين لم يفصلوا بين عرب الشمال وأسيادهم البيزنطيين، ومعظم هذه المواجهات لم تكن مباشرة مع الروم بل مع أتباعهم[4].

ت- سرية مؤتة[5] ٨هـ/ ٦٢٩م

تحدث المؤرخ نقفور عن هذه الغزوة نشئ من الغموض فقال: "في هذا الوقت تقريبا بدأ Saracens" المسلمون "في الخروج من يثرب Aithribos كما يسمونها في إقليم شبه الجزيرة العربية المبارك وحاولوا الإغارة على القرى المجاورة "، وهو بذلك يشير للغارة التي قام بها زيد بن حارثة ﷺ على مؤتة التي تقع شرق البحر الميت ٨ هـ/٦٢٩م[6]، ولكن الوضع اختلف عند ثيوفانيس فعند حديثه عن الفتوحات تحدث عن سرية مؤتة التي وقعت عند قرية مؤتة على أطراف الشام الجنوبية لكنه ذكر بعض المعلومات غير الصحيحة حيث وضعها

---

(١) مهند صادق، الجهود الإسلامية، ص ٢٣-٢٤.

(٢) عبد الرحمن أحمد سالم، المسلمون والروم، ص ٦٠.

(٣) وجدت احتكاكات بين المسلمين والبيزنطيين تمثلت في قيادة الرسول الجيش بنفسه أو إرساله عدد من السرايا، للتعرف عليها انظر: ابن اسحق، السيرة النبوية، ج٢، ص٣٩٢، ص ٦٧٧ وما بعدها؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص١٦٥؛ البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثالث، ص ٣٩٠-٣٩١؛ ابن خيثمة، تاريخه، مج ٢، ص ٢٠.

(٤) عبد الرحمن أحمد سالم، المسلمون والروم، ص٦٩-٧٠.

(٥) هى قرية بأرض البلقاء من الشام، ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ١١، حاشية ١، ذكرها فريق من المؤرخون المسلمين القدامى تحت اسم "غزوة" ربما لكثرة عدد من اشترك فيها، بينما أشار إليها البعض باسم "سرية"،، وفريق ثالث "يوم مؤتة، وقصة مؤتة"، جوزيف نسيم، صراع الإسلام والمسيحية، ص ١٩، وللمزيد عنها انظر: ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، ج ٢، ص ١١٩-١٢١.

(٦) البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ص ٧٠، ص ١٢٣، حاشية ٦٧.

في العام الأول من عهد أبي بكر الصديق ﷺ عام ٦٣٠م/ ٩هـ، فيقول: "كان محمد ﷺ الذي توفى منذ عهد قريب قد عين أربعة من الأمراء لقتال هؤلاء العرب الذين كانوا يدينون بالمسيحية وعندما وصلوا لقرية تسمى موخيا Mouchaea حيث كان يعسكر عندها الفيكاريوس Vicarius[١] ثيودور[٢] على أمل أن ينقض على العرب يوم تقديمهم القرابين لأصنامهم، وعندما علم الفيكاريوس بهذه الأخبار من رجل قرشي يدعى Koutabas كان يعمل لحسابه جمع كل حشود قواته من حراس الصحراء وعندما تأكد من ذلك العربي عن اليوم وساعة الهجوم المرتقبة قام بمهاجمتهم بنفسه عند قرية تسمى مؤتة Mothous وقتل ثلاثة من قادتهم وأباد معظم الجيش وتمكن واحد من هؤلاء الأمراء ويسمى خالد ﷺ[٣] ويدعونه سيف الله من الهرب[٤]، ولعل أول أخطاء ثيوفانيس أنه جعل هذه الغزوة في عهد الصديق ﷺ، والثابت تاريخيا أنها في عهد النبي ﷺ، وفي العام الثامن من الهجرة[٥]، أضف لذلك أن القادة الذين عينهم النبي ﷺ كانوا ثلاثة وليس أربعة وذلك وفق ما ورد في المصادر الإسلامية "جعل النبي ﷺ القائد عليهم زيد بن حارثة وإن قتل جعفر بن أبي طالب[٦]، وإن قتل عبد الله بن رواحة

---

(١) كلمة لاتينية وتعني نائب رئيس الأبرشية، وهي وظيفة غامضة عمل صاحبها كوسيط بين الحاكم والمحافظ وكانت مهمته تحصيل الضرائب بالإضافة للسيطرة القضائية
OBD, vol, 3, p. 2164.

(٢) لم يذكر ثيوفانيس أية معلومات عن هذا القائد.

(٣) هو خالد بن الوليد بن المغيرة من بني مخزوم، ويكنى أبا سليمان، لم يشهد بدراً ولا أحداً ولا الخندق حيث كان مع المشركين، وأسلم سنة ثمان من الهجرة هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة، وقد حسن إسلامه، للمزيد انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٦٧.

(4) The Chronicle of Theophanes, p. 466, Theophanis Chronographia, vol. I, pp.514-515.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص١١ وما بعدها.

(٦) هو ابن عم النبي ﷺ من السابقين في الإسلام وممن هاجروا للحبشة فراراً من أذى قريش، للمزيد عنه انظر: ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، ج ٤ في الطبقة الثانية من المهاجرين والأنصار ممن لم يشهدوا بدراً ولهم اسم قديم وشهدوا أحداً وما بعدها من المشاهد، ص ٣١-٣٨.

رضوان الله عليهم"[1]، وبالنسبة لقوله إن سببها قتال العرب المسيحيين القاطنين بالشام[2] وهم الغساسنة، فالثابت في الروايات الإسلامية أن الرسول أرسل كتباً لأمراء الغساسنة فأرسل شجاع بن وهب الأسدي ﷺ للحارث ابن أبي شمر الغساني[3] عامل هرقل على دمشق، وأرسل لعامل بصرى كتاباً، فلم يحسن الغساسنة إستقبال رسائل النبي بل قتل الحارث بن عمير الأزدي ﷺ الذي أرسله الرسول لحاكم بصرى على يد شرحبيل بن عمرو الغساني، ويعد قتل السفير إعلاناً للحرب، ويعد قتل السفراء والرسل من أشنع الجرائم، كما أساء الحارث ابن أبي شمر الغساني حاكم دمشق، أو المنذر بن الحارث استقبال رسول رسول الله ﷺ شجاع بن وهب ﷺ، وقال من ينزع مني ملكى؟ أنا سائر إليه، وقد أخذ المسلمون تهديده مأخذ الجد، وفي ربيع الأول من العام الثامن للهجرة/ يوليو ٦٢٩م بعث الرسول ﷺ كعب بن عمير الغفاري ﷺ في خمسة عشر رجلاً للدعوة للإسلام في موضع يقال له ذات أطلاح بأرض الشام فخرجت عليهم قضاعة بجموعها فقتلوهم إلا واحداً تحامل على جراحه وذهب للنبي ﷺ، الذي لم يكن يستطيع أن يثأر لهم في هذا الوقت خاصة أن قضاعة تركت مكانها لموضع آخر، أضف لذلك الانتهاكات والاستفزازات التي ارتكبها عرب الشمال ضد المسلمين بدء من العام الخامس للهجرة، وكان استشهاد الدعاة بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير، والمتأمل لموقف الغساسنة يجدهم قد أشعلوا فتيل الصراع بين المسلمين والبيزنطيين، وقد أشفق الرسول ﷺ على عاقبة السكوت على اعتداء شرحبيل بن عمرو الغساني التابع لبيزنطة على الحارث بن عمير الأزدي ﷺ مبعوثه لملك بصرى وكذلك قتل من بعثهم لذات أطلاح لذا أعد جيشاً قوامه

---

(١) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج٢، ص٥٠٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص١١؛ ابن خياط، تاريخه، ص ٨٦-٨٧؛ الزبيدى، فتح الباري، حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما، رقم ١٦٢٦، ص ٦٦٨؛ مخطوطة البلنسي، الإكتفا في مغازى المصطفى.

(٢) طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي، ص١٥٢.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص ٧٦.

ثلاثة آلاف مقاتل[1] بقيادة زيد بن حارثة ﷺ، وبمجرد أن وصل الجيش لمعان استسلم حاكمها فروة بن عمرو الجذامي ﷺ فأصدر هرقل أمراً بإعدامه واستعادة المدينة[2]، لأنه قد دخل في الإسلام وأقام علاقات دون الحصول على إذن بيزنطة فأصبح هناك مواجهة حتمية بين المسلمين والبيزنطيين في بلاد الشام[3]، وقد كان هدف هذه الغزوة تأكيد هيبة الإسلام كي لا تتكرر الجرائم ثانية وليأمن الدعاة والتجار، ولم يكن النبي ﷺ يريد إلا تأديب عرب الشمال[4].

ويتضح من إشارة ثيوفانيس لوجود تعاون بين قريش وثيودور الوالي البيزنطي بالشام والذي زوده بأخبار الجيش الإسلامي الخارج لقتال البيزنطيين أن معلومته تبدوا حقيقية ولاسيما أن التجارة والعداء لمحمد ﷺ قد جمعا بين قريش والبيزنطيين بالشام، كما اتفق ثيوفانيس مع المصادر العربية في نجاح الهجوم البيزنطي وقتل القادة الثلاثة[5]، وقد أمرهم النبي ﷺ أن يثأروا لمقتل الحارث بن عمير ﷺ وأن يدعوا من هناك للإسلام وإلا استعانوا بالله عليهم، وبمجرد أن علم عرب الشام استغاثوا بهرقل في الوقت الذي لم يكن المسلمون يضعون في حسبانهم محاربة الروم الذين بلغ عددهم مائة ألف بقيادة ثيودور البطريق[6]

---

(١) عبد الرحمن أحمد سالم، المسلمون والروم، ص ٧٣-٨٨، ويقال إن عدد جيش العدو مائتي ألف من الروم وخمسين ألف من العرب، ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص١٩، يقول ابن الأثير: إن هرقل سار إليهم في مائة ألف من الروم، ومائة ألف من المستعربة من لخم وجذام وبلقين، الكامل في التاريخ، مج ٢، ص ١١٢-١١٣، ولربما هذه الأرقام بها شيء من المبالغة.

(٢) ليلى عبد الجواد إسماعيل، الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٣٤٧.

(٣) طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي، ص١٥٣.

(٤) عبد الرحمن أحمد سالم، المسلمون والروم، ص ٨٩.

(٥) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٠٧ وما بعدها؛ ابن أبي خيثمة، التاريخ الكبير، مج ٢، ص ٢٠؛ طارق منصور، المسلمون والفكر المسيحي، ص١٥٣.

(٦) لقب شرفي -وليس وظيفة- ويعني النبيل أو الشريف، وهو من الألقاب الإمبراطورية الشرفية الرفيعة جداً والتي يحمل صاحبها شارة عبارة عن ألواح محفورة من العاج، =

الحاكم البيزنطي لتلك المنطقة حيث خرج على رأس جيشه عندما علم بتحركات المسلمين وباغتهم فبدد شملهم عند مؤتة[1]، وقد فوجئ المسلمون بالعدد وبعد مشاورات بين المسلمين حول وضع الحرب وهل يكملونها أم ينسحبوا واستقر رأيهم على متابعة القتال رغبة في الشهادة أو النصر فالتحم الجيشان وأسفر لقاءهم عن استشهاد القادة الثلاثة، فاختار المسلمون خالد بن الوليد ﷺ قائداً عليهم، وقد نجح في الانسحاب للمدينة دون أن يتعقبه العدو[2]، وقد كان النبي ينعاهم وهو في المدينة رجلاً رجلاً ثم أخبرهم أن الله قد فتح على أصحابهم على يد خالد بن الوليد ﷺ وسماه سيف الله المسلول[3]، وعندما عادوا للمدينة منهزمين قابلهم الناس يحثون التراب يافرار فررتم في سبيل الله "الكرار إن شاء الله"[4]، وإذا ما تأملنا هذه المعركة نجدها ليست نصراً ولا هزيمة فكل فئة انحازت عن الأخرى، وقد نجح المسلمون في الصمود، وباستخدامهم المناورة تجنبوا إحاطة العدو بهم وسحقه لهم، وأنزلوا به في الوقت نفسه أذى بليغاً، ثم انسحبوا عندما أيقنوا أن تحقيق النصر الشامل متعذر فهم يحاربون في أرض بعيدة والمؤن قد تنفذ، ولعل أخطر نتيجة أنها أظهرت أن هناك عدو في الشمال يقف بكل جبروته يتحين الفرصة للانقضاض على الإسلام وتدميره، لذا فكل

= وقد أسس الإمبراطور قسطنطين الأول من البداية بقية تحمل اسم البطارقة، ظلت موجود حتى العصر البيزنطي المتأخر، للمزيد انظر: طارق منصور، بيزنطة: مدينة الحضارة والنظم، ص ١٥٤-١٥٨.

(١) عبد الرحمن أحمد سالم، المسلمون والروم، ص ٩٢-٩٤، وقد قال بن هشام: لما نزل الناس معان من أرض الشام بلغهم أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم وانضم إليه من لخم وجذام والقين وبهراء وبلى مئة ألف منهم، انظر: السيرة النبوية، ج٤، ص ١٣، وترى الباحثة أن هذه الأرقام ربما بها شيء من المبالغة، إذ لو صحت لما بقى أحد من جيش المسلمين ولأبيدوا عن بكرة أبيهم بمجرد بدء القتال.

(٢) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج٢، ص٥٠٥ وما بعدها، ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٣- ١٩.

(٣) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج٢، ص٥٠٩.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص٢٢.

المواجهات التالية كانت جذورها تعود لمؤتة، لذا أعد المسلمون أنفسهم لهذا الصراع فقامت عدة لقاءات مع البيزنطيين[1]، وتعتبر رواية ثيوفانيس عن مؤتة هي الشاهد الفريد الواضح باليونانية عن المعركة والوضع الذي كان قائماً شرقي نهر الأردن بعد استعادة السلطة البيزنطية هناك كما أنها تقدم الدليل الحي على سبب هزيمة المسلمين في مؤتة، وهو ما تصمت عنه المصادر العربية، ولا نعرف ما السبب الذي يجعل ثيوفانيس يخلط بين العرب المسلمين، وبين القبائل العربية التي كانت تهاجم فصائل منها حدود الشام الجنوبية من حين لآخر لسبب أو لآخر سواء المسيحية منها أو المشركة ويشير ثيوفانيس لنقطة مهمة، وهي أن العرب كانوا يعملون لصالح بيزنطة وإلى التعاون الذي كان قائما بينهم وبين البيزنطيين ضد المسلمين[2]، وقد كان لها آثار ونتائج بعيدة المدى فبينما رآها البيزنطيون مجرد غارة من غارات البدو للسلب والنهب ولم يقدروا أنها حملة منظمة قامت لتؤدي مهمة خاصة فهي استطلاع للقصاص من قاتلي رسل النبي ﷺ

---

(١) عبد الرحمن أحمد سالم، المسلمون والروم، ص ٩٨-١٠٢.

(٢) ويشير ثيوفانيس في موضع آخر "أن بعض العرب المجاورين للبيزنطيين كانوا يتقاضون رواتبا قليلة من الأباطرة مقابل حراسة التخوم القريبة من الصحراء" وبهذا كان من الطبيعي أن يظهر من بين العرب الحدوديين من يعمل لصالح البيزنطيين ويبلغهم بتحركات القوات الإسلامية، مما جعل البيزنطيين يعدون العدة جيدا للقوات الإسلامية عند مؤتة ويشير أيضا إلى أن هذه الرواتب قد انقطعت في عهد الامبراطور هرقل على إثر الأزمة الاقتصادية التي كانت تمر بها البلاد آنذاك فقد ذهب ذات يوم أحد خصيان الإمبراطور لتسليم الرواتب للجند بالشام وعندما قدم العرب ليحصلوا على رواتبهم طبقا للعادة قام هذا الخصي بطردهم قائلاً: "إن الإمبراطور يستطيع بالكاد دفع رواتب جنوده وهي الأقل بكثير مما يدفعه لهؤلاء الكلاب، وكان من نتيجة ما فعله هذا الخصى أن انقلب هؤلاء العرب على الإمبراطور البيزنطي، وقرروا التعاون مع ذويهم من بني جنسهم حيث قادوهم إلى إقليم غزة الغنى الذي يعد بوابة الصحراء لجبل سيناء، وهكذا يشير ثيوفانيس إلى نوع من التوتر في العلاقات بين القبائل العربية التي كانت تعمل على مراقبة وحماية حدود بيزنطة الشامية الجنوبية مقابل هذه الرواتب وبين الإمبراطور البيزنطي مما سيكون له أكبر الأثر عند دخول المسلمين إلى بقية أنحاء بلاد الشام، انظر: طارق منصور، المسلمون والفكر المسيحي، ص ١٥٤-١٥٥.

وسفرائه ولإظهار هيبة الإسلام[1]، فتأكد للبيزنطيين أن هذه القوة الجديدة التي خرجت من شبه جزيرة العرب لم تكن غارة من غارات البدو التي تبغي السلب والنهب، والتي اعتاد عليها الروم قبل الإسلام، بل رأوا العرب المسلمين لأول مرة في تاريخهم قد ظهروا مزودين بعقيدة سماوية أدت إلى تماسكهم وتفانيهم في سبيل عقيدتهم، ودليل ذلك استشهاد القادة الثلاثة وهم يقاتلون في حماسة وإيمان وإصرارهم[2] فأضحى قتل القادة باعثاً جعل المسلمين يتطلعون بأعين واسعة إلى الشام، كذلك أضحى تحرك المسلمين للأخذ بثأرهم قوة دفعت الأداة الحربية الإسلامية في انطلاقها السريع تطوى تلك البلاد[3]، لذا فهذه المعركة تعد بداية وتمهيداً لفتوح البلدان الرومانية وتمكين المسلمين فيها[4]، أضف لذلك أنه وإن لم يحصل المسلمون بها على الثأر إلا أنها تركت أثراً كبيراً لسمعة المسلمين، حيث نظر العرب بشيء من الحيرة والدهشة، إذ كيف يقف المسلمون رغم قلة عددهم أمام أعظم وأكبر قوة على وجه الأرض ويعودون بخسائر لا تكاد تذكر، فعد ذلك أنهم مؤيدون من الله، فأثر ذلك في نفوس الكثيرين.

---

(١) أسد رستم، الروم، ج ١، ص ٢٣٧؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، الدولة البيزنطية، ص٣٤٨-٣٤٩.

(٢) حسنين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص٦٧.

(٣) أسد رستم، الروم، ج١، ص ٢٣٨.

(٤) وقد أرسل النبي سرية إلى ذات السلاسل بقيادة عمرو بن العاص لهذا الغرض كما قاد النبي بنفسه حملة على منطقة الحدود بين الأراضي البيزنطية وشبه الجزيرة العربية، صحيح أنه لم يحدث بينهم إشتباك لكن نتائجها كانت لصالح المسلمين حيث أمن النبي حدود الحجاز الشمالية، وبعث سرايا للجهات المجاورة فجاءت القبائل العربية للنبي ﷺ معلنة إسلامها فبلغ تاثيرها على عرب الشمال، للمزيد انظر: ابن اسحق، السيرة النبوية، ج٢، ص ٦٨٦ وما بعدها، ص ٥٩٧-٥٩٨، ص ٦٠٩-٦١٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٥٨، ١٧٣-١٧٦؛ ابن ابى خيثمة، تاريخه، مج ٢، ص ٢٨؛ البيهقي، دلائل النبوة، السفر الخامس، ٢١٢ وما بعدها؛ ابن خياط، تاريخه، ص ٩٢-٩٣ ويمكن الرجوع للأحاديث التي ذكرت في هذه الغزوة، انظر: الزبيدي، فتح الباري، حديث رقم ١٦٦٦-١٦٦٧، ص ٦٨٤-٦٨٥.

لذا عدت الشرارة الأولى ضد الدولة البيزنطية وقدر لها ألا تنطفئ حتى تسقط العاصمة[1].

ومما سبق يتضح أن البيزنطيين اقتصر نظرهم للإسلام على الناحية السياسية فخشوا على ملكهم إذا ما مُكن للإسلام، لذا تآمروا عليه فأعدوا العدة فاضطر النبي ﷺ للخروج على رأس جيشه لدفع عدوانهم، وأن النبي ﷺ قد امتثل لأمر ربه ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾[2]، فأرسل النبي ﷺ رسائل لملوك وحكام عصره يدعوهم للإسلام[3]، وهذه الدعوة كانت بالحسنى،

---

(١) محمود سعيد عمران، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، لبنان، ٢٠٠٢م، ص٧٧.

(٢) سورة النحل، آية ١٢٥.

(٣) للتعرف على ما تضمنته هذه الرسائل انظر: ابن اسحق، السيرة النبوية ج١، ص٢٥٣، ج٢، ص ٤٣٣، ج٢، ص٦٧٣-٦٧٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٢٢، ج٤، ٢٥٣؛ ابن خياط، تاريخه، ص ٧٩؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسي، تاريخه، ج٢، ليدن، ١٨٨٣م، ص ٨٣-٨٤؛ البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثاني، ص٣٠٨ ومابعدها، السفر الرابع، ص ٣٧٧ وما بعدها؛ ابن خيثمة، تاريخه، مج ٢، ص ٣٥-٣٧؛ الهمذاني، تثبيت دلائل النبوة، ج ١، ص٢١، حاشية ٤؛ ابن حبيب، المحبر، ص ٧٥-٧٧؛ ابن الجوزى، أبي الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد ابن الجوزى (ت ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ج٣، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢٧٤؛ ابن تيمية، الجواب الصحيح، مج ١، ص ٢٨٢؛ الزبيدى، فتح الباري، حديث عبد الله بن عباس، رقم ٧، ص ١٨-١٩؛ إبراهيم بيضون، تاريخ بلاد الشام إشكالية الموقع والدور في العصور الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١٣٤، ١٣٨؛ بشير العبيدي، موقف بيزنطة الرسمى من الإسلام كما تخيله أبو سفيان تأثير المخيال في النظر إلى الذات وإلى الآخر، مجلة أسطور، ع ٧، يناير، ٢٠١٨م، ص ٨.

Lcdr, Arab-Byzantine war, p. 1, MacDougall, J., Relationship between the Byzantine-Christians and Arab-Muslims in the Middle Ages, Candice Isherwood-Brooks and, Sharon, pp. 6 -7, available at:, http://www.fordham.edu/halsall/byzantium/index.html,http://www.jstor.org/stable/4422506, Oman, Byzantine Empire, p. 160.

ولكن بعدما تعذر قبولهم لدين الله وصدهم غيرهم عن الإيمان وجد الداعي لاستخدام السيف.

ولابن ربن مقولة رائعة: "أمر الله محمداً بمجاهدة المشركين وشن الغارات على الكافرين، فلولا الجهاد لما قام دين ولا أمن حريم ولا سد ثغر ولصار المسلمون نفلاً وخولاً لأعدائهم، وقل ما تلبث الناس على ملة هذا حال أهلها حتى ينتقلوا إلى ما هو أعز وأوسع منها، ولقد كان المسيح ﷺ نهى عن الحرب وحذر أسبابها في قوله "سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك خدك الأيمن فحول له، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء الآخر أيضاً، ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين"[١]، فلما كان ذلك من أوامر المسيح لم يُبق لأمته ديناً ولا دنيا، ووهب لأمة أخرى ميراثهم، فهم أثاروا الحرب شرقاً وغرباً وأورثوها تأريثاً بالحراب والسيوف حتى بلاد الروم، وقد رخص المسيح ﷺ في آخرة في اتخاذ السيوف ونسخ به الأمر الأول وفي ذلك قوله لتلامذته "فليبيع ثوبه ويشتر سيفاً"[٢]، وأيضاً "لا تظنوا أني جئت لألقى سلاماً على الأرض ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً..."[٣]، فمن عاب على أهل الإسلام بما قد استحسنه واستن به فقد ظلم[٤]، وأنه بحمل السيف على من خالفه وحارب بمن أطاعه من عصاه، فما تم له تم بالسيف لا بالمعجزات، صحيح أنه حمل السيف، وبالنسبة لعساكره الذين استطال بهم على أعدائه فإنهم قد أجابوه بلا دنيا ولا سيف وبطاعتهم له صحت نبوته فظهرت دلائل رسالته، لأنه ما خلق قوما حملوا السلاح معه وإنما أجابه المهاجرون والأنصار الذين هم من قريش وغيرهم من العرب[٥]، وقد حذر من

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح الخامس، آية ٣٨-٤١.

(٢) إنجيل لوقا، الإصحاح الثاني والعشرون، آية ٣٦.

(٣) إنجيل متى، الإصحاح العاشر، آية ٣٤-٣٦.

(٤) الدين والدولة، ص ١٩٩-٢٠١.

(٥) الهمذاني، قاضى القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (ت ٤١٥هـ)، تثبيت دلائل النبوة، حققه وقدم له، د/ عبد الكريم عثمان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٦م، ج١، ص١٩-٢٠.

القتل فقال من قتل نفساً معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة[1]، وقد تجلت عظمة النبي ﷺ عند فتح مكة حيث قدم أروع الأمثال في العفو والصفح فرغم كل ما لاقاه من قريش من أذى وتعنت وتجبر عفا عنهم[2] مما يدحض الروايات التي تتهم الإسلام ورسوله بالعنف.

سادساً: موقف رسول الله ﷺ من اليهود

حاول ثيوفانيس أن يثبت صلة النبي ﷺ باليهود وأنهم من كانوا يوجهونه[3] وهذا عكس الواقع، وإلا لما قام النبي ﷺ بإجلائهم[4] عن يثرب/ المدينة المنورة، فالمعروف أن اليهود كانوا يتوعدون أهل يثرب بمخرج نبي وبمجرد خروجه كفروا به[5]، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[6]، وقد قال النبي لو

---

(١) ابن ربن، الدين والدولة، ص٦٣.

(٢) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج٢، ص٥١٣-٥٢٧، ص٥٣١، ٥٣٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤٠-٤٨؛ ابن خيثمة، تاريخه، مج ٢، ص ٢٠-٢١، ابن خياط، تاريخه، ص ٨٧-٨٨، وردت أحاديث كثيرة توضح ما حدث في فتح مكة انظر: الزبيدي، فتح الباري، حديث رقم ١٦٢٩-١٦٣٢، ص ٦٦٩-٦٧١؛ مخطوطة البلنسي، الإكتفا في مغازى المصطفى.

(3) Theophanes, Chronographia, p. 464, Theophanis Chronographia, vol. I, p. 511
سبق التعرض لهذا الأمر.

(٤) أجلى النبي بني قينقاع وبني النضير وبنى قريظة، للتعرف على أحداث إجلائهم انظر: ابن اسحق، السيرة النبوية، ج١، ص٣٢٣ وما بعدها، ج٢، ص٣٨٢ وما بعدها؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص٩-١٠، ص١٤٣- ١٤٨، ص١٨٣ -، حاشية ٤؛ الواقدي، المغازي، ص١٧٦ وما بعدها؛ البيهقي، دلائل النبوة، السفر الثالث، ص١٧٣-١٧٦.

(٤) وقد أنزل الله قرآناً يتلى وضح فيه غدر اليهود، انظر: سورة آل عمران، آية ١٢-١٣؛ ويمكن الرجوع للزبيدي، فتح الباري، حديث رقم ١٥٨٣-١٥٨٧، ص ٦٤٨-٦٥١، حديث رقم ١٥٩٩، ص ٦٥٦-٦٥٧.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٢٣٨.

(٦) سورة البقرة، آية ٨٩.

آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود[1]، ومنذ اللحظة الأولى لقدوم النبي المدينة المنورة وضع أسساً للتعايش مع الآخر وهو ما يسمى بوثيقة المدينة حدد لكل أفراد المجتمع سواء كانوا مسلمين "مهاجرين- أنصار" يهود أو غير مسلمين حقوقهم وواجباتهم، لكن لم يتوان اليهود عن الكيد للنبي حسداً وكرهاً وهذا أبرز ما فعلوه معه ﷺ، وهذا يتناقض كذلك مع الافتراء الذي وسم النبي ﷺ بأنه كان مسؤولاً عن عدد من المجازر ضد أعدائه وأنه قاد عدد من الغارات وقام بأعمال وحشية وقتل أسرى يهود[2]، وهذا الافتراء عاري من الصحة صحيح أن النبي ﷺ طرد اليهود لكن ذلك كان بسبب خيانتهم، وتحالفهم مع أعدائه رغم ما كان بينه ﷺ وبينهم من عهد وميثاق، فلم يخطر ببال المسلمين أن ينقض اليهود عهدهم معهم، لذا لم يفكروا في طردهم من ديارهم، بل كانوا يظنون أنهم سيكونون عوناً لهم على الوثنيين ويساعدونهم لنشر عقيدة التوحيد التي جاء بها النبي ﷺ ومن سبقه من أنبياء الله وتصديق ذلك قول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ۚ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾[4]، لكن اليهود أظهروا للمسلمين عكس ذلك وأضحى ما تخفى قلوبهم أكبر فألبوا عبدة الأوثان على عباد الله الواحد، لذا أمر الله المسلمين بقتالهم، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[5].

---

(١) الزبيدى، فتح الباري، حديث رقم ١٥٦٨، ص ٦٤٢.

(2) Nikolaou, A Survey of Byzantine, pp. 17-18.

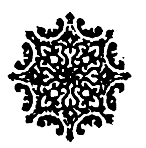
(٣) سورة الرعد، آية ٤٣.

(٤) سورة الرعد، آية ٣٦.

(٥) سورة الأنفال، آية ٥٨.

قال الكندي: "أعجب من قبح الأحدوثة والشناعة في الفعل والفاظة توجيهه إلى واحد واحداً يقتله بالغيلة كتوجيهه عبد الله بن رواحة ﷺ لقتل أسيرين دارم اليهودي بخيبر، وكبعثه سالم بن عمير العمري ﷺ وحده إلى أبي عفك اليهودي وهو شيخ كبير ما به حراك فقتله بالغيلة ليلاً وهو نائم على فراشه مطمئنا واحتج بأنه كان يعيبه فأي وحى نزل عليه بقتل من يعيبه وقد كان يمكن تأديب الشيخ على ذنبه دون القتل"[1]، والمتأمل ليهود خيبر يجد أنه قد برزت عداوتهم عندما انضم إليهم يهود بنو النضير المطرودين من المدينة وأضحت خيبر مركزا للمؤامرات التي تحاك ضد رسول الله ﷺ، لذا وبمجرد أن عقد النبي ﷺ صلح الحديبية مع أهل مكة شد رحاله للتخلص ممن يقلبون عليه أعدائه[2].

ويتضح مما سبق أن اليهود قد ناصبوا محمد ﷺ العداء وأظهروا له الشر وقاتلوه فانهزموا وخرجوا من يثرب شمالاً إلى حدود الروم، وبعضهم وصل إلى أذرعات "درعة" في حوران وكانوا يتصلون بالمشركين العرب يحرضونهم على المسلمين، فعاد النبي ﷺ لقتالهم فضربهم ضربة شديدة في خيبر، ولما طلبوا الصلح فيها بعث إلى أهل فدك يخيرهم بين أن يُسلموا أو يسلموا أموالهم فصالحوه على نصف أموالهم من غير قتال[3]، ولو لم يتغاضى الكتاب البيزنطيون عن ذكر موقف اليهود مع النبي، لكنا قد عرفنا الكثير عنهم، ولعرفنا وجهة النظر الأخرى، ولكننا لم يكن أمامنا إلا المصادر العربية، صحيح أن بها العديد من الأخبار، لكنها حملت وجهة النظر الإسلامية فقط.



---

(١) رسالته، ص ٤٧- ٤٨.

(٢) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج٢، ص٤٧٠ وما بعدها؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص٢٧٥ وما بعدها؛ ابن خياط، تاريخه، ص ٨٢-٨٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٢، ص ٩٩-١٠٢؛ ويمكن الرجوع لأحاديث النبي المتعلقة بهذه الغزوة، انظر: الزبيدى، فتح الباري، حديث رقم ١٦١٤-١٦٢٤، ص ٦٦٢-٦٦٧.

- وقد صوز القرآن الكريم أحداث الغزوة، انظر: سورة الفتح آية ١٨-٢١.

(٣) ابن اسحق، السيرة النبوية، ج٢، ص ٤٨٩-٤٩٠؛ أسد رستم، الروم، ص٢٣٤.

الفصل الثاني
تشكيك المؤلفات البيزنطية في ثوابت الإسلام

أولاً : آراء المؤرخين البيزنطيين في أسماء الله وصفاته .

ثانياً : نقد الوحي والدحض فيه .

ثالثاً : دحض الثواب والعقاب .

رابعاً : التشكيك في قصص القرآن .

الفصل الثاني
تشكيك المؤلفات البيزنطية في ثوابت الإسلام

أولاً: آراء المؤرخين البيزنطيين في أسماء اللّه وصفاته

انتقد نيقيتاس البيزنطي ما جاء في سورة الإخلاص من أن الله لم يلد ولم يولد، فقال: "إن الحجة القائلة إذا كان الله لم ينجِب فإنه لا يُنجَب، وإن كان لم ينجب فإنه لا يخلق غير صحيحة، ولكن ينبغي للمرء أن يقول لأنه لم ينجب أنجب، ولأنه كان غير مخلوق خلق، وهذا يكفي لإثبات أن المسيح ابن الله، وعلى الرغم من أن القرآن ينتقد المسيحيين لأنهم يتخذون شركاء لله، لذا تم اعتبار محمد مذنباً؛ لأنه وصف الله كجسم صلب خوفاً على فكرة أن الابن يأتي انطلاقاً من الآب"[1].

ولدحض هذا الاتهام نجد أن السورة ١١٢ قد احتلت أهمية كبرى لدى المسلمين حيث اعتبرت ثلث القرآن؛ لأنها اشتملت على العقيدة التوحيدية بإله واحد، لذا نقشت على العملات الإسلامية وعلى قبة الصخرة في القدس[2]، وأعلن فيها أن الله واحد مع إدانة ضمنية لمن يؤمن بوجود ابن لله[3] لذا تعد هذه السورة معارضة للاعتقاد المسيحي بأن المسيح مولود غير مخلوق، كما أنها تشير لشخص واحد على عكس الثالوث المسيحي[4]، الذي فهم كنوع من

---

(1) Demetriades, Nicetas Byzantium, pp. 61-62, 84-86.

(2) Griffith, The Unity and Trinity of, p. 4, Simelidis,The Byzantine Understanding of the Quranic Term al- Samad and the Greek Translation of the Qur'an, SJMS, October, 2011, Vol. 86, No. 4, p. 891.

(3) Sahas, D, J., Ritual of Conversion from Islam to the Byzantine Church, GOThR, Volume 36, No. 1, 1991, p. 58.

وقد أضاف Griffith أنها كانت موجهة أيضا لدحض معتقدات المشركين العرب الذين تحدثوا عن أبناء وبنات لله.

The Unity and Trinity of God, p. 2.

(4) Simelidis,The Byzantine Understanding of the Quranic Term al- Samad, p p. 891-892.

الانحراف عن التوحيد[1]، وقد أعلن في الآيات الأربعة لهذه السورة وحدة الله، ومنها تتألف عقيدة الإسلام الأساسية[2] لذا يعد الإسلام الدين الوحيد الذي يعلن وجود إله كامل لا شريك له في طبيعته وصفاته.

يقول المؤرخ Simelidis: "ترجمت الصمد على إنها جسم مجسم مظروف داخل كرة، مطرقة، أو معدن مطروق بمطرقة، أو مصنوع من الصلب، لا يمكن اختراقه، وقد أشار نيقيتاس للسورة ١١٢ الموجود بها الصمد ثلاث مرات في تعليقه عليها، وقال نطق محمد هذه العبارة الكافرة أو الملحدة المتعلقة بأن الله كروي مما يدل بلا شك أنه فكر فيه على أنه مادة جسدية، وإلا لما كان له شكل كروي، وأنه هذا ما تراءى لمحمد أو فهمه عن الله، وإذا لم تعنى كلمة الصمد شكلا كرويا فإن صفة الصلابة أو الانضغاط هي أيضا خاصية لمادة جسدية، ويبدوا أن نيقيتاس قد وجد صعوبة كبيرة في فهم هذا المصطلح أثناء ترجمته للقران، لذا لم يوفق في الترجمة"[3]، لذا نستطيع أن نقول انه قد أسيئ فهم الكلمة من قبل واحد من أكثر الجدليين البيزنطي تطرفا ضد الإسلام[4]، حيث اتهم محمد ﷺ" بالوثنية من خلال إدخال عبادة الأشياء[5] فاستغلها فرصة للسخرية من هذا المفهوم المادي للاهوت[6]، ولربما كان يفضل هذا المعنى في مناقشاته وحججه الجدلية، فاستخدمها لأساب جدلية للزعم بأن المسلمين يؤمنون بإله مادي وجسماني، لذا فالترجمة غير دقيقة، حيث أن الترجمة تتماشى مع الصفات اليونانية، وإذا كانت الترجمة خاطئة فلربما ليس خطأه عن عمد بل لأنه

---

(1) Griffith,The Unity and Trinity of God, p. 5.

(2) Griffith,The Unity and Trinity of God, p, 2, Qutbuddin, T., Muhammad, in Islam A Short Guide to the Faith, edited by Roger Allen & Shawkat M. Toorawa, Cambridge, 2011, p. 30.

(3) Simelidis, The Byzantine Understanding of the Quranic Term al- Samad, pp. 887-888, 902-903

(4) Sahas, Ritual of Conversion from Islam, p. 58.

(5) Vila,Christian martyrs, p. 241.

(6) Meyendroff, Byzantine, p.122.

فشل في إدراك المعنى الحقيقي لكلمة صعبة وغير شائعة، لذا عدت هذه الكلمة محيرة وغامضة للبيزنطيين، إلى أن تم فهمها في النصف الأول من القرن الثاني الهجري ولربما قبل ذلك، وتعني ضخم أو هائل[١]، وبلا حياة كالحجر وفي الواقع نجد أن هذه الكلمة كان من المستحيل ترجمتها بشكل دقيق[٢]، وعندما قال يوحنا الدمشقي "يقول محمد إن هناك إله واحد خالق جميع الأشياء... يتضح أنه كان على وعى وفهم لكلمة الصمد[٣]، لكنه عندما قال "وهكذا تشوهون الله في تحاشيكم إشراك أحد بالله، وكان بالأحرى بكم فعلا أن تقولوا بأن له شريكا من أن تشوهوه جاعلين إياه شبيها بحجر أو خشب أو شيء ما من الجوامد الفاقدة الحس، ولأجل ذلك أنتم تنطقون بالأكاذيب عندما تدعوننا مشركين، ونحن ندعوكم بالمقابل مشوهي الله"[٤]، يكون هو الذي أوحى لكتاب النصارى الذين ظهروا بعده بالزعم الملفق أن المسلمين يصورون الله جل وعلا في صورة كرة مادية أو مطرقة معدنية في السماء[٥].

وقد ذكر المؤرخ Simelidis أن أبا قرة: "قال إن الله أرسله ليسفك دماء الأفراد الذين يمجدون أو يعبدون الله على أنه أقانيم ثلاثة وجميع الذين لا يقولون أن الله أحد صمد لم يلد ولم يولد"[٦].

وقد ترجم أبوقرة كلمة الصمد لليونانية على أنها شيء متحد بدرجة دقيقة ثم استخدمها نيقيتاس بالمعنى اليوناني، وبالطبع هذه الترجمة كان لها أثر سلبي[٧]، لأنها أعطت صفة مادية لله عز وجل، solid material، وهو أبعد

---

(1) Simelidis, The Byzantine Understanding of the Quranic Term al- Samad, pp. 887-888, 904-905.

(2) Block, Competing Christian Narratives on the Qur'an, p. 12.

(3) Simelidls, The Byzantine understanding of the Quranic term al- samad, p. 908-909.

(٤) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص٥٤-٥٥.

(٥) علي بن محمد عودة الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص ٧٨.

(6) The Byzantine understanding of the Quranic term al- samad, p. 910.

(7) Simelidis, The Byzantine Understanding of the Quranic Term al- Samad, p, 887-888.

ما يكون عن الله عـز وجـل فتسببت في وقوع اللاهوتيين البيزنطيين الذين جـاءوا بعده في حيـرة وتشـوش فكـري، لـذا شـنوا هجومـاً شرسـاً علـى الإسـلام في كتابـاتهم اللاهوتيـة، حيـث ظنـوا أن رب المسلمين -الله- لـه صـفة ماديـة، أو كتلة جسدية واحدة، لذا فقد أساءت الترجمة إلى الإسـلام ودفعـت اللاهـوتيين البيزنطيين لتفنيد القرآن كلما واتتهم الفرصة[١]، وكان حرى بالجدليين البيزنطيين قبل أن يوسموا المسلمين بهذه التهمة أن يراجعوا ما في كتابهم المقدس ليعلمـوا حقاً من الذي شوه الله، وقد قال ديدات إن الكتاب المقدس يعج بأمثلة وصـفية مثيرة للصور الذهنية تُصور الله بالكلمات حسب شـكل الإنسـان نفسـه فوصـف بأوصـاف معيبـة الإنسـان[٢] أو يـرى أجـزاء الله "المـؤخرة"[٣]، ويتصـارع مـع يعقوب[٤] مثل الإنسان الثمل[٥] ينـدم علـى صـنع الإنسـان[٦] اسـتراح واسـتعاد نشاطه[٧]، وما سبق من الأمثلة يكفى رغم ملئ الكتـاب المقـدس بالعديـد مـن الأوصاف المعيبـة الـتي لا تليـق بجلالـه وكمالـه[٨]، وأن هـذه الكلمـة عنـدما

---

(١) طارق منصور، نهى عبد العال سالم، البيزنطيون وترجمة القرآن الكـريم إلى اليونانيـة في القرن التاسع الميلادي: الجزء الثلاثـون أنموذجـاً، Journal of Medieval and Islamic History، VIII(2013-2014,)، ص ٨٤، ص١٢٠.

(٢) "فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما "سفر التكـوين، الإصـحاح الحادي عشر، آية ٥.

(٣) "ثم أرفع يدي فتنظر ورائي، وأما وجهـي فـلا يـرى" سفر الخـروج، الإصـحاح الثالـث والثلاثون، آية ٢٣.

(٤) "فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مـع الله ومـع النـاس وقدرت"، سفر التكوين، الإصحاح الثاني والثلاثون، آية ٢٨.

(٥) "فاستيقظ الرب كنائم كجبار مُعَيِط من الخمر" المـزامير، الإصـحاح الثـامن والسـبعون، آية ٦٥.

(٦) "فحزن الرب أنه عمل الإنسـان في الأرض، وتأسـف قلبـه" سـفر التكـوين، الإصـحاح السادس، آية ٦.

(٧) "لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليـوم السـابع اسـتراح وتـنفس" سـفر الخروج، الإصحاح الواحد والثلاثون، آية ١٧.

(٨) أحمد ديدات، الله في اليهودية والمسيحية والإسلام، ص ١٧-٢٣.

استخدمها ثيودور أبو قرة لم يكن لديه أي نية للجدل، أما نيقيتاس فيعد أول من استخدم هذا المصطلح كسلاح جدلي، ومن خلال نيقيتاس البيزنطي استغرقت المسيحية في انتقامها لتشويه القرآن[١].

وقد تسائل المؤرخ جون ميندروف John Meyendroff في محاولة منه لمعرفة سبب التفسيرات البيزنطية للعقيدة الإسلامية متضمنة وصف الله بالصمد فوجد أن التفسيرات أتت من ديانة العرب السائدة والتي تتميز عن الإسلام التقليدي الذي كان معروفا عند البيزنطيين[٢]، لذا نظر للترجمة اليونانية على أنها سيئة وخطأ لأنها حطت من شأن الصفة الإلهية، كما عدت أحد الأمثلة المتكررة للجدل العنيف ضد الإسلام، ورغم ذلك يقول Simelidis عن الترجمة "إنها ليست سيئة مطلقاً حيث حاول المترجم ترجمة النص العربي المعقد معطياً كل عنصر عربي مرادفه اليوناني قدر الإمكان، لذا فإن بها نوع من الدقة[٣]، وبالنسبة لنيقيتاس البيزنطي، فيبدوا انه قد درس القرآن من ترجمات خاطئة[٤]، ولربما كان لا مفر منها في هذه المرحلة المبكرة من العلاقات البيزنطية العربية[٥]، ورغم الفهم الخاطئ للكلمة إلا أن الترجمة اليونانية للقرآن عدت إسهاماً هاماً؛ حيث أنبأتنا بالاستقبال الأولى للقرآن والتكتيكات الجدلية لكتابات اللاهوتين البيزنطيين ضد الإسلام، وبالنسبة لكلمة الصمد فقد وجد سوء فهم من نيقياتاس البيزنطي ربما بقصد أو بدون قصد، برز أثره في المؤلفات اللاحقة التي تتناول موضوع

---

(1) Vila,Christian martyrs, p. 240, Reference, 56, Vila, Christian martyrs, p. 241.

(2) Meyendroff, Byzantine, p. 122.

(3) Simelidls,The Byzantine understanding of the Quranic term al- samad, p. 889.

(٤) ولعل سبب خطأها أنه ترجمها ترجمة حرفية غير سلسة، أو نقلها نقلاً صوتياً دون إدراك للمعنى الحقيقي للكلمة لم يستطع فهمها فجاءت ترجمته محرفة وغير دقيقة، فأساءت للقرآن الكريم وشوهته بل جعلت بعض اللاهوتيين يتخذون من هذه الترجمة حجة للهجوم على الإسلام. كما سنلاحظ على المترجم قيامه ببعض التصرف في ترجمة الآيات القرآنية لتتناسب مع خلفيته الدينية المسيحية، طارق منصور، البيزنطيون وترجمة القرآن، ص ٨٤-٨٥.

(5) Meyendroff. Byzantine, p. 122.

الإسلام[١] وقد كان لـــلمؤرخ Vila رأى آخر حيث قال: "إن النبرة القاسية الـتي استخدمها نيقيتاس في كثير من الأحيان في كتابته تدل على أنـه عمـد عمـداً إلى تحريف المعنى الأكثر إثارة للاعتراض"[٢]، ونتيجة لخطأ نيقيتاس البيزنطي كانت الكنيسة البيزنطية تردد بعض اللعنات للنبي محمـد وإلهـه بسـبب قولـه إن الإلـه مصنوع من معدن صلب على شكل كروي، وذلك خلال طقـوس التحـول مـن الإسلام إلى المسيحية، وقد استمر هـذا الأمـر حـتى عهـد الإمبراطـور مانويـل كومنينـوس Manuel I Komenenos (١١٤٣-١١٨٠)[٣]، الـذي رأى أن هـذا مخزي، واتهم الأباطرة السابقين بالغباء بلعنهم الإله الحقيقي؛ لذا وبصفته سيداً لآيا صوفيا طالب بحذفها من جميع كتب التعاليم المسيحية، وذلك أثناء انعقـاد المجمع الكنسي بالقسطنطينية خلال العام الأخير مـن حياتـه (١١٨٠)، فعـارض الأساقفة طلبه، وتوصـلوا لتعـديل اللعـن، الـذي أصبح لعـن محمـد وجميـع تعاليمه، وقد كان سبب ذلك رغبته في استرضاء المسلمين[٤].

وإذا ما نظرنا إلى معنى الكلمة في اللغة العربيـة فنجـد أن جـذور الكلمـة صَمَدَ صَمداً وصُمُوداً: أي ثَبَتَ واستمر، ومنه قول الإمام علي: صَـمداً صـمداً حتى يتجلى لكم عمودُ الحق: ثباتاً ثباتاً والشيء له وإليه صَمداً: قصده، والصمد

---

(1) Simelidls,The Byzantine understanding of the Quranic term al- samad, p. 889.

(2) Christian martyrs, p. 240.

(٣) ولد في القسـطنطينية في ١٨ نـوفمبر ١١١٨م، وهـو أصـغر أبنـاء يوحنـا الثـاني John II والأميرة الهنغارية إيـرين Irene، جعلـه والـده ولي عهـده عنـدما كـان معـه في قيليقيـة Cilicia، ثم توج إمبراطوراً رغم وجود أخوه الأكبر إسحق، وقد كان أقل صرامة وشـدة من أبيه، فكان يؤثر الجنوح إلى التفاهم أكثر مـن أن يسـلك مسـلك الشـدة والإصـطدام بالقوة، وقد عرف عنه ميله للثقافة اللاتينية، وقـد إتبـع سياسـة والـده في بسـط سـلطان بيزنطة في الشرق المسيحي، فمد نفوذه على إمـارة أنطاكيـة للمزيـد عنـه انظـر: دونالـد نيكول، بمعجم التراجم البيزنطية، ص ١٤٤-١٤٦.

OBD, Vol. 2, pp.1289-1290

(4) Meyendroff, Byzantine, pp. 124-125, Sahas, Ritual of Conversion from Islam, pp. 57-58.

اسم من أسماء الله الحسنى[1] الصمد: المكان المرتفع وجمعه أصماد وصِماد، الصَمَدُ: المقصودُ لقضاء الحاجات، واسم من أسماء الله الحسنى، ويقال شيء صَمَد مُصمَت لا جوف له، الصّمدَةُ: الصخرة الراسية في الأرض في استواء أو ارتفاع قليل، المُصمدُ: المقصود، والصُلبُ المصمَتُ الذي ليس فيه خور[2]، ويقال أنه عندما خلق الله آدم كانت الملائكة تمر بجواره وكانوا منزعجين عندما رأوه وكان الفرد الأكثر انزعاجاً إبليس وكان يمر بجواره ويضربه وكان الجسم يصدر صوتاً مثل صوت صناعة الفخار... ثم قال للملائكة لا تخافوا من ذلك فان ربكم صَلَب "صمد" ولكنه أجوف، والمتأمل لتفسير الله كشيء دون تجويف "جَوف" أي صلب يومئ بأنه كان ماده/ جسم ولهذا السبب كان من الضروري إعادة تشكيل هذا التفسير ليصبح أن القصد من صلابة الله أنها مستقلة عن الصفات البرية الدنيوية والقابلة للتغيير، فالصمد الفرد الذي لا جوف له كما في المخلوقات والفرد الذي ليس له أمعاء لا يأكل ولا يشرب[3]، والآية الثالثة أضافت معنى لم يلد ولم يولد، وتعد هذه الكلمة أعلى صفة لله واسم إلهي عظيم، وقد أصبح معناها الآن معناها الأبدي Eternal[4]، وقد فسر هذه السورة ابن كثير فقال: "إن قريش قالت للنبي ﷺ انسب لنا ربك فأنزل الله ﷻ قل هو الله أحد لأخرها، وهى تعدل ثلث القرآن، ومعناها أن الله واحد أحد لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولم يُطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله ﷻ؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله، ووجدت عدة تفاسير لكلمة الصمد فيقال أن معناها ليس بأجوف الذي لم يخرج منه شيء ولا يطعم، نور يتلألأ، أو الذي يصمد الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم، هو السيد الذي قد كمل في سؤده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي

---

(١) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مصر، ١٩٨٩م، ص ٣٦٩.

(٢) المعجم الوسيط، ص ٥٢٣.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص٩٣؛ ابن الجوزى، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١، ص ١٩٨-٢٠١.

(4) Simelidls,The Byzantine understanding of the Quranic term al- samad, p. 890.

قد كمل في عظمته، الحي القيوم الذي لا زوال له، ويقال انه جعل ما بعد كلمة الصمد تفسير له"[١]، وهذه الصفات لم تثبت إلا لله ولا تنبغي إلا لـه ﷻ، ويـراد بها المقصود في الحَوائج على الدوام[٢].

وبالنسبة للمترجم فقد أثيرت التساؤلات حول هويته، فوجـدت عـدة أراء فمنهم من قال إن المترجم مسيحي، أو ربما يكون مسـلم وسـاعده مـؤمن غـير عربي وقيل أن المترجم لم تكن لغته الأم العربية؛ وذلك بسبب الأخطاء النحوية التي أساء فهمها، وقد قيل انه ربما لم يكن أمامه النص الأصلي الذي أمامنا الآن وبالنسبة للأخطاء فـيمكن شـرحها بسـهولة فالآيـات لم تكـن مكتوبـة بحـروف متحركة أو علامات تشكيل، حيث وضح النص القرآني بالتدريج ليصل لما هـو عليه الآن بنهاية القرن التاسع، لذا ربما كانت المخطوطة المستخدمة بها عدد من الغموض جعل عمله صعباً لاسيما وأن لغته الأصلية ليست اللغـة العربيـة، وفي حالات مؤكدة كان على المترجم أن يقوم باختيار واع بين أكثـر مـن تفسـير ممـا يبدوا انه كان بإمكانه أن يحصل على بعـض المؤلفـات الأصـلية[٣]، ولـو كـان المترجم يعرف اللغة السريانية لكان لديه دليل توضيحي لمعنى الصـمد، حيـث يقول احد العلماء وجود جذر لغوى سرياني يعنى أن الصمد شـيء متماسـك أو مضغوط، وقد أدرك البيزنطيون أهمية هذه الكلمة لذا وجدت في إحدى اللعنات ضد المعتقدات الإسلامية[٤]، الذي هو من الآن فصاعدا موضوعا لا مفر منه في كل مناقشة الإيمان بين المسلمين والمسـيحيين[٥]، وتؤيـد الباحثـة القـول الـذي يستبعد أن يكون المترجم مسلم أو حتى عربي أو مرتد لأنـه كـان سـيكون علـى

---

(١) تفسير القرآن العظيم، مج ٨، ص٥١٨-٥٢٩.

(٢) الإمام جلال الدين المحلى (٧٩١-٨٦٤م)، جلال الدين السيوطى (٨٤٩-٩١٣م)، تفسير الجلالين الميسر، حققه وعلق عليه د/ فخر الدين قباوة، لبنان، ٢٠٠٣م، ص ٦٠٤.

(3) Hogel, An Early Anonymous Greek Translation, p. 70, Simelidis,The Byzantine Understanding of the Quranic Term al- Samad, pp. 893-894.

(4) Simelidis,The Byzantine Understanding of the Quranic Term *al- Samad*, p, 891, 900.

(5) Meyendroff, Byzantine, p. 122.

دراية بالمعنى الحقيقي للكلمة أو بما أراد القرآن من معنى.، لذا فالواضح أن نيقيتاس لم يترجم النص بنفسه(١)، ورغم ذلك إلا أنه بدا - في وقت مبكر - أنه كان يعلم القرآن جيدا، وأنه كان على دراية به أكثر من أي كاتب يوناني، لكنه للأسف استخدم هذه المعرفة في كثير من الأحيان لتحريف وإدانة النبي ورسالة الإسلام، لذا عد نيقيتاس إلى حد كبير أول من بدأ تاريخ الجدل البيزنطي القاسي والسلبي ضد الإسلام(٢)؛ حيث كانت ترجمته حرفية وغير سلسة، أو نقلها نقلاً صوتياً دون إدراك للمعنى الحقيقي للكلمة فجاءت ترجمته محرفة وغير دقيقة، فأساءت للقرآن الكريم وشوهته بل جعلت بعض اللاهوتيين يتخذون من هذه الترجمة حجة للهجوم على الإسلام كما سنلاحظ على المترجم قيامه ببعض التصرف في ترجمة الآيات القرآنية لتتناسب مع خلفيته الدينية المسيحية (٣)، وقد حاول المترجم أن يترجم النص العربي بشكل جاد معطيا كل عنصر عربي المرادف اليوناني له بقدر الإمكان(٤)، ورغم أن الترجمة اليونانية كانت حرفية، إلا أنه وجد بها عيوب، ولعل الخطأ كان من المترجم أو الناسخ(٥)، أو انه لم يكن متاح لديه المصادر الأساسية واكتفى بالمفردات الموجودة في معاجمه فترجمها بشكل حرفي(٦).

ويقول المؤرخ جون بلوك John Block "ذُكر في أسطورة بجيري أنه قد أعطاه السورة ١١٢ في لحظة يأس نظراً لاستمرار رغبة العرب في العودة إلى أصنامهم(٧)، وهذا القول يرسخ أن بحيرى هو من أعطى النبي القرآن وهو أمر عار من الصحة وسبق تفنيده.

---

(1) Sahas, Ritual of Conversion from Islam, p. 58.

(2) Vila, Christian martyrs, pp. 244-245.

(٣) طارق منصور، البزنطيون وترجمة القرآن، ص ٨٤-٨٥.

(4) Simelidls, The Byzantine understanding of the Quranic term al- samad, p, 894, Hogel, An Early Anonymous Greek Translation, p. 70.

(5) Hogel, The Greek Qur'an, pp. 174 -175, 179.

(6) Simelidls,The Byzantine understanding of the Quranic term al- samad, pp. 894-895.

(7) Block, Competing Christian Narratives on the Qur'an, p. 12.

كما وجد مثال آخر على سوء الفهم لدى نيقيتاس البيزنطي ناتج عن الترجمة الخاطئة حيث قال "كيف يجرؤ محمد على القول أن الإنسان يأتي من علقة والتي هي ذرة دم متجمد"(١)، ويتضح مما سبق سوء الفهم الدائم بين الثقافتين والعقلية الدينية، ولكن أيضا تظهر المعرفة الإيجابية للنصوص القرآنية من جانب بعض البيزنطيين(٢)، وبالنسبة لكلمة العلق في السورة ٩٢ وترجمها شيء يتم التعلق به، أي أن الله ﷻ قد خلق الإنسان شيء يتم التعلق به ولكن المعنى أنه مرحلة من مراحل نمو الجنين، أما أي شيء يمكن التعلق به معنى خطأ وهذا من سوء الفهم والكلمة لها عدة معنى لذا لا بد أن يكون الشخص ذو معرفة واسعة ليتقي المعنى من بين المعاني المتعددة(٣)، فالكلمة اليونانية لا تتبع صيغة الكلمة العربية، لذا ظهرت الترجمة مشوهة في كثير من الأحيان(٤)، ويمكن القول إن نيقيتاس البيزنطي قد أضر كثيراً بأي محاولة قد تؤدى للتفاهم والتسامح المتبادل بين الطرفين(٥).

ثانياً: نقد الوحي والطعن فيه:

تحدث يوحنا الدمشقي فقال: "وبعد أن أحرز محمد ﷺ لنفسه حظوة لدى الشعب عبر تظاهره بالتقوى كان يلمح بان كتابا آتيا من السماء قد أوحى به إليه من الله، وفي إنشاءه لبعض المعتقدات المثيرة للضحك في كتابه نقل إليهم هذه الطريقة في عبادة الله، وسخافات أخرى مستحقة الضحك قد أخبر بها في هذا التصنيف المكتوب الذي يتبجح محمد - وحاشاه - بأنه قد نزل عليه من الله"(٦).

ولتفنيد هذه الحجة نجد أن هذه الفقرة توضح مدى جرأة يوحنا الدمشقي(٧)، حيث اعتبر ما قام به النبي محمد ﷺ إدعاءً وتدبيراً منه ليجعل الناس يعتقدون أنه

---

(1) Demetriades, Nicetas of Byzantium, p. 82.

(2) Meyendroff, Byzantine, p. 122.

(3) Simelidls, The Byzantine understanding of the Quranic term al- samad, p, 901-902.

(4) Hogel, The Greek Qur'an, p. 177.

(5) Vila, Christian martyrs, p. 246.

(٦) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص٤٩-٥٠، ٥٢.

Sahas, John of Damascus on Islam, p. 133.

(7) Rhodos, John Damascene, p. 65.

كان مرافقاً لخشية الله، مما يدل جهله بما جاء به النبي محمد ﷺ، كما أنه كان يعلم أنه يوجه خطابه لنصارى لا يتحدثون إلا باليونانية هدفه تحصينهم ضد اعتناق الإسلام، ولا يمكن أن يتحقق له هذا إلا بالكذب والتشويه، لذا زعم أن ما جاء في القرآن مجرد آراء أعدها محمد جديرة فقط بالضحك، كما قدم لقرائه حكماً بأن القرآن مجرد إشاعات لا قيمة لها، ولو كان منصفاً لقدم لهم ترجمة لسور القرآن وترك لهم الحكم عليها[1] فالمتعارف عليه أن النبي ﷺ عرف واشتهر قبل البعثة بالصادق الأمين[2]، فكيف بمن لم يكذب على الناس أن يكذب على الله، بل كيف يتجرأ أحد على التكلم باسم الله العلى ويحظى في نفس الوقت بتأييده ودعمه، وهذا مناقض لقوله تعالى في كتابه ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[3]، وقد فسر ابن كثير هذه الآيات فقال: "لو كان محمد كما يزعمون مفترياً علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئاً من عنده فنسبه إليه، وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة، ولانتقمنا منه باليمين لأنه أشد في البطش، وقيل لأخذناه بيمينه، ولقطعنا منه الوتين وهو العرق المعلق به القلب، وما قدر أحد أن يحجز بيننا وبينه إذا ما أردنا شيئاً"[4]، وبالنسبة لقول الدمشقي أنشأ معتقدات مثيرة للضحك في كتابه ونقل إليهم هذه الطريقة في عبادة الله"، هذه الفقرة توضح مدى جهل يوحنا بما جاء به النبي محمد ﷺ وإلا لما سطر قلمه هذه الكلمات، فأول ما بدأ به الدعوة الإيمان بالله الواحد[5]، وأن يساعد المسلم أخاه الفقير وأن الجنة حق والنار حق، وما دعى به محمد ﷺ يتشابه مع ما ورد في تعاليم اليهود وكذلك العهد

---

(١) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص ٢٥.

(٢) يمكن الرجوع للفصل الأول في هذا.

(٣) سورة الحاقة، آية ٤٤-٤٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ج ٨، ص ٢١٨.

(٥) جوزيف داهموس، سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى، ترجمة د/ محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، القاهرة، د. ت، ص ٦٠؛ ساليفان، ورثة الإمبراطورية، ص ٦٥.

الجديد عند النصارى[1]، فقدم نفسه كبشير يأخذهم للحقيقة وعلمهم كيف يعرفون إله إبراهيم ﷺ فتوحدوا تحت سلطته وحرم عليهم أكل أي حيوان ميت وشرب الخمر والكذب والزنا[2]، وقد علق المؤرخ Vila على ما قاله يوحنا الدمشقي فقال: "يعد هذا هجوماً من يوحنا على رسول الإسلام وكتابه المقدس، حيث اتهمه بأنه خدع الناس بأنه كان يخاف من الله، ومن ثم كتب القرآن بنفسه ثم قال إنه من عند الله"[3]، وهذا التعليق صادر من غير مسلم لكنه أظهر إنصافاً في حكمه قلما نجده لدى كثيرين.

والمتأمل ليوحنا الدمشقي يجده لم يفسر تفاصيل كتابة القرآن، وإنما اكتفى بتحديد مصدر القرآن[4]، ويمكن القول أن يوحنا الدمشقي بقوله سخافات قد أصدر حكماً سلبياً، وذلك عندما كان يسعى إلى فهم الإسلام من مصادره الخاصة[5].

ويكمل يوحنا الدمشقي "أما نحن فنقول من ذا الذي يشهد بأن الله أعطاه كتاباً أو من أعلن من الأنبياء أن سيأتي نبي كهذا؟ فنوقعهم في الحيرة عندما نقول لهم: لقد تسلم موسى الشريعة على جبل سيناء على مرأى من جميع الشعب عندما ظهر له الله في السحاب والنار والظلام والعاصفة...، وعندما نقول لهم لِم لم يأت نبيكم هكذا مع آخرين يشهدون له؟ والله الذي أعطى الشريعة لموسى أمام عيون كل الشعب على جبل مدخن لِم لم يُرسل إلى نبيكم أيضاً -وفي حضوركم- الكتاب الذي تتحدثون عنه بغية توطيد يقينكم؟ يجيبون بأن الله يفعل ما يشاء، فنقول إن هذا نعرفه نحن أيضا، لكننا نسأل كيف أُوحي بالكتاب لنبيكم، فيجيبون أن الكتاب نزل عليه في أثناء نومه، ولكيما نسخر منهم نقول:

---

(١) جوزيف داهموس، سبع معارك، ص ٦٠.

(٢) باتريشيا كرونيه & مايكل كوك، الهاجريون، ترجمة نبيل فياض، ط ١، ١٩٩٩م، ص١٥- ١٦.

(3) Christian martyrs, p. 187.

(4) Rhodos, John Damascene, p. 57.

(5) Vila, Christian martyrs, p. 191.

بما أنه استلم الكتاب في أثناء نومه دونما إدراك لهذا النشاط فالمثل الشعبي من ثم يناسبه تماماً - من ينام يهذى ويرى في الغالب أحلاماً غريبة -، ونسألهم من جديد كونه هو نفسه أمركم في كتابكم ألا تفعلوا شيئاً وألا تقبلوا شيئاً بدون شهود، فلِم لم تسألوه ابدأ أنت أولاً وبرهن لنا من خلال الشهود أنك نبي وأنك مُرسل من الله، وما هو الكتاب الذي يشهد لصالحك؟ فيلزمون الصمت من ثم خجلين، ونقول بحق لهم: كونه لم يبح لكم الاقتران بامرأة ولا الشراء ولا الاقتناء بدون شهود، وكونكم لا تقبلون بأن تملكوا ولو حميرا أو ماشية بدون شاهد، ولا تتخذون لكم نساء وخيرات وحميراً وباقي الأشياء إلا أمام شهود، إذاً قد قبلتم الإيمان والكتاب وحدهما بدون شاهد لأن الذي نقل إليكم هذا الكتاب لا ضمانة له من أي جهة، ولا يُعرف أحد شهد لصالحه من قبل، لا بل تسلمه في أثناء نومه"[١].

وقد سار نيقيتاس البيزنطي على نفس نهج يوحنا الدمشقي فقال: "هذا الكتيب من حيث الزمان والمكان لا يمكن أن يكون قد أُعطي من قبل الله، فأي عمل أو كلمة إما إلهي أو بشري أو شيطاني والعرب حرموا من الأول والثاني "الإلهي والبشري" واسترشدوا بالثالث، وعلى الرغم من إدعاء محمد بأنه أخذ الكتاب من الله وأن ذلك تحقيقاً لما جاء به موسى وعيسى، لكن كتابه الهمجي لا يحقق ذلك؛ لأنه في الواقع يعارض إنجيل المسيح، ولا يمكن أن يكون كتابه كتاب الله، ولكنه كتاب المسيح الدجال"[٢].

ولتفنيد ما ذكر نجد أن يوحنا الدمشقي ونيقيتاس البيزنطي قد اتفقا على أن القرآن ليس من عند الله، وانفرد كل منهما عن الآخر من حيث طرح الأسئلة، أو وضع مبررات لتأكيد وجهة نظره، فبالنسبة ليوحنا الدمشقي نجده قد قدم سؤالاً لقراءة الذين لا يعرفون العربية، ومن ثم لا يعرفون شيئاً عن الإسلام إلا ما رسمه لهم من صورة مشوهة عن النبيﷺ[٣]، كما أنه قد طمس الحقيقة عن قراءه عندما

---

(١) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٥٢-٥٣، حاشية ١٠.

(2) Demetriades, Nicetas Byzantium, pp. 30, 34, 47.

(٣) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص ٣٢ وما بعدها.

حجب ما جاء في الكتاب المقدس من شهادة الأنبياء على مجيء خاتم الأنبياء محمد ﷺ[1]، وقد رد القرآن على هذه الفرية حيث قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[2]، ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[3]، في هذا المقطع يثير الكاتب مسألة الدليل على نبوة محمد ﷺ، ليستنتج في الأخير أنّها ليست أكثر من أضغاث أحلام، وأنّ محمداً ﷺ لا يملك برهاناً على نبوته من أي وجه كان، والفكرة الجوهريّة في هذا المقطع هي أنّه لا نبي بعد موسى عليه السلام وهي فكرة أساسيّة في المعتقد اليهودي المسيحي ونص عليها العهد القديم، بوضوح وأكدها وألح عليها فقد منع كهان بني إسرائيل على الشعب إثر وفاة موسى عليه السلام أن يصدقوا أي شخص ادعى النبوة وأن يقبلوه، ولما ظهر عيسى بن مريم عليه السلام، عارضوا دعوته وقدموه إلى الوالي الروماني لمحاكمته، وما إصرار الكاتب في هذا المقطع على طلب الشهادة بالحضور والرؤية البشريّة إلا لأنّه مقتنع بما وجده في التّوراة اليهوديّة، وجدله لا يصمد أمام الحقائق التي يبرزها تاريخ الأديان، فالمعتقد اليهودي لا علاقة له بموسى ولا بداود عليهما السلام، لأن التّوراة ظهرت بعد موسى وبعد داود وسليمان عليهم السلام بقرون فواضع التّوراة اليهوديّة الأول هو عزرا (عزير) في بابل سنة (٦٥٠ ق. م.) تحت الحكم الفارسي[4]، وترى الباحثة إن رفض نيقيتاس البيزنطي أن يكون مرد هذا الكتاب وحى من الله ﷻ يكون بذلك قد نصب نفسه قاضياً، فأصدر حكماً دون دليل عندما حكم على العرب بأنهم استرشدوا بالشيطان، وبالنسبة لسؤال يوحنا الدمشقي، لماذا لم يتسلم محمد ﷺ الكتاب المقدس من الله مباشرة والناس ينظرون نجده قد أعاد

---

(١) سبق التعرض له في الفصل الأول.

(٢) سورة النساء، آية ١٦٦.

(٣) سورة الانعام، اية ١٩.

(٤) محمد حسن بدر الدين، بواكير الجدل المسيحي، ص ١٣.

طرح نفس سؤال كفار قريش عندما عاندوا الحق وجادلوا بالباطل ورفضوا الإيمان بالقرآن[١]، وقد ذكر الله قولهم فقال تعالى:

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا (٩٣) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا (٩٤) قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾[٢].

وبالنسبة لسؤال يوحنا الدمشقي عن شهود العيان يظهر مهارة المسيحيين في الجدال وهم يطالبون بتقديم الأدلة من الكتاب المقدس على صدق ما يقال، وأن هذا القول يدل على أنه محاولة لتقديم الإيمان المسيحي أكثر من كونه نقاش ديني جاد، فيظهر نظرة المسيحيون لغيرهم كأغبياء أو في مستوى ثقافي أقل منهم[٣]، ولأحمد ديدات رد رائع على من يطلب شهود عيان رأوا بأعينهم وسمعوا بآذانهم فقال: "إن الزعم المسيحي واضح ومنطقهم فيه لا بأس به، ولنتفحص وجهة نظرهم، ولنستدع شهودهم، ولنمحص شهادتهم لنكشف الحقيقة أو الزيف في الموضوع من ذات مصادرهم، إنهم يعترفون أن شهود القضية الرئيسيين هم متى ومرقس ولوقا ويوحنا أصحاب الأناجيل المنسوبة إليهم ولكنهم جميعاً ماتوا وهم في قبورهم، فهل كانوا شهود عيان؟"[٤]، وبالنسبة لقول يوحنا الدمشقي عن الوحي الذي ينزل على الأنبياء عليهم السلام، فالمعروف

---

(١) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص٦٧.

(٢) سورة الإسراء، آية ٩٠- ٩٥.

(3) Merrill, J, E., OF The tracte of John of Damascus on Islam, Beacon, New York, no date, pp. 91-92.

(٤) ولمزيد من التفصيل انظر: أحمد ديدات، مسألة صلب المسيح، بين الحقيقة والإفتراء، ترجمة جمال نادر، عمان، ١٩٩٥م، ص ١١ وما بعدها.

أنهم من البشر والوحي إليهم يعد ظاهرة إلهية ومعجزة خارقة للسنن الكونية لا يمكن للبشر إدراك كنهها، وقد تلقى النبي ﷺ كلام الله -القرآن- بواسطة الملاك جبريل عليه السلام، فكان الوحي يتم خارج الذات المحمدية المتلقية له وتنحصر مهمة الرسول في حفظ الموحى وتبليغه[1]، فالمتعارف عليه أن النبي ﷺ قد بشر به زمرة من أنبياء الله عليهم السلام[2]، كما شهد صحابة النبي رضوان الله عليهم بنزول الوحي عليه حيث رأوا بأعينهم ما كان يصيب النبي وقتها [3]، كما شهد الله بإرساله وكفى به شهيداً، قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[4]، ولم يعلم يوحنا الدمشقي -وهو ينفي الشهادة بصدق نبي الإسلام- أن في قوله إن المسلمين لا يقبلون ولا يمتلكون

---

(١) أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة تطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، ج 1، المدينة المنورة، ١٩٩٤م، ص١٢٩- ١٣٠.

(٢) تم التعرض لهذا الأمر في الفصل الأول.

(٣) وكان الوحي يأتيه في أحوال مختلفة منها النوم أو أن ينفث في روعه الكلام نفثا أو كصلصلة الجرس وهو أشده عليه، وقيل ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة فيكون أوعى لما يسمع وألقن لما يلقى، ومنها أن يتمثل له الملك رجلاً فقد كان يأتيه في صورة دحية ابن خليفة، وقد يتراءى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها له ستمائة جناح ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت، ومنها أن يكلمه الله من وراء حجاب إما في اليقظة كما في ليلة الاسراء او في النوم كما في حديث معاذ " أتاني ربي في أحسن صورة..."، انظر: ابن اسحق، السيرة النبوية، ج١، ص١٨٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٢٦٧- ٢٦٨، حاشية ٢؛ ابن خلدون، تاريخه، ج٢، ص ٤١٠.

- وقد قالت عائشة رضي الله عنها "سئل الحارث ابن هشام رسول الله كيف يأتيك الوحي، فقال النبي: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعى ما يقول"، قالت عائشة "ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقاً"، رواه مسلم ٢٣٣٣، انظر: الزبيدي، فتح الباري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم ٢-٣، ص ١٣-١٦.

(٤) سورة النساء، آية ١٦٦، ويمكن الرجوع سورة النساء، آية ١٦٣، سورة الأحزاب، آية ٤٥.

ولا يبيعون شيئاً إلا بشهادة[1] دليل على أن أمة الإسلام هي أمة العدل والقسط والشهادة على الناس، وهذا في حد ذاته شهادة على عدالة دينها وصدق نبيها محمد ﷺ[2]، وأنه يعرف بعض أحكام الشريعة الإسلامية ومطلع على الأحكام الفقهيّة[3].

وقد ردد نيقيتاس البيزنطي نفس فرى يوحنا الدمشقي بل زاد من تطاوله بوسم القرآن بالهمجي، ولعل أبلغ ردٍ ما قاله الإمام بن تيمية "إن الكتاب الذي جاء به محمد ﷺ أكمل وشرائع دينه أحسن، فقد جاء موسى عليه السلام بالعدل وعيسى عليه السلام جاء بتكميلها بالفضل، وهو ﷺ قد جمع في شريعته بين العدل والفضل[4]، لذا اعتبر المسلمون أن الإسلام وفاءً للمسيحية كما أنه وحي الله النهائي[5]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[6].

ثم يكمل نيقيتاس بغيهُ برمي الفرى دون أدلة، محاولا ترسيخ المفاهيم الخاطئة عن النبي ﷺ وكتابه فشبه النبي ﷺ كمن يكمم أفواه أو يوصد عقول تابعيه كي لا يناقشوه في أمر وحيه فقال: " حاول غرس الخوف في كل من يحاول الحصول على معلومات بشأن الأصل الإلهي لكتابه المقدس فكان يستخدم مثال موسى وعقاب الشعب اليهودي عندما شككوا في الأصل الإلهي للوصايا وطلبوا منه أن يريهم الله بطريقة ملموسة وواضحة"[7].

---

(١) انظر: سورة البقرة، آية ٢٨٢-٢٨٣.

(٢) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص ٧٤-٧٥.

(٣) محمد حسن بدر الدين، بواكير الجدل المسيحي، ص ١٣.

(٤) الجواب الصحيح، ج ٢، ص ٢٢.

(5) Accad, M., The Gospels in the Muslim Discourse of the ninth to the fourteenth centuries: an exegetical inventorial table (part 1), Islam and Christian-Muslim Relations, vol. 14, No. 1, 2003, p. 74.

(٦) سورة الصف، آية ٦.

(7) Demetriades, Nicetas Byzantium, pp. 39-40.

والمتأمل لهذه الفرية يجد أن نيقيتاس البيزنطي قد طوع ما هو متعارف لبث فريته، صحيح أن بني إسرائيل حدث منهم هذا، لكن كتب التاريخ الإسلامي لم تذكر موقفاً واحداً حدث لصحابة الرسول مشابهاً لما حدث مع كليم الله موسى ﷺ وقومه، فضلاً عن ذكر أي محاولة للنبي ﷺ لفرض رأيه على تابعيه فكيف به وهو لم يفرض رأيه على من قدر عليهم من أعدائه أفيفعله مع من آمن به وآزره؟، بل كان النبي يتبع مع أصحابه ما أمره ربه به اللين والرحمة ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1]، ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

وقد قال البطريرك تيموثي خلال إجابته على سؤال الخليفة المهدي "أليس القرآن منزل من لله؟ فقال تيموثي: إن كان منزلاً من الله لا أستطيع أن أحكم بذلك ولكن أقول: إنّ كلام لله المسطور في التوراة والأنبياء والإنجيل والحواريّين، قد ثبّت كلّه بآيات ومعجزات، كما لا يُخفى أيضاً على دولتكم؛ ولكن أقول: هذا الكتاب لم يُثبّت بآيةٍ واحدة قط، وكان ينبغي أن تُظهر بحقه آيات ومعجزات أخرى كما أن الله ﷻ لمّا أراد أن يُبطل العهد العتيق الذي كان قد ثبّته بآيات ومعجزات كثيرة، ويجعل عوضه الإنجيل صنع آيات أُخرى وعجائب على يد عيسى ﷺ والحواريّين؛ فثبّت الإنجيل وأبطل العهد العتيق هكذا كان يقتضي أن يصنع معجزات وآيات جديدة، لأجل إثبات القرآن وتبطيل الإنجيل وذلك لأنّ الآيات والعجائب هي برهان قاطع عن إرادته تعالى؛ ومن ذلك تعلم دولتكم النتيجة"[3].

---

(١) سورة النحل، آية ١٢٥.

(٢) سورة التوبة، آية ١٢٨.

(3) Hackenburg, C., An Arabic-to-English Translation of the Religious Debate between the Nestorian Patriarch Timothy I and the Abbāsid Caliph al-Mahd, MA Thesis, The Ohio State University, 2009, pp. 88-89.

وبالنسبة لثيودور أبوقرة (٧٤٠/٧٥٠-٨٢٠/٨٢٥م) الذي دار بينه وبين والعلماء المسلمين في مجلس الخليفة المأمون[1] نقاش كبير حول إيمان المسيحيين، سجله في كتاب عد كأهم مصدر أدبي للنقاش الإسلامي المسيحي، ومن ضمن ما حواه محاولته رد اتهام المسلمين للمسيحيين بتحريف الكتاب المقدس فيرمى بها المسلمين فيقول " وإن أعطيت اليقين لعلمت أن كاتبك هو الذي حرف حين تقول الكذب على ربك أنه قال: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾[2]، ثم يقول "أخبرني يا مسلم من هو هذا العدو الأبتر؟ وحيث يقول أيضاً: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾[3]، وهذا شيء ما يشبه الوحي ولا التنزيل ولا يصدق أن رسولك قال شيئاً من هذا[4].

وقد وسم نيقيتاس البيزنطي تعاليم القرآن "بالأكاذيب الواردة في كتاب محمد المزور"، ثم هاجم نيقيتاس البيزنطي القرآن بكل قسوة فقال إنه "سيقارن القرآن مع الكتاب المقدس، وعد ما فيه قذارة قبيحة ومبتذلة، بل لا يمكن أن تنسب للكتاب المقدس[5].

ولدحض هذه الفرية نجد تيموثي كان حذراً في حديثه مع المهدي حيث عرض بعض حججه التي من خلالها يصل المهدي للنتيجة التي يريدها تيموثي

---

(1) Bertaina, An Arabic Account of Theodore, pp. 225-226, 257.

هو عبد الله بن هارون الرشيد، ولد نصف ربيع الآخر سنة سبعين ومائة، واستخلف لخمس خلون من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة، ومات يوم الأربعاء لثمان خلون من رجب سنة ثماني عشرة ومائتين بالبذندون، ودفن بطوس، فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً، ومات وهو ابن تسع وأربعين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً، ابن حبيب، المحبر، ص ٤٠-٤٢، ابن قتيبة الدينوري، كتاب المعارف، ص٣٨٧-٣٩١.

(٢) سورة الكوثر، آية ١-٣.

(٣) سورة المسد، آية ١.

(٤) مجادلة أبي قرة، ص١٠٣-١٠٤.

(5) Demetriades, Nicetas Byzantium, pp. 29-30.

دون أن ينطقها، وهذا يدل على أنه لم يكن يرغب في الاصطدام بالخليفة، لذا عد خطاب تيموثي خطاباً رائعاً حيث استخدم لهجة محترمة تجاه الخليفة، وشخص محمد ﷺ، فضلا عن القرآن نفسه، كما وجد نوع من الألفة في النقاش[1]، وبالنسبة لقوله إن هذا الكتاب لم يُثْبِّت بآيةٍ ليُبطل الإنجيل، كما فعل مع العهد العتيق وأنه لم تحدث عجائب كالتي حدثت على يد عيسى عليه السلام والحواريّين؛ يدل على أنه لم يجانبه الصواب في هذا، فلو أمعن النظر قليلاً لعلم أن القرآن هو معجزة الله التي تحدى بها الإنس والجان فعجزوا عن الإتيان ولو بآية، كما أنه اشتمل على خيري الدنيا والآخرة، يرى البقلاني: "إن نبوة النبي ﷺ قد بنيت على معجزة القرآن، وإن كان قد أُيد بمعجزات كثيرة في أوقات خاصة وأحوال خاصة وأشخاص خاصة، ونقل بعضها متواتراً يقع به العلم وجوداً وبعضها مما نقل نقلاً خاصاً، إلا أنه حُكي بمشهد من الجمع العظيم وأنهم شاهدوه، فلو كان الأمر على خلاف ما حُكي لأنكروه أو لأنكره بعضهم"[2].

وبالنسبة لأبى قرة فنجده قد حُرم البيان عندما قال هذا القول؛ فلو كان ذو منطق سليم لمحص في معاني الآيات القرآنية قبل أن يستدل بآيات عجز عقله السقيم عن فهم معناها، ولم يترك لنفسه فرصة لمعرفة ما تعنيه، وقد فسر الإمام ابن كثير سورة الكوثر فقال: "نهر عظيم في وسط الجنة وعد الله به نبيه محمد في الجنة حافاتاه من ذهب يجرى على الدر والياقوت.."[3]، وبالنسبة لذكر أبو قرة سورة المسد في هذه السورة بها دعاء وخبر عن أبي لهب عم النبي ﷺ، الذي وقف وعارض النبي عندما بدأ يصدع بدعوته، ولم يتوان عن إيذائه هو وزوجته أم جميل[4]، وقد كان حرى بنيقيتاس البيزنطي والبطريرك تيموثي أن يبرهنا على إدعائهما هذا بدلا من إطلاق العنان لاتهاماتهم الباطلة، ولابن ربن تعليق رائع

---

(1) Wilde, C, E., The Qur'ān in Christian Arabic texts (750-1258 C.E.), The Catholic University of America, PHD theis, Washington, 2011, pp. 13-14.

(٢) أبى بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، ١٩٧٨م، ص ٨.

(٣) وقد أسهب بن كثير في ذكر الأحاديث المتعلقة بهذه السور يمكن الرجوع إليها للاستزادة، تفسير القرآن العظيم، مج ٨، ص ٤٩٨-٥٠٥.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٨، ص ٥١٥-٥١٨.

مفاده "لم أجد لأحد عربي ولا عجمي هندي ولا رومي كتاباً جمع من التوحيد والتهليل والثناء على الله عز وجل والتصديق بالرسل والأنبياء، والحث على الصالحات الباقيات والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والترغيب في الجنة والتزهيد في النار مثل القرآن منذ كانت الدنيا، فأما التوراة التي هي في أيدي أهل الكتاب فإننا نجد عامتها في أنساب بني إسرائيل ومسيرها من مصر وحطها وترحالها وأسماء المنازل التي نزلوها وفيها مع ذلك سنن وشرائع تبهر العقول ويعجز عنها حول الرجال وطاقتهم، وأما الإنجيل الذي بأيدي النصارى فإن جله خبر المسيح ومولده وتصرفه وآداب مع ذلك حسنة ومواعظ كريمة وحكم جسيمة وأمثال رائعة وليس فيها من السنن والأخبار إلا اليسير القليل، فأما ما في القرآن من تلك الأخبار فإنما هي تذكير بأيام الله وتمثيل وتحذير، والقرآن منسوج بالتوحيد والتهاليل والتحاميد والسنن والشرائع والخبر والأثر والوعد والوعيد والرغبة والرهبة والنبوات والبشارات بالأمور الجميلة التي تليق بجلال الله وحكمته وطوله وبسط غفرانه ورأفته"[١].

ويرى المؤرخ Bradford: "أن محمداً كان على دراية بالنصوص الدينية الموجودة بالفعل، وإلا فلماذا يتهمونه بأنه مزور"[٢]، ولا تتفق الباحثة مع Bradford في أن النبي كان على علم بالكتب السابقة مسوغاً ذلك باتهامهم بالتزوير، ولكنهم اتهموه بذلك لأنهم كانوا يحاولون نقض وحيه الذي يعلمون يقيناً أنه الحق بأي حجة كي يحافظوا على دينهم، وبالنسبة للقول بتحريف الكتاب المقدس فقد رفض جريفث قائلاً: "في القرآن آية تثبت أن الكتب المقدسة لم تتأثر بأي نقص أو تغيير أو فساد"[٣]، وكأن جريفث يقصد قوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[٤]، وقد قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية:

---

(١) الدين والدولة، ص ٩٨-١٠٣.

(2) Bradford, The Qur'anic Jesus, p. 153.

(3) Griffith, The Qur'an in Arab Christian texts, p. 209

(٤) سورة يونس، آية ٩٤.

"فيها تثبيت للأمة وإعلام لهم أن صفة نبيهم موجودة في الكتب المتقدمة التي بأيدي أهل الكتاب، ورغم ذلك فإنهم يلبسون ذلك ويحرفونه ويبدلونه ولا يؤمنون به مع قيام الحجة عليهم"[١].

ثم يقول نيقيتاس البيزنطي: "إن إلههم هو الشيطان ولا يمكن أن يكون إله إبراهيم، رغم محاولة محمد استخدام اسمه، فيظن الهاجريون أنهم يؤمنون بنفس إله إبراهيم وموسى وهارون وهم مخطئون"[٢].

ولتفنيد الحجة نجد أن النبي ﷺ قد دعى إلى عبادة إله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وهو التوحيد الذي دعى إليه كل الأنبياء [٣] قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ...﴾ [٤]، ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ...﴾ [٥].

يقول ابن ربن: "قال ربانيو اليهود إن هذا إنما يخرج الشيطان برئيس الشياطين، فقال لهم المسيح عليه السلام: إن كل مملكة تفتن على نفسها فإنها تهلك ولا تقوم، وكل مدينة يقع فيها التشتت والخلاف فإنها لا تدوم ولا تثبت، قال: فإن كان الشيطان هو الذي يُخرج الشيطان فكيف يدوم ملكه وعزه؟ فبهت اليهود عند ذلك؛ فهذه حجتنا على من قال في النبي ﷺ ما قالت اليهود في المسيح عليه السلام، فإن مما أدى النبي ﷺ عن الله في الشيطان [٦] قوله ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [٧]، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [٨].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، مج ٤، ص ٢٩٦.

(2) Demetriades, Nicetas Byzantium, pp. 34, 63-65.

(٣) ابن ربن، الدين والدولة، ص ٥٤-٥٥.

(٤) سورة الإخلاص.

(٥) سورة آل عمران، آية ١٨.

(٦) الدين والدولة، ص١١٢.

(٧) سورة المجادلة، آية ١٩.

(٨) سورة فاطر، آية ٦، وقد وجدت آيات أخرى تحذر الناس من الشيطان يمكن الرجوع إليها سورة ص، آية ٧٧-٧٨، سورة ص، آية ٨٥، سورة النور، آية ٢١، سورة الناس.

ثم يقول نيقيتاس البيزنطي "إنه لم يسبق له قراءة قوانين موسى عليه السلام"، ثم انتقل نيقيتاس البيزنطي إلى ذكر بعض سور القرآن فتحدث عن السورة الثانية عشرة "سورة الرعد" فيقول "يذكر محمد ﷺ لسامعيه أن الله هو خالق السماء والأرض وأنه هو سيد المطر والبرد مؤكداً كل ظاهرة طبيعية تبرز بها علامات نبوته، فرعود الله تعرفك أنني رسول الله، وجميع الحيوانات والنباتات التي وضعها الله على الأرض تعرف أنني رسول الله"، ثم اختتم نيقيتاس هذه الفقرة بشكل سيئ فقال: لذا فإن كل شيء يحدث يدل على نبوة محمد ﷺ حتى عندما ينهق الحمار يجب أن يرى البرابرة في ذلك أيضاً علامة وشهادة أن محمد رسول الله، ولم يقتصر الأمر على ذلك فبدا نيقيتاس وكأنه ليس راضياً عن كون القرآن أنزل باللسان العربي عندما قال "أعطى القرآن بحروف عربية"(1).

ولنا أن نتسائل إن كان النبي ﷺ كما قال نيقيتاس البيزنطي فلماذا يتهمونه بالتعرف على العهدين أو ليس ما جاء به موسى عليه السلام من العهد القديم، وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على تناقضهم وكذبهم، والمتأمل لقول نيقيتاس البيزنطي يجده قد استخدم أسلوباً لاذعاً في نقد هذه السورة، ولم يثبت في القرآن أن النبي قال هذا، بل يبدوا أن نيقيتاس البيزنطي قد خلط بين ما قاله النبي "ما من شيء يعلم أني نبي" واستخدمه بطريقة مهينة ليقلل من قيمة النبي ﷺ، كما أنه حاول أن يرسخ في الأذهان أنه -القرآن - خاص بالعرب، ومن ثم فهم غير معنيون بقبوله.

وللإمام ابن تيمية رد رائع أراد به دفع ما يتوهم الخصوصية لكون القرآن عربياً مفاده: "الكتب لا ينزلها الله إلا بلسان الذي نزلت عليه ولسان قومه الذين يخاطبهم أولاً ليتمكنوا من فهم ما أرسل به الرسول إليهم، ثم بعد ذلك تبلغ الكتب وكلام الأنبياء لسائر الأمم إما بالترجمة لمن لا يعرف لسان ذلك الكتاب

(1) Demetriades, Nicetas Byzantium, pp. 49, 50-51.

فيعرفون معانيه، وإما بأن يبين للمرسل إليه معاني ما أرسل به الرسول إليه بلسانه وإن لم يعرف سائر ما أرسل به، فالتوراة نزلت باللسان العبري وحده وكذلك الإنجيل، وقد أنعم الله على عباده لأن اللسان العربي أكمل الألسنة وأحسنها بياناً للمعاني فخوطب به العرب أولاً ليفهموه بلغتهم، ثم من لم يعلم لغتهم ترجمه له من عرف لغتهم وبذلك تقام به الحجة على العرب أولاً لأنهم عرفوا معانيه قبل غيرهم[1]، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2]، ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾[3]، ويقول البقلاني: "إن القرآن معجزة عامة عمت الثقلين وبقيت بقاء العصرين ولزوم الحجة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة، فلا يصح بعثة نبي من غير أن يؤتى دلالة ويؤيد بآية لأنها البرهان يميز الكاذب ويستدل به على الصدق، فلو جاء النبي ﷺ بآية وكان قومه عاجزين عنها صح له ما دعاه ولو كانوا غير عاجزين عنها لم يصح أن تكون برهاناً له، وليس يكون معجزاً إلا بأن يتحداهم إلى أن يأتوا بمثله فإذا تحداهم وبان عجزهم صار ذلك معجزاً"[4]، وقد تحقق ذلك للنبي ﷺ حيث جاء لقوم أهل بلاغة وفصاحة فعجزوا عنه وإن كان كلام بشرى كما أدعى المشركون العرب ومن بعدهم الجدليون البيزنطيون لنجحوا في الإتيان بمثله.

---

(١) الجواب الصحيح، ج ٢، ص ٥٢-٦٩.

(٢) سورة إبراهيم، آية ٤، سورة طه، آية ١١٣.

(٣) سورة فصلت، آية ٤٤.

(٤) إعجاز القرآن، ص ٨، ص ١٧ وما بعدها.

ثالثاً: دحض الثواب والعقاب

تحدث البيزنطيون عن الثواب والعقاب في الآخرة، وكان في مقدمة من تحدث، يوحنا الدمشقي الذي أسهب في الحديث عن أنهار الجنة فقال: " هل سبقتكم الناقة إلى الجنة ومنها ينبع نهر اللبن الذي لكم والذي تتفوهون بالحماقات في شأنه؟ فإنكم تقولون فعلاً بأن ثلاثة أنهار تجرى في جنتكم: واحد من الماء، والآخر من الخمرة، وآخر من اللبن، وإذا ما كانت الناقة سبقتكم فهي خارج الجنة، فإما أنها قد جفت من الجوع والعطش بالتأكيد، وإما أن آخرين يستفيدون من لبنها، وعبثاً يتكبر نبيكم من ثم بأنه كان على علاقة مع الله في حين أن سر الناقة لم يُكشف له، أما إذا كانت في الجنة، فهي تشرب الماء من جديد وأنتم تجفون من العطش وسط جنة النعيم، وإذا رغبتم في خمرة النهر الذي يمر على مقربة من نهر الماء شاربين إياه صِرفاً لانعدام الماء إذ تكون الناقة قد شربت كل شيء، فلسوف تلتهون والسُكر يجعلكم تهذون وترقدون وهكذا تنسون متع الجنة من ثم وقد أثقل النوم رأسكم وأصبحتم سُكارى من الخمرة بالكلية، فكيف لم يفكر نبيكم إذا بهذه الحوادث المتوقعة حتى لا تصيبكم في جنة النعيم، وكيف أنه لم يهتم بالناقة وبمعرفة مقر سكناها الآن؟ بل لما لم تسألوه عن ذلك حتى عندما أعلمكم عن الأنهار الثلاثة بالتفصيل في الحلم، أما أنتم فإننا نعلن لكم بوضوح أن ناقتكم الخارقة قد سبقتكم إلى نفوس الحمير إلى حيث أنتم موشكون على الولوج بدوركم كالبهائم في الظلمة البرانية والعذاب الأبدي والنار التي لا تنطفئ والدود الذي لا ينام وشياطين جهنم"[1].

كما قال البطريرك تيموثي: "فأما الذين كانوا يتبعونه في إكرام الله ومخافته كان يمجّدهم ويكرّمهم ويمدحهم، ويوعدهم بالجنّة والمجد والإكرام من الله في هذا العالم وفي الآخرة بالجنّة، وأما الذين كانوا يعبدون الأصنام ويسجدون لها،

---

(١) الهرطقة المئة، ص ٥٨-٦٠.

فكان يحاربهم وينذرهم بعذاب أليم في نار الجحيم التي بها يحترق المنافقون وهم فيها خالدون"(1).

أما ثيودور أبو قرة فقد قال: "وثواب المحسنين جنة يجرى من تحتها أنهار من ماء ولبن وعسل وخمرة لذة للشاربين (2)، ونساء حور عين لم يطمثهن الجن ولا الأنس(3)، للنعمة مما يشتهى الإنسان من الطيبات كلها في قصور من زمرد وياقوت وذهب وفضة وغير ذلك من مثله إلى الأبد، ووعدهم للمسيئين جهنم لا تطفى نارها"(4)، ثم حاول ثيودور أبو قرة دحض ما سمعه فقال: "إن نعيم الآخرة الذي زعمتموه لي فما أوثر ذلك النعيم الذي يعدوني إياه من الأكل والشرب والنكاح لحور العين من غير صلوات ولا تسبيح الله لأني إنما أكون فيه بمنزلة البهائم وكمثل بردون أمرج في مرج يمرج إلى الراعي وأنهار وحلى معه مهارة ورمال كثيرة فهو يأكل ويشرب ويختار ما ينكح ولا صلاة عليه قلت: لا أريد يا هذا الصديق هذه الجنة بل الجنة التي وعد بها سيدي يسوع وربي وإلهي هي النعيم الذي لم يشاهده منظر عين ولم يسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر لأنه أجل وألذ وآمل هذا من ربى وإلهي لا غيره"(5)، وقد حاول أبوقرة أن يتوصل لمعرفة الثواب والعقاب في الآخرة، فقال: "إنه مرتبط بمعرفة ما يُسعد ويُشقى الإنسان، فعدد متع الدنيا التي وإن فقدت شقي الإنسان، فرأى أن هذه الشهوات جميعاً لا يقدر أن يلبيها في الآخرة أحد إلا الله لأنه لم يخلقها فينا ليشقينا، ولكن غاية نعيم المرء أن تتغير طبيعته الإنسية فتصير في الطبيعة الإلهية لكن هذا محال ولا

---

(1) Hackenburg, An Arabic-to-English Translation of the Religious Debate, p. 102.

(2) ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾، سورة محمد، آية ١٥.

(3) ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾، سورة الرحمن، آية ٥٦.

(4) ثيودور أبوقرة، ميمرٌ في وجود الخالق والدين القويم، ص ٢١٠.

(5) مجادلة أبي قرة، ص ١١٨.

يستقيم، لذا نبقى على ما نحن فيه من طبيعتنا الإنسية ونشتمل طبيعة الله ونصير بها آلهة من غير تغير بمنزلة جديدة تُدخلها النار فتحمى وتخرجها منها وقد صارت ناراً ولم تتغير عن طبيعتها بل هي حديدة مشتملة بنار، تعمل عمل طبيعة النار لأنها تحرق وتضيء وتسخن، كذلك يشتمل ويخالط طبيعتنا الله تبارك وتعالى من غير تغيير ولذلك نستفيد من ملامسته الحياة الدائمة بلا موت ولا تغيير ولا فساد، وهذه الفواضل لو قسناها بفواضل طبيعة آدم، وترفع الله فيها على آدم بالخلاف حيث وصفنا أن آدم موجود لكنه غير باق، وقلنا إن الله أيضاً موجود ولكن يرتفع عن الذي لآدم على الخلاف لأنه باق غير، ومن ثم فإن طبيعتنا تنعم بالله، وهذه النعمة ثواب لأحبائه والشقاء عقاب مخالفية"[1].

أما المؤرخ ثيوفانيس فقد قال: "كان يعلم رعاياه أن من يقتل عدو أو يُقتل من قبل العدو يذهب إلى الجنة، وقال إن هذه الجنة متعها جسدية كالأكل والشرب ومخالطة النساء، وقد وصفت لهم بأنها طويلة الأمد ومستمرة، والنساء هناك ليسوا كمن لديهم ولكنهم مختلفين، كما أن بها نهر من الخمر والعسل والحليب؛ وغيرها من الأمور المليء بالتبذير والغباء"[2].

كما قال نيقيتاس البيزنطي: "حاول أن يقنع أتباعه بالوحي الإلهي لكتابه المقدس ويحثهم على قبول كل ما كتب فيه بطريقة عمياء، مذكراً إياهم بمجيء يوم القيامة، فاستخدم أسماء كل من نوح وموسى وبعض الأنبياء الآخرين غير المعروفين، ليثبت أن هؤلاء اتبعوا وصايا الله فكوفئوا وأن الذين لم يطيعوه عوقبوا، لذا فالمؤمنين سوف يتمتعون بالملذات الدنيوية في حين أن غير المؤمنين سوف يعاقبون في نار جهنم، وقد رأى محمد القيامة من منظور العالم المادي، لذا رفض نيقيتاس وصف النبي للجنة وعده وصف غريب، لكنه قال إن عذاب جحيمه مماثل لما وصف في الإنجيل"[3].

---

(١) ميمر في وجود الخالق، ص ٢٣٢-٢٣٩.

(2) Chronographia, p, 465, Hoyland, Seeing Islam As others saw it, P. 404..

(3) Demetriades, Nicetas of Byzantium, pp. 32, 39, 43, 51, 54.

وردد نفس القول عمار البصرى (ت ٨٥٠م)[١] الذي قال: "إن ثوابنا في العالم الدائم ليس بالنكاح والأكل والشرب"[٢]، فعد اعتقادهم في الفردوس نوع من الغباء بمكان لأنهم يقولون إنه يحتوي على أكل وشرب مادي وزواج ومتكآت على سرائر من ذهب وأفرشة من ريش النعام وأنهار من لبن وعسل وأشجار تحمل أثماراً شهية"[٣].

وللرد على هذه الفرية نجد أن الجدليين البيزنطيين لم يقبلوا ما جاء في القرآن الكريم من ذكر نعيم الجنة فعدوه شيء غير طبيعي أو مألوف، وكأن النبي محمد قد جاء بشيء غريب وتناسوا أن نبي الله موسى ﷺ قال عن الله: "أنا وحدي وليس سواي إله أنا أميت وأنا أحيي"[٤]، وهذا القول من نبي الله موسى دليل على وجود حياة أخرى بعد الموت لذا لم يكن ما قاله النبي شيء غريب.

والمتأمل للقرآن الكريم يجده قد ذكر المعاد وتفصيله من وصف الجنة والنار والنعيم والعذاب ما لايوجد مثله في التوراة والإنجيل إلا أوصافاً مجملة ومبهمة مثل يوم الدينونة، والسعادة الأبدية والعذاب السرمدي ونحو ذلك وهذه ميزة للقرآن الذي وجدت فيه سوراً كثيرة تتحدث عن ذلك[٥]، فعندما يعرف الإنسان المصير الذي يسير إليه الناس جميعاً، يكون ادعى للمحافظة على عقيدة

---

(١) كان معاصراً للخليفة المأمون، وهو نسطورى من أشهر الجدليين في منتصف القرن التاسع الميلادي.

Griffith, S, H., The unity and Trinity Christian Doctrinal Development in Response to the Challenge of Islam—An Historical Perspective, James Clarke and Co Ltd, 2014, p. 8, Husseni, S, L., Early Christian Explanatons of The Trinity in Arabic in The context of Muslim Theology, PHD thesis, Theology and Religion University of Birmingham, March 2011, p. 206.

(٢) كتاب البرهان وكتاب المسائل والأجوبة، حققه وقدم له ميشال الحايك، دار المشرق، لبنان، ١٩٧٧م، ص ٥٧، ٩٠.

(٣) السرياني، تاريخه، ج ٢، ص ٢٩٩.

(٤) ابن ربن، الدين والدولة، ص ٢٠٤.

(٥) انظر سور: ق، والطور، والرحمن، والواقعة، والحاقة، والمعارج، والمدثر، والقيامة، والإنسان، والنبأ، والنازعات، وعبس، والإنفطار، والانشقاق، وغيرها.

التوحيد الخالص التي أمر الله تعالى بها عباده، وهذا أسلوب من أساليب القرآن في الترغيب والترهيب للناس حتى يخلصوا لله تعالى في عبادته وطاعته وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه[1] قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾[2]، وقد فسر ابن كثير هذه الآية فقال: "ولما كان يوم المعاد والجزاء بالخير والشر واقعاً لا محالة، أنزلنا القرآن بشيراً ونذيراً، بلسان عربي مبين فصيح لا لبس فيه ولا غي، وصرفنا فيه من الوعيد كي يتركون المآثم والمحارم والفواحش بإيجاد طاعة الله وفعل القربات"[3]، وترى الباحثة أنه وجد نوع من تطابق المعلومات حول أنهار الجنة بين كل من يوحنا الدمشقي وثيوفانيس عندما حددا أنهار الجنة بثلاثة "خمر وعسل ولبن"، لكن ثيودور أبو قرة كان أكثر دراية منهم عندما ذكر أنها أربعة "ماء وخمر وعسل ولبن"، مما دل على معرفته الدقيقة بهذا الأمر، كما أنهم حاولوا أن يصوروا أن نعيم جنة المسيحيين غير نعيم جنة المسلمين، فثيودور أبو قرة كان يرى أن النعيم لا يكون إلا بالصلاة والتسبيح، وقد علل رفضه لهذا النعيم لأنه رأى المتع إن منعت تألم الإنسان وشقي لذا المتع الروحانية هي السبيل لسعادة الإنسان، وقد نسي ثيودور أبوقرة أن هذا في الدنيا فالجنة دار جزاء على ما قدمه العبد في الدنيا فلا شقاء فيها ولا ألم، ولابن ربن رداً بليغاً على من أنكر قول النبي إن في الآخرة أكلاً وشرباً فذكر قول المسيح لتلامذته حين شرب معهم "إني لست شارباً من ابنة هذه الكرمة حتى أشربها معكم تارة أخرى في ملكوت السموات"، فأخبر أن في الملكوت شراباً وشُرباً، وحيث يكون الشربُ لا يُستنكر فيه المأكل واللذات، وقال لوقا في إنجيله عن المسيح أنه قال "ستأكلون وتشربون على مائدتي في ملكوتي"[4]،

---

(١) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص ١٠٩-١١٠.

(٢) سورة طه، آية ١١٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، مج ٥، ص ٣١٨-٣١٩.

(٤) ذكرت هذه الآية حتى يأتي ملكوت الله في الإصحاح الثاني والعشرون، آية ١٨، وبالنسبة للآية الأخرى ٢٩-٣٠، ولكن ابن ربن ذكرها "مائدة أبي" ولربما كانت هذه الكلمات موجودة في النسخة التي إعتمد عليها، لكنها غير موجودة في النسخة العربية، انظر: الدين والدولة، ص ٢٠١.

وقال يوحنا في إنجيله "عن المسيح" في بيت أبي منازل كثيرة"[1]، فهذه كلها تصحح وجود الأكل والشرب والغرف والنعيم في الآخرة[2]، وهذا موافقاً لقول الله تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[3]، وترى الباحثة أن النعيم الذي ذكر في القرآن لا يختلف البتة عما ذكر في الكتاب المقدس، فلماذا يرفضه المسيحيون، ويتهكمون ويسخرون من نعيم المسلمين، مما يعد مخالفة صريحة منهم لما جاء في كتابهم المقدس، ومن ثم تكذيباً بما جاء به، ويقول Vila: "احتوى الهجوم على لهجة قاسية جداً، وهذا النوع من الحوار ليس من شأنه أن يبني الجسور بين المسيحيين والمسلمين، وعلى الرغم من ذلك يتضح حقيقة أن يوحنا حاول أن يفهم التقوى الإسلامية حتى لو كان في النهاية سيرفضها مع الإزدراء[4]، وتتفق الباحثة مع المؤلف في كلامه، صحيح أنه من حق أي إنسان أن يحاول أن يفهم ومن ثم يعترض، لكن بأسلوب لا يُثِير من يناقشه وإلا لأوصد من يناقشه باب النقاش ولحرم من الوصول للحقيقة، وبالنسبة لتهكم يوحنا الدمشقي على المسلمين بقوله "... إن ناقتكم الخارقة قد سبقتكم إلى نفوس الحمير... [5]، فقد علق معرب كتاب يوحنا الدمشقي[6] على هذه الفقرة فقال: "إن إستعمال يوحنا الدمشقي عبارات لاذعة تجاه المسلمين كان في نيته أن يصور لهم بواقعية ما ستؤول إليه حالهم إذا ما أصروا على المضي قدماً في مزاعمهم المنحرفة، وهذا لا يعني أنه يدينهم بأحكام جائرة، حاشا؛ بل على العكس من ذلك، إذ بوضعه نُصب أعينهم هذه الحالة الرزية يحرضهم على اجتنابها بغية عدم السقوط في الخطيئة التي تُحدِر الإنسان إلى مستوى البهائم وتُزيغه عن الهدف الحقيقي الذي دُعي إليه، فلا شك أن دافعه غيرته على خلاص المسلمين، ليرتدعوا عن

---

(١) الإصحاح الرابع عشر، آية ٢.

(٢) الدين والدولة، ص ٢٠١.

(٣) سورة التوبة، آية ٢١.

(4) Vila, Christian martyrs, pp. 195-196.

(٥) الهرطقة المئة، ص ٥٩.

(٦) لم يتثنى للباحثة أن تعرف عنه شيئاً.

ضلالهم ويخلُصوا في معرفة الحق؛ فهذا هو موقف المحب الصادق في محبته العطوف"[1].

ولا تتفق الباحثة مع قول المعرب، فاللهجة القاسية جداً لا يمكن أن تدخل ضمن أي نوع من الحوار الذي من شأنه أن يبني الجسور بين المسيحيين والمسلمين[2]، بل إنه لم يقتصر على استخدام أسلوب لاذع في حديثه، فأصدر قرار الحرمان ضد المسلمين فعد أول من فعل ذلك من النصارى[3] فمهد بذلك الطريق لمن بعده، حيث سار ثيودور أبو قرة على نفس وتيرته حينما قال: "إن الله بالتأكيد لا ينتوي لمخلوقاته أن تكون سعيدة فقط في الأكل والشرب أو بالجماع مع النساء، والسعادة مشبهاً ذلك بحياة الحمير، والخنازير ووحوش أخرى". فعدت هذه الكلمات أكثر قسوة[4]، وبالنسبة لنيقيتاس البيزنطي فقد حاول أن يرسخ لقرائه أن سبب ذكر النبي لنعيم الجنة هو جعل أتباعه يؤمنون بأن كتابهم المقدس هو من عند الله ليقبلوا بكل ما كتب فيه بطريقة عمياء، طالباً منهم أن يأخذوا العبرة والعظة ممن سبقوهم لأن من اتبعوا وصايا الله كوفئوا وأن الذين لم يطيعوه عوقبوا في نار جهنم، وقد جاف نيقيتاس البيزنطي الصواب؛ فلم يكن النبي بحاجة لذلك لأن من اتبعوه ما آمنوا به إلا بعدما لمسوا بأنفسهم صدقه، وبالنسبة لرفض نيقيتاس وصف النبي للجنة وقوله إنه وصف غريب، فأية غرابة والكتاب المقدس أكد وجود النعيم، وبالنسبة للعذاب فلم يعترض عليه أحد من الجدليون، فأفصح نيقيتاس البيزنطي عن ذلك بقوله إن عذاب جحيمه مماثل لما وصف في الإنجيل، وقد أصاب في قوله هذا حيث ورد في هذا السياق قول داود النبي ﷺ في الزبور: إن الجبابرة يبعثون وينشرون ويمجدون لك يارب ويخبرون أن في القبور نعمتك[5]، وللرد على قول نيقيتاس البيزنطي إن كان

---

(١) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص٥٩-٦٠، حاشية ٢٢.

(2) Vila, Christian martyrs, p. 195.

(٣) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص ١١٠.

(4) Vila, Christian martyrs, p. 223.

(٥) ابن ربن الدين والدولة، ص ٢٠٤.

عذاب جحيمه مماثل لما وصف في الإنجيل، فالأولى أن يكون النعيم كـذلك، وبالنسبة لتهكم يوحنا على المسلمين بأن السُكر سوف يجعلهم يهذون ويرقـدون وينسون متع الجنة.... فهذا الأمر مستحيل لأن نبيذ الجنة لا يسكر(١).

ثم يقول أبو قرة "لعمري إن بقولك لا إله إلا الله تشهد لنفسك بنعيم الجنـة فبأى شيء ترى أن لا يدخل الجنة معك أحد من خلقه، ولعمري إنه كذلك فلأن الله ﷻ لا يدخلنا وإياكم في جنـة واحـدة إذ لم تتبعـوا مسـيحه وتؤمنـوا بكلمتـه وروحه(٢)، وكرر نفس الأمر نيقيتاس عندما قال "إنه يجعـل مـن نفسـه الوريـث الوحيد للجنة "(٣).

ولتفنيد هذا الأمر نجـد أن الله ﷻ قـد ذكـر في القـرآن الكـريم أن اليهـود والنصارى هم من قالوا ذلك وليس النبي ﷺ قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾(٤)، وقد فسر ابن كثير الآية فقال: "بين تعالى اغترار اليهود والنصـارى بمـا هـم فيـه حيث دعت كل طائفة من اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان علـى ملتها، وهذه الدعوى التي ادعوها بلا دليل ولا حجة ولا بينة، كمـا بـين تعـالى تناقضه وتباغضهم وتعاديهم وتعاندهم وسياق الآية ذمهم(٥).

ويكمل نيقيتاس البيزنطي فيقـول: "رفـض المسـيحيون واليهـود أسـاطيره وكتابه المقدس ودينه الهمجي، ووعوده الكاذبة لأتباعه بميراث الجنة مع النساء ذوات البشرة البيضاء الجميلات العيون الجميلـة، وسـيكون الجمـاع في وجـود الله، الذي لا يكون خجلان/ مستحي"(٦)، ومن الواضح أن القصد هنا أن يظهـر

---

(1) Merrill, of the tractate of John Damascus, p. 94.

(٢) مجادلة أبي قرة، ص ٨٩.

(3) Demetriades, Nicetas of Byzantium, p. 34.

(٤) سورة البقرة، آية ١١١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، مج ١، ص ٣٨٤-٣٨٧.

(6) Demetriades, Nicetas of Byzantium, p. 32.

الإسلام كدين حسي، وهو الموضوع الـذي ذكـر مـراراً وتكـراراً في الكتابـات المسيحية ضد الإسلام، وبالنسبة لقول نيقيتاس إن الجماع سيكون في وجود الله يعد محاولة لصدمة قرائه ليروا إدعاءات الإسـلام علـى أنهـا سـخيفة[١]، وكـان حرى به أن يذكر لنا أي سورة تحدثت عن هذا الأمر بدلاً من إلقاء التـهم هكـذا دون دليل.

ثم عرج أبـو قـرة علـى فريـة أخـرى وهـى أن جنـة المسـلمين لا تنصـف الزوجات، فيقول: "إن كانـت الجنـة معـدة لكـم فمـن هـم أزواج نسـاؤكم في الآخرة، إذ قد نكرتموهم واخترتم عليهم حور العين وتركتموهن في حزن وكرب عظيم وأنتم في غبط وسرور مع حور العين، وبذلك تنسب لله الجور والظلـم إذ جعل زوجات للرجال ولم يجعل أزواجاً للنساء فقد جار عليهم وظلمهم، ومعاذ الله عز وجل عن هذه الحكاية"[٢]، ثم إنتقل ثيودور أبـوقرة لفريـة أخـرى فقـال: "فأخبرنى يا مسلم من هم المسلمون ومن هم المؤمنون؟ فقال محاوره العراقى[٣] نحن المسلمون والمؤمنون، فقال أبو قرة: فأخبرنى هل الإسلام واحد أم اثـنين؟ قال العراقى إن الإسلام واحد والإيمان واحد، فقال أبو قرة: قد حرفت يامسلم، قال المسلم: وكيف ذلك يا أبا قرة، فقال أبو قـرة: لـو كـان الإسـلام والإيمـان واحداً لم يفرق نبيك بينهم ولا كان لنبيك فضل على جميع المسلمين، ولو كـان كما تقول فنساؤكم المؤمنات مع أزواجهن في الآخرة، وإذا كان لكم أنتم دونهم حور العين فكان يجب عليكم أن لا تريدوا بنسائكم بدلاً لا في الدنيا [٤]، ولا في الآخرة إذ هن كما تقول مسلمات ومؤمنات"[٥]، ثم حاول نيقيتـاس تأكيـد عـدم الحاجة لوجود النساء والرجال معاً في الجنة على عكـس مـا قالـه الـنبي محمـد

---

(1) Vila, Christian martyrs, pp. 235-236.

(٢) مجادلة ثيودور، ص٧١-٧٢.

(٣) مجادلة ثيودور، ص٧١-٧٢.

(٤) لم يذكر اسمه في النص.

(٥) مجادلة أبي قرة، ص ١٠٤.

فقال: "صحيح أن الكتاب المقدس وعد بقيامة الأموات/ البعث، ولكن هذا لا يعني أن دورة الحياة والموت سوف تتكرر، لذلك ليس هناك حاجة للذكور والإناث بعد البعث، ولكن محمد أدخل زوراً تصور مخالطة الرجال والنساء في الجنة ولا يمكن للمرء أن يعترض على حدوث هذا من قبل - مشيراً إلى آدم - الذي خلق من تراب ثم أنجب الأطفال، لأن ذلك حدث بعد سقوطه وذلك للحفاظ على الجنس البشري"[1].

ولتفنيد هذه الفرية نجد أن ثيودور أبو قرة لا يعلم أن الجنة ليس فيها ما في الدنيا حيث قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]، وإن كان الله قد أعد الجنة ثواباً لعباده وتكريماً له فلا يُعقل أن ينغص عليهم صفوها فضلاً عن أن يجور عليهم ويظلمهم فحاشاه سبحانه، وبالنسبة لسؤاله عن من يكون أزواج النساء في الجنة يمكننا الرجوع لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾[3]، وقد قال ابن كثير في تفسيرها "يعني الثيب والأبكار اللاتي كن في الدنيا، وقد سئل النبي ﷺ هل نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال ﷺ: بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله فألبس وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الألوان وخضر الثياب، صفر الحلى وأمشاطهن الذهب، يقلن نحن الخالدات فلا نموت أبداً ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا طوبى لمن كنا له وكان لنا، وعندما سئل النبي ﷺ

---

(1) Demetriades, Nicetas Byzantium, p. 59.

(٢) سورة الأعراف، آية ٤٢-٤٣.

(٣) سورة الواقعة، آية ٣٥-٣٦.

يكون للمرأة أكثر من زوج في الدنيا فمن يكون زوجها في الجنة قال النبي ﷺ: تختار أحسنهم خلقاً"[1].

إن المتأمل لهذه الفرية يجد أبو قرة قد إستعان بآيات قرآنية لكنه أساء فهمها فبالنسبة للآية القرآنية ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ...﴾[2] قال ابن كثير: "هذا دليل على أن الإيمان غير الإسلام وهو أخص منه"[3] لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]، ويدل أيضاً حديث جبريل حين سأل النبي ﷺ عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان فترقى من الأعم إلى الأخص ثم للأخص منه[5]، وهؤلاء الأعراب مسلمين لكن لم يستحكم الإيمان في قلوبهم فادعوا لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه، والمؤمنون هم الذين لم يشكوا ولم يتزلزلوا بل ثبتوا على حال واحدة وهي التصديق المحض، فبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه، وليسوا كالذين لم يأخذوا من الدين إلا الكلمة الظاهرة[6]، وقد ناقض نيقيتاس نفسه في هذه الفقرة عندما ذكر آدم عليه السلام كمثال، أضف لذلك ما معنى قوله لا حاجة لوجود الرجال والنساء معاً، هل كان يقصد أن الرجال سيكونون في جنة منفصلة عن النساء؟ أم أنه سيدخل الجنة الرجال دون النساء؟ أو العكس؟، فلو فرضنا أن ذلك سيحدث لعد ظلماً للنوع المحجوب وتعالى الله عن الظلم، لذا عد كلامه غير منطقي فكان حري به أن يوضح ما يعنيه من هذا القول.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، مج ٧، ص ٥٣١-٥٣٣.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٣٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، مج ٦، ص ٤١٨.

(٤) سورة الحجرات، آية ١٤.

(٥) عن هذا الحديث انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم ١-٥، ص ٢٣-٢٥.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٧، ص ٣٨٩-٣٩٠.

ثم يكمل أبو قرة فيقول: "أما تستحي من هذا المحال وتسب ربك إلى هذا وتحكي أن نبيك يقوله وتسأل الله النجاة والسلامة والعافية من حرارة النار الملتهبة الذي يهد بها عليك كتابك إذ يقول وما منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ففلح الذين آمنوا ونذر الظالمين فيها حيناً[1] فكيف تأمل الجنة والحور العين وهذا الوعد لك وقدامك وبين يديك وقد قال كتابك: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[2]، فأنت تبطل هذا الوعيد الذي أوضحه كتابك وترجوا ما لم يخصصه لك"[3].

وللرد على هذه الفرية يتضح أن أبا قرة قد أساء فهم الآية القرآنية والتي فسرها الإمام ابن كثير حيث قال: "يخبر الله تعالى أنه قد سبق في قضائه وقدره لعلمه التام وحكمته النافذة أن هناك من خلقه من يستحق الجنة ومنهم من يستحق النار وأنه لابد أن يملأ جهنم من هذين الثقلين الجن والإنس، وله الحجة البالغة والحكمة التامة"[4].

---

(١) أخطأ أبو قرة في ذكر الآية وهي: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾، سورة مريم، آية ٧١-٧٢.

(٢) سورة هود، آية ١١٩.

(٣) مجادلة ثيودور، ص٧٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم، مج ٤، ص ٣٦٣.

رابعاً: التشكيك في قصص القرآن الكريم:

كان ينظر للقرآن إبان النصف الأول من القرن الثامن الميلادي على أنه تجميع لقصص كتابية نُقلت وفُهمت بشكل سيئ، وكان الهزئ به يكفى لكن تغير الأمر عندما ظهر علماء مسلمون قادرون على الرد على على الشبهات استناداً إلى العقيدة الصحيحة[١]، والمتأمل لبعض الصور المشوهة والتهم والإفتراءات الباطلة التي رددها النصارى عبر العصور يجدها تُهم قديمة أشاعها المشركون من كفار قريش فمنذ بعثة النبي ﷺ فقالوا بأن القرآن إنما هو من الشياطين، فرد الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾[٢]، ولاشك أن إهتداء الكثير من النصارى في بلاد الشام ومصر إلى الإسلام قد أثار حفيظة بعض رجال الدين المتعصبين الذين خشوا انقراض النصرانية وزوالها لحساب الإسلام، فعمدوا إلى اختراع الوسائل لتثبيت النصارى على دينهم ومنع من يوشك منهم أن يعتنق الإسلام عن طريق اتهام الإسلام بالهرطقة والوثنية، وتشويه سيرة النبي ﷺ ورسم صورة كريهة له في نظر النصارى لكيلا يقبلوا على إعتناق دينه[٣]، ويأتي على رأس هؤلاء جميعاً يوحنا الدمشقي الذي قال: "بعد أن تعرف محمد بالصدفة على العهدين القديم والجديد صاغ هرطقته"[٤]، وهو بذلك يوحى لقراءه أنه بتعرف النبي ﷺ على التوراة والإنجيل تثني له التعرف على قصص الأنبياء، وقد جهل يوحنا الدمشقي بأن الله ﷻ قال: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾[٥]، وقوله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ... ﴾[٦]، أي أن مصدر كلامه الله ﷻ.

---

(١) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٣٩-٤٠.

(٢) سورة الشعراء، آية ٢١٠-٢١٢.

(٣) على بن محمد عودة الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص ٩.

(٤) الهرطقة المئة، ص ٥٠.

(٥) سورة يوسف، آية ٣.

(٦) سورة آل عمران، اية ٤٤.

وقد قام الجدليون البيزنطيون وعلى رأسهم يوحنا الدمشقي ومن أتى بعده بتفنيد بعض سور القرآن الكريم في محاولة منهم للتشكيك في قصصه، فقال يوحنا الدمشقي "أنشأ مؤلفات سخيفة وأعطى لكل منها اسماً"[1]، أما نيقيتاس البيزنطي والذي تخصص في تفنيد القرآن والهجوم عليه فقد قال: "إنه سيدرس الكتاب المزور لمحمد العربي بناء على طلب من الإمبراطور ميخائيل الثالث Michael III (٨٤٢-٨٦٧م)[2]، لمعرفة ما إذا كان يحتوي على أي شيء صادق وصحيح، مستعيناً بقوة الروح القدس لهدم تأسيس هذا الكتاب غير المنطقي، ولأنه فاسد فمن السهل أن يُرمى به كالبيت المتهاوي الذي لا يمكن الاعتماد عليه في الأمان؛ لأنه شُيد بشكل سيء من المواد الرخيصة، لذا فمن واجبه مقارنة الكتاب الحقيقي لله والمقبول من الجميع بكتاب محمد مقارنةً مفصلة تثبت غرابة وغير معقولية إدعائه الباطل، موضحاً أن السمة الرئيسية للكتاب المقدس أنه من وحي الله حيث الأدلة التي لا لبس فيها، والتوجيه الحكيم من الروح القدس، ولكن الكتيب البائس وغير المعقول لمحمد والملئ بكل مكروه ومبتذل، لأنه ليس به أي صفة لكتاب نبوي أو تاريخي أو تشريعي أو لاهوتي أو منطقي أو مكتوب بشكل صحيح، لأن مصدره الشيطان، لذا فهو يبدوا غير لائق المظهر، ولكي يبرر محمد موقفه قام بقبول الكتب السماوية السابقة ليصبح قبول القرآن معياراً للكفر والإيمان، وبعد هذه المقدمة بدأ نيقيتاس البيزنطي بعرض

---

(١) الهرطقة المئة، ص ٥٦.

(٢) هو الإمبراطور ميخائيل بن الإمبراطور ثيوفيلوس Theophilos، ولد في ١١٩ يناير ٨٤٠م، وتوفى والده في يناير ٨٤٢م، ولم يكن قد تجاوز السنتين، فأصبح تحت وصايه أمه الإمبراطورة ثيودورا Theodora فلم يكن له من أمره شيئاً حتى عام ٨٥٦م، فبدأ عهده الذي اتسم بالنصر في الحروب وعقد الإتفاقات الدبلوماسية، كما تميز عهده بظهور نهضة علمية على يد برداس، وشاء القدر أن يقع ميخائيل تحت تأثير باسيل الأول المقدني فِيشركه معه في الحكم، ثم يتخلص منه في سبتمبر ٨٦٧م، وقد حط المؤرخون منه ظلماً فوسموه بالمخمور، وتناسوا أن عصره يعتبر بداية العصر الذهبي للإمبراطورية البيزنطية، Khazdan، ODB، vol 2، p. 1384، دونالد نيكول، معجم التراجم، ص ١٥٣-١٥٤.

معلومات حول القرآن فقال "تكون هذا الكتاب من ١١٣ سورة، كما أن ترتيب عناوين السور لا يتوافق مع المواضيع التي نوقشت فيها"[١].

ولتفنيد هذه الفرى نجد أن يوحنا الدمشقي ونيقيتاس البيزنطي قد اتبعا نفس الأسلوب بوسم القرآن بصفات توصد آذان بني دينهم عن سماعه، وقد حاولا أن يرسخا أنه من صنع النبي محمد وذلك عندما قال يوحنا الدمشقي أنشأ مؤلفات سخيفة....، لكن نيقيتاس البيزنطي قد تجاوز يوحنا الدمشقي في غيه فوسم القرآن بصفات بعيدة تماماً عنه، وقد دحض الله هذه الفرى فقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[٢]، كما أثبت التاريخ زيف قولهم حيث انتشر القصص القرآني في كل البلاد عن طريق اعتناق سكانها الإسلام[٣]، وترى الباحثة أنه لو كان القرآن كما وسموه لاندحر واندثر ولما خشعت القلوب والعقول عند سماعه، ولما آمن العديد من النصارى به.

ورغم أن يوحنا ذكر بعض أسماء السور، لكنه لم يكن دقيقاً في بعضها الآخر[٤]، وبالنسبة لنيقيتاس البيزنطي فقد أخطأ بشأن عدد سور القرآن الكريم، فالمعلوم أن القرآن 114 سورة، مبتدءاً بسورة الفاتحة ومنتهياً بسورة الناس[٥]، ويبدوا أنه لم يعتبر سورة الفاتحة ضمن السور، حيث جعل سورة البقرة هي السورة الأولى للقرآن، وبذا حذف سورة الفاتحة من مجموع السور حيث

---

(1) Demetriades, Nicetas Byzantium, pp. 20, 22, 30-31, 97, Hogel, Ch., An early anonymous Greek translation of the Qur'ān The fragments from Niketas Byzantios' Refutatio and the anonymous Abjuratio, Christiana Orientalia 7 (2010), p. 68.

وقد طلب الإمبراطور ميخائيل من نيقيتاس البيزنطي هذا كي يرد على رسالتين أرسلهما الهاجرين والتي حوت على دحض لعقيدة المسيحيين.

Demetriades, Nicetas Byzantium, pp. 2, 68, 74,

(٢) سورة النجم، آية ٣-٤.

(٣) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص٩٢.

(4) Griffith, S., The Qur'an in Christian Thought:Reflections from an Historical Perspective, USA, no date, p. 8.

(٥) طارق منصور، نهى عبد العال سالم، البيزنطيون وترجمة القرآن، ص١٠١.

إعتبرها مدخلاً للقرآن الكريم وليست سورة مستقلة لذاتها، - ولعله يرجع بذلك لرأى عبد الله بن مسعود-[١].

ويتضح من طريقته أنه كان لديه نسخة مترجمة لليونانية من النص القرآني بها نفس أسماء السور، وبنفس الترتيب[٢]، وأنها ترجمت قبل ٨٧٠م، لكننا لا نعرف من الذي قام بترجمتها[٣]، وترى الباحثة أن نيقيتاس قد وضع مثالاً لايصح أن يقارن به القرآن عندما ألمح بأنه هش في بنيانه وغير منطقى ولو أمعن النظر لعرف أن القرآن هو كلام الله الأزلي، ويتضح مما سبق أيضاً سعى كل من يوحنا الدمشقي ونيقيتاس البيزنطي لإثبات أن النبي ﷺ هو من ألف هذه السور، بل لقد تخطى نيقيتاس يوحنا الدمشقي عندما قال إن موضوعات السور لا تتوافق مع عنوانها، ويحار المرء من هذا الادعاء الباطل فكيف بمن هو جاهل باللغة العربية أن يعى كلمات القرآن ومعانيها، ولو كان الأمر كذلك لما تركه مشركوا مكة وهم أهل الفصاحة والبيان فما كان لعيب مثل هذا أن يغيب عنهم، وبالنسبة لقوله عن الكتاب المقدس بأنه مقبول من الجميع، كان حرى به أن يخبرنا من هم الجميع فالمعروف تاريخياً أن اليهود لايقبلون دين النصارى ولا كتابهم فضلاً عن قبولهم المسيح عليه السلام رسولاً، ويتهم كل منهم الآخر أنه ليس على شيء، وقد حكى القرآن ذلك فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[٤].

---

(1) Demetriades, Nicetas Byzantium, pp. 20, 22, 30-31, 97, Hogel, Ch., An early anonymous Greek translation of the Qur'ān The fragments from Niketas Byzantios' Refutatio and the anonymous Abjuratio, Christiana Orientalia 7 (2010), p. 68.

(2) Hogel, An early anonymous Greek translation of the Qur'ān, p. 68.

(3) Hogel, The Greek Qur'an: Scholarship and evaluations, OS LXI Suppl. (2012), p. 173.

(٤) سورة البقرة، آية ١١٣.

حاول نيقيتاس البيزنطي أن يرسخ لمسألة الأخطاء التاريخية في القرآن وذلك عند إشارته لعلاقة موسى وسليمان وموسى ومريم وزكريا، وعيسى فسخر من محمد ووصفه -وحاشاه- بأنه غبي جاهل وفي حالة سكر مع الإلحاد، وظلمة المعرفة، وبائس وشيطاني"[١]، ولم يكن نيقتاس البيزنطي مبتدعاً عندما ذكر الأخطاء التاريخية بل لقد سبق ذكر نفس الأمر أثناء مناقشة دارت بين الوالي سعد بن عمر عندما سأل البطريرك حنا[٢] عن إيمان كلاً من إبراهيم وموسى عليهما السلام: كيف كان إيمانهم ودينهم؟، فرد البطريرك: كلاهما كانا مسيحيين، غلفا رسالتيهما بتلك الطريقة كي لا يربكوا جمهورهم من أصحاب العقول البسيطة والميول الوثنية[٣].

وقد إجتهد المؤرخ Vila وذكر الأخطاء التاريخية فقال: "ومن الأمثلة على الأخطاء التاريخية الإدعاء المسلم بأن يسوع لم يصلب رغم أنه صلب في الحقيقة"[٤]، لكن لم يوافقه الصواب، ولم يحالف نيقيتاس والبطريرك حنا الصواب بهذا القول الذي وإن دل على شيء فإنما يدل على جهل المسيحيين بالرسل السابقين، كما أن هذ الأمر خارج عن الحقيقة حيث قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٥]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات: "تحاج اليهود والنصارى في إبراهيم بلا علم فأنكر الله عليهم ذلك وأمرهم أن يردوا ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة، فأعلمهم أنه كان متحنفاً عن الشرك قصداً إلى الإيمان[٦]، فالمعروف تاريخياً أن

---

(1) Demetriades, Nicetas Byzantium, p. 38.

(٢) سيتم التعرض لهم فيما يلي.

(3) Roggema, B., The debate between patriarch John and an Emir of the Mhaggraye ; a reconsideration of earliest Christian-Muslim debate, Rome, no date, p. 27.

(4) Christian martyrs, p. 234 referene, 135.

وقد فند أحمد ديدات هذا، انظر: هل مات المسيح على الصليب، ترجمة علي الجوهري، القاهرة، ١٩٩٥ م.

(٥) سورة آل عمران، آية ٦٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم، مج ٢، ص٥٧.

اليهودية والنصرانية وجدت بعد موت إبراهيم ﷺ بمئات السنين، أما الإسلام فهو بمعناه البسيط الإستسلام لله وقد دعى إليه كل الأنبياء.

أ- قصص الأنبياء السابقين :

وبالنسبة لسورة البقرة[1] نجد أن يوحنا الدمشقي قال: "إنها تحتوي على عبارات مثيرة للضحك، لذا رأى أنه من الواجب إهمالها"[2].

أما نيقيتاس البيزنطي فقد قال "والسورة الأولى هي محاولة من محمد لإقناع أتباعه وجعلهم يصدقون بأن هذا الكتاب مقدس لا ريب فيه، ولكي يبرر موقفه قام بقبول الكتب السماوية السابقة ليصبح قبول القرآن معياراً للكفر والإيمان، وكان يذكر الأنبياء خوفاً من أن يتهم بإغفالهم"[3].

ولتفنيد هذه الفرى نجد أن يوحنا الدمشقي قد أشار إشارة عابرة إلى سورة البقرة، معتمداً أسلوب التّعمية والتعميم معاً، من أجل تضليل القارئ بأنّه محيط بموضوعه. ولكنَّه فضل الاختصار والتّجاوز، وهذا يعد دليلاً واضحاً على أنه كان مطلعاً على القرآن كلّه تقريباً أو تصفح السور تصفحاً عابراً بحثاً عن نقاط تكون موضع نقده وهجومه، أي إنَّه يمتلك رؤية مسبقة وشبهات جاهزة، يريد تأييدها بالآيات، ويبدو أنّه استكثر عدد السور (١١٤) معتبراً إيّاها كتباً، أو بالأحرى أسفاراً في عهد واحد، مقارنة مع الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد[4]، وقد كان حرى به أن يذكر لنا سبب ذلك، كما كان من حق قراءه عليه أن يخبرهم ما هو الشئ المثير للضحك الذي يدعيه، وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على ابتداعه أية حجج لتشويه القرآن، فكيف يقول مثل هذا القول وقد قال ابن كثير في فضل سورة البقرة: "نقلاً عن النبي إن لكل شيء سنام

---

(١) السورة الثانية في القران.

(٢) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٦٠.

(3) Demetriades, Nicetas Byzantium, pp. 30-31, 33.

(٤) محمد حسن بدر الدين، بواكير الجدل الكلامى المسيحي، ص ٢٠.

Vila, Christian martyrs, p. 196.

وإن سنام القرآن البقرة[1]، وفيها يذكر الله أحوال ثلاثة من الناس المؤمنين والكافرين والمنافقين ويبين عاقبة كل منهم، وفيها دعوة للتدبر في خلق الله لياخذ الإنسان العبرة، كما ذكر الله قصة أبينا آدم بدءً من خلقه وموقف الملائكة وإعتراض إبليس وإغوائه لآدم وزوجته ثم غضب الله عليهما ونزولهما من الجنة للأرض ثم توبة الله عليهما، ثم انتقلت السورة لذكر بني إسرائيل وذكرتهم بفضل الله عليهم، وحكت ما فعلوه مع نبيه موسى، ثم انتقلت السورة لذكر دعائم الإسلام من الصلاة والزكاة والحج...، لذا فهذه السورة حوت خيرى الدنيا والآخرة ولنا أن نتسائل ما الذي يثير الضحك في هذه السورة كما إدعى الدمشقي.

وبالنسبة لنيقيتاس البيزنطي فيبدوا أنه قد قرأ سورة البقرة وأمعن النظر بها، لذا وجدناه قد إختار بعض ما ذكر بها ليستخدمه ضد الإسلام، فبالنسبة لحديثه عن اعتراف النبي بالكتب السماوية السابقة، نجد أن قبول النبي بها لم يكن أمراً غريبا أو بدعاً فالمعروف أن الدين واحد قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[2]، وقد قال ابن كثير "فالمؤمنون من هذه الأمة يؤمنون بكل نبي أرسل وبكل كتاب أنزل لا يكفرون بشيء من ذلك بل هم مُصدقون بما أُنزل من عند الله وبكل نبي بعثه الله"[3]، وقد قال ديدات: "عندما نقول إننا نؤمن بالتوراة والزبور والإنجيل والقرآن، فإننا نؤمن بكل ما قاله موسى لقومه لأنه وحي من الله لكننا لا نؤمن بأن موسى هو مؤلف تلك الكتب الخمسة المعروفة عند اليهود والنصارى، ونفس الأمر ينطبق على الزبور والإنجيل[4] أضف لذلك أن أصحابه ﷺ لم يكونوا بحاجة لأن يعترف بالكتب السابقة ليصدقوه لأن غالب أصحابه لم يكونوا يعلمون شيئاً عن هذه الكتب، فسواء اعترف أم لم يعترف لم يغير من الأمر، فهم آمنوا به وقبلوا ما جاء به لصدقه

(١) تفسير القرآن العظيم، مج ١، ص١٤٩-١٥٠.

(٢) سورة آل عمران، آية ٨٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، مج ٢، ص ٧٠.

(٤) للمزيد انظر، هل الكتاب المقدس كلام الله؟، ص ١٣ وما بعدها، www.kutub-pdf.ne

وأمانته الذين عرفا بهما قبل البعثة، وقد كان حري بنيقيتاس البيزنطي أن يخبرنا من الذي سيتهمه بأنه أغفل ذكر الأنبياء وغالب متبعي النبي لم يكن يعلم الكثير عن الأنبياء صلوات الله عليهم إلا من النبي، أم أنه قصد أهل الكتاب بذلك؟.

ثم قال نيقيتاس البيزنطي "تحدث محمد في كتابه عن خلق الإنسان/ آدم ﷺ، وعن مشورة الله مع الملائكة في خلق الإنسان واعتراض الشيطان، ثم نفي آدم من الجنة، ويعد حديثه عن إبليس وآدم ثرثرة، كما تحدث عن فرعون وعن تضحية موسى ﷺ محاولاً أن يثبت أنه أفضل منه، وهذه القصص مأخوذة من الكتاب المقدس ولكنها مشوهة ومن بعض الأحلام العربية، وكان يروي قصص إبراهيم ولوط في قصته عن غضب الله على سدوم، فذكر أن صالحاً كان نبياً ومعلماً لأمة غير معروفة، وأن شعيب ﷺ كان نبي لمدين، كما ذكر قصص من عقاب غير المؤمنين وذلك في قصة نوح، وأشار محمد أيضاً لقصص ثمود ومدين رغم أنها ليس لها علاقة برسالته، وقد كان يلح محمد ﷺعلى أنه ينبغي أن تؤخذ كلماته مساوية لكلام أي واحد من هؤلاء، وقد كانت معلوماته عن هؤلاء الأشخاص المعروفين غير مكتملة، حيث إنها إما من مصدر مانوي، أو كانت مستوحاة من شيطان، أو أنه ارتكب جناية من تلقاء نفسه خرجت من عقله الوقح، وكان غرضه الوحيد هو إقناع أتباعه بالأصل الإلهي لكتابه المقدس ودحض مطالبهم ببراهين، كما أشار محمد ﷺ إلى حياة يوسف الحكيم ﷺ، لكن قصته كانت تعرض أحياناً بطريقة ناقصة، وفي بعض الأحيان بها إضافات، وقد كان محمد ﷺ يقول ما دامت مصر قد قبلت يوسف ﷺ فستقبلني أيضاً"[1].

ولدحض هذه الفرية نجد أن ما ذكره النبي محمد ﷺ متفق مع ورد في الكتاب المقدس عن إبراهيم وموسى عليهما السلام، وبالنسبة لأولئك الذين يشكون في رسالة محمد ﷺ فهم ليسوا على بينة من محتويات الكتب السابقة[2]، وهذا الاتفاق يدل على وحدة المصدر الإلهي؛ لأن ما جاء به النبي محمد ﷺ

---

(1) Demetriades, Nicetas Byzantium, pp. 33-34, 40, 43, 47,-49-50, 52, 54, 97.

(2) Marshall, D., Christianity in the Qur'an, in Islamic Interpretations os Christianity, edited by Lioyd Ridgeon, New York, 2001, P. 7.

ليس إلا مكملاً للأديان السماوية السابقة[1]، وبالنسبة لاتهام نيقيتاس البيزنطي للنبي ﷺ بالثرثرة فهذا من سوء أدبه فأين هي الثرثرة التي يتحدث عنها، صحيح أن القرآن ذكر قصة آدم وإبليس في أكثر من موضع، ولكن ليس بنفس الطريقة، فقد يذكر بعض القصة في موضع بشكل مفصل وأحياناً بشيء موجز، وهذا لأخذ العبرة والعظة لم لا والشيطان هو عدو الإنسان الأول ومستمر في الحياة إلى أن تقوم الساعة وذلك تصديقاً لقول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[2]، وقد علق ابن كثير على هذه الآيات فقال: "هذه القصة ذكرها الله في سورة البقرة وأول الأعراف وفي سورة الحجر ومريم والكهف وهاهنا، حيث خلق الله آدم وأمر الملائكة أن تسجد له اكراماً وإعظاماً واحتراماً، فسجد الملائكة كلهم إلا إبليس الذي كان من الجن فخانه طبعه وجبلته فاستنكف عن السجود وخاصم الله وادعى أنه خير من آدم، وكفر بذلك فطرده الله من رحمته وسمائه وأرغم أنفه وأنزله إلى الأرض، لكنه سأل الله النظرة إلى يوم يبعثون فأنظره الحليم حتى لا يعجل على من عصاه فلما أمن الهلاك تمرد وطغى"[3]، لذا كان الله يكرر ذكر بعض التفاصيل كي ينتبه بني الإنسان ويأخذوا حذرهم من عدوهم -الشيطان- الذي يتربص بهم، وإذا ما نظرنا إلى قول نيقيتاس البيزنطي نجده قد بالغ في الإسفاف في حديثه هادفاً ألا يجعل النبي مساوياً للأنبياء السابقي الذكر، وبالنسبة لقوله إن صالح جاء لأمة غير معروفة كان حرى به أن يمعن نظره وهو يقرأ القرآن حيث قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾[4]، فإسم أمته معروف، ولم يكن الرسول يلح أن

---

(١) إقبال بن عبد الرحمن، الوحي القرآني، ص ٢٩٦.

(٢) سورة ص، آية ٧٩-٨٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، مج ٧، ص ٨١-٨٢.

(٤) سورة الأعراف، آية ٧٣.

يكون مساوياً للأنبياء، وقد قال النبي ﷺ: "والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حياً لما وسعه إلا أن يتبعني"[1]، وهذا يدل على أنه أفضلهم، وبالنسبة لذكر الأنبياء السابقين ما لا يوجد في التوراة والإنجيل[2] مثل قصة هود وصالح وشعيب عليهما السلام، فكان من صميم دعوته ﷺ لكي يعرف أتباعه حال الأمم السابقة؛ ليأخذوا العبرة والعظة، وقد قال الهمذاني: "هذا من دلائله وإعلامه عن النبيين صلوات الله عليهم أجمعين وهو ما قرأ تلك الكتب ولا عرف ما فيها ولا اختلف إلى أهلها ولا اختلفوا إليه فتعلم أنه ما علم ذلك إلا بوحى الله إليه وإطلاعه عليه وهى أخبار كثيرة لا يقع الصدق فيها إلا بالوحي عن الله"[3]، والمتأمل لهذه التهمة يجدها مستهلكة حيث أنه كررها كثيراً.، وبالنسبة لحديث نيقيتاس البيزنطي عن قصة يوسف عليه السلام فالمعروف أنه لم يذكر اسم النبي يوسف عليه السلام في القرآن إلا في ثلاث سور، فذكر اسمه مرتبطاً بعدد من الأنبياء كقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[4]، المرة الثانية في سورة يوسف[5]، وبها تفصيل لقصته عليه السلام، والمرة الثالثة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾[6]، وبالنسبة لقوله وكما قبل يوسف فستقبله، لا أدري أين هذا الكلام في القرآن أم أنها من شطحاته، ولربما يقصد ما تنبأ به النبي ﷺ عن فتح مصر وقوله: إذا فتح الله

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٤، ص ٣٦٧.

(٢) ولربما لم يذكروا لأنهم عرب.

(٣) تثبيت دلائل النبوة، ج ١، ص ٨٦-٨٧.

(٤) سورة الأنعام، آية ٨٤.

(٥) السورة الثانية عشر.

(٦) سورة غافر، آية ٣٤.

عليكم مصراً فاستوصوا بأهلها خيراً[1]، وقد ثبت أن النبي كان ثاقب النظر عندما قال هذا حيث أعز الله الإسلام بمصر والتاريخ خير شاهد على ذلك، فعندما احتضن أهل مصر الإسلام أضحوا سيفاً بتاراً على جباه الطغاة.

وبالنسبة لقوله الأحلام العربية فهو يريد أن يعزى أصل القرآن لأساس جاهلي، وهذا يعد إفتراءً منه، حيث إن الإسلام قد أحدث تغيراً كبيراً في جميع جوانب حياة العرب[2]، وترى الباحثة أنه لم يتعرض أحد من الكتاب الآخرين لهذا الأمر إلا نيقيتاس البيزنطي، ولعل مرد ذلك أنه تخصص في دراسة القرآن وما جاء فيه.

ب- أهل الكهف:

تحدث نيقيتاس البيزنطي بإسلوب ساخر عن قصة "سبعة أطفال من أفسس Ephesus[3] واتهم النبي بأنه شوهها[4]، ويقول جريفث "اعتمد القرآن على العديد من الشخصيات الكتابية كما في أسطورة السبعة النائمون من أفسس

---

(١) ابن عبد الحكم، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم أبو القاسم القرشي (١٨٧-٢٥٧هـ)، فتوح مصر وأخبارها، تقديم وتحقيق، محمد صبيح، دار التعاون للطبع والنشر، مصر، د. ت، ص ١٣-١٥.

(٢) إقبال بن عبد الرحمن، الوحي القرآني، ص ٣٠٠-٣٠٣.

(٣) من أعظم المدن الإغريقية القديمة في آسيا الصغرى، وتقع في منطقة ليديا غرب الأناضول، وهى عاصمة آسيا وكانت مكرسة للإله ديانا آلهة القمر عند الرومان، وكانت تمثل العفة والصيد، ودعيت فيما بعد أرطاميس التي عبدها أهل أفسس، يوحنا ذهبي الفم، رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس، تعريب القمص مرقس داود، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ١١.

وقد عقد بها مجمع عام ٤٣١م في عهد الإمبراطور ثيودسيوس الثاني Theodosius II (٤٠٨-٤٥٠م) للنظر في بدعة نسطور Nestorius بطريرك القسطنطينية، للمزيد انظر: القس أثناسيوس المقاري، قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية، ط ١، مطابع النوبار- العبور، مصر، ٢٠١٣م، ص ١٠٦ وما بعدها؛ عزيز سوريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ص ٧١ وما بعدها.

(4) Demetriades, Nicetas Byzantium, p. 54.

والتي يدعوها القرآن أصحاب الكهف[1]، والقصة لها أصل مسيحي قبل الإسلام وحفظت في القرآن باسم سورة الكهف، ورقمها ١٨، بدأت السورة بإنذار لأولئك الذين يقولون إن لله ولداً، ثم تحدثت عن قوة الوحي القرآنى كما أن بها تذكير لمحمد بأن يتبع ما أنزل إليه، وأكدت الآيات على أن الله هو وحده من يعرف التفاصيل الحقيقة لهذه القصة، ومن المفترض أن القصة كانت شائعة بين الناس، أو على الأقل كانت معروفة لمحمد الذي تحدث الله معه بشأنها[2]، ولتفنيد ما سبق يتضح أنها محاولة لتأكيد أن النبي لم يأت بهذه السورة من عند الله، وأنه نقلها من عند النصارى هذا محض إفتراء، وقد قال ابن كثير في سبب نزول هذه السورة "أرسلت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة فقالوا لهم: سلوهم عن محمد وصفوا له صفته وأخبروهم بقوله؛ فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قدما المدينة، فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقالا: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، فقال اليهود لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل مُتقول فَروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؟ فإنهم قد كان لهم حديث عجب...، فأنزل الله سورة الكهف"[3].

ثم انتقل نيقيتاس البيزنطي للحديث عن قصة ذي القرنين فقال: "وتبرز الفكرة القرآنية عن الإسكندر وأنه سار في نفس طريقة إبراهيم في عبادة الله الواحد وأنه (الاسكندر) لم يكن هليني"[4]، ويقول المؤرخ Block: "إن الحديث عن أسطورة الإسكندر تعد مثال آخر لاستخدام القرآن للروايات المسيحية وقد

(1) Griffith, The Qur'an in Christian Thought, P. 6.

(2) Block, Competing Christian Narratives on the Qur'an, pp. 6-7.

(٣) تفسير القرآن العظيم، مج ٥، ص١٣٦-١٥١.

(4) Demetriades, Nicetas Byzantium, p. 55.

حفظت السورة في القرآن على أنها قصة ذي القرنين، وبالنسبة لقصة الإسكندر يقال إنها كتبت في عام (٦٣٠م تقريباً/ ٨هـ) في معسكر هرقل وتتحدث عن أحداث معينة حدثت في (٦٢٦-٦٢٩م) وبدأت بتدمير الهون Huns[1] لجدار الإسكندر، ويبدوا أن هناك توافقات بين القصص السريانية والعربية، ويقال أنه من المحتمل أن هذه القصة كانت موجهة إلى المناصرين للمذهب القائل بالطبيعة الإلهية للمسيح ولربما انتقلت للمسيحيين العرب من المعاصرين لمحمد ﷺ، بل قد تكون وصلت ليثرب أو مكة وفي هذه الحالة كانت ذات معنى لهم، وبذا فالقصة رغم أنها قد نشأت في معسكر هرقل إلا إنها شقت طريقها خلال السرد القرآني بشأن القضايا السياسية في عهد محمد ﷺ"[2]، وقد كانت قصة الإسكندر عنصراً أساسياً في التقاليد الأدبية العتيقة المتأخرة[3]، وهذه محاولة أخرى للقول أن قصص القرآن مستوحاة من الكتب السابقة.

وقد قال ابن كثير "... بعث كفار مكة إلى أهل الكتاب يسألون منهم ما يمتحنون به النبي، فقالوا: سلوه عن رجل طواف في الأرض....، ثم خلص ابن كثير إلى أنه ليس الإسكندر الثاني بن فيليبس المقدوني الذي تؤرخ به الروم ولكنه الإسكندر الأول الذي طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل ﷺ، وهو أول من آمن به واتبعه.."[4]، ومن خلال ما ذكر يتضح أن قصة أهل الكهف وقصة ذو القرنين نزلت من عند الله، ولو كان النبي على اتصال باليهود لما قالوا اسئلوه فلا يعرفها إلا نبي، بل إن هذا القول لاختباره وتعجيزه ليتأكدوا إن كان نبياً أم لا.

---

(١) قبائل رعوية كانت تعيش في مناطق الإستبس بأواسط آسيا خرجوا نحو الأقاليم البيزنطية فأحدثوا الرعب في المجتمعات المستقرة في العالم المسيحي، للمزيد انظر: حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٣٩ -٤٠.

O.B.D, vol. 2, pp. 957-958.

(2) Block, Competing Christian Narratives on the Qur'an, pp. 7-8.

(3) Griffith,The Qur'an in Christian Thought, P. 6.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٥، ص ١٨٩-١٩٧.

ج- ناقة الله :

يقول يوحنا الدمشقي: "توجد أيضاً السورة التي تتحدث عن ناقة الله، فبشأنها يقول إن ناقة أرسلها الله وإنها شربت النهر كله فلم تستطع من ثم العبور ما بين جبلين لإنعدام المسافة الكافية لذلك، وكان ثمة قوم في ذلك الموقع[1]، فكانوا يشربون من الماء يوماً والناقة تشرب منه فكانت تغذيهم باللبن بدلاً من الماء، أما هؤلاء الرجال فكانوا خبثاء في رأيه إذ قاموا وقتلوا الناقة، والتي كان لديها ناقة صغيرة صرخت إلى الله بعد موت والدتها بحسب زعمه فأخذها الله إلى جواره، فنقول نحن لهم "من أين أتت هذه الناقة؟ يقولون من الله، فنقول "ألعل جملاً تزاوج معها؟ يقولون لا، فنقول: كيف أنجبت صغيرتها إذاً؟ فإننا نرى فعلاً إن ناقتكم لم يكن لها والد ولا والدة ولا قرابة، وأنه حصل لها مكروه بعد أن أنجبت صغيرتها، لكن الّذكر لا يظهر والناقة الصغيرة رُفعت، فنبيكم الذي تكلم إليه الله كما تقولون، لماذا لم يُبلغ عندئذ بشأن هذه الناقة، أين كانت ترعى ومن هم الذين كانوا يحلبونها ليشربوا اللبن؟ أو قتلت ربما بالتقائها هي أيضاً مع أناس خبثاء نظير والدتها، أم سبقتكم إلى الجنة..."[2].

ولدحض هذه الفرية نجد أن يوحنا الدمشقي لم يكن منصفاً عندما ذكر قصة ناقة الله، والتي أرسلها الله معجزة لنبيه صالح عندما كذبه قومه، لأنه نزعها من سياقها وحقيقتها وتجاهل الهدف الحقيقي من القصة وهو تثبيت عقيدة التوحيد، مستغلاً أنها لم ترد في الكتاب المقدس، فاستخدمها الدمشقي كمادة للتشويه والسخرية والاستهزاء متناسياً أن في مقدور أي ملحد لا يؤمن بالأنبياء أن يطبق المنهج نفسه ليسخر من الكتب المقدسة ومن معجزات الأنبياء فيقول

---

(١) هم قوم ثمود، انظر سورة القمر، آية ٢٣-٣٢.

(٢) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٥٧-٥٨.

مثلاً: إنه كانت هناك عصاً عجيبة تتحول فجأة إلى أفعى عظيمة تسعى وتبتلع سائر الحيات والحبال والعصي ثم تعود فجأة، وتضرب البحر فينحسر منه طريق عظيم يمكن للحشود أن تمر من خلاله، وأن تلك العصا تضرب الصخرة فتتفجر منها الأنهار ...الخ، ليس هذا فحسب بل إننا لو طبقنا هذا النهج التقريعي الساخر المتهكم- الذي إستخدمه يوحنا الدمشقي -على أسس العقيدة النصرانية كالتجسد والثالوث والصلب والفداء وأن بني آدم ورثوا خطيئة أبيهم آدم وأنه لا يمكن تكفير تلك الخطيئة إلا بصلب ابن الله المزعوم هذا فضلاً عما في شرائعهم وطقوسهم من أمور تثير السخرية والاستهزاء لكان وقع هذا أشد إيلاماً على نفوس النصارى[١]، وقد قال Rhodes: "لعل غرضه من قصة الناقة السخرية والقول بأنها مؤامرة خياليه"[٢]، وقد أخطأ يوحنا عندما ذكر أن اسمها سورة الناقة حيث لا يوجد في القرآن سورة باسم ناقة الله، لكن القصة وجدت في سياق سورة الشمس والقمر.

وقد قال معرب كتاب يوحنا "أما قصة ناقة الله فتطرح بالمقابل عدة مشاكل، لاسيما وأنها غير موجودة في نص القرآن الحالى كما عرضها يوحنا فهل وجدت هذه الرواية المختلفة في إحدى النسخ الرائجة بدمشق في ذلك العصر؟"[٣]، وكأنه يلمح أن القرآن به أكثر من نسخة مختلفة وهذا من بهتانه حيث لم ولن يغير في كتاب الله حرف واحد منذ نزل على النبي محمد إلى قيام الساعة لأن الله هو من تكفل بحفظه قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[٤]، ولم يذكر أحد من الجدليين هذه القصة إلا يوحنا الدمشقي، ولا ندري ما السبب في ذلك؟.

---

(١) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص ١٠٥- ١٠٨.

(2) Rhodes, John Damascene, p. 69.

(٣) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٤٦.

(٤) سورة الحجر، آية ٩.

د- المائدة :

تحدث يوحنا الدمشقي عن سورة المائدة[١]، فقال: "يقول محمد: إن المسيح طلب إلى الله مائدة فمنحت له، وقد أجابه الله بحسب زعمه قائلاً: لقد منحتك وأخصاءك مائدة لا يعتريها فساد"[٢].

كما تحدث نيقيتاس البيزنطي عن سورة المائدة فتحدث عن قضية اللحوم المقبولة والمرفوضة، تحريم الحنث باليمين والزنا، وتحدث عن التطهير قبل الصلاة[٣].

والمتأمل لحديث يوحنا الدمشقي عن قصة المائدة التي طلبها الحواريون من عيسى عليه السلام يجده قد تحدث باختصار شديد، ولم يتوسع في الجدل والتّفنيد فذكرها في سطرين فهم أنّه اكتفى بالإخبار في أسلوب يرفض فيه حقيقة قصة المائدة؛ لينكر بعدها أصالتها وأن تكون أوحيت إلى الرسول[٤]، أو أنه قد أساء فهم سياق القصة أو أنه قد ابترها، فالطلب بدأ من الحواريين الذين قالوا لعيسى عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٥].

---

(١) السورة الخامسة في القرآن.

(٢) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٦٠.

(3) Demetriades, Nicetas Byzantium, p. 41.

سيتم التعرض لها في الفصل التالي.

(٤) محمد حسن بدر الدين، بواكير الجدل الكلامي المسيحي، ص ١٨-١٩.

(٥) سورة المائدة، آية ١١٢-١١٥.

وترى الباحثة أن يوحنا الدمشقي يعتبر الوحيد الذي تحدث عنها، وتتعجب من تغاضي نيقيتاس البيزنطي عنها رغم أنه تعرض للسورة، وإذا ما تأملنا إقتباسه فنجده غير كامل تماماً، ولربما أراد الإشارة بأن المائدة متعلقة بالإفخارستيا[1]، ولربما أراد يوحنا أن يقرب سورة المائدة لقرائه النصارى ولكن العشاء الرباني غير معترف به من جانب المسلمين.

وبالنسبة لقول يوحنا الدمشقي: "إن الله قال أنا أعطيك وأصحابك مائدة لا يتطرق إليها الفساد"، نجد أن هذا المعنى لم يرد مطلقاً في القرآن ولا في التفاسير، وهنا نلاحظ أن يوحنا الدمشقي أضاف إلى التلفيق والتشويه المتعمد سوء الفهم، وهو ما يعطي صور معاكسة ومناقضة للإسلام تماماً الأمر الذي يثير في نفوس النصارى الحقد والإشمئزاز من الإسلام مما يجعلهم يتمسكون بعقائدهم الضالة وشرائعهم الفاسدة، وقد إنفرد القرآن الكريم بذكر قصة المائدة حيث لم ترد في أناجيل النصارى، وهذا من الإعجاز القرآني، لأنه أخبر بأمور وتفاصيل لم يرد ذكرها في الكتب السابقة، لذا كان هدف يوحنا الدمشقي من إيراد القصة التأكيد لقرائه النصارى بأن الإسلام هرطقة، حيث جاء بقصص غير موجودة في كتبهم، والمعروف أن رجال الدين النصارى قد زادوا أتباعهم ضلالاً عندما جعلوهم يعتقدون أن أناجيلهم المحرفة هي الحقيقة الخالصة والصدق

---

(1) Merrill, of The Tracte of John of Damascus, p. 93.

والإفخارستا تسمى بعدة أسماء كسر التناول أو القربان المقدس وهي تذكير بالعشاء الأخير للمسيح مع تلاميذه، ويتم ذلك عندما يتم تعميد شخص ما فإنه يتناول الخبز باعتباره جسد المسيح، والخمر باعتباره دم المسيح، ويتم اعتبارها سر القيامة، انظر، إنجيل متى، الإصحاح السادس والعشرون، آية ٢٦-٢٨؛ إنجيل مرقس، الإصحاح الرابع عشر، آية ٢٢-٢٤؛ إنجيل لوقا، الإصحاح الثاني والعشرون، آية ١٤-٢٠؛ أحمد ديدات، هل صُلب المسيح، ص ٢٤، حاشية ٢، وللمزيد عنها يمنك الرجوع إلى: القس بولا رأفت عزيز، دراسة آبائية في سر الإفخارستيا، القاهرة، ٢٠١٥ م؛ تيودول ري مرميه، الأسرار حياة الإيمان نؤمن، تعريب الخوري يوسف درغام، لبنان، ١٩٨٦م، ص ١١٧ وما بعدها.

المطلق، فأصبحوا ينظرون لكل دين آخر من خلال منظور تلك الأناجيل وكل ما لا يرد فيها أو في أقوال رجال الكنيسة يعتبرونه هرطقة، وبالتالي فهم يرفضون كل قصة أو تفصيل يتعلق بالأنبياء السابقين لم يرد ذكرها في كتابهم المقدس(١)، كما يشير يوحنا الدمشقي إلى أن محمداً فهم العشاء الرباني، لإثبات قناعته بأن الإسلام بدعة(٢).

ثم إنتقل الجدليون إلى شبهة خاصة بالسيدة مريم عليها السلام فقال يوحنا الدمشقي "... مريم أخت هارون وموسى"(٣).

وقد تحدث عنها نيقيتاس البيزنطي بشيء من الإسهاب فقال: "تعد قصة محمد عن مريم غير متناسقة حيث ذكر أنها أخت موسى، وهدفه الضحك من اليهود السامريون ومن كل الذين يعرفون ببساطة العهد القديم والجديد، لذا فهي من الأخطاء التاريخية التي ظهرت في القرآن"(٤).

ولدحض هذه الفرية يتضح أن نصارى نجران قد سبقوا يوحنا الدمشقي في إثارة هذه الشبهة وذلك قبل قدوم وفدهم إلى النبي حيث روى المغيرة بن شعبة ﷺ خبر ذلك فقال: بعثني رسول الله إلى نجران فقالوا لي: ألستم تقرأون "يا أخت هارون" وقد كان بين موسى وعيسى عليهما السلام ما كان من العصور -فلم أدرِ ما أجيبهم فرجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته فقال: ألا أخبرتهم إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم"، ولعل الهدف من قولهم "مريم أخت موسى وهارون عليهما السلام" بث الإثارة والاستنكار والسخرية في نفوس النصارى من هذا القول، لأنهم يعرفون مدى الفاصل الزمني الكبير بين عصر مريم وعصر موسى وأخيه هارون عليهما السلام، والذي قدر بستمائة سنة، وهذا المعنى لم يرد مطلقاً لا في القرآن ولا في السنة، وقد قصد "بيا أخت هارون" أي يا شبيهة

---

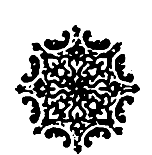
(١) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص١١١-١١٢.

(2) Rhodos, John Damascene, p. 70.

(٣) الهرطقة المئة، ص ٥٠.

(4) Demetriades, Nicetas of Byzantium, pp. 38, 63.

هارون في العبادة، وقيل إنها كانت من نسل هارون أخي موسى عليهما السلام[1]، وقيل نسبت لرجل صالح كان فيهم اسمه هارون، فكانت تقاس به في العبادة والزهادة، ولعل هذا القول شبيه بمن يقول للتميمي: يا أخا تميم، وللمضري: يا أخا مضر[2]، وللإمام الشعراوي رحمة الله عليه قول رائع في ذلك حيث قال: "من المعلوم أن موسى ﷺ هو موسى بن عمران وله أخت تسمى مريم ابنة عمران، فأي العمرانين وأي المريمين يريد الله باصطفائه؟، أما عمران أبو موسى فأبوه يصفر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وعمران أبو مريم هو ابن ناثان بن سليمان بن داود بن إيشي ابن يهوذا بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم، ولقد حدث إشكال في ذلك بين الدارسين، ولم يفطنوا إلى أن القرآن نبههم إلى أن المقصود هو عمران أبو مريم؛ لأن السياق مريم أم المسيح لا مريم أخت موسى، ولأن الله قال ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[3]، وزكريا ﷺ كان أبوه معاصراً لناثان، وهو زوج خالة مريم، وعلى هذا فقد انتفى الإشكال بين مريم أخت موسى ومريم العذراء أم المسيح ﷺ[4].



(١) وقال الطبري "كانت من بني هارون أخي موسى ولعل المراد يا قريبة هارون "الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ٦٠٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، مج ٥، ص ٢٢٦-٢٢٨.

(٣) سورة آل عمران، آية ٣٧.

(٤) محمد متولى الشعراوي، مريم والمسيح، جمع وإعداد وترتيب عبد القادر أحمد عطا، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، د. ت، ص ٩.

الفصل الثالث
المسيح في القرآن الكريم

أولاً : القرآن الكريم في مواجهة العقيدة المسيحية حول المسيح عليه السلام.

ثانياً : الخلاف حول قضية الثالوث المقدس.

ثالثاً : المؤرخون البيزنطيون وقضية تجسد السيد المسيح وصلبه.

الفصل الثالث

المسيح في القرآن الكريم

من أكثر المواضيع التي لاقت مكانة في الجدل الإسلامي المسيحي فتحدث يوحنا الدمشقي فقال: "يقول محمد: إنه يوجد إله واحد خالق لكل الأشياء، وأنه لم يولد ولم يلد[1]، والمسيح بحسب رأيه هو كلمة الله وروحه، بيد أنه مخلوق وعبد ولد دونما زرع من مريم أخت موسى وهارون، وهو يقول في الواقع إن كلمة الله وروحه قد دخلا في مريم وولدا يسوع الذي كان نبياً وعبداً لله[2]، ويدعوننا مشركين لأننا - كما يقولون- نشيع إلى جانب الله شريكاً له عندما نقول بأن المسيح هو ابن الله وأنه الله[3]، فنقول لهم: هذا ما نقله إلينا الأنبياء والكتاب المقدس، وأنتم أيضا تقبلون بالأنبياء كما تجزمون، وإذا ما قلنا نحن خطأ بأن المسيح هو ابن الله، فهم من علمونا ذلك ونقلوه إلينا، ويقول بعضهم بأننا أضفنا ذلك على الأنبياء في تفسيرنا لأقوالهم بطريقة رمزية، وآخرون يقولون بأن العبرانيين أغرونا عن حقد منهم في إسناد هذه النصوص إلى الأنبياء بغية تضليلنا، فنقول لهم من جديد: أنتم القائلون بأن المسيح هو كلمة الله وروحه، لِم تهينوننا كمشركين؟ فالكلمة والروح هما غير منفصلين عمن يكونان فيه بالطبيعة، وإذا ما كان المسيح كلمة الله، فهو أيضا الله بالتأكيد، أما إذا كان خارج الله فيكون الله بدون كلمة وبدون روح حسب رأيكم...، ثم كتب يوحنا الدمشقي تحذيراً أو تنبيهاً للنصارى كي يستطيعوا الرد على تساؤلات المسلمين وذلك من خلال تزويدهم بإجابات جاهزة على الأسئلة الحساسة التي قد تسبب لهم حرج، فقال: إذا ما سألك المسلم قائلا: من هو المسيح برأيك؟

---

(١) سورة الاخلاص، آية ١- ٣.

(٢) يوحنا، الهرطقة المئة، ص ٥٠، وقد قال نفس القول بعده ميخائيل السرياني، انظر: تاريخه، ج ٢، ص ٢٩٩.

(٣) ولعل يوحنا الدمشقي يقصد ما جاء في سورة المائدة، آية ٧٢-٧٣.

فقل له دونما خشية من الخطأ في ذلك سيأتي المسيح، وأن المسيح هو الله، وأن ابن الله سيُقبل متجسداً[1]، وأنه كلمة الله[2]، لأن الكتاب المقدس يدعوه كلمة الله[3] وحكمته[4] وساعده[5] وقدرته، وألقاباً أخرى عديدة مشابهة، إذ إن له ألقاباً عديدة في كتابكم؟ فإذا ما أراد أن يسألك في موضوع آخر تهرباً من الإجابة، فلا تجبه قبل أن يجيبك عن سؤاله، وهكذا سيكون مرغماً على إجابتك حتما، فيقول: في كتابى يدعى المسيح روح الله وكلمته، عندئذ قل له من جديد: روح الله والكلمة بحسب كتابك، هل هما غير مخلوقين أم مخلوقان؟ فإذا قال لك إنهما غير مخلوقين، قل له: ها إنك توافقنى في الرأى، لأن من لم يخلقه أحد، ويخلق كل الأشياء إنما هو الله، أما إذا تجرأ على القول بدون تحفظ إنهما مخلوقان، فقل له: من خلق إذا روح الله وكلمته؟ فإذا ما ارتبك وقال إن الله هو الذي خلقهما، فقل له لقد قلت منذ قليل إنهما غير مخلوقين، والآن تقول إن الله خلقهما إذا، لو قلت ذلك بعينه لقلت لي: لقد نقضت شهادتك ومهما تقول من الآن فصاعداً فلن أعتقد به، وبالرغم من كل شيء، أسألك هذا السؤال أيضاً: قبل أن يُخلق الروح والكلمة، هل كان الله بدون روح وبدون كلمة؟ وعندها يهرب منك إذ ما من شيء عنده ليجيبك به في الواقع، إن الذين يقولون أشياء مماثلة يُعتبرون هراطقة عند المسلمين ويُرفضون ويُبغضون وإذا أردت أن تشي به لبقية المسلمين فسيخاف منك جداً[6]، إذا سألك المسلم قائلاً لو كان المسيح الله كما تقول أنت، فكيف كان يأكل ويشرب وينام إلخ...؟

---

(١) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٥٢، ٥٤-٥٥.

(٢) وصفت في المقالة السادسة ليوحنا الدمشقي بأنها مولودة من الله ذات أقنوم حى كامل ليس متميز منه لكنه موجود فيه دائماً للمزيد انظر، يوحنا الدمشقي، آراؤه اللاهوتية ومسائل علم الكلام، حقق سيرته وعلق عليه د/ كمال اليازجي، منشورات النور، لبنان، ١٩٨٤م، ص ١٦٥-١٦٦.

(٣) إنجيل يوحنا، الإصحاح الأول، آية ١.

(٤) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص٧٠، حاشية ١٤.

(٥) إنجيل لوقا، الإصحاح الأول، آية٥١.

(٦) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص٧٠-٧١.

فقل له: إن كلمة الله الأزلى الذي خلق كل الأشياء حسب شهادة كتابى وكتابك واعلم أن المسيح معروف بطبيعتين ولكن في أقنوم[١] واحد"[٢].

وقد سار على نفس النهج البطريرك تيموثي ففي أثناء مناقشته مع الخليفة المهدي قال: "إن المسيح ابن ومولود قبل الدهور، ونعتقد بأنه مولود من الآب بما أنّه كلمتُه، ومولود من مريم العذراء بما أنّه إنسان وولادتُه من الآب هي أزليّة قبل كلّ الدهور، وولادته من مريم هي زمانيّة، لكن المهدي أراد أن يوضح له تيموثي معنى هذا الأمر فتجاذبا النقاش حول طبيعة المسيح، إلى أن قال المهدي: يوجد تناقض، فإن كان أباه، ليس بإله، وإن كان إله ليس بابنه فأجابه تيموثي: أيّها الملك المحب لله، لا يوجد ههنا تناقض البتة لأنّه بما أنّه أبوه طبيعيّاً ليس إلهه بالطبيعة وبما أنّه إلهه بالطبيعة ليس أباه طبيعيّاً بل هو أبوه بالطبيعة الإلهيّة، اذ هو ولَدَه أزليّاً، كاتّلاد الأشعّة من الشمس التي تُصدر الحرارة"[٣].

وبالنسبة لثيودور أبو قرة فقد قال: "نبيك يقول عنا ويشهد لنا في سورة الأعراف قول الله "إنا وجدنا أمة صالحة يهدون بالحق وبه يعدلون[٤]، وقال في سورة آل عمران إن من أهل الكتاب أمة صالحة قويمة يتلون آيات الله في الليل والنهار وهم يسجدون ويؤمنون بالله واليوم والآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أولئك هم الصالحون[٥]، وقال لتجدن النصارى محكمين لما أنزل

---

(١) الأقنوم: الجوهر، والشخص، والأصل، جمعه أقانيم، واصطلاحاً (عند أفلاطون) أحد مبادئ العالم الثلاثة الأولى وهى الواحد والعقل والنفس والكليه، وفي اللاهوت المسيحي: أحد الأقانيم الثلاثة: الآب -الابن- الروح القدس، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط ٤، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٢٢.

(٢) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٧٤.

(3) Hackenburg, An Arabic-to-English Translation of the Religious Debate, pp. 43-53.
ذكر نفس المثال عمار البصرى، كتاب البرهان، ص ٤٩.

(٤) ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾، آية ١٥٩.

(٥) ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ (١١٣) يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، آية ١١٣-١١٤.

عليهم من ربهم[(١)]، وأنت لبغيك علينا وحسدك لنا تسمينا مشركين وكأنك تكذب نبيك وتجحد قرآنك وتبطله مما قد نسبنا الله فيه، وقد قال في كتابك إن من أشرك بالله فقد ضل ضلالاً مبيناً[(٢)]، فكيف تقول أنت إننا مشركيين وقد قبلنا ما أنزل علينا من الزبور والإنجيل ونحن أقدم منكم ونبيكم يشهد لنا بالحق والحكمة ويقول "إنا أنزلنا القرآن نوراً وهدى تحقيقاً لما بين يديه من التوراة والزبور والإنجيل[(٣)]، وأنه نزل بتحقيق وأنت تبطله وكتابك يشهد وأنت تنكر كتابك، وتكذب نبيك وتجحد قرآنك وتبطل ما قد نسبنا إليه، فلم يرسل الله أحداً بعد مسيحه ينهى الناس عن لزوم طاعته واتباع وصاياه ومرضاته، ونبيك يقول إنه لايموت أحد من أهل الكتاب إذ يؤمن بالله واليوم الآخر وكان يجب عليك يا مسلم أن تقنع بقول نبيك وشهادة كتابك ولا تشهد على كلمة الله وروحه بالعبودية وترجوا طاعته ورضاه وأنت تسخط كلمته وروحه، وتتمتع بمعصيتك له ومخالفتك سنته كما انكم تعلمون أن كلمة الله وروحه خلقت كل الخلائق ما يرى وما لا يرى وكل ما في السماوات والأرض وتنسبونا بإتباعنا لتلك الروح والكلمة إلى الكفر والشرك، ونحن مؤمنون بكلمة الله وروحه فكلمة الله وروحه ليس مخلوقاً"[(٤)].

---

(١) ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾، سورة آل عمران، آية ١٩٩، ولربما قصد هذه الآية: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾، سورة المائدة، آية ٨٢.

(٢) ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾، سورة المائدة، آية ٧٢.

(٣) ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ... ﴾، سورة المائدة، آية ٤٨.

(٤) مجادلة ثيودور أبي قرة، ص ٧٣-٧٤.

أولاً: القرآن الكريم في مواجهة العقيدة المسيحية حول المسيح ﷺ:

ولتفنيد هذه الفرية نجد أن الغرض الأساسي هو تعليم المسيحيين المتواجدين بين المسلمين كيف يردون على أسئلة المسلمين خلال مناقشاتهم العقائديّة، وتسليحهم بالحجج الدامغة لإفحامهم، ونلاحظ من خلال حوار يوحنا الدمشقي أو ثيودور أبوقرة سيطرة كاملة في الحوار لصالح المسيحي، فالمسلم يقول القليل من الكلام، أما المسيحي فقد أعطي مساحة غطت معظم الحوار، ففي مقابل سطر واحد، يأخذ الجدل المسيحي عشرة سطور، وقد ختم الجزء الأول من حوار يوحنا الدمشقي بخاتمة سعيدة لصالح المسيحي، فقد أيّده المسلم في كل المسائل بل أبدى في الختام إعجابه ورضاه بما يقول، ولم يبق غير أن يعتنق المسلم المسيحيّة، والمحاورة عبارة عن أسئلة تعليميّة موجهة، تعقبها ردود افتراضيّة[1]، وقد برز اتفاق جميع الجدليين على القول بألوهية السيد المسيح ﷺ وحاولوا دحض اتهام المسلمين لهم بالإشراك بالدين، مستخدمين أي القرآن كدليل على ألوهية المسيح ﷺ لكنهم لم يعوا معنى الآيات، لذا لم يجدوا شيئاً يسوغ به عقيدتهم الشركية المتناقضة والمستحيلة، التي تقول بأن المسيح هو الله، وهو ابن الله في الوقت نفسه -تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً-، سواء بالكذب الصارخ والإفتراء المفضوح على الأنبياء عليهم السلام، بزعمهم الزائف بأنهم هم الذين علّموا النصارى هذه العقيدة الضالة وسلموها إليهم، والهدف من هذا الزعم الباطل التلبيس على جماهير النصارى حتى يظلوا مقتنعين بهذه العقيدة الباطلة، فلم يوجد في الكتاب المقدس قول واحد منسوب لأحد الأنبياء ليستخدمه النصارى بطريقة الرمز والتأويل لتأييد حجتهم وعقيدتهم الضالة، إلا ويكون ذلك القول نفسه دليلاً يدحض حجتهم ويفند تأويلهم[2].

وبالنسبة لقوله إنه كلمة الله وروحة فنجد أن معنى كلمة الله، أي: كلمة تكلم الله بها فكان بها عيسى ﷺ، ولم يكن هو تلك الكلمة وإنما كان بها، وهذا

---

(١) محمد حسن بدر الدين، بواكير الجدل الكلامى المسيحي، ص ٣١.

(٢) على بن محمد عودة الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص٧٦.

من باب إضافة التشريف والتكريم، وقوله وروح منه أي من الأرواح التي خلقها وكملها بالصفات الفاضلة والأخلاق الكاملة، فأرسل الله الروح القدس جبريل عليه السلام، فنفخ في مريم فحملت بأمر الله بعيسى عليه السلام هذا إضافة إلى أن كلمة الله "كن" التي كان بها المسيح عليه السلام، ليست إلا كلمة واحدة من كلمات الله التي لا تنفد ولا تنتهي[1]، وقد قال الإمام الشعراوي "يستنتج من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[2] بالنسبة لقوله "ابن مريم" أنه لا يمكن أن ينتسب إلى الأم مع وجود الأب، هذه هي الفطنة وهذا هو التلقي[3] لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[4].

كما عمد يوحنا الدمشقي على تشويه عقيدة المسلمين في المسيح عليه السلام في نظر قرائه بإظهارهم وكأنهم يقولون بعقيدة النصارى وهي أن المسيح كلمة الله الخالقة التي خلقت كل شيء، ثم يعودون ويناقضون ذلك بقولهم إن المسيح مخلوق، في حين إن عقيدة المسلمين في المسيح واضحة، وهي أنه مخلوق من الله بكلمة كن التي كان بها المسيح عليه السلام، وروح منه أي من الأرواح التي خلقها وكملها بالصفات الفاضلة، وروح القدس هو جبريل عليه السلام الذي نفخ في مريم ليكون المسيح بأمر الله مخلوق بكلمة الله، وسمى روح الله من باب التشريف والتكريم مثل عبد الله وبيت الله..[5].

والمتأمل لدعوة النبي ﷺ يجده لم يأت بشيء بدع من الرسل بل دعى للوحدانية التي جاءت في كتب أهل الكتاب، والكتاب المقدس به ما يدل على

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٢، ص٤٧٧-٤٧٨؛ ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٦ -٢١.

(٢) سورة آل عمران، آية ٤٥.

(٣) محمد متولى الشعراوي، مريم والمسيح، ص ٤٠-٤١.

(٤) سورة آل عمران، آية ٤٧.

(٥) ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٥٧-١٥٩؛ علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص ٧٧-٧٨.

وجود إله واحد[1]، وهذه الآيات حتى الطفل يؤكد أنها تنسب إلى صاحبها وهو رسول الرب[2]، وبالنسبة لقولهم جميعاً أنه الله أو شريك الله ففي الكتاب المقدس ما يدحضه، حيث فصل فيه ميلاده ونسبه[3] وعائلته[4] وألقابه[5] ونشأته وحياته[6] وعمله[7] وممتلكاته[8] وعبادته[9] وجهله[10] وضعفه[11] وأنه مجَرب[12] ....

---

(١) سفر التثنية، الإصحاح الرابع، آية ٣٥-٣٩، الإصحاح الخامس، آية ٦-٧، الإصحاح السادس، آية ٤؛ سفر إشعياء، الإصحاح الثالث والأربعون، آية ١١، الإصحاح الخامس والأربعون، آية ٢١-٢٢، الإصحاح السادس والأربعون، آية ٩، الإصحاح الثامن والأربعون، آية ١٢؛ سفر الملوك الثاني، الإصحاح التاسع، آية ١٩؛ انجيل متى، الإصحاح الرابع، آية ٩-١٠، الإصحاح السابع والعشرون، آية ٤٥؛ انجيل مرقس، الإصحاح العاشر، آية ١٨، آية ٢٧، الإصحاح الثاني عشر، آية ٢٩؛ انجيل يوحنا، الإصحاح السابع عشر، آية ٣.

(٢) أحمد ديدات، هل الكتاب المقدس كلام الله؟، ص ١٠.

(٣) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، الإصحاح الأول، آية ٣، أعمال الرسل، الإصحاح الثاني، آية ٣٠، متى، الإصحاح الأول، آية ١، لوقا، الإصحاح الثاني، آية ٦، ٢١، رؤيا يوحنا، الإصحاح الثاني عشر، آية ٢.

(٤) متى، الإصحاح الثالث عشر، آية ٥٥-٥٦، يوحنا، الإصحاح الأول، آية ٤٥.

(٥) متى، الإصحاح الثاني، آية ٢ يوحنا، الإصحاح الأول، آية ٤٩، الإصحاح الثاني عشر، آية ١٣.

(٦) متى، الإصحاح الثاني، آية ١، ١٣-٢٣، الإصحاح الحادي عشر، آية ١٩، لوقا، الإصحاح الثاني، آية ٤١-٥٢، الإصحاح السابع، آية ٣٤.

(٧) مرقس، الإصحاح السادس، آية ٣.

(٨) يوحنا، الإصحاح التاسع عشر، آية ٢٣.

(٩) مرقس، الإصحاح الأول، آية ٣٥.

(١٠) مرقس، الإصحاح الحادى عشر، آية ١٢-١٣، الإصحاح الثالث عشر، آية ٣٢، يوحنا، الإصحاح السابع، آية ١٤-١٥.

(١١) يوحنا، الإصحاح الخامس، آية ٣٠؛ لوقا، الإصحاح الثاني والعشرون، آية ٤٣، الرسالة إلى العبرانيين، الإصحاح الخامس، آية ٨.

(١٢) مرقس، الإصحاح الأول، آية ١٢-١٣، لوقا، الإصحاح الرابع، آية ١٣، الرسالة إلى العبرانيين، الإصحاح الرابع، آية ١٥، رسالة يعقوب، الإصحاح الأول، آية ١٣-١٤.

وموقفه ممن يحكمون[١] كما تحدث عن مملكته[٢] ومهمة الله[٣] بل عدوا الله عنصري[٤] الله الذي ليس مثل الإله[٥] الله الهارب[٦] أسر الله[٧] ونهايته[٨] وقد علق أحمد ديدات على هذه الآيات فقال: "وطبقاً للاقتباسات المستخرجة من الكتاب المقدس والتي سقناها، فإننا نجد أن عيسى لم يشارك طبيعة الله ولا هو من كل وجهة مثل الله، لذلك فإنه قطعاً ليس هو الله[٩]، ولنا أن نتسائل إن كان يوحنا الدمشقي قد استخدم نفس الآيات السابقة عندما قال: "إن الإله كامل وليس

---

(١) متى الإصحاح السابع عشر، آية ٢٤-٢٧، الإصحاح الثاني والعشرون، آية ٢١.

(٢) لوقا، الإصحاح الأول، آية ٣٣.

(٣) متى، الإصحاح الثالث، آية ٣-٦، ١٣- ١٥، مرقس، الإصحاح الرابع، آية ١٠-١٢.

(٤) متى، الإصحاح العاشر، آية ٥-٦، الإصحاح الخامس عشر، آية ٢٥-٢٦، رؤيا يوحنا، الإصحاح الخامس، آية ٥.

(٥) متى، الإصحاح الرابع، آية ٢، الإصحاح الثامن، آية ٢٤، الإصحاح العاشر، آية ٣٤، الإصحاح الحادى والعشرون، آية ١٨ الإصحاح السادس والعشرون، آية ٣٧-٣٨؛ مرقس، الإصحاح الحادى عشر، آية ١٢ الإصحاح الرابع عشر، آية ٣٣؛ يوحنا، الإصحاح الرابع، آية ٦، الإصحاح الحادي عشر، آية ٣٣، ٣٥، الإصحاح التاسع عشر، آية ٢٨، لوقا، الإصحاح الثامن، آية ٢٣، الإصحاح التاسع عشر، آية ٤٥، الإصحاح الثاني والعشرون، آية ٣٦؛ مرقس، الإصحاح الرابع، آية ٣٨؛ يوحنا، الإصحاح الثاني، آية ١٣-١٥.

(٦) يوحنا، الإصحاح السابع، آية ١، الإصحاح الثامن، آية ٥٩، الإصحاح العاشر، آية ٣٩، الإصحاح الحادى عشر، آية ٥٣-٥٤.

(٧) متى، الإصحاح السادس والعشرون، آية ٦٦-٦٧؛ يوحنا، الإصحاح الثامن عشر، آية ٢-٣، ١٢-١٣، ٢٢-٢٣؛ لوقا، الإصحاح الثاني والعشرون، آية ٦٣-٦٤؛ مرقس، الإصحاح الرابع عشر، آية ٦٤؛ أعمال الرسل، الإصحاح الثامن، آية ٣٢.

(٨) متى، الإصحاح السابع والعشرون، آية ٥٨-٥٩؛ مرقس، الإصحاح الخامس عشر، آية ٣٧؛ لوقا، الإصحاح الثالث والعشرون، آية ٤٧؛ يوحنا، الإصحاح التاسع عشر، آية ٣٣؛ رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، الإصحاح الخامس، آية ٦.

(٩) أحمد ديدات، هل المسيح هو الله؟ وجواب الإنجيل عن ذلك، ترجمة محمد مختار، القاهرة، د. ت، ص ١١-٣٠.

ناقص البتة في صلاحه وحكمته وفي قوته[1]، عديم أن يكون محصوراً، خالق الكل وضابطه وسائسه، فوق الكامل وقبل التمام [2] فلماذا هو متمسك بألوهية المسيح ﷺ مع أن هذ النصوص تنفى أن للمسيح ﷺ قدرة أو مشيئة إلا من خلال الله ﷻ، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[3]، قال ابن كثير في تفسيرها: "إن الذي خلق آدم من غير أب ولا أم قادر على أن يخلق عيسى من غير أب، وإن جاز إدعاء البنوة في عيسى ﷺ بكونه مخلوقاً من غير أب، فجواز ذلك في آدم بالطريق الأولى، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل فدعواها في عيسى ﷺ أشد بطلاناً وفساداً، ولكن الرب أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم ﷺ لا من ذكر ولا من أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى ﷺ من أنثى بلا ذكر"[4]، وعبارة ابن الله مجازية حيث ذكرت في مزامير داود ﷺ "فقال لي: أنت ابني أنا اليوم ولدتك[5]، فهذا المعنى مجازي يشير إلى الرعاية والحماية والتبني ولا يقصد به حرفية الولادة على الإطلاق، وفي رؤيا يوحنا اللاهوتي "من يغلب يرث كل شيء وأكون له إلهاً ويكون لي ابناً"[6] كما وجدت العبارة باسلوب الجمع "طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون"[7] وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة[8]" لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله[9].

---

(١) يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، عربه عن اليونانية، الأرشمندريت أدريانوس شكور، المكتبة البولسية، ط ١، لبنان، ١٩٨٤م، ص ٦١.

(٢) يوحنا الدمشقي، آراؤه اللاهوتية، ص ١٣٣.

(٣) سورة آل عمران، آية ٥٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، مج ٢، ص ٤٩.

(٥) الإصحاح الثاني، آية ٧.

(٦) الإصحاح الحادي والعشرون، آية ٧.

(٧) الإصحاح الخامس، آية ٩.

(٨) إنجيل لوقا، الإصحاح العشرون، آية ٣٦.

(٩) رسالة بولس الأولى إلى أهل رومية، الإصحاح الثامن، آية ١٤.

ويقول نايتون: "بالنسبة للمسيح فنجد أن عبارة "ابن الله" فسرت الكلمة بأكثر من معنى مما أثار اللغط لكنها في الأصل كانت تعني عبد الله، وبالنسبة للتأويل المجازي كتأويل الأب فيستوجبه الذي يقول إن المتصوفة يستخدمون مثل هذه العبارات أحياناً، لأنه قد يصل إلى مرحلة يتعرف فيها على الله كما يتعرف المرء على أبيه، وبهذا يُعرف نفسه على أساس ابن الله، وقد كانت تلك حال المسيح ﷺ حين يتكلم عن أبيه، وحين يلقب نفسه بالابن، والمتأمل لعبارة ابن الله يجد أن أصلها وثني، وقد كان لها تأثير كبير في استقطاب الكثير من الوثنيين في الديانة المسيحية، بل دخل بعضهم في الدين الجديد بسببها"[١]، وترى الباحثة أن هذا الباحث رغم أنه مسيحي إلا أنه تجرد من التعصب كي يصل لأصل الكلمة وهذا من أمانته العلمية.

وقد علق الجاحظ فقال: "إن هذه العبارات تدل على سوء تأويل أصحاب الكتب وجهلهم بمجازات الكلام وتصاريف اللغات، ونقل لغة إلى لغة، وما يجوز على الله وما لا يجوز"[٢]، وبذلك رد الجاحظ على هذه الآيات ورفض البنوة سواء كانت حقيقية أو مجازية، وتتفق الباحثة مع قول الجاحظ، والمتأمل لهؤلاء الجدليين يجدهم جميعاً رغم أنهم يقولون عن القرآن أنه كتاب معيب، إلا أنهم كثيراً ما نقلوا عنه كدليل على الحقيقة[٣]، وهذا يدل على المواقف المتناقضة، وترى الباحثة أن الآيات القرآنية التي تثني على المعتقدات والممارسات المسيحية تحظى بجدارة موثوقة لدى الجدليون، وذلك لآثارها التاريخية والمنطقية على زملائهم المسيحيين، كما أنها كدفاع ضد التفسيرات الإسلامية التي سعت إلى ربط المعتقدات المسيحية التثليثية بالوثنية والشرك.

---

(١) أندريه نايتون، كارل غوستاف يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ترجمة سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، د. ت، ص ٣٧-٤٠.

(٢) أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المختار في الرد على النصارى، تحقيق د/ محمد عبد الله الشرقاوي، بيروت، ١٩٩١م، ص٣١-٣٥

(3) Beretania, An Arabic Account Theodore, p. 241, Griffith, The Qur'an in Arab Christian texts, p. 204.

وقد قال المؤرخ vila متعجباً: "من المستغرب أن يقتبس يوحنا الدمشقي حرفياً من بعض سور القرآن، فإما أن النص كان لديه أو انه كان يعرفه جيدا بما يكفي لإقتباس مقاطع مختلفة من ذاكرته"[١]، فعد هذا دليلاً على أن يوحنا الدمشقي كان لديه معرفة بالقرآن[٢]، بالإضافة لدارسته الجيدة للتعاليم الأساسية للإسلام، ومعرفته بالإختلافات مع المسيحيين، وقد مكنته هذه المعرفة ليكون أكثر المسيحيين مساعدة للبيزنطيين في فهم هذا الدين الجديد[٣]، بل كان له الفضل في تعريف البيزنطيين ببعض سور القرآن الكريم، حيث ترجم آيات كثيرة منه إلى اليونانية البيزنطية[٤]، وقد ظهر بوضوح استعداد يوحنا الدمشقي لاستخدام الكتاب الإسلامي ليثبت وجهة نظره، ربما ليخفف من تصريحاته المسيئة والتي قالها في وقت سابق عن القرآن باعتباره خرافات[٥]، فاستخدم ببراعة علمه بالقرآن، وذلك عندما ذكر ما جاء فيه بأن المسيح كلمة الله وروحه؛ لفضح التناقض في القرآن -وهذا من زعمه الباطل -، ولتعليم المسيحيين عقيدتهم، بأنه غير مخلوق وأبدي فأصبحت هذه الحجة شعبية بعد وفاة يوحنا الدمشقي، فاستخدمها كل مدافع مسيحي في العالم الإسلامي، وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على تأثير يوحنا الدمشقي على المجتمع المسيحي في الشرق[٦]، وقد أراد يوحنا الدمشقي القول أن الكلمة والروح لا ينفصلان، ومن ثم فإن الكلمة هي في الله [٧] -حاشاه سبحانه - كذلك وقد أصبحت هذه الحجة شعبية بعد وفاة يوحنا الدمشقي فتقريباً كل المجادلين المسيحيين بعده أشاروا لهذه الآية القرآنية [٨]، وقد حاول أن يظهر أن المسيحي ذو خبرة ضد المسلم

---

(1) Vila, Christian martyrs, p. 188

(2) Rhodes, John Damascene, p. 58, Vila, Christian martyrs, p. 191.

(3) Rhodes, John Damascene, p. 58, 74.

(٤) طارق منصور، البيزنطيون وترجمة القرآن الكريم، ص٨٤.

(5) Vila, Christian martyrs, p. 203.

(6) Rhodos, John Damascene, pp. 60-61.

(7) Merrill, of The Tracte of John of Damascus on Islam, p. 90, Vila, Christian martyrs, p. 192.

(8) Rhodes, John Damascene, p. 61.

الساذج[١]، وذلك بإستخدم المصطلحات التي يستخدها المسلمون أنفسهم عن المسيح ﷺ وأنه "كلمة الله وروحه"[٢]، ومن خلال هذا الإستخدام توصل المسيحيون للإستنتاج البديهى من ظاهر العبارة، وهو أن كلمة وروح الله لا ينفصلان عن الله نفسه، وهذه الفرضية كانت ضد المسلمين، فإذا قبلوا بصحته توجب عليهم أن يقبلوا بأن المسيح هو الله، أما إذا أعلنوا أن الله "بدون كلمة وروح"، فيكونون قد أنكروا الحقيقة مما يعد تشويها لله، فيكونون بذلك أسوأ ممن ينتقضونهم[٣]، وقد برزت كفاءة يوحنا الدمشقي في اختيار مواضيع مختارة بعناية من القرآن ليوجه لها سهام نقده، فبدأ منطقياً بأهم موضوع وهو العقيدة، نظراً لأهميّة الموضوع في الفكر المسيحي فلخص يوحنا الدمشقي ملمحين من ملامح الثوابت القرآنية في مقولتين الأولى: أنه لا يوجد إلا إله واحد خالق كل شيء، وأنّه لم يلد ولم يولد، وقد أخذها من سورة الإخلاص، والثّانية: نفي البنوة والربوبيّة والألوهيّة عن عيسى بن مريم، فقد أخذها من عدة سور[٤].

وبالنسبة لأبي قرة فقد تعامل وكأن محاوريه المسلمين يفتقرون الفهم السليم للكتاب الإسلامي[٥]؛ لذا ظهر وجهاء المسلمين مهزومين، وبرز أبو قرة قادراً على شرح نقاط الخلاف في العقيدة المسيحية وتوظيف القرآن للدفاع عن صحتها بل ونقد ما فيه[٦]؛ فاقتبس كثيراً من القرآن الكريم، الذي أضحى محور

---

(1) Orthodox Theology Group, Sharpening the Doctrine of God: Theology between Orthodox Christianity and Early Islam American Academy of Religion, Telford Work, Azusa Pacific University, Toronto, November 25, 2002, p. 13.

(٢) ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾، سورة النساء، آية ١٧١.

(3) Merrill, OF The tracte of John of Damascus on Islam, p. 90.

(٤) محمد حسن بدر الدين، بواكير الجدل الكلامي المسيحي العربي، ص ١١-١٢.

(5) Beretania, An Arabic Account Theodore, pp. 241-242.

(6) Wilde, The Qur'ān in Christian Arabic texts, p. 10.

حجته[1]، فذكر عدة آيات قصد منها التقليل من قيمة الإسلام مقارنة بالمسيحية، وقد أساء فهم معنى الآيات التي أكدت أن الإسلام هو الدين الحق وأنه رسالة كل الأنبياء، لان أهل الكتاب الحق هم من آمنوا بما جاء به أنبيائهم بالإضافة لإيمانهم وإذعانهم للإسلام ونبيه محمد ﷺ، وقد كان من الممكن أن يكون المعنى الذي طوعه لصالحه صحيحاً لو آمن بما أنزل على النبي محمد ﷺ النبي الحق ومفاد ذلك ما جاء في قوله تعالى، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾[2]، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[3]، ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[4]، قال ابن كثير: "أنزل عليك القران الذي لاشك فيه ولا ريب ومصدقاً من الكتب المنزلة قبله من السماء على عباد الله الانبياء فهي تصدقه بما أخبرت به وبشرت في قديم الزمان وهو يصدقها لأنه طابق ما أخبرت به وبشرت من الوعد بإرسال محمد وإنزال القرآن العظيم[5]".

وترى الباحثة أن جميع الكتاب البيزنطيين حاولوا دحض اتهام المسلمين لهم بالإشراك في الدين مستخدمين الجدل وما ذكر في القرآن لصالحهم.

ويبدو من تأكيد الجدليين على أن يسوع المسيح هو روح وكلمة الله أن يظهر المسلمون بأنهم لا يفسرون كتابهم بشكل صحيح، ومن ثم لا يفهمون المعتقدات والممارسات المسيحية[6].

وبالنسبة لمناقشة الخليفة المهدي مع تيموثي نجد أن نقاش تيموثي يعد نوع من الجدل السفسطائي الذي لا فائدة منه حيث لم يستطع إقناع المهدي

---

(1) Griffith, The Qur'an in arab Christian texts, p. 223.

(٢) سورة القصص، آية ٥٢-٥٤.

(٣) سورة البقرة، آية ١٢١.

(٤) سورة آل عمران، آية ٣-٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم، مج ٢، ص ١٠٥-١٠٦.

(6) Bertaina, An Arabic Account Theodore, p. 272.

بوجهة نظرة وحاول أن يثبت صحة قوله بذكر عدة أمثلها لو قبلت لكان على إثرها كل الناس آلهة، ويمكننا الاحتجاج بما قاله تيموثي للمهدي عن الفارقليط حيث يعد مناسباً جداً للرد على ألوهية المسيح "فالفارقليط هو روح الله؛ فإذاً محمّد هو روح الله وروح الله ليس بمحدود كالله فإذاً محمّد هو غير محدود، والذي هو غير محدود، لا يُدرك بالنظر؛ فاذاً محمّد لا يُدرك بالنظر والذي هو غير مدرك بالنظر، هو غير مجسَّم؛ فاذاً محمّد هو غير مجسَّم والذي هو غير مجسَّم، هو غير مركَّب، فإذاً محمّد هو غير مركَّب، وإن كان محمّد هو مركّب ومُجسَّم ومنظور ومحدود ليس هو بروح الله، والذي ليس هو بروح الله، ليس هو الفارقليط فاذاً محمّد ليس هو الفارقليط ثمّ أن الفارقليط هو من السماء ومن الآب ومحمّد هو من الأرض من طبيعة آدم؛ فإذا محمّد ليس بالفارقليط، والفارقليط أيضاً يعرف أعماق الله، ولكن محمّد يعترف بأنّه يجهل أيضاً الأمور التي تقع به وبالذين يؤمنون به؛ فاذاً محمّد ليس هو الفارقليط [١].

كما يمكن دحض قولهم باستخدام قول أبو قرة "الله وكلمته وروحه إله واحد ومعبود واحد وديان واحد ورب واحد جل جلاله فهو عظيم لايوصف ولا يحد ولا يدرك ولا ينعت" [٢]، وهذا الكلام يوضح أن المسيح ليس الله، وترى الباحثة أن نفس الأمر ينطبق على المسيح ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٣]، وقد قال ابن كثير في تفسير الآية: "يقول الله مخبراً وحاكماً بكفر النصارى في ادعائهم في المسيح ابن مريم وهو عبد من عباد الله، وخلق من خلقه وأن الله تعالى علا عن قولهم علواً كبيراً" [٤].

---

(1) Hackenburg, An Arabic-to-English Translation of the Religious Debate, pp. 81-82.

(٢) مجادلة أبي قرة، ص ٩٥.

(٣) سورة المائدة، آية ١٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، مج ٣، ص ٦٨.

وبالنسبة لإستخدام الجدليين كلمة كتابك والتي تكررت كثيراً ليخبر المسلمون بأن أقوى حجة لديك هو ذلك الكتاب الذي في يدك"[1]، ولعلهم يريدون بذلك التهكم على المسلمين أو نزع ثقتهم بالقرآن.

وننتقل بعد ذلك لسؤال الوالى عمر بن سعد بن أبي وقاص للبطريرك يوحنا John I [2] عن الدليل الحقيقي على الطبيعة الإلهية للمسيح على أن تكون مدعومة بأدلة منطقية وتوراتية، وقد أعطاه البطريرك إجابة جديرة بالملاحظة لأنها لم تُقدم أي أدلة منطقية، وحتى الأدلة التي من المفترض أنها من التوراة لم تكن واضحة، فبدلاً من أن يعدد البطريرك الأدلة أعطى عدة براهين كتابية مما جعل الأمر مدهشاً حقاً، لأنه في معظم المناظرات المسيحية الإسلامية تكون مثل تلك الإجابات مفصلة، لتزويد القارئ بإجابات جاهزة على الأسئلة الحساسة، ولكن على العكس هنا، فلن يتمكن القارئ من التقاط أي شيء من تلك الإجابة فعندما طلب الأمير دليلاً كتابياً من التوراة، على وجه التحديد، رد البطريرك باقتباس من سفر التكوين، وأظهر له الآية في الكتاب المقدس بنسختيه السريانية واليونانية "فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء"[3]، وقد قدمت الآية كدليل على وجود ثلاثة أقانيم مختلفة في جوهر إلهى واحد، لكن الآية تذكر إلهين، ولكن ليس المقصود إثبات وجود إلهين اثنين، وما قصده أن هذين الإلهين هما بالضرورة الله الواحد، لأنه لا يمكن دعوة أحد غيرهما بالرب، وقد بقى سؤال الوالى في المحاورة غير مجاب؛ وقد رأى الوالى الفقرة بعينيه ثم استدعى يهودياً للتحقق منها وهذا الأخير (اليهودي)- من وجهة النظر المسيحية التقليدية- لا يمكنه التحقق من صحة (الآية) على وجه دقيق؛ لأن هذه الآية قدمة بإعتبارها دليل حى على زعم أقدم يقول أن اليهود أقل نضجاً من أن يستوعبوا الأدلة على ألوهية المسيح، والموجودة في العهد القديم[4].

---

(1) Griffith, The Melkites and the Muslim, p. 426.

(٢) هو بطريرك أنطاكية اليعقوبي يوحنا سدرا (٦٣١- ٦٤٨م).

Hoyland, Seeing Islam As others saw it, pp. 459-470.

(٣) الإصحاح التاسع عشر، آية ٢٤.

(4) Hoyland, Seeing Islam As others saw it, P. 459, Roggema,The debate between patriarch John and an Emir of the Mhaggraye, p, 28-29

ولتفنيد الحجة نجد أن لفظ الأب الذي يطلق على الله أحياناً في الكتاب المقدس هو بمعنى الرب المالك المتصرف في كل شيء، وأن لفظ الابن لله الذي يطلق أحياناً على بعض الأنبياء والصالحين، إنما هو مصطلح يعني العبودية والخضوع والطاعة تشبيهاً بطاعة الابن لابيه وخضوعه وانقياده له، وقد حاول يوحنا الدمشقي تشويه عقيدة المسلمين في المسيح في نظر قرائه بإظهارهم وكأنهم يقولون بعقيدة النصارى الضالة: وهي أن المسيح كلمة الله الخالقة التي خلقت كل شيء[1].

وقد قال يوحنا ذهبى الفم[2] "بولس رسول المسيح بمشيئة الله إلى أفسيس لاحظ أنه قال "بمشيئة الله" هل هذا يعنى أن يسوع المسيح أقل من الآب؟ كلا[3]، وهذا النفى غير حقيقي فلو كانا واحداً لقال بولس بمشيئة الله ويسوع.

---

(١) على بن محمد عودة الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص٧٧.

(٢) ولد في أنطاكية فيما بين (عام ٣٤٠-٣٥٠م)، لعائلة ثرية، لأب وثني اعتنق المسيحية بفضل تأثير زوجته عليه وسيرتها الصالحة، وأمه تدعى أنثورسا " Anthursa " كانت مسيحية تقية، عكفت على تربية ابنها بعد وفاة زوجها، ورفضت الزواج مرة أخرى رغم أنه كانت في ريعان شبابها حيث لم يتجاوز عمرها العشرين عاماً، ترك أنطاكية بعد وفاة أمه وذهب لأحد الأديرة القريبة، ومكث به أربع سنوات تعمق خلالها في دراسة الكتاب المقدس، أصبح راهباً وانزوى في الصحراء، ثم عاد لأنطاكية عام ٣٨١م ليرسم شماساً وعمره ٣٤ عاماً، ثم قسيساً عام ٣٨٦م، وسمى ذهبي الفم لأنه كان يعظ بفصاحة نادرة فكان كلام ينفذ إلى القلوب كما يتدفق من فمه كالجوهر، اشتهر بجرأة نادرة مما سبب له متاعب كثيرة، في عام ٣٨٧م أصحب بطريركاً للقسطنطينية وعمره ٤٠ عاماً، واستمر في توجيه الخطب ضد الأوضاع السيئة التي كانت في القسطنطينية مما استجلب غضب الإمبراطورة يودكيا Eudoxia (d. 404) زوجة الإمبراطور أركايوس Arkadios (٣٩٥-٤٠٨م) عليه عليه لينتهي به المطاف بالنفي، لكنه لم يتحمل طريق النفي الشاق ومعاملة الجور الوحشية فتوفي في ٤٠٧م وعمره ستين سنة، وقد ترك مئات الكتب مكنته من أن يكون أعظم كاتب في الكنيسة.

OBD، vol، 2، pp. 1057-1058، 740

(٣) تفسير رسالة بُولس الرسول إلى أهل أفسس، تعريب القمص مرقص داود، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ١٣.

ثانياً: الخلاف حول قضية الثالوث المقدس:

كان للثالوث نصيب في المناقشات الإسلامية المسيحية فقد قال البطريرك يوحنا في معرض رده على سؤال الأمير المسلم إن جميع الأنبياء دعوا للتوحيد فرد قائلاً: "إن المسيح هو من أعلن الطبيعة الحقيقية لله "الثالوث" لأن الناس لم يكونوا مستعدين لذلك مسبقاً؛ بسبب ميلهم نحو عبادة المعبود، لذا أعلن مؤمنوا العهد القديم تلك الحقيقة بطريقة كما جاء في التوراة " اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد"[١]، وقد كشف الله نفسه تدريجياً كإله واحد، الآب والابن والروح القدس[٢].

وقد قال نفس القول يوحنا الدمشقي الذي قال: "الله الكائن دوماً والكائن كاملاً فإن كلمته كاملة وأقنومية، وكائنة دوماً وحية لها كل ما لوالدها، فكما أن كلمتنا -لأنها صادرة من عقلنا- ليست هي وعقلُنا شيئاً واحداً في كل شيء وليست هي غيره في كل شيء..، ويكمل "وكذلك قل أيضاً عن كلمة الله فبما أنه قائم في ذاته فهو يتميز عن الله الذي له منه أقنومه، وهو -فيما يُظهر في ذاته ما يراه في الله- له الطبيعة نفسها التي هي لله، فكما يشاهد الكمال في الآب في كل شيء كذلك يشاهد في الكلمة المولودة منه"[٣].

وعندما قال المهدي لتيموثي: "إنّك اذاً تؤمن وتعتقد بثلاثة آلهة، فأجابه تيموثي: أيها الملك إنّ الاعتقاد بهذه الأسماء الثلاثة هو الإعتقاد بثلاثة أقانيم، أعني الآب والابن والروح القدس، الذين هو إله واحد وطبيعة واحدة وجوهر واحد، كذا نؤمن ونعتقد على ما علّمنا صريحاً عيسى عليه السلام وتعلّمنا ذلك أيضاً من الأنبياء ولنا برهان على ذلك في المخلوقات فكما أنّ ملكنا محبّ لله هو واحد مع كلمتِه وروحِه، وليس بثلاثة ملوك، ولا يمكن أن ينفصِلَ منه كلمتُه وروحُه، ولا أن يُسمَّى ملكاً دون الكلمة والروح؛ هكذا لله تعالى: إنّه واحد مع كلمتِه

(١) سفر التثنية، الإصحاح السادس، آية ٤.

(2) Bertaina, An Arabic Account of Theodore, pp. 129-130.

(٣) المئة مقالة، ص٦٢.

وروحِهِ، وليس بثلاثة آلهة، إذ لا يمكن أن ينفصِلَ منه الكلمة والروح كذا الشمس، مع أشعّتها وحرارتها، هي واحدة وليس بثلاثة شموس، حينئذٍ قال لي الملك: هل ينفصل الكلمة والروح من لله؟، فجاوبناه: حاشا وكلا فكما أنّ الأشعة والحرارة لا تنفصلان من الشمس قطعاً، هكذا كلمة الله وروحُه لا ينفصلان منه أبداً، وكما أنّه إذا انفصلت أشعّة الشمس وحرارتها منها يزول نورُها وحرارتها، ولا يمكن أن تُدعى شمساً؛ هكذا الله سبحانه إذا انفصل منه الكلمة والروح يكون لا ناطقاً ولا حيّاً، وأمّا الناطق لا يقال عنه إنّه معدوم الحياة والروح فإن تجاسر أحدٌ وقال عن الله إنّه كان موجوداً في زمان ما دون الكلمة والروح، فقد جَدّف لأنّ لله سبحانه منذ الأزل كان له الكلمة مولوداً كينبوع النطق، وكذا ينبثق منه الروح سرمدياً كينبوع الحياة"[1].

كما تحدث الكندي عن الأقانيم الثلاثة فقال: "إن الله واحد ذو كلمة وروح في ثلاثة أقانيم، فعندما ناجى الله كليمه موسى ﷺ أعلمه كيف خلق آدم فقال: في البدء الآلهة بَرَاَ السموات والأرض، فبهذا يشير الكتاب المقدس إلى تثليث الأقانيم ووحدة الطبيعة والجوهر الذي هو الأقانيم الإلهية الثلاثة، وقال أيضاً عن آدم "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا"، وقال "قد صار كواحد منا"[2]، ولم يقل مثلي، كما قال دانيال[3] لبختنصر (٦٠٤-٥٦٢ ق.م)[4] "لك نقول" ولم

---

(1) Hackenburg, An Arabic to English translation of the Religious Debate, pp. 54-57.

(٢) سفر التكوين، الأول، آية ٢٦، الإصحاح الثالث، آية ٢٢.

(٣) هو نبي من أنبياء بني إسرائيل وهو أحد أنبياء العهد القديم، وتوجد نبوءة باسمه تتحدث عما سيحدث في العالم O.B.D, vol. 1, PP.583-854

ولم يرد ذكره في القرآن الكريم، وقد روت التوراة قصته في السفر المعروف باسمه، للمزيد عنه انظر: ابن ربن، الدين والدولة، ص ٥٠، حاشية ٣٢.

(٤) يدعى ببختنصر، وتعني ابن صنم، وينتسب إلى الكلديين الذين استقروا في جنوبي ووسط العراق وكان والده نبوبصر من شيوخ بيت ياكين المشيخة الكلدية وهو ملك على بلاد بابل في العراق، قاد جيشاً جراراً للشام وفلسطين فصالحه أهلها على أموال كثيرة، لكن نقض اليهود عهدهم معه، فحاصرهم حتى نجح في اقتحام المدينة وقتل فيها =

يقل أقول، وفي كتابك "أوحينا، خلقنا، أهلكنا.... مع نظائر لهذه كثيرة أفيشك أحد يعقل في أن هذا القول قول شتى لا قول فرد فإن ادعيت أن العرب استخدمته فكيف بمن هم قبلهم كالعبرانيون والسريانيون واليونانيون، ثم يكمل الكندي فيقول وأن المسيح كلمة الله تجسدت فصارت إنساناً"[1].

أما نيقيتاس البيزنطي فقد قال: "جعل يسوع واحداً من الأنبياء، والفرق الوحيد هو أن يسوع كلمة الله، ووفقاً لمحمد ولد من خلال الروح القدس من العذراء، ويهجو محمد المسيحيين في كتابه المزيف ويصفهم بالمشركين بالله، لأنهم يجعلون لله شركاء، بجعلهم للآب ابناً على غراره له كل الاحترام، معتقدين بأنه ولد بلا عاطفة بشرية، والاتهام الذي يجعل لله شركاء لا أساس له فلم يدعى اليهود مثل هذا الإدعاء؛ ولا يوجد في كتابهم شيء مثل ذلك" بل هو إشارة إلى "معاملة الله الأبويه والحنونة [لإسرائيل]، وتفضيله على الأمم الأخرى، أما بالنسبة للمسيحيين، وبنوة المسيح فواضحة جداً في الإنجيل، والبربري اعترف بأن الإنجيل من عند الله، وبناء على ذلك فليس هناك ما هو غريب في الشهادة المسيحية بأن المسيح هو الله وابن الله، لكنه كان يدين بطريقة ثرثارة أولئك الذين ينسبون لله شركاء، لذا جعل يسوع واحدا من الأنبياء، والفرق الوحيد هو أن يسوع كلمة الله، ووفقا لمحمد ولد من خلال الروح القدس من العذراء، وبناء على ذلك فليس هناك ما هو غريب في الشهادة المسيحية بأن المسيح هو الله وابن الله لكن محمد لم يقرأ أبداً نص الإنجيل

= الكثير وخرب فيها الكثير وذهب إلى القرى المجاورة وخربها وقتل أهلها وبقي بختنصر في بلادهم وأحرق ما وقع تحت يديه من التوراة وأبقى النساء والأطفال ليكونوا عبيداً لأهل بابل حتى بلغ عدد الأطفال تسعين ألف طفل، وقيل إن الله أرسله لبني إسرائيل لما قتلوا يحى بن زكريا عليهما السلام، وقد رأى رؤيا تنبأت بالدين الإسلامي ففسرها له دانيال، ويمكن الرجوع إلى: ابن قتيبة الدينوري، كتاب المعارف، ص ٤٦-٤٧؛ الكامل في التاريخ، مج ١، ص ١٩٨-٢٠٦؛ حياة إبراهيم محمد، نوبخذ نصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ ق.م)، بغداد، ١٩٨٣م.

(١) رسالته، ص ٣٥-٤١.

المقدس، ولكنه سمع عنه فقط؛ لذا وضع نفسه فوق القانون والإنجيل، وهـذه هي سمة المسيح الدجال، ولا يمكن فهم الاعتـراف بـالله الآب والله الابـن والله الروح القدس على انه قبول بثلاثة آلهـة، فعنـدما نعتـرف بهـم، لا نقـول أنهـم متماثلان لكنهم إله واحد وقدرة واحدة، ويُعتبرون إلهاً واحداً، على الرغم مـن أنه يُعتقد أنهم ثلاثة في أقانيم، فعندما نتحدث عن فيتير وبـول وتومـاس، فإننـا نشير إلى ثلاثة أقاصي مختلفة، ولكن إلى طبيعة واحدة، الإنسـان، لـذا يمكـن اتباع نفس المبدأ فيما يتعلق بالطبيعة الإلهية، وقد ناقض محمد نفسـه بقولـه أن يسوع المسيح ابن مريم ورسول الله وكلمتـه الـتي زرعـت الـروح في مـريم - ثم تطاول نيقيتاس على النبي وقال عنه وحاشاه- رغم أن الجاهل المجنـون اعتـرف بأن الإنجيل أعطي من قبل الله وقبل المسيح ككلمة الله، وأنه روح منه إلا انه نفي أن كل ما أتي من جوهر الله هو من نفس الطبيعة، ورفض الثالوث"[1]، وقد تكرر نفس لمعنى لدى بحيرى الذي إدعى أن النبي محمد عندما سأله لأى رب تعبد؟ أجابه الله الأزلى الحى الذي لا يمـوت الثـالوث الواحـد القـدوس الآب والابـن والروح القدس الإله..."[2].

وقد ردد نفس القول عمار البصرى النسطوري حيث قـال: "لم نـذهب في كلمة النفس إلى ظاهر الحروف المؤلفة التي تتوهمهـا محدثـة لأن الكـلام علـى أربعة أوجه: فمنه كلام مسموع يظهره الصوت ومنه كلام منظور إليه يظهره الخط ومنه كلام متولد في النفس لم تعبره الشفتان ولم يتبين المداد ولم يظهـر للعيـون ومنه القوة التي للنفس التي أمكن أن نظهر الكلام ونقدر الأشـياء ونـدبر الأمـور ونسوس العالم[3].

أما يعقوب الرهـاوي (Jacob of Edessa.d. 708)[4] فقـال: "والمسـلمون

---

(1) Demetriades, Nicetas Byzantium, pp. 25, 27-29, 33, 40-44, 46-47.

(2) Gottheil, A Christian Bahira Legend, pp. 265-266.

(٣) عمار البصرى، كتاب البرهان، ص ٤٩.

(٤) ولـد وتعلـم في قريـة عيتـاب Ayndaba القريبـة مـن أنطاكيـة Antioch، ذهـب لـدير Qenneshre، ثم لإكمال دراسته في الإسكندرية باليونانية، أصبح أسقفاً على الرها =

يقولون بأن عيسى ابن مريم هو المسيح ويدعونه بكلمة الله، كما في الكتب المقدسة، ويضيفون بجهلهم وأنه روح الله، وذلك وفق قرءانهم، لكنهم غير قادرين على التمييز بين الكلمة والروح، ومن ثم فهم لا يؤمنون بأن المسيح الله أو ابن الله"[١].

ولتفنيد ما ذكر نجد أن هذا المحور كان من أهم المحاور التي شاعت في الكتابات الدفاعية المسيحية فيما قبل ظهور الإسلام، والتي أُعيد استخدامها في المحاورات المسيحية- الإسلامية في مرحلة مبكرة فبقى هذا المحور محوراً شائعاً كوسيلة لتبرير التأويلات المسيحية للعهد القديم، فعلى سبيل المثال وخلال مناظرة البطريرك تيموثي مع الخليفة المهدي تم توظيف نفس المحاجّة للعثور على إشارات للثالوث في القرآن، فتحدث البطريرك تيموثي عن الثالوث في القرآن من خلال إشارات مُقَنّعة -من وجهة نظره-، وذلك في سبيل الحيلولة دون اتخاذ الوثنيين العرب ذلك دليلاً على وجود عدة آلهة، وتكشف المحاورة عند تلك النقطة عن بعض العلامات التي تشير إلى انتمائها إلى النوع الأدبى الذي يشكله الجدال المسيحي- الإسلامي كما نعرفه من العديد من الأمثلة الأخرى، ما لدينا هنا ليس مجرد تكرار لطريقة شائعة للغاية في الدفاع عن المسيحية، بل نرى أيضاً أن سؤال الوالي قد صيغ بهذه الطريقة ليتناسب وأجندة المؤلف، الذي انتهز الفرصة ليقدم وجهة النظر المسيحية حول تاريخ الخلاص بإيجاز. ومن ثم فإن الزعم بأن هذا السؤال يعكس ارتباطاً تاريخياً بين الحركة الإسلامية وحركة مسيحانية ربطت نفسها بإبراهيم وموسى، هو زعم يبدو غير مرجح بشدة[٢]، وقد أساء المسيحيون فهم كلمة "صورتنا" بالإضافة إلى ضمير "المتكلم" في فعل "نعمل" يعني ضمناً وجود اتحاد أقانيم "الآب والإبن والروح القدس في ثالوثهم

= (684-688)، إحتلت كتاباته أهمية كبرى في التاريخ الديني والاجتماعي، لأنها عبرت عن رأيه في مختلف الأمور، فكانت شرائعه وقراراته معظمهما إجابة على أسئلة محددة.
Hoyland, Seeing Islam As othcrs saw it, PP. 160-16, 601.

(1) Hoyland, Seeing Islam As others saw it, PP. 166-167.

(2) Roggema,The debate between patriarch John and an Emir of the Mhaggraye, p 27-28

المقدس، ويتعذر عليهم إدراك أنه ثمة نوعين من الجمع في اللغة العبرية كما هو الحال بالنسبة إلى اللغة العربية، فهناك جمع للعدد بالإضافة إلى جمع للإجلال والاحترام الذي برز في القرآن الكريم بخصوص عيسى وأمه عليهما السلام، فلم يحدث أن فهم أبداً مسلماً من صيغ الجمع هذه تعدد للإله، وكذلك أي مسيحى عربي أو يهودي إذا سألته كم عدد الآله في ضمير المتكلم في فعل "نعمل"، ولقد ترك اليونانيون والرومان آلهتهم واتخذوا أحدث الآلهة البشرية -المسيح- وقدموه للشعوب الأوربية التي كانت قد ملت من عبادة آلهتها، لذا سرعان ما قبلوا العقيدة الجديدة، وتباعاً فرضت عقيدة التثليث على مستعمراتهم[(١)]، وترى الباحثة أن ضمائر الجمع التي ذكرت والتي لم يكتف النصارى بتحريف مدلولها رغم أن دلالتها على المفرد واضحة، لذا نستطيع أن نستنتج أن ما سبق هو أشبه بالجدل السوفسطائى الذي لا ينتج عنه شيء مفيد لأنه ملئ بالتناقض، وهو شبيه بالتناقض في قانون الإيمان المسيحي الذي سبق تفنيده أعلاه.

ويقول المؤرخ vila: "تعد مسألة الثالوث، وإنكار المسلمين للتعاليم المسيحية أبرز العناصر الهامة في النقاش مع المبكر الذي كان بين المسيحي والمسلمين، وقد حاول أبو قرة إظهار أن الثالوث ضروري ومنطقى بدحضه التعاليم الإسلامية تجاه العقيدة الحقيقية لطبيعة الله -وذلك وفق ما يعتقده- من خلال استخدامه القرآن وإقتباسه منه دون أن يكون مضمون النص القرآني متوافقاً مع حجته، وكان هدفه استخدامه ضد الإسلام، وإبراز معرفته الكافية بالنص القرآني الذي استخدمه كمصدر"[(٢)]، كما استخدمت الحجج اللاهوتية للدفاع عن التثليث المسيحي[(٣)]، للتأكيد على صحة الدين المسيحي ومذاهبه، لذا تم العمل على تطويع الآيات القرآنية وفقاً لهذا الغرض[(٤)]، وترى الباحثة أن غرض

---

(١) أحمد ديدات، الله في اليهودية والمسيحية والإسلام، ترجمة وتعليق محمد مختار، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٥٥-٥٩، ص ٧٩.

(2) Christian martyrs, pp. 53, 56.

(3) Meyendroff, Byzantine, p. 121.

(4) Griffith, The Melkites and the Muslim, p. 425.

الجدليين لم يكن إثبات حقيقة المذهب الذي ثبت بالفعل للمسيحين، ولكنهم أرادوا أن يعبروا عنه بوضوح باللغة العربية للمسلمين، وذلك من خلال استخدامهم المفاهيم الإسلامية لتساعدهم في تفسير حجتهم، وتزويد المسيحيين بالأدوات اللازمة في مواجهتهم الحجج الإسلامية، كما أن تفنيد Vila يدل على إنصافه رغم أنه لا يُدينُ بالإسلام.

ولابد من إمعان النظر في قانون عقيدة النصاري والذي يقول: "نؤمن باله واحد أب ضابط الكل خالق السموات والأرض كل ما يرى وما لا يرى وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق"[1]، وقد علق ابن ربن على هذا القانون الذي ينقض بعضه بعضاً فقال: "إن قولهم نؤمن بالله الواحد الآب" مالك كل شيء" وصانع كل ما يرى وما لا يرى، فإن كان ذلك صحيح فالمسيح إذا مخلوق مبعوث فإنه لا يخلو أن يكون من الأشياء التي ترى، أو من الاشْياء التي لا ترى فمن أيها كان "فهو مخلوق والله خالقه؟ لقول شريعة الإيمان: إن الله خالق من يرى ومن لا يرى! إن إحتج محتج وقال: إن في آخره ما يشهد لهم بان المسيح هو أيضا إله حق، وأنه خالق كل شئ، وأنه غير مصنوع، ولد من أبيه قبل العوالم، وهو بكر الخلائق كلها، فمتى خلق كل شيء قبل ميلاده وهو عدم؟ أو بعد ميلاده وهو صبي رضيع؟! !ومن كان يدبر السماوات والأرض ومن فيهما قبل ميلاده وإيجاده؟ وكيف يكون بكر الخلائق وهو الخالق لجميعها بزعم هذا القانون، لأن معنى قوله بكر الخلائق أي أول ما وجد منها، كان الجواب فيه، وإن كان آخر شريعتهم موافقاً لأوْلها فالأمر كما قلنا، وإن كان آخرها مخالفاً لأوْلها. فالشريعة إذن فاسدة متناقضة!، فإذا فسدت الشريعة فسد الإيمان بها وضل المؤمنون بها، ولا أعلم من) الغليان (والبهت شيئاً أشنع من أمة تقوم بين يدي إلهها فترفع أصواتها؟ فتقول: نؤمن بأنك أنت الله الواحد وأنك خالق كل ما نرى وما لا نرى" ثم يقولون: نعم يا رب ونؤمن بإله آخر، هو خالق الأشياء

---

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٢-١٣.

كلها مثلك، ولو خاطب رجل بمثل هذا الخطاب سيداً أو سلطاناً لكان ذلك سخفاً منه، وإستخفافاً بقدرته "فكيف بمن يخاطب بمثل هذا القول الخلاق القديم تعالى الله عن مثل هذا القول"[1].

وقد قال الجاحظ: "لو جهدت بكل جهدك، وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم في المسيح، لما قدرت عليه، حتى تعرف به حد النصرانية، وخاصة قولهم في الإلهية، وكيف نقدر على ذلك؟ وأنت لو خلوت ونصرانياً فسألته عن قولهم في المسيح ﷺ لقال لك قولا، ثم إن خلوت بأخيه لأمه وأمه وعلى نفس مذهبه لأتاك بخلاف قول أخيه وضده"[2]، وهذا يدل على غموض عقيدتهم فالعقل لا يقبلها، وكذلك المنطق السليم، وبالنسبة ليوحنا الدمشقي فقد اعتمد منهج الدفاع والرد في الوقت نفسه، ولكنَّه يكشف طبيعة الجدل الديني الذي أراد بعض المسيحيّين الإرتكاز عليه، ومع ذلك فإن الحجتين اللتين أوردهما على لسان بعض المسلمين لاتّهام المسيحيين بالوثنيّة لهما أهميّة، فالحجة الأولى: هي الزيادة على الأنبياء، وهذا يحيلنا إلى التّحريف، والثّانية: هي أقوال اليهود وهذا يعني حسب الكاتب أن المسلمين أخذوا فكرة التّحريف عن اليهود، ونقلوها في جدلهم مع المسيحيّن، ولكن مسألة التّحريف لم تطرح تاريخيّاً في الجدل بين المسلمين أنفسهم في القرنين الأول والثّاني للهجرة، نظراً للظروف السياسيّة وكثرة الحروب والثّورات، ولعل أول من توسع فعلا في مسائل التّحريف ونقد العهد القديم والعهد الجديد وذكر تاريخ بني إسرائيل، هو ابن حزم الأندلسي (٤٥٦-٣٨٤هـ) في كتابه الفصل في الملل والنّحل[3]، وقد قال جريفث: "قام المسيحيون بدفاع منهجي ضد إعتراضات المسلمين على عقيدة الثالوث والتي كانت عنصراً أساسياً في الأطروحات اللاهوتية التي كتبها المسيحيون بالسريانية والعربية بدءً من منتصف القرن الثامن الميلادي، حيث فهم من الآيات

---

(١) ابن ربن الطبري، الرد على أصناف النصارى، تحقيق وتقديم خالد محمد عبده، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٥٤-٥٥، ص٨١ وما بعدها.

(٢) الجاحظ، المختار في الرد على النصارى، ص ٢٢-٢٣.

(٣) محمد حسن بدر الدين، بواكير الجدل المسيحي، ص١٤.

القرآنية أن الثالوث يعد إنحرافاً عن التوحيد، كما انها شرحت وجهة النظر الإسلامية في يسوع ﷺ وأنه روح الله وكلمته التي نقلت إلى مريم وأنه خادما لله ورسوله، وليس شيئاً آخر"[١]، فالقرآن رفض الأفكار المسيحية للثالوث، وكذلك التجسد، وأنكر قطعاً أنه هو ابن الله وأنه هو الإله ونظر للإيمان المسيحي بألوهية المسيح ﷺ بأنه مبالغة لا مبرر لها[٢]، وقد أدرك المسيحيون أن هذا يعد تحدياً من الإسلام للعقيدة المسيحية[٣]، وقد أثبت الواقع التاريخي أن عقيدة الثالوث (الآب -الابن- الروح القدس) والتي تقوم عليها العقيدة النصرانية والتي ابتدعتها كنيسة الإسكندرية، لها جذورها البعيدة في أعماق الديانة الفرعونية القديمة، مع تأثير الفلسفة الهلينية (اليونانية)، فظهرت عقيدة التجسد الباطلة التي قال بها النصارى وهى تجسد الله في صورة إنسان وقتل وصلب ليخلص البشر[٤].

وبالنسبة للمثال الذي ذكره ثيودور أبو قرة والبطريرك تيموثي عن الشمس وضوءها وحرارتها كمثال للآب والإبن والروح القدس هادفين من التشبيه إظهار وحدة الثالوث[٥]، ويتضح من هذا المثال تجاهل اللاهوتيون للكتاب المقدس تماما؛ فركز علماء المسلمين على إظهار عدم منطقية المذهب القائم على البراهين المنطقية والعقلانية[٦]، وقد علق أندريه نايتون على قضية التثليث فقال: "من الغريب أن عقيدة التثليث لم تذكر في الأناجيل الرسمية الأربعة إلا قليلاً،

---

(1) Griffith, The Unity and Trinity of God, pp. 5-6.

(2) Treiger, A., The Arabic Tradition article (The Orthodox Christian World), ed. Augustine Casiday, London: Routledge, 2012, p. 90.

(3) Griffith, The Melkites and the Muslim, p. 424.

(٤) للمزيد انظر: علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص ٨٧-٩٠، ويمكن الرجوع إلى: نايتون، الأصول الوثنية للمسيحية، ص ٣١ وما بعدها؛ هبه عبد المنصف ناصف، الثالوث في مصر القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، ٢٠٠٠ م.

(5) Bertaina, An Arabic Account Theodore, p. 277

(6) Husseini, Early Christian, p. 291

وحين تُذكر فإنها تبقى ملتبسة، ولم يتم الإعلان عنها صراحة إلا في القرن الرابع الميلادي على لسان القديس أثناسيوس السكندرى في مجمع نيقية للرد على الموحدين الأريوسيين، والهدف من ذلك إرضاء المسيحيين الجدد ذوى الأصول الوثنية، لأن هذه العقيدة قديمة جداً عند الوثنيين"[1].

وبالنسبة لنيقيتاس البيزنطي فقد كان أكثر الجدليين حدة في نقضه، حيث اتهم النبي بالمزيف والمسيح الدجال وبالأكثر سوءً، وهى اتهامات تدل على عدم امتلاكه إجابة شافية داحضة تبرهن إيمانه المسيحي، كما أراد نيقيتاس البيزنطي أن يبرهن على جهل النبي محمد ﷺ بالكتاب المقدس فقال لم يقرأه، وعله أراد إن يوحى أن ذلك سبب عدم فهمه لطبيعة الإيمان المسيحي، ولكن قوله هذا عد دحضاً لقول الجدليون البيزنطيون من أن النبي ﷺ قد استقى معلوماته من الكتاب المقدس، فدافع عن النبي ﷺ وهو يريد مهاجمته وبالنسبة لاتهام النبي ﷺ بالثرثرة، فقد أخطأ نيقيتاس حيث كان النبي ﷺ يكرر على مسامع تابعيه دعوة التوحيد كي ترسخ في الأذهان ومن ثم القلوب، وذلك لعظم التوحيد ومكانته في الإسلام.

ويكمل نيقيتاس البيزنطي مجادلته فيقول: "توقع جميع الأنبياء مجيء الابن، لكن عدم اعتراف محمد بالابن هو في الواقع إنكار للآب؛ لأنه لا أحد يعرف الآب إلا الإبن، ولا أحد يعرف الإبن إلا بالآب، فأي شخص لا يحترم ويقبل الابن لا يحترم الأب أيضاً، وبرفض الهاجريون الابن يرفضون الإله الحقيقي، لذا قام محمد بإغلاق فم كل من اليهود والنصارى متحججاً بادعاء اليهود بأن إسرائيل/ عُزير[2] هو ابن الله، وإدعاء المسيحيين بأن يسوع ابن الله،

---

(١) الأصول الوثنية للمسيحية، ص ٤٣-٤٦، ص ٩٣-٩٥.

(٢) أخطأ نيقيتاس عندما قال إسرائيل وقد صححه Demetriades في الحاشية وهو أحد أنبياء بني إسرائيل، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم، سورة التوبة، آية ٣٠؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٤، ص ١٣٤، ويقال كان في الأسارى الذين في يد بختنصر، وقد أقام لبنى إسرائيل التوراة بعد أن أُحرقت يعرفونها حين عاد إلى الشام، فقالت طائفة من اليهود: هو ابن الله، وهو الذي أكثر المناجاة في القدر فمحا الله اسمه من الأنبياء فلا يذكر فيه وهو رسول، ابن قتيبة، المعارف، ص ٤٩-٥٠.

وهذا الاتهام الذي يجعل لله شركاء لا أساس له؛ فلم يدع اليهود مثل هذا الإدعاء، ولا يوجد في كتابهم شيء مثل ذلك بل يوجد إشارة إلى معاملة الله الأبويه والحنونة [لإسرائيل]، وتفضيله على الأمم الأخرى، أما بالنسبة للمسيحيين وبنوة المسيح فواضحة جداً في الإنجيل، والبربري إعترف بأن الإنجيل من عند الله، وبناء على ذلك ليس هناك ما هو غريب في الشهادة المسيحية بأن المسيح هو الله وابن الله، لذا فإن أكبر خطأ لمحمد هو نفيه ورفضه الطبيعة الإلهية ليسوع"(١).

ولتفنيد هذه الحجة فإن نيقيتاس البيزنطي يأخذنا لمنحنى آخر وهو إضطهاد الرسول ﷺ لغير المسلمين وذلك بقوله "إغلاق فم كل من اليهود والنصارى" وكان حرى بالكاتب أن يعطى أمثلة على ذلك كي يكون كلامه موثقاً، فالمتعارف عليه في كتب السيرة أن النبي ﷺ قد عامل أهل الكتاب خير معاملة ولم يظلمهم والقرآن خير شاهد على ذلك، وبالنسبة لقوله أن محمد هو من تأول على اليهود القول بأن عزير بن الله ولم يقولوا هم ذلك، فإننا نجد القرآن قد أوضح قولهم حيث قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾(٢)، وقد فسر هذه الآية ابن كثير فقال: "في هذه الآية إغراء من الله للمؤمنين لقتال المشركين الكفار من اليهود والنصارى لمقالتهم الشنيعة والفرية على الله، فأما اليهود فقالوا عزير بن الله تعالى عن ذلك علوا كبيراً، وسبب القول إنه عندما غلب العمالقة على بني إسرائيل، قتلوا علمائهم وسبوا كبرائهم، بقي العزير يبكي على بني إسرائيل وذهاب العلم منهم، حتى سقطت جفون عينيه، فبينما هو ذات يوم إذ مر على جبانة وإذ امرأة تبكي عند قبر وهي تقول: وامطعماه واكاسياه، فقال ويحك من كان يطعمك قبل هذا؟ قالت: الله، قال فإن الله حي لا يموت، قالت: يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بني

---

(1) Demetriades, Nicetas Byzantium, pp. 38, 45-46, 57, 65.

(٢) سورة التوبة، آية ٣٠.

إسرائيل قال: الله قالت: فلم تبكي عليهم؟ فعرف أنه شيء قد وعظ به، ثم قيل له اذهب إلى نهر كذا فاغتسل منه وصلى هناك ركعتين فإنك ستلقى هناك شيخاً فما أطعمك فكله، فذهب ففعل ما أمره به، فإذا شيخ فقال له: افتح فمك، ففتح فمه، فألقى فيه شيئاً كهيئة الجمرة العظيمة ثلاث مرات فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة، فقال: يا بني إسرائيل قد جئتكم بالتوراة، فقالوا: يا عزير ما كنت كذاباً، فعمد فربط على أصبع من أصابعه قلماً، وكتب التوراة بأصبعه كلها، فلما تراجع الناس من عدوهم ورجع العلماء، وأخبروا بشأن عزير، فاستخرجوا النسخ التي كانوا أودعوها الجبال وقابلوها بها فوجدوا ما جاء به صحيحاً، فقال بعض جهلتهم إنما صنع هذا لأنه ابن الله[1].

ويكمل نيقيتاس البيزنطي فيقول: "شهد يوحنا المعمدان الذي يقبله محمد باعتباره رجل صالح بألوهية المسيح ولكن ابن الجارية والذي ولد بالعبودية بطبيعته لا يستطيع تصور بنوة المسيح، ولا يمكن أن يفهم تسمية البنوة التي أسبغت بالنعمة على إسرائيل"[2]، وأما ضلال النصارى في المسيح فظاهر ولهذا كذب الله الطائفتين عندما قال: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[3]، أي لا مستند لهم فيما ادعوه سوى افترائهم واختلافهم[4]، ولا يتوانى نيقيتاس البيزنطي عن التقليل من شأن النبي عندما وسمه بالبربري ثم بابن الجارية ويعنى بها السيدة هاجر ليرسخ في أذهان النصارى تحقير النبي فيصغر في عيونهم فلا يقبلون على إتباعه.

ثالثاً: المؤرخون البيزنطيون وقضية تجسد السيد المسيح وصلبه:

كان التجسد ضمن مواضيع المناقشات التي دارت بين المسلمين والمسيحيين فقال يوحنا الدمشقي "وإذا قال لك المسلم: كيف نزل الله في حشا امرأة؟ فقل

---

(١) تفسير القرآن العظيم، مج٤، ص١٣٤.

(2) Demetriades, Nicetas Byzantium, pp.46-47.

(٣) سورة التوبة، آية ٣٠.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٤، ص ١٣٤.

له: لنستعمل كتابك وكتابي في هذا الشأن، كتابك يقول بأن الله قد ظهر للعذراء مريم أكثر من كل جسد نسائي وأن روح الله والكلمة قد نزلا فيها[١]، وإنجيلي يقول: الروح القدس يأتي عليك وقدرة العلى تظلك[٢]، وهكذا يتحدث الإثنان باللهجة عينها ويتضمنان الفحوى عينها، ولكن اعلم أن الكتاب المقدس يتكلم عن صعود الله ونزوله بالمعنى المجازي لا بالمعنى الحقيقي نظراً إلى طبيعتنا الخاصة لأن الصعود والنزول إنما يستعملان للجسد بالمعنى الحقيقي حسب الفلاسفة، في حين أن الله يحوى كل شيء ولا يحويه أي مكان، وقد قال أحد الأنبياء في الواقع من كال بكفيه مياه البحر وقاس السماوات بالشبر وكال بيديه كل[٣] البر[٤] وباختصار أن كل المياه بيد الله وكل السماء بشِبره وكل الأرض في قبضته فكيف يمكنه أن ينزل ويصعد ذاك الذي يحوي كل الأشياء في يده[٥].

وقد تعرض ثيودور أبو قرة لسؤل في بلاط الخليفة هارون الرشيد جاء فيه "فاغتاظ رجل من أهل دمشق وقال ويحك يا أبا قرة رأيت روح الله سكن في بطن امرأة ويلحقها ملاحق النساء، فرد أبو قرة: كذبت الملائكة الذين يشهدون بذلك حيث قال جبرائيل الملاك: يا مريم إن الرب يحل فيك وروح العلى تسكنك[٦].

ولتفنيد هذه الفرية نجد أن يوحنا الدمشقي وثيودور أبو قرة قد استخدما القرآن لتأكيد حجتهم كما هي عادتهم وسوف نرد عليهم من كلامهم حيث قال يوحنا الدمشقي "إن الله لا يدرك"[٧] واستشهد بما جاء في الإنجيل "الله لم يره

---

(١) سورة آل عمران، آية ٤٢؛ سورة مريم، آية ١٦-٢١.

(٢) إنجيل لوقا، الإصحاح الأول، آية ٣٥.

(٣) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٧٣.

(٤) أشعيا ٤٠: ١٢.

(٥) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٧٤.

(٦) مجادلة أبو قرة، ص ٨٥، ولعله يقصد هذه الآية: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾، سورة مريم، آية ٤٥.

(٧) المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، ص ٥٥.

أحد قط"[1]، وقد سأل القاضي يحيى بن أكثم[2] أبي قرة هل رأى أحد الله فرد عليه أبا قرة: ما تقول أنت، فقال القاضي: لم يره أحد، فقال أبو قرة: وأنا أقول كذلك مثل قولك[3]، ويتسائل المرء إن كانوا حقاً يعتقدون بهذا فما الذي كانوا يجادلون فيه من قبل، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية بطلان هذا القول وتناقضه وفنده فقال: "إن قولهم إنه إله بلاهوته ورسول بناسوته كلام باطل من وجوه منها: أن الذي كان يكلم الناس إما أن يكون هو الله أو هو رسول الله، فإن كان هو الله بطل كونه رسول الله وإن كان رسول الله بطل كونه هو الله"[4]، ويقول ابن ربن" وعندما نسألهم عن المسيح هل هو الخالق الأزلي كما في شريعة إيمانهم؟! هو إنسان مصطفى كما في شريعة إيماننا، أو هو إله وإنسان كما قالت طوائف منهم؟، فإن قالوا هو إنسان مخلوق مبعوث وافقوا المسلمين في شريعة إيمانهم، وإن قالوا بل هو إله خالق أزلي خالفوا الإنجيلات وغيرها وكفروا بها حيث قال متى في إنجيله يستشهد بنبوءة أشعياء: "هو ذا فتاي الذي اخترته وحبيبي الذي سُرت به نفسى أضع روحي عليه فيخبر الأمم إلى الحق[5]، وأشعياء النبي ليس بمتهم، فالعبد لا يكون إلهاً والإله لا يكون عبداً كما وسمتمَوه فتدبروا ذللك أيها

---

(١) الاصحاح الأول، آية ١٨.

(٢) هو أبو محمد يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي الأسيدى المروزي نسبة إلى قبيلة تميم التي ينتمي إليها، وإلى مدينة مرو عاصمة خراسان التي ولد فيها، تلقى العلوم الفقهية والحديث في شبابه، ويعد من أشهر علماء القرن الثاني الهجري، وقد علا نجمه في عهد الخليفة المأمون، للمزيد انظر: ابن حيان، وكيع محمد بن خلف بن حيان (٣٠٦هـ)، أخبار القضاة، ج ٢، بيروت، د. ت، ص ١٦١-١٦٧؛ للمزيد عنه انظر: ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج ٦، تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٨م، ص ١٤٧-١٦٥.

(٣) مجادلة أبي قرة، ص ١١٩.

(٤) الجواب الصحيح، ج ٢، ص٤٦ وما بعدها.

(٥) إنجيل متى، الإصحاح الثاني عشر، آية ١٨.

النصارى[1]، وقد قال مرقس التلميذ في إنجيله: "إن المسيح قال وهو على الخشبة يا إلهي يا إلهي لما تركتني"[2]، وعن آخر كلام تكلم به في الدنيا "إن المسيح أخذ وبارك وأعطى التلاميذ، وقال كلوا هذا هو جسدي، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم لأن هذا دمي"[3].

وقد علق ابن ربن على هذه الآية فقال: "ومن كان له لحم ودم فهو جسم" وكل جسم له طول وعرض وعمق. وما كان كذلك فهو صائر إلى البلاء والفساد"[4]، وقال لوقا في إنجيله يصف المسيح عليه السلام إذ كان صبياً "إن الصبي ينمو ويتقوى بالروح القدس ممتلئاً حكمة وكانت نعمة الله عليه[5]، ومحال أن نقول الأزلي الخالق أن له إلهاً فيقال فيه إنه كان صبي إذ كانت نعمة إله أزلي آخر ظاهرة عليه[6]، كما قال يوحنا في إنجيله إن المسيح قال لتلامذته: إن الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني[7]، وقال لوقا في إنجيله: إن المسيح دخل على تلامذته بعد أن قام من بين الموتى وهم مجتمعون وقف في وسطهم وقال لهم سلام لكم فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً، فقال لهم ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم انظروا يدي ورجلي إني أنا جثوني وانظروا فإن الرُوح ليس له لحم وعظام كما ترون لي[8].

ولابن ربن تعليق رائع يقول فيه: "وقد علمنا أن اللحم والعظم مصنوعاً وأن المسيح صانعهما ليس بجسم " بل هو مبتدع الأجسام " فمن قال: إن المسيح مربوباً إلهاً كان صبياً يذهب طولاً وَعرضاً وإن من كان كذلك فليس بأزلي خالق

---

(١) الرد على أصناف النصارى، ص ٥٦.

(٢) إنجيل مرقس، الإصحاح الخامس عشر، آية ٣٤.

(٣) إنجيل مرقس، الإصحاح الرابع عشر، آية ٢٣-٢٤.

(٤) الرد على أصناف النصارى، ص ٥٧.

(٥) إنجيل لوقا، الإصحاح الثاني، آية ٤٠.

(٦) ابن ربن، الرد على أصناف النصارى، ص ٥٧.

(٧) الإصحاح الرابع عشر، آية ٢٤.

(٨) إنجيل لوقا، الإصحاح الرابع والعشرون، آية ٣٦-٤٣.

بل مخلوق، فقد وافق المسيح وتلامذته ومن قال بخلاف ذلك "فهو مخالف لهم أجمعين، ونحن الموافقون لله وللمسيح" وهم المخالفون لله وللمسيح وقد يخرج عليهم من هذا القول كبيرة أخرى، أزرى وأشنع من الأولى، وهى أن المسيح إن كان أزلياً خالقاً كما في شريعة إيمانهم لزمهم أن يجعلوا بعض الرب خالقا أزلياً، وبعضا مَيتاً مخلوقاً لأن المسيح عليه السلام مقر بأنه لحم ودم فاللحم والدم إذاً خالقان أزليان " وقد علمنا أن ما يتولد عن الأغذية والأشربة، والتي هي أجزاء من أجزاء الدنيا، فخالق الدنيا كلها جزء من أجزاء الدنيا، وذلك الجزء بعينه هو خالق نفسه أيضاً؛ لأنه جزء من الدنيا التي هو خالق كلها، فهو أشنع ما يكون من البهتان، وأبعد ما يكون من المعقول، ومن قبل ذلك ودان به، جعل المخلوق خالقاً والخالق مخلوقاً، وذلك أنهم صيروا اللحم والدم خالقاً أزلياً والأزلى الخالق لحماً ودماً، وبهذا تنطق شريعة إيمانهم قولها: إن المسيح خالق غير مخلوق"[1].

وبالنسبة لاستشهاد أبو قرة بالآية القرآنية: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ فإنه يرتبط بها هذه الآية أيضاً ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، فقد أساء فهم الآية التي تفسيرها "أي أنها حفظته وصانته، والإحصان هو العفاف والحرية، فنفخنا فيه من روحنا بواسطة الملك جبريل حيث بعثه الله إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي وأمره الله ﷻ أن ينفخ بفيه في جيب درعها فنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام بقدره وشرعه[3].

دافع الجدليون البيزنطيون عن صلب المسيح ورفضوا نفى القرآن لصلبه فقال يوحنا الدمشقي: "وفي رأيه أن اليهود أرادوا تعليقه على الصليب بالرغم من

---

(١) ابن ربن، الرد على أصناف النصارى، ص ٥٨-٥٩، وقد تعرض أبوقرة لذلك فقال: إن خالق الكون غير مخلوق وللاستزادة يمكن الرجوع إلى: ميمر في وجود الخالق، ص١٢٨-١٣٠.

(٢) سورة الأنبياء، آية ٩١.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٨، ص ١٧٣؛ مج ٥، ص ٣٧١.

الشريعة وأنهم لم يصلبوا سوى خياله بعد إحتجازهم إياه، وهو يقول إن المسيح ﷺ نفسه لم يحتمل الصليب ولا الموت، بل إن الله قد أخذه إلى جواره في السماء إذ كان يحبه فعلاً[1]، وهو يقول أيضاً بأن المسيح حالما صعد إلى السماوات سأله الله قائلاً أهل قلت يايسوع بأنك ابن الله وأنك الله، فيجيب يسوع حسب زعمه قائلاً: تراءف على يارب أنت تعلم بأني لم أقل ذلك، وإني لا أستنكف من أن أكون عبدك، بيد أن الناس الكفار كتبوا عني بأنني صرحت بذلك، لقد كذبوا بالنسبة إلى وهم على ضلال "في أقوالهم"، ويقول بأن الله أجابه قائلاً: إنني أعلم بأنك لم تقل هذا الكلام[2]، ثم وضح يوحنا الدمشقي موقف الأنبياء من المسيح ﷺ فقال "والجميع منذ موسى قد أعلنوا واحدُهم تلو الآخر أن سيأتي المسيح هو الله وابن الله سيُقبل متجسداً وأنه سيُصلب ويموت ويقوم وأنه هو الذي سيدين الأحياء والأموات"[3]، ثم انتقل يوحنا الدمشقي إلى مناقشته بين مسلم ومسيحي[4] للحديث هل صلب المسيح بإرادته أم لا وهي كالآتي: المسلم: ماذا ترى في ذاك الذي يعمل مشيئة إلهه، أو ستقول عنه إنه صالح أم شرير؟، فيقول المسيحي: مُدركا حيلة خصمه: إنني أعلم ما الذي تريد بلوغه في هذا السؤال، فقال

---

(١) ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ سورة آل عمران، آية ٥٥؛ ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ سورة النساء، آية ١٥٦-١٥٨.

(٢) ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ اعْبُدُوا۟ اللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾، سورة الأنعام، آية ١١٦-١١٧.

(٣) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص٥١-٥٢، وقد ردد نفس القول السرياني، انظر: تاريخه، ج ٢، ص٢٩٩.

(٤) تخيل يوحنا خصماً مسلماً، فلم يثبت أنه التقى مع أحد من المسلمين وناقشه.

المسلم: إشرح لى ذلك، المسيحي: تريد أن تقول لي: هل تألم المسيح بإرادته أم لا؟ فإذا قلت لك: قد تألم بإرادته، تقول لي: إذا إمض واسجد لليهود لأنهم أتموا مشيئة إلهك"، فيقول المسلم: هذا ما كنت أريد أن أقوله لك، فإذا استطعت أن تجيبني فأجب، المسيحي: إن ما تسميه أنت مشيئة أسميه أنا سماحاً وحلماً، المسلم: كيف يمكنك أن تُثبت لي ذلك؟، فيقول المسيحي: من خلال الوقائع، فعندما تكون أنت وأنا جالسين أو واقفين، أو يستطيع أحدنا أن ينهض أو يتحرك بدون مشيئة الله وسيادته؟ المسلم: لا، فيقول المسيحي: وعندما يقول الله: لا تسرق لا تزن لا تقتل، هل يريد من ثم أن يرانا ونحن نسرق ونزني ونقتل؟ المسلم: لا، لأنه لو كان يريد ذلك لما قال "لا تسرق لا تزن لا تقتل، المسيحي: الحمد لله لأنك توافقنى بقولك ما أريد أنا قوله، ها إنك قد وافقتني بأن ما من أحد منا يستطيع أن ينهض ولا أن يتحرك طالما أن الله لا يريد ذلك، وبأن الله يحرم علينا السرقة والزنى من جهة أخرى، فإذا ما نهضت الآن ومضيت لكى أسرق أو لكي أزني، فماذا تدعوا ذلك: مشيئة الله أم قبولاً وسماحاً وحلماً منه؟ عندئذٍ أدرك المسلم ذلك قال متعجباً: حقاً إن الأمر لهو كذلك، فقال المسيحي: افهم هذا أيضاً؛ في حين أن الله كان قادراً على معاقبتي تراه يمتنع عن ذلك الآن، أي أنه حليم تجاه خطيئتي، أما عندما يريد هو، واذا لم أتب أنا عنها، فهو يعاقبني وهكذا تصرف مع اليهود، ففى الواقع ما إن مضت بضع سنوات على قتلهم المسيح حتى أثار عليهم تيطس وأويسباسيانوس" الإمبراطوريين الرومانيين واليونانيين" وحط تشامخههم[1].

وقد قال تيموثي نفس القول للمهدي "إنّ اليهود قد صلبوه حقيقة، لا من حيث كان ضعيفاً ولم يقدر عليهم، بل من حيث إحتمل ذلك بإرادته، كما قال هو في إنجيل يوحنا" إني أضع نفسي، لآخذها أيضاً ليس أحدٌ يأخذها منّي، بل أضعها أنا من ذاتي، فلي سلطان أن أضعها، ولي سلطان أن آخذها أيضاً؛ فالمسيح أظهر أنّه تألّم بإرادته، لا من أجل أنّه كان ضعيفاً واليهود أقوياء لأنّ

---

(١) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٦٨-٦٩.

الذي زعزع السماء وهو على خشبة الصليب، وزلزل الأرض وأظلم نور الشمس وأظهر علامات الدم في القمر، ومن أجله الصخور تشققت والقبور تفتّحت والموتى انبعثت لم يكن حقيقة ضعيفاً، ولا ممّن لا يستطيع أن يخلّص نفسَه من يد اليهود، فاذاً تألّمه على خشبة الصليب كان بإرادته وحريّته، فرد عليه الخليفة المهدي: فاذاً اليهود ليس لهم ذنب في صلب المسيح وموته، لأنّهم كمّلوا إرادته.. فأجاب تيموثي : لو كان اليهود صلبوا المسيح لأجل هذه الغاية، وهي أن يقوم من بين الأموات منوّراً ويصعد إلى السماء مُمجّداً، فليس لهم ذنب، لا بل يستحقّون المدح والتبجيل ولكن غاية اليهود في صلب المسيح كانت موجّهة إلى قتله وإهلاكه من الارض لأجل ذلك يستحقّون العذاب والموت؛ لأنهم صلبوا المسيح لكي يهبط إلى الجحيم لذا فقتل المسيح تمّ بإرادته وبسبب حقد اليهود، وإن قلنا إنّ اليهود تجاسروا وصلبوه من دون إرادته فهؤلاء لا يقدرون أن ينجّوا أنفسهم من الجحيم واللعنة وأنّ المسيح قد إرتضى بأن يتألم على خشبة الصليب حيّاً بخلاص البشر، قال تيموثي " إنّه مكتوب في سورة عيسى[1] ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[2]"، فيتضح من هذه الآية جليّاً أنّ يسوع قد مات وقام، وفي سورة آل عمران قال الله لعيسى ﷺ: إنّي متوفّيك ورافعُكَ إليّ، فملكنا قال لي: إنّ عيسى لم يمت بعد، سوف يموت فجاوبته قائلاً: إن كان عيسى لم يمت حتى الآن فلم يصعد بعد إلى السماء، ولم يُبعث حيّاً، بل سوف يصعد فيُبعث حيّاً، ولكن إن كان أيها الملك معلوماً ومقرّر لدى الجميع صعود يسوع إلى السماء منذ أمد مديد، وانبعاثه حيّاً كما يشهد عن ذلك كتابك أيضاً؛ فبصواب نقول إن عيسى قد مات على خشبة الصليب كما تنبأ عنه الأنبياء قبل مجيئه[3].

---

(١) أخطأ تيموثي حيث لا يوجد في القرآن سور باسم عيسى بل إن هذه الآيات في سورة مريم.

(٢) سورة مريم، آية ٣٣.

(3) Hackenburg, An Arabic-to-English Translation of the Religious Debate, pp. 110-120.

وقد تعرض ثيودور أبو قرة لسؤال في بلاط الخليفة المأمون فحواه "إذا كان المسيح مات طواعية فيجب أن يشكر المسيحيين اليهود لتحقيقهم إرادة الله، لأن كل ما يحدث هو وفقاً لإرادته، وإن كان صلب بغير هواه فهو رب ضعيف، فأجاب أبو قرة على سائله قائلاً: ترون أن الجهاد يوصلكم للجنة فلو ذهبت أنت وأخيك للروم تجاهدون وضرب أحدهم أخاك وأوشك على الموت فلو قدرت على الرومي اتنتقم منه قال الهاشمي أقتله عوضاً عن أخي، فرد أبو قرة أليس قد بلغ أخاك مناه وهى الجنه فلما تقتل من أوصلك لمرادك؟ لذا يجب أن تشكر الرومان لقتلهم الكثير من إخوتك، فتحير الهاشمي وأطرق برأسه في الأرض ثم قال إنه لم يطلب من أخي إلا قتله، ولم يرد إدخاله الجنة إنه التمس هلاكه وهكذا أنا أكافئه على قدر ما صنع بأخي، قال أبو قرة إعقل هذا وميزه إن اليهود لما صلبوا المسيح لم يريدوا موافقته وإتمام ما تنبأت عليه الأنبياء، وإنما كان يقينهم هلاكه وإطماس اسمه ومحو ذكره من العالم فهو يدينهم ويكافئهم فاعترف جماعة من الحاضرين قد افتضح والله صاحبنا وإن هذا جواب صحيح، فقال ثيودور أبو قرة: فإنا لا نشك في أنه صلب ودفن وقام ولم ينل جسده فساد لأنه جل اسمه قادر أن يحيي نفسه كما أحيا غيره بقدرته وصعوده إلى السماء كقول كتابك وشهادة نبيك في سورة النساء إنه صعد إلى السماء فدلنا بجوهريته أنه إله[١].

وقد حاول نيقيتاس البيزنطي أن يفسر سبب قول النبي محمد ﷺ بأن المسيح ﷺ لم يصلب ولم يمت وأن الله قد أخذه إليه فقال: "إنه فعل ذلك لأجل منفعته الخاصة ومن أجل تقليل سر قيامته، وذلك لغرضين أولاً: خوفاً من أن يطلب أتباعه قيامته هو أيضاً بعد وفاته، وعندما لا يرون ذلك قد يحرقون عظامه وكتابه، وثانياً: لأن قيامة يسوع تعني أنه ابن الله، وأن تعاليمه حقيقية، وذلك من شأنه أن يكشفه كرسول كاذب[٢].

ولتفنيد هذه الفرى يتضح أنهم جميعاً متفقون على مسألة الصلب موقنون بها، ويبرز أيضاً معرفتهم بالآيات القرآنية التي ذكرت قصة نبي الله عيسى ﷺ،

---

(١) مجادلة أبي قرة، ص٨٨، ص١١١-١١٤.

(2) Demetriades, Nicetas Byzantium, p. 40.

بل إنهم اتفقوا على أنهم لم يفهموا مدلول الآيات بشكل صحيح، بل استغلوها ليؤكدوا على حدوث الصلب، وهذا يخالف معنى الآيات التي فسرها ابن كثير فقال: "إنها إثبات لعبوديته ﷺ لله وأنه مخلوق من خلق الله يحيا ويموت ويبعث كسائر الخلائق، وبالنسبة لخطاب الله لعبده ورسوله عيسى يوم القيامة وبحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله، ففيه تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع لهم على رؤوس الأشهاد، فيرد النبي عيسى جواباً كاملاً نافياً عن نفسه هذا القول، ثم يرد المشيئة لله في فعل ما يريد سبحانه فأول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأه عن الولد وأثبت لنفسه العبودية لربه"[1]، وقد جعل الله لهم عذراً في أن يقولوا: صلب، أو قتل، وكان عليهم أن يلتمسوا في الإسلام حلاً لهذه المشكلة، قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾[2]، وذلك لأن الصلب فيه قدرة من الصالب على المصلوب، فكيف ينقلب الإله مقدوراً عليه من مخلوق؟، فإننا حينما نقول إنه لم يُصلب فإننا نكرمه ونجله، فالإسلام جاء ليصفي هذه العقائد كلها، حتى عند الناس الذين حرفوها[3]، وقد برزت معرفة يوحنا الدمشقي بما جاء في القرآن الكريم، ونرى تركيز الدمشقي على مسألتي صلب عيسى ورفعه، لذا خصص لهما أكثر من ثلثي المقطع ونلاحظ ترتيباً معتبراً في استدلاله بالقرآن، فكلامه عن اليهود يحيلنا إلى الآيتين (١٥٧-١٥٨) من سورة النّساء، وتحيلنا بقيّة المقاطع إلى الآيات (١١٦-١١٨) من سورة المائدة، وهي الخامسة في ترتيب المصحف[4].

أما تيموثي فقد إستخدم آيات من القرآن لدعم مطالبه المسيحية باعتبارها تقنية إعتذارية جديدة في هذا الجزء من النقاش، فاستخدم نصوص إثباتية من القرآن ليجادل عن صلب المسيح وقيامته، لذا عد نص تيموثي واحداً من أقدم

---

(١) تفسير القرآن العظيم، مج ٣، ص ٢٣٢-٢٣٥، مج ٥، ص٢٢٨-٢٣٠.

(٢) سورة النساء، آية ١٥٧.

(٣) مريم والمسيح، ص ٨٠.

(٤) محمد حسن بدر الدين، بواكير الجدل الكلامي المسيحي العربي، ص ١٢.

الأمثلة على قراءة المسيحيين للقرآن واستخدامه نيابة عن المساعي اللاهوتية الخاصة بهم [1]، وبالنسبة لقوله إنه قد مات ثم رفع، ومن ضمن ما ذكره ابن كثير في تفسيره لهذه الآية "متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت، وقيل توفيه هو رفعه، وقد قال الأكثرون إن المراد بالوفاة هاهنا: النوم كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾[2].

وبالنسبة لثيودور أبو قرة فقد سعى لدحض سلسلة من الحجج التي تعكس المحادثات الفعلية على المستوى الشعبي[3]، فكانت لهجة المحادثة بأكملها تقوم على التفكير الجدلي من دون استخدام الكتاب المقدس أو القرآن، ثم وظف ثيودور أبوقرة الاستدلال الإستقرائي من خلال إستخدام التشبيه لتأكيد وجهة نظره ودحض الإتهامات التي قدمها محاوره المسلم، فحاول أن يوضح له أنه لابد أن ينظر على الفاعل وليس الفعل فالذي يقتل مسلماً في المعركة يرغب في الجنة لذا فالمسلمون سوف يقتلونه للانتقام [4]، وهذا المثال الذي طرحه لا يصلح للقياس فبناء على عقيدته في المسيح الإله فكيف يشبهه بأحد من خلقه، لذا دل هذا على سوء معتقده.

وقد إتفق كل من يوحنا الدمشقي وتيموثي على أن الصلب قد تنبأ به الأنبياء لكنهم لم يدللوا على حديثهم هذا بآية من الكتاب المقدس، وبالنسبة لكون المسيح ﷺ صلب من أجل خطايا الناس فقد فند الإمام ابن تيمية هذه الفرية فقال: "يزعمون أن آدم ﷺ لما أكل من الشجرة غضب الرب عليه وعاقبه وأن تلك العقوبة بقيت في ذريته إلى أن جاء المسيح ﷺ وصلب، فالمعروف أن إبراهيم ﷺ أباه كان كافراً فلم يؤاخذ بذنبه فكيف يؤاخذ بذنب آدم ﷺ وهو أبوه

---

(1) Bertania, An Arabic Account Theodore, pp. 145, 160.

(٢) سورة الأنعام، آية ٦٠؛ تفسير القرآن العظيم، مج ٢، ص ٤٧.

(3) Meyendroff, Byzantine, p. 121.

(4) Bertania, An Arabic Account Theodore, p. 159.

الأبعد، هذا لو قدر أن آدم عليه السلام لم يتب فكيف وأنه قد تاب، ويزعمون أن الصلب خلص آدم عليه السلام وذريته من عذاب الجحيم"[1]، وإذا ما تأملنا الحوار الذي قدمه يوحنا الدمشقي فنجده حوار متخيل فلم يُذكر أنه التقى مع أي مسلم وجادله، ولعل الغرض من كتابته مثل هذا الحوار هو تقديم إجابات للمسيحيين تمكنهم من الرد على أي سؤال محتمل من المسلمين، وقد اتفق كل من يوحنا الدمشقي وتيموثي وثيودور أبو قرة في رسم صورة للمحاور المسيحي الواثق من إجابته والمتوقع للسؤال الذي سوف يلقى عليه، في الوقت الذي يكون فيه المسلم ساذج منبهر بما يسمع عاجز عن الرد، وهذا يدل عن رغبتهم في ترسيخ هذه الصورة في أذهان المسيحيين كي ينظروا للمسلمين نظرة دونية وليستمسكوا بعقيدتهم، كما إتفق الجدليون على أن المسيح عليه السلام صلب بإرادته، وأن اليهود سيعاقبون لأنهم أرادوا هلاكه، ويحق لنا أن نتسائل هل يعاقب الإنسان على نيته فحاشا لله أن يكون ظالماً.

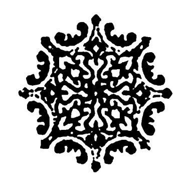
أما نيقيتاس البيزنطي فلم يتعرض لشيء مما ذكر بل حاول تفسير سبب رفض النبي ﷺ لصلب المسيح عليه السلام مدعياً خوفه من أن يطالب المسلمون بقيامته بعد موته، فيظهر كذبه، وهذا محض إفتراء، ومن خلال ما سبق يجد المرء بعض التناقض حول موقفهم من القرآن، ففي الوقت الذي يقولون فيه بأنه لا يمكن أن يكون كتاباً للوحي الإلهي، وأنه كتاب معيب نجدهم يستخدمونه في مجادلتهم المسلمين ليؤكدوا على صحة ما يقولون، ولعل السبب يرجع للانتشار التدريجي للغة العربية بين المسيحيين في العالم الإسلامي منذ القرن الثامن فصاعداً، فوجد معظم الكتاب المسيحيين العرب أنفسهم عادة نقلوا كلمات وعبارات من القرآن الكريم، في حججهم، كدليل على الحقيقة، وهذا يدل على تمكن المسيحين من القرآن، لذا فكثيراً ما اقتبس من القرآن الكريم بل قد يكون محور الحجة[2].

---

(١) الجواب الصحيح، ج ٢، ص ١٠٧- ومابعدها.

(2) Griffith, The Qur'an in Arab Christian texts, pp. 204, 223.

وبالنسبة لأبو قرة فقد فسر هذا الاستخدام بالقول أن محاوريه المسلمين يفتقرون الفهم السليم للكتاب الإسلامي وسياقه[1]، وقد اتضح مما سبق أن الكتابات البيزنطية أظهرت المعرفة الأساسية للإسلام الذي يكشف عن الحاجة إلى تعميق الفهم المتبادل والتبادل الثقافي بين الإسلام والعالم المسيحي، كما برز مشاركة المسيحيين في الجدل اللاهوتي بطريقة حرة ومفتوحة مع المسلمين ومرد ذلك الحرية الفكرية والتي تعود إلى القرآن نفسه[2].



(1) Beretania, An Arabic, pp. 241-242.

(2) Wilde,The Qur'ān in Christian Arabic texts, p. 17.

الفصل الرابع

الفقه الإسلامي في الكتابات البيزنطية

أولاً : أركان الإسلام

(الصلاة-الصيام-الحج)

ثانياً : الممارسات الإسلامية

(الختان - ما حرم من الأطعمة والأشربة)

ثالثاً : المرأة

الفصل الرابع
الفقه الإسلامي في الكتابات البيزنطية

أولاً: أركان الإسلام:

من عظمة النبي محمد ﷺ أن رسالته شاملة ذات شريعة رحبة اهتمت بالإنسان فنظمت كل شئونه المادية والمعنوية، فنظمت علاقته بخالقه وبمن يعيش معهم من بني جنسه ثم علاقته بالكون وما فيه.

وقد وضع الإسلام أسس ومبادئ الشريعة بما يتماشى مع حاجة الناس فالتزم المسلمون بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فاستظل الجميع تحت لواء الشريعة الإسلامية فقادوا الأمم وأضحت حضارتهم وقيمهم مثالاً يحتذى به في العالم، ولكن البيزنطيين لم يرضهم هذا الوضع لذا قام كتاب بيزنطة والموالين لهم بحرب مستعرة على الإسلام وبكل ما يمت له بصلة.

أ- الوضوء والتطهر :

تحدث نيقيتاس البيزنطي فقال: "تحدث محمد عن التطهر قبل الصلاة"[(١)].

كما قال الكندي: "وأما قولك أننا نستعمل الوضوء ونغتسل من الجنابة ونختتن لنقيم سنة أبينا إبراهيم فجوابك قول المسيح الرب - حاشاه - لليهود وقد قالوا له لم لا يغتسل تلاميذك؟ فأجابهم الروح المحيى مخلص العالم: وما الذي يغني عن البيت المظلم أن يكون في ظاهره مصباح يتقد وباطنه مظلم، وإنما يجب أن تغتسل النيات والقلوب من دنس الفكر وغل الخطايا الدنسة الرجسة، فأما ظاهر الأبدان فما معنى العناية في تنظيفها أيها المراؤن الآخذون بالوجوه الذين يشبهون القبور المزخرفة من خارج، وفي داخلها الجيف المنتنة كذلك أنتم تغسلون ظاهر أبدانكم وقلوبكم دنسة نجسة بالآثام، وما معنى غسل

(1) Demetriades, Nicetas of Byzantium, p. 41.

اليدين والرجلين والقيام على الصلوة وعقد القلوب والنيات والضمائر على قتل الناس وسلب أموالهم وسبى ذراريهم[1]، فانظر أصلحك الله كيف أجابهم السيد المسيح إنما ينبغي للإنسان أولاً أن يغسل داخل قلبه ويطهره من الأفكار الرديئة المؤدية إلى الشرور وإلى إدخال المكروه على الناس، وإذا نفت نيته وطهر ضميره من ذلك الاعتقاد الردئ حينئذ يغسل ظاهر بدنه، فميز هذا القول أصلحك الله وانظر فيه بعقلك أليس هو قول مقنع وجواب شاف، ومن اختتن من أصحابنا وأسبغ الوضوء واغتسل من الجنابة فلن يفعل ذلك لأنه سنة واجبة وفريضة لازمة عليه لايحل له إلا القيام بها، بل يفعله على سبيل العادة الجارية عند أهل الزمان والتشبه بأهل دهره الذي هو مقيم بين أظهرهم للنافلة الظاهرة لا غيرِ علمِنا أن من تغوط كان أحق أن يفيض عليه الماء السابغ بالغسل بقدر ما يخرج من نتن الرائحة، وقبيح المنظر بخلاف من تصيبه الجنابة التي لا لون لها منكر ولا رائحة منتنة بل يتولد منها إنسان كامل المعرفة والعقل والعلم يكون منه النبي المرسل، والملك المسلط والحكيم الناقد، والعبد الصالح المسبح لله ليلاً ونهاراً"[2].

ولتفنيد ما سبق يتضح أن نيقيتاس البيزنطي والكندي قد إتفقا على رفضهم التطهر[3] قبل الصلاة، فتعرض نيقيتاس البيزنطي للموضوع بشكل عابر، على عكس الكندي الذي تحدث بإسهاب فتحدث عن الوضوء ثم عن الغسل مما يدل على معرفته الفرق بينهما وسبب كل منهما، فحاول أن يوضح عدم الحاجة

---

(١) سيتم التعرض له في الفصل التالي.

(٢) رسالته، ص٩٧-١٠٠.

(٣) الطهارة لغة: النظافة، والنزاهة عن الأقذار، وهي شرعاً: ارتفاع حدث، وهو وصف حاصل بالبدن مانع من الصلاة والطواف ومس المصحف، وقسمت لحدث أصغر وهو ما أوجب الوضوء، وحدث أكبر وهو ما أوجب الغسل انظر: الإمام أحمد بن عبد الله ابن أحمد البعلي (١١٠٨-١١٨٩م)، الروض الندي شَرحُ كَافى المُبتدى، تحقيق، نور الدين طالب، دار النوادر، مج ١، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ٢٠-٢١؛ محمد بن علي الشوكاني، نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، تحقيق محمد صبحي بن حسن حلاق، ط ١، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢٧ هـ، مج ١، ص ١٤٣-١٤٤.

إليهما متعللاً بأن الأفضل أن يكون القلب وداخل الإنسان طاهراً ونقياً، وقد برر قيام بعض النصارى بذلك وكأنهم يواكبون من يعيشون بين ظهرانهم، وهذا القول ليس مبرراً، فصحيح أن الطهور يهتم بغسل الأعضاء الخارجية ولكنه أيضا يهتم بطهارة الإنسان من الداخل، فالطهور هو مفتاح الصلاة التي هي صلة بين العبد وربه، لذا أضحى لزاماً على المسلم أن يتهيئ قبل وقوفه أمام خالقه، لذا شُرِع الوضوء لصحة الصلاة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[1]، والآية آمرة بالوضوء عند القيام إلى الصلاة، وفي حق المحدث[2] على سبيل الإيجاب، وفي حق المتطهر على سبيل الندب والاستحباب، وقيل نزلت الآية إعلاماً من الله بأن الوضوء لا يجب إلا عند القيام إلى الصلاة دون غيرها من الأعمال؛ وذلك لأنه كان إذا أحدث إمتنع عن الأعمال كلها حتى يتوضأ، ثم وضح تعالى كيفية الوضوء، وأنهى سبحانه الآية ببيان الحكمة من الوضوء وهى أنه ما فرض ذلك إلا من باب التوسعة، والرأفة والتسهيل لعباده رغبة منه لتطهيرهم لذا إستحق سبحانه منهم الشكر[3]، وقد حث النبي ﷺ أصحابه على الطهور وحث عليه وبشر بالثواب الجزيل لفاعله[4].

---

(١) سورة المائدة، آية ٦

(٢) للتعرف على حكم الإستنجاء وآدابه يمكن الرجوع إلى: البعلي، الروض الندي، مج ١، ص ٣٣-٤١

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٣، ص ٤٤-٦٠.

(٤) ويمكن الرجوع إلى: المنذري، الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (٥٨١-٦٥٦هـ)، مختصر صحيح مسلم، خرج أحاديثه وعلق عليه محمد خليل الطوخي، القاهرة، ٢٠٠٧م، حديث رقم ٩١، ٩٤، حديث ٩٩، ١٠١، ص ٣٦، ٣٧-٣٨؛=

وبالنسبة للإغتسال[1] الذي أنكره الكندي وعلل إنكاره بأن منه يخرج الإنسان، فنجد أن الإسلام قد أوجب الغسل للجنب [2]، وذلك مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾[3]، أي إذا كان الإنسان على جنابة وجب عليه شأن يطهر جميع بدنه وقد قال النبي ﷺ "إذا جلس بين شعبها الأربع ثم

= الزبيدي، فتح الباري، كتاب الوضوء، باب فضل الوضوء، حديث رقم ١١١، ص ٦٧، باب فضل من بات على الوضوء، حديث رقم ١٨٣، ص ٩٣، كتاب الوضوء، حديث رقم ١١٠، ص ٦٧؛ الإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ)، صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، دار طيبة، ط ١، الرياض، ٢٠٠٦م، مج ١، كتاب الطهارة، حديث رقم ١-١٢، ص ١٢١-١٢٥؛ مسند الإمام أحمد، مج ١، حديث رقم ٤٠٠، ٤٠٦، ٤١٥، ٤١٨ وما بعدها؛ الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، (٦٣١-٦٧٦هـ)، رياض الصالحين، تحقيق عبد العزيز رباح وآخرون، دار المأمون للتراث، ط ٢، دمشق، ١٩٩٧م، حديث رقم ١٠٢٨-١٠٣٠، ص٤٢٦-٤٢٧؛ محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، مج ٥، الرياض، ١٤٢٧ هـ، حديث ١٠٢٤-١٠٣٢، ص ٨-٢٤.

(١) الغسل لغةً: من غَسَل الشيء يَغْسلهُ غَسْلاً، وقيل: الغَسْلُ المصدر من غَسَلْتَ، الغُسْل بالضم الاسم من الاغتسال، وغسلت الشيء أي: أسلت الماء عليه فأزلت درنه، والاغتسال: غسل البدن، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾، المعجم الوجيز، ص ٤٥٠، واصطلاحاً: تعميم البدن بالماء، وهو مشروع لقوله تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾، المائدة، آية ٦، السيد سابق، فقه السنة، ص ٤٧.

(٢) الجنب هو الذي حصلت عليه جنابة، والجنابة إما إنزال المنى بشهوة، وإما جماع ولم ينزل، لذا لو جامع الإنسان زوجته أنزل أم لا وجب عليه الغسل، محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف النووي، المنصورة، د. ت، مج٣، ص ٢٣٤، وللتعرف على طريقة الغسل انظر: الزبيدي، فتح الباري، كتاب الغسل، حديث رقم ١٨٤-١٩٨، ص ٩٦-٩٨.

(٣) سورة المائدة، آية ٦، الآية آمرة بالتطهر من الجنابة انظر: ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، مجموع فتاوى، تحقيق الشيخ الألباني، دار الصفوة، د. ت، مج ٣، ص ١٢٠٧-١٢١٥.

جَهَدَها، فقد وجب الغسل[1]، وقد أجمع العلماء على إيجاب الغسل في حال إذا التقى الختانان ولا يتوقف على الإنزال[2]، والأمر بالطهور ليس درباً من البدع فقد جاء في إنجيل برنابا قال يوحنا "يامعلم لنغتسل كما أمر الله على لسان موسى، قال يسوع: أتظنون إني جئت لأجل الشريعة والأنبياء؟ الحق أقول لكم لعمر الله اني لم آت لابطلها ولكن لأحفظها، لأن كل نبي حفظ شريعة الله وكل ما تكلم الله به على لسان الأنبياء الآخرين، لعمر الله الذي تقف نفسى في حضرته لا يمكن أن يكون مرضياً لله، من يخالف أقل وصاياه، ولكنه يكون الأصغر في ملكوت الله، بل لا يكون له نصي هناك، وأقول لكم أيضاً أنه لا يمكن مخالفة حرف واحد من شريعة الله إلا باجتراح أكبر الآثام، ولكنى أحب أن تفقهوا أنه ضرورى أن تحافظوا على هذه الكلمات التي قالها الله على لسان أشعيا النبي "اغتسلوا وكونوا أنقياء أبعدوا أفكاركم عن عينى الحق أقول لكم إن ماء البحر كله لا يغسل من يحب الآثام بقلبه، وأقول لكم أيضاً أنه لا يقدم أحد صلاة مرضية لله إن لم يغتسل، ولكنه يحمل نفسه خطيئة شبيهة بعبادة الأوثان[3]، لذا فلماذا ينكر الكندي هذا الأمر، أضف لذلك أنه من رحمة الله بخلقه أن خفف عليهم فلم يجعل الغسل شرطاً لصحة الصلاة كما كان وفقاً لما ذكر أعلاه،

---

(١) الزبيدي، فتح الباري، كتاب الوضوء، باب إذا التقى الختانان وجب الغسل، حديث رقم ٢٠١، ص ٩٩؛ الإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللى، ج١، دمشق، ٢٠٠٩م، حديث رقم ٢١٦، ص ١٥٥؛ المنذري، مختصر صحيح مسلم، حديث رقم ١٤٥ (٨٩-٣٥٠) ص ٤٦؛ الشوكاني، نيل الأوطار، ج ٢، حديث رقم ٣/ ٢٨٨-٤/ ٢٨٩، ص ٣٠٢-٣٠٨.

(٢) أبي الوفاء على بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي، ت ٥١٣ هـ، التذكرة في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق د/ ناصر بن سعود بن عبد الله السلامة، الرياض، ٢٠٠١م، ص٣٤، وللمزيد انظر: البعلي، الروض الندي، مج ١، ص ٦٥-٦٦.

(٣) الفصل الثامن والثلاثون، ص ١٣٠.

بل حدد ﷺ موجبات الغسل ولم يجعلها بشكل عام كي يخفف على عباده، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الغسل واستخدام الماء يمنع انتقال كثير من الأمراض الجنسية؛ لأن أول شيء في الاغتسال هو غسل الموضع نفسه، لذا تنصح النشرات الصحية الأجنبية توعية بغسل الموضع قبل الاغتسال[1]، وقد روى عن النبي ﷺ قوله "إن تحت كل شعرة جنابة، فاغسلوا وأنقوا البشر"، "من ترك موضع شعرة من جنابة لم يُصبها ماء، فعل الله تعالى به كذا وكذا من النار"[2]، وقد توصل العلم والأبحاث الطبية بعد قرون طويلة، لمعنى الجنابة وتركيبها الكيميائي والجراثيم المنبعثة منها والأمراض التي تصيب من لا يغتسل منها، فاتضح أن الأمر بالاغتسال كان لحكم صحية[3]، وهذا يدل على إعجاز النبي وأن ما جاء به هو الحق، لذا فالمشرع الحكيم ألزم المسلم بجملة من الواجبات والتشريعات المتعلقة بصحته ونظافته، ومن هذه التشريعات الغسل من الجنابة والذي لا تصح بعض العبادات إلا بالتطهر منه، ولم تعرف حكمته إلا في العصر الحديث.

---

(1) Dr. Abdul-Rahman Al-Sheha, Islamic Perspective on Sex, Translated by Abdurrahmaan Murad, Reviewed by: Osama Emara (Islamhouse.com), Dr. Richard Long, New study proves taking a shower immediately after sex will prevent STDS, Harvard Medical Center, Things You Should (and Shouldn't) Do After Sex, Ahsan, M.,Sex and Sexuality in Islam, Culture, Health & Sexuality, September–October 2007; 9(5) : 551–552.

(٢) سنن أبي داود، ج ١، حديث رقم ٢٤٨، ص ١٨٠؛ مسند الإمام أحمد، ج ٢، حديث رقم ٧٢٧، ص ١٣٠، حديث رقم ٧٩٤، ص ١٧٨، حديث رقم ١١٢١، ص ٣٤٤؛ سنن أبي داود، ج ١، حديث رقم ٢٤٩، ص ١٨١، ورغم أن الحديثان بهما ضعف لكن أثبت الدراسات العلمية الحديثة محتواهما.

(٣) وللإستفاضة من هذا انظر: عبد البديع حمزة زللي، وجوه متنوعة من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ج ١، وجوه علمية في الإعجاز البلاغي واللغوي في القرآن والسنة، ط١، المدينة المنورة، ١٤١٩هـ.

ب- الصلاة :

تحدث نيقيتاس البيزنطي عن الصلاة فقـال: "نصـح أتباعـه بـالتحول نحـو الجنوب في صلواتهم؛ كي يميزوا أنفسهم عن الآخرين، فكانوا يحنون رؤوسهم ويرفعون أيديهم بمحاذاة آذانهم"(١).

أما الكندي فقد حاول نقد الصلاة فقال "وأما ما دعوتني إليه من الصلوات الخمس وصيام شـهر رمضـان فـالجواب في ذلـك إقـرارك بلسـانك في كتابـك وما خططته بأصابعك من أمر صلواتنا وصومنا ومواظبتنا فقد رأيت ذلـك معاينـة وسمعته وشاهدت تلك الأمور الإلهيـة المخالفـة مـا دعـوتني إليـه مـن الأمـور المبهرجة المدلسة فاكتف أكرمك الله بما رأيت وليكن لك دليلاً وجوابـاً فلسـت أجيبك في هذا بأكثر مما عندك من المعرفة وكفاك بذلك حجة عند نفسك"(٢).

وللرد على ما سبق لابد من القول بأن الصلاة(٣) هي ثاني أركـان الإسـلام المفروضة على المسلم الصادق أن يؤديها خمس مـرات في اليـوم موليـاً وجهـه شطر مكة متمركزين حول نقطة واحدة هي الكعبـة، والصـلاة يجـب أن تـؤدى باتجاه القبلة وعلى طراز واحد من السجود والركوع وعلى العابد أن يقوم بهـا وهـو في حالة طهارة(٤)، قـال تعـالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ...﴾(٥)، أمر الله عباده بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها وحفـظ حـدودها وأدائهـا في أوقاتها المحددة (٦) قال تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾(٧)،

---

(1) Demetriades, Nicetas of Byzantium, p. 35.

(٢) رسالته، ص ٩٧.

(٣) لغة الدعاء، وشرعاً: أقوال وأفعال معلومة مفتتحة بـالتكبير، مختتمـة بالتسـليم، وتجـب الصلوات الخمس على كل مسلم مكلف، انظر: البعلي، الـروض النـدي، مـج ١، ص ٩٥-٩٨، ١٢٢ وما بعدها؛ السيد سابق، فقه السنة، ص ٦٥

(٤) حتى، العرب تاريخ موجز، بيروت، ١٩٩١م، ص ٥٤-٥٥

(٥) سورة البقرة، آية ٢٣٨

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ١، ص ٦٤٥، مج ٢، ص ٤٠٣.

(٧) سورة النساء، آية ١٠٣.

وقد مدح الله المؤمنين، المطيعين أمره المؤدين شكره المحسنين إلى خلقه في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، مخبراً عما أعد لهم من الكرامة[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[2]، ولأن الصلاة عماد الدين وغرة الطاعات، فقد جعل الله لها عظيم الفضل قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[3]، أي أن الصلاة تشتمل على شيئين: على ترك الفواحش والمنكرات، حيث إن المواظبة على الصلاة تحمل الإنسان على ترك ذلك[4]، وقد ورد في فضل الصلاة أخبار كثيرة وردت عن النبي ﷺ[5]، وقد تفرد نيقيتاس البيزنطي بمعرفته بتحول قبلة المسلمين، وقد قال المؤرخ Nikolaou "كان المسلمون يتجهون في صلاتهم نحو القدس، ولكن حولهم محمد نحو مكة لإحباطه لعدم إعتراف يهود المدينة المنورة به كنبي"[6].

ويتضح مما سبق أن نيقيتاس البيزنطي وNikolaou لم يفهما الغرض من هذا التحول، وقد قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج١، ص ٧١٦.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٧٧.

(٣) سورة العنكبوت، آية ٤٥.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٦، ص ٢٨٠.

(٥) يمكن الرجوع إلى: النووي، رياض الصالحين، حديث رقم ١٠٤٠-١٠٤٤، ص ٤٣٠-٤٣١؛ ابن قدامة المقدسي، الإمام الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة، مختصر منهاج القاصدين، تعليق شعيب الأرنؤوط، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٢٨-٢٩؛ بن عثيمين، شرح صحيح النووي، مج ٥، حديث رقم ١٠٤٢-١٠٤٦، ص٤٣ -٥٢.

(6) A Survey of Byzantine Risponses, p. 20.

لِيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، ففي هذه الآيات يقول ﷻ لنبيه ﷺ: إنما شرعنا لك يا محمد التوجه أولاً إلى بيت المقدس، ثم صرفناك عنها إلى الكعبة، ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ويستقبل معك حيثما توجهت ممن ينقلب على عقبيه مرتداً عن دينه، وصرف التوجه عن بيت المقدس للكعبة أمراً عظيماً في النفوس إلا على الذين هدى الله قلوبهم وأيقنوا بتصديق الرسول، ثم وضح سبحانه سبب تحويل القبلة للكعبة، وهى أن النبي لما هاجر للمدينة وكان أكثر أهلها من اليهود، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها النبي بضعة عشر شهراً[2]، وكان يحب قبله إبراهيم فكان يدعوا الله وينظر إلى السماء فأنزل الله الآية[3]، وقد اتفق كل من نيقيتاس البيزنطي والكندي على التحدث بنوع من التهكم على الصلاة من خلال تهكمهم على حركات الصلاة فبرز عدم معرفتهم بكنه الصلاة، فوجدنا الكندي لم يفصل في ذكر تفاصيل الصلاة واكتفى بأن يطلب من الهاشمي أن يقارن بينها وبين طقوس صلاة المسيحيين، وقد كان حرى به أن يخبرنا أين هذا من قرآن منزل لا يُضاف إليه شيء، ولم يرد به ما يبطله، وبالنسبة لإستشهاد الكندي بما رآه وعاينه وسمعه الهاشمي من صلاة وصيام النصارى، بل وصفه لممارسات النصارى بأنها أمور إلهية، نجد الكندي وكأنه يصور للقارئ أن الهاشمي وكأنه كثير التردد على

---

(١) سورة البقرة، آية ١٤٣-١٤٥.

(٢) روى أنه ﷺ كان صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، انظر: الزبيدي، فتح الباري، حديث رقم ٢٥٧، ص ١٢٦، وللتعرف على فضل استقبال القبلة انظر: حديث رقم ٢٥٤، ص ١٢٥.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ١، ص ٤٥٧-٤٦١، وللتعرف على الأحاديث التي قيلت في تحويل القبلة يمكن الرجوع إلى: الشوكاني، نيل الأوطار، ج ٤، حديث رقم ٢/ ٦٥٥-٣/ ٦٥٦، ص ١٣-١٤.

أماكن عبادة النصارى ومعتاد عليها، ومن ثم أضحت لديه خلفية ممتازة بها، كما وسم الكندي الدعوة للصلاة والطهارة بأنها من الإمور المبهرجة المدلسة، وقد كان حرى به أن يخبرنا أي أمور إلهية تلك في عبادته وأى أمور مبهرجة في عبادة المسلمين التي تقوم على الخضوع والإذعان لله ﷻ، أما نيقيتاس البيزنطي فقد فصل في حديثه عندما قال يحنون رؤسهم يعني بذلك نظر المسلمين إلى موضع سجودهم أثناء الصلاة...، ولم يعي الكاتب أن الصلاة هي الصلة بين العبد وربه، وقد مدح الله ﷻ الخاشعين في الصلاة فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾[1]، وقد قال محمد بن سيرين: كان أصحاب رسول الله يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزلت الآية خفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم، وقد قال الإمام على ﷺ: الخشوع: خشوع القلب، لذا قال الحسن البصري: كان خشوعهم في قلوبهم فغضوا بذلك أبصارهم وخفضوا الجناح[2]، وبالنسبة لرفع أيديهم فقد روى عن مالك بن الحويرث أن رسول الله كان إذا كبر رفع يديه حتى يحاذى بهما أذنيه، وإذا ركع رفع يديه حتى يحاذي بهما أذنيه، وإذا رفع رأسه من الركوع، فقال: "سمع الله لمن حمده" فعل مثل ذلك[3]، فدل هذا على مشروعية رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام، واستحباب الرفع في الأربعة مواضع[4]، ولفيليب حتي تعليق على الصلاة حيث قال: "ومما يثير النفس إعجاباً أن ترى العابدين منتصبين في المسجد أثناء الصلاة في صفوف منسقة يمتثلون لقيادة الإمام دقة وخشوعاً، ومما لا ريب فيه أن الصلاة كانت أكبر عمل تأديبي في توحيد صفوف المسلمين من أبناء البادية ذوي النفوس الفخورة الأبية المشبعة بروح الفردية،

---

(١) سورة المؤمنون، آية ٢.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٥، ص ٤٦١.

(٣) المنذري، مختصر صحيح مسلم، حديث رقم ١٦٤-(٢٥/ ٣٩١)، ص ٥٠؛ الزبيدي، فتح الباري، حديث رقم ٤١٦، ص ١٨٧؛ الإمام مبسلم، صحيح مسلم، مج ١، كتاب الصلاة، حديث رقم ٢١ -٣٣، ص ١٨٢-١٨٣، وللتعرف على صفة الصلاة يمكن الرجوع إلى: ابن عقيل، التذكرة في الفقه، ص٥٠-٥٣.

(٤) الشوكاني، نيل الأوطار، ج ٤، حديث رقم ٥/ ٦٦٦، ص ٤١ وما بعدها.

وقد غرست فيهم روح المساواة الاجتماعية والشعور الموحد ورقت فيهم التآخي الديني الذي نشده محمد رابطة بين المؤمنين بدلاً من رابطة العصبية الدموية"[١]، وهذا التعليق دل على إنصاف فيليب حتى رغم أنه ليس مسلم.

ت- الصيام :

تحدث نيقيتاس البيزنطي عن الصيام فقال: "حدد محمد ﷺ شهر رمضان للصيام[٢]، وأمر أتباعه بتناول الطعام والجماع مع زوجاتهم ليلاً[٣]، وأخبرهم أن الله وحده يعلم أن نفوسهم ستميل لذلك"[٤]، وهذا القول يوضح اعتماد نيقيتاس البيزنطي على ما جاء في القرآن الكريم، ويبدوا عدم موافقته على هذا الأمر، وقد كان حرياً به أن يدحضه بنص من الكتاب المقدس إن كان لديه نص يحرم ما يفعله المسلمون.

يعد الصيام[٥] رابع أركان الإسلام ولم يأت ذكر رمضان الا مرة واحدة في القرآن، ويتحتم على المسلم الامتناع فيه عن الطعام والشراب من الفجر حتى غروب الشمس، وقد كانت هذه العادة مرعية بين اليهود والنصارى في أوائل عهدهم[٦]، لذا فالأمر ليس غريباً على أهل الكتاب، وقد أمر الله المؤمنين بالصيام، والذي هو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله لما فيه زكاة للنفس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة، وقد ذكر سبحانه أنه كما أوجبه عليهم فقد أوجبه على من كان قبلهم، ثم بين سبحانه

---

(١) العرب تاريخ موجز، ص ٥٦.

(٢) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾، سورة البقرة، آية ١٨٣.

(٣) ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ ﴾، سورة البقرة، آية ١٨٧.

(4) Demetriades, Nicetas Of Byzantium, p. 36.

(٥) في اللغة: الإمساك، وفي اللغة إمساك مخصوص، في زمن مخصوص، بشرائط مخصوصة، وقد فرض الصيام في العام الثاني من الهجرة، الشوكاني، نيل الأوطار، ج ٨، ص ٢٢٤؛ السيد سابق، فقه السنة، ص ٢٩٠.

(٦) فيليب حتي، العرب تاريخ موجز، ص٥٧.

مقدار الصوم وأنه ليس في كل يوم لئلا يشق على النفوس فتضعف عن حمله وأدائه بل في أيام معدودات[1].

لم يكن الصوم شيئاً جديداً بالنسبة للمسيحيين الأرثوذكس في الإمبراطورية البيزنطية لأنهم كانوا يصومون لفترات طويلة وصارمة كأيام الصوم الكبير وفي ذكرى ميلاد القديسيين[2]، ومع ذلك انتقدوا صيام رمضان، فاتضح أن البيزنطيين كانوا على علم بطبيعة صيام رمضان[3] ثم وضح سبحانه أهمية الشهر فقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[4]، في هذه الآية مدح الله شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القران، كما اختصه بتنزل الكتب الإلهية فيه على الأنبياء، ثم قال سبحانه ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فيه أوجب سبحانه الصيام على من شهد الشهر[5]، وقد وضح النبي ﷺ فضل صوم رمضان ومنزلة الصائمين الذين اختص الله بإثابتهم بنفسه في أحاديث عدة[6]،

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ١، ص ٤٩٧-٤٩٨؛ البعلي، الروض الندي، مج ١، ص ٢٩٣ وما بعدها، النووي، رياض الصالحين، حديث رقم ١٢١٣-١٢١٨ ص ٤٧٨-٤٤٨٠.

(٢) ويمكن الرجوع للرسائل الفصحية وفيها دعوة إلى الإستعداد للفصح بالصوم، انظر:
CF, Athanasio di Alessandria, lettere festali, Anonimo, Indice lettere festali, introduzione, traduzione e note di Alberto Camplani, Ed. paoline, Milao 2003, lettera 19, p. 412-430

(3) A Survey of Byzantine Risponses, p. 20.

(٤) سورة البقرة، آية ١٨٥.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ١، ص ٥٠١-٥٠٣، وللتعرف على وجوب صوم رمضان، وفضله انظر: ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين، مج ٥، حديث رقم ١٢١٥-١٢٢١، ص ٢٥٩-٢٧٤.

(٦) يمكن الرجوع إلى: المنذري، مختصر صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، حديث رقم ٤٩٩-(١/ ١٠٧٩)، ص ١٢٥؛ الزبيدي، فتح الباري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، حديث رقم ٨٩٨، حديث رقم ٨٩٩، ص ٣٥٣؛ الإمام مسلم، صحيح مسلم، مج ١، كتاب الصيام، حديث رقم ١-٢، ص ٤٨١، حديث رقم ١٦١-١٦٨، ص ٥١١-٥١٢؛ ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص ٤٣.

والمتأمل لقول نيقيتاس البيزنطي أباح لهم ليلة الصيام...، يجده قد عجز عن فهم رخصة الله تعالى للمسلمين، حيث رفع عنهم ما كان في بدء الإسلام، حيث كان إذا أفطر أحدهم حل له الأكل والشرب والجماع فمتى نام أو صلى العشاء حرم عليه المبيحات إلى الليلة المقبلة، فوجدوا من ذلك مشقة كبيرة فخفف عنهم رحمة بهم[١].

ث- الحج:

حاول يوحنا الدمشقي أن يرسخ في عقول النصارى أن المسلمين وثنيين كي لايفكر بني دينه في الدخول في الإسلام فقال: "لقد كانوا وثنيين يعبدون نجمة الصبح والزهرة التي كانوا يدعونها خبار في لغتهم على وجه التحديد والتي تعنى عظيمة، ثم عرج على هدم إيمان المسلمين بمحاولة زعزة يقينهم في عبادتهم فقال "كان الأحرى بكم أن تقولوا بأن له شريكاً من أن تشوهوه جاعلين إياه شبيهاً بحجر، أو خشب أو شيء ما من الجوامد الفاقدة الحس، لماذا إذا تحتكون بحجر كعبتكم، وتحبون الحجر حتى معانقته؟ فيقول بعضهم[٢]: إن إبراهيم قد جامع هاجر عليه، وآخرون إنه قد ربط الناقة به عند تضحيته بإسحق، فنجيبهم قائلين: لقد كان هنالك جبل مُدغِلِ وأشجار بحسب الكتاب، وقد قطع إبراهيم حطباً منه للمحرقة وحمله لإسحق تاركاً الحمير مع الغلامين إلى الوراء[٣]، فلم هذه الحماقات إذ ما من حطب حِرجَى في هذا الموضع فعلاً، والحمير لا تعبره

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ١، ص ٥١٠-٥١٥، انظر: الزبيدي، فتح الباري، كتاب الصوم، باب قوله تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾، حديث رقم ٩١١-٩١٢، ص٣٥٦-٣٥٧.

(٢) ترى الباحثة أن يوحنا الدمشقي تخيل حوار بينه وبين مسلم، لكنه لم يثبت حدوثه، كما أن الدمشقي لم يحدد من هذا الذي تحاور معه وما هي ما هيته، ويؤكد هذا القول أن يوحنا أراد أن يجهز أجوبة للمسيحيين إذا ما تحاوروا مع المسلمين، وفي ذات الوقت يمدهم بمعلومات عن المسلمين ليستخدمونها في محاجاتهم مع المسلمين.

(٣) سفر التكوين، الإصحاح الثاني والعشرون، آية ٣-٥.

فيخجلون عندئذ، ومع ذلك يقولون بأنه حجر إبراهيم، ثم نقول: فليكن لإبراهيم كما تجزمون بحماقة إنكم لا تخجلون من معانقتكم إياه لأن إبراهيم جامع عليه امرأة وحسب، أو لأنه ربط به الناقة، بل تلومونا على سجودنا لصليب المسيح الذي أباد بأس الشياطين وإغراءات إبليس، وحتى أيامنا هذه لا يزال عليه أثر رسم ظاهر لمن يراقبون بدقة[١].

وقد أعلن الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث (٩٩-١٢٤ هـ ٧١٧-٧٤١م) خلال مراسلته مع الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١ هـ/ ٧١٧ - ٧٢٠م) أن مكة المكرمة يسكنها الشياطين التي تقودكم من خلال تدبير المكائد الخفية لتفقد روحك، وذلك من خلال الحجر الذي يسمى ركن والذي تعبده دون معرفة السبب [٢].

وقد سأل رجل من أهل الشام يقال له على بن الوليد - وهو ممن أكثر في قراءة الكتب ودرس الإنجيل والزبور وعرف أسرار الدين - ثيودور أبو قرة، فقال له: يا أبا قرة أليس المسيح إلهكم، قال نعم، قال فصلب؟ قال نعم، قال قد ضللت يا أباقرة، ولم تصلبون إلهكم وتعبدون العود الذي صلب عليه قال أبو قرة: معاذ الله أن نعبد غير الذي هو رب الصليب قال فلم تعظمون الصليب قال: كما أنتم تعظمون الحجارة وتقبلونها وتتمسحون بها من غير آية ظهرت منها، ونحن نعظم الصليب لأشياء كثيرة ظهرت لنا منه معجزات، وليس يخرج ملك لمحاربة عدوه ومعه علامة الصليب إلا كانت له الغلبة والظفر ويملك عدوه، وليس أحد من ملوك الأرض إلا وله راية يعرف بها من هو وابن من هو، وما مقدرته ليفرق بها بينه وبين عدوه وعلامة سيدنا يسوع المسيح هي علامة الصليب وكما قبلنا المسيح بنية صادقة وأمانة خالصة صحيحة كذلك نقبل صليبه ونعمه ونعتصم به في جميع أمورنا [٣].

---

(١) الهرطقة المئة، ص ٤٩، ٥٤-٥٦.

(2) Rhodes, John Damascene, p. 62.

(٣) مجادلة أبوقرة، ص ٨٧.

وقد ردد نفس القول نيقيتاس البيزنطي فقال: "حثهم على عبادة الصنم الذي هو في مكة، وقد فضل الله بين الأصنام الموجودة صنمين هما الصفا والمروة، وقد كان يأمرهم عندما يصلون أن يطوفون حول المبنى الأكثر تلوثاً حتى يسقطون، ثم حاول نيقيتاس أن يثبت صدق كلامه فيقول "قال أحد المتحولين للمسيحية يوجد في وسط المبنى صنم ينفذ أمر الشيطان، ثم صرح نيقيتاس البيزنطي عن اسم هذا المعبود فسماه أفروديت والذي يعد الأقدم في صحراء يثرب، فأدخل محمد عبادة الأصنام وسماه بدين التوحيد"[1].

كما قال نفس القول عمار البصري: "فأما ما يهزأون به من تقبيلنا الصليب فإنا نرجع إليهم بالحجة فأعجب من ذلك تقبيلهم حجراً كان المشركون يكرمونه ويقبلونه، فإن الخشب على حال القرب إلى الثمرة من الحجارة، فإن قالوا فإنا لم نرد بذلك الحجر، قلنا: كذلك ولم نرد نحن بذلك الخشب الخشب فأما إمعاننا في إكرام هذه الشعار فكما وصفنا من تجلي خالقنا في الجسد الذي صلب عليه، وأظهر لنا به القيامة والحياة وبطلان الخطية، فنريد بالتمسح بالشعار الذي صلب البشرُ الذي هو حجاب خالقنا والتقرب، كما إننا نقبل بالتعظيم للملك حافر دابته والتراب الذي أسفل قدميه فضلاً عن بساطه وثوبه، وكما أنا وإياكم نتمسح بثوب رجل تقرب إلى الله بالعبادة، نريد بذلك التقرب إلى خالقنا إذ تمسحنا بثوب عبد من عباده أطاعه، فإن كنا نتمسح بثوب لإكرام إنسان أطاع الخالق، ينبغي أن نتمسح بالشعار الذي صلب عليه حجاب الخالق ولباسه، فقد أوضحنا معنانا في تقبيل الصليب، فإن رجعنا سائلين عن تقبيلكم الحجر فبماذا تجيبون؟ فإن قلتم: لأنه أتى من الجنة، قلنا: قد سمعنا أن الله ينهى عن إكرام الحجارة التي خلقت في الدنيا واتخذها الناس أوثاناً للعبادة فما صير إكرام ما أتى من الجنة وتقبيله أولى بكم مما في الدنيا والله خالقها جميعاً؟ فإن قالوا: إن ذلك بسبب إبراهيم، قلنا: فتقبلون حجراً بسبب إبراهيم وتنكرون تقبيل خشبة بسبب حجاب الخالق أعني بشرية المسيح؟ وإن قالوا: تعبدنا الله بذلك قلنا: وما يصح من قولكم تعبدنا الله بما قد أقررتم أنه قد نهى عن مثله وأمر بقتال المشركين

---

(1) Demetriades, Nicetas Of Byzantium, pp. 35, 64, 101.

عليه، ولو لم يكن ذلك بأي معنى كان في التعبد بتقبيل الحجارة ولا أحسب لهم في ذلك معنى تقبيله فندع الكلام فيه لعالمنا الحاصل منه"[1].

وقد تعرض الكندي لنفس الحديث فقال: "وأما دعواك لي بالحج إلى بيت الله الذي بمكة، ورمى الجمار والتلبية وتقبيل الركن والمقام فسبحان الله ما أعلم هذا الكلام لقد جئت بأمر فري كأنك تكلم صبياً أو تخاطب غبياً، أو تجادل عيياً فليت شعري أليس هو الموضع الذي عرفناه جميعاً حق معرفة ووقفنا على أصول أسبابه، وكيف كانت القصة في ثباته وكيف جرى أمره إلى هذه الغاية، أولاً تعلم أن هذا فعل الشمسية[2] والبراهمة الذي يسمونه النسك لأصنامهم بالهند فإنهم يفعلون في بلدهم هذا الفعل بعينه الذي يفعله المسلمون اليوم من الحلق والتعري الذي يسمونه الإحرام، والطواف ببيوت أصنامهم إلى هذا الوقت على هذه الحالة فلم تزد عليه أنت شيئاً، ولا نقصت منه ذرة فإنك أخذته بذلك الفعل الذي سميته النسك متمسكاً بتلك العادة محتذياً تلك السنن، إلا أنك تفعله في السنة مرة واحدة في وقت مختلف، وأولئك يفعلونه في السنة مرتين في دفعتين معروفتين عند دخول الشمس أول دقيقة من الحمل وهو الربيع، وفي دخولها أول دقيقة من الميزان وهو الخريف، ففي الأول لدخول الصيف وفي الثاني لدخول الشتاء فهم يُضحون كما تضحى أنت، وينسكون كنسكك لأصنامهم وأنذارهم فهذا سبب حجك ونسكك ومقامك تلك المقامات وأفعالك تلك الأعجوبات، وأنت وأصحابك عالمون أن العرب كانت تنسك هذه المناسك، وتفعل هذه الأفعال في قديم الزمان منذ بَنَت هذا البيت فلما جاء صاحبك بالإسلام لم نره زاد في هذه الأفعال، ولا نقص منها شيئاً غير أنه لبعد المشقة وطول المسافة وتخفيف المؤونة جعله حجة واحدة في السنة، وأسقط من التلبية ما كان فيه من شناعة والقصة هي تلك القصة بعينها التي تفعلها الشمسية، والبراهمية ببلاد الهند إلى هذه الغاية وتنسك فيها لأصنامها، وإني لأستصوب قولاً لعمر بن الخطاب، وقد وقف على الركن والمقام فقال والله لأعلم إنكما حجران لا تنفعان، ولا تضران ولكني رأيت رسول الله يقبلكما فأنا أقبلكما كذلك فإن كان الرواة الصادقون الذين

---

(١) كتاب البرهان وكتاب المسائل والأجوبة، ص ٨٧-٨٨.

(٢) لم تتوصل الباحثة لمعرفة شيء عنهم.

رووا هذه الرواية عنه كذبوا عليه، أو لم يكذبوا فقد صدقوا في ما حكوه عن هـذين الحجرين وإن كانوا صدقوا عنه أنه قال ذلك فلقد قال قولاً حقاً فكيفما أردت القول أيها الحبيب لم يخرج عن قانون الحق، فأما ما يريد العائب أن يعيب بـه مـن يحلـق شعر رأسه، ويتعرى ويعدو ويرمى بالجمرات فهذا فعل من قد غرب عقله، وأنكـر فهمه ومن يتخبطه الشيطان فقد نجد مساغاً للعيب، وموضعاً للثلب ولقد احتججنـا لكم عند من ثلبكم بهذا وقلنا إنما يفعلونه من جهة التعبد ولـيس في التعبـد عيـب، فأجابنا إن الله جل وعز حكيم ولم يتعبد خلقه بالسنن الفاحشة الشنعة التي تنفر الطباع منها ويستسمجها العقل بل بالسنن التي يستحسنها العقـل، ويفضـلها أعـني السـنن الواضحة التي ارتضاها الله وفرضها على عباده أن يدينوا له بها ويتقربوا بإقامتها إليه، وإلا فما إنكاركم على المجوس الأنجاس حيث نكحت الأمهات والبنات والأخوات وتطهرت بالبول المعتق وأوقفت النساء أمام الموابذة حتى ينضحوا البول المعتق على فروجهن بعد الولادة فإن كان هذا قبيحاً في التعبد فما أنتم فاعلوه من الحلق والتعري والرمي بالحجارة والهرولة أقبح"[١].

إن المتأمل للإفتراءات السـابقة يجـدهم يحـاولون أن يثبتـوا أن المسـلمين يشوهون سمعة النصارى بوصفهم وثنيين لأنهم يبجلون الصليب، وهذا أمر عـار من الصحة فالحقيقة أن المسلمين لا يقومون بذلك وإنما يقـررون حقيقـة كـبرى يستحيل دحضها على النصارى تثبتها وتشهد بها عبادتهم وممارستهم الدينية على أرض الواقع، فغالب النصارى يعبدون الصليب من دون الله تعالى، ويسـجدون له ويعتقدون في نفعه وضره كما هو واضح في كتاباتهم ليس هذا فحسـب، بـل لقد صور النصارى الصور ونحتوا التماثيل -الـتي أطلقـوا عليهـا الأيقونـات[٢]- للمسيح ولمريم العذراء ولسائر القديسـين والرهبـان المشـهورين، وزينـوا كـل الكنائس بتلك الصور والأيقونـات، وأصـبحوا يركعـون ويسـجدون أمامهـا في خشوع وتذلل ويسألونها جلب النفع ودفع الضر[٣].

---

(١) رسالته، ص١٠٣-١٠٥.

(٢) سيتم التعرض لها في الفصل التالي.

(٣) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص ٨٠.

وبالنسبة للقول بأن المسلمين يعبدون الحجر الأسود، الذي في مكة المكرمة، ففي ذلك إشارة على أن هذه العبادة كانت منتشرة على نطاق واسع، بجانب وجود مراكز لعبادة "الآلهة الحجرية" في المدن الأخرى[1]، فعدت هذه محاولة من البيزنطيين للعثور على آثار الوثنية في الإسلام[2] لذا فاتهام المسيحيين للمسلمين بالوثنية لأنهم يبجلون الحجر ما هو إلا رداً على اتهام المسلمين لهم بالوثنية لتبجيلهم الصليب[3].

ورغم اتفاق الجدليون على أن المسلمين وثنيون ويعبدون الحجر، إلا إنهم قد اختلفوا في اسم الصنم الذي يعبده المسلمون -بزعمهم- فوجدنا يوحنا الدمشقي يطلق عليه اسم نجمة الصبح والزهرة/ خبار، في الوقت الذي قال فيه نيقيتاس البيزنطي إن النبي حثهم على عبادة صنمين الصفا والمروة، وأطلق على الحجر الموجود وسط الكعبة اسم أفروديت وجعله من أقدم أصنام يثرب، ولم يتعرض الباقون للاسم، وقد كان هدفهم من هذا الإدعاء هو الرد على اتهام المسلمين لهم بعبادة الصليب، وقد وضح أن يوحنا الدمشقي ليس أكثر اطلاعاً من اليونانيين الآخرين عندما أشار إلى أن المكيين كانوا يعبدون أفروديت قبل الإسلام، ويوقرون الحجر المقدس/ الكعبة، فلم يضف أي شيء جوهري للمعلومات عن الإسلام لأنها كانت متاحة بالفعل للبيزنطيين، وقد أشار جرمانوس من القسطنطينية Germanus I of Constantinople (أغسطس ٧١٥ - يناير ٧٣٠م)[4] في حوالى ٧٢٥م[5] أي قبل وقت يوحنا الدمشقي أن المسلمين في

---

(1) Lcdr, Arab –Byzantine, p. 14.

(2) Meyendroff, Byzantine, p. 119.

(3) Sacramento, Three Apocalypses, p. 56.

(٤) ولد فيما بين عام ٦٣٠-٦٥٠م أو ٦٥٣م، ظل بطركاً للقسطنطينية خمسة عشر عاماً، كما أنه كان أول بطرك في ظل النظام اللا أيقوني زمن الإمبراطور ليو الثالث، أجبر على التخلي عن منصبه بعدما رفض التوقيع على مرسوم للإمبراطور أصدره عام ٧٣٠م بإزالة الصور المقدسة والتماثيل المقدسة، انظر: دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ص٣٤.
OBD, vol. 2. p. 846.

(٥) وذلك في رسالته المكتوبة إلى المطران توماس Thomas of Claudiopolis المناهض للأيقونات. .Rhodes, John Damascene, p. 62

الصحراء يعبدون حجر جماد خبار ويتوسلون به، وكرر نفس القول نيقيتاس البيزنطي في القرن التاسع، حيث تحدث عن المعبود أفروديت، وأن عبادة نجمة الصباح كانت موجودة بين العرب قبل ظهور الإسلام بشكل مؤكد، ولأن هذا الأمر كان معروفاً للبيزنطيين قبل الإسلام فقد حاولوا العثور على آثار وثنية في الإسلام، واستخدمها يوحنا وغيره كمجرد حجة مقبولة لتأكيد اعتقاد البيزنطين بأن العرب منغمسين في الشهوات(١)، لذا لم يكن انتقاد تبجيل الكعبة غير مألوف للمعاصرين ليوحنا الدمشقي حيث ساد اعتقاد في المجتمع المسيحي بأن الكعبة أمر وثني غير متصل بالسماء(٢)، وعد تبجيل الحجر من الآثار القديمة للوثنية العربية(٣)، وقد كان التبجيل العربي للحجارة معروفاً جيداً للمؤلفين اليونانيين(٤).

وقد حاول يوحنا الدمشقي خلال حديثه عن حجر إبراهيم ﷺ في مكة والقصص المتعلقه به أن يظهر مهارة المسيحيين في المجادلة مما يتطلب أدلة لتأكيد عرض الحقائق من خلال ما رآه الشهود أو الكتاب المقدس فاعتمد على العهد القديم بإقامة الحجة من خلال الأنبياء، ليبرز أن المسيحيين يعرفون أن مكة لا يوجد بها أشجار وحطب الوقود نادر بها، لذا فهم لا يستخدمونه، وليقول أنهم -المسيحيون - يعلمون أن الكعبة والحجر مبجلين وفقاً لعرف العرب(٥)، وبذلك يرسخ يوحنا الدمشقي في أذهان النصارى استحالة أن يكون إبراهيم ﷺ قد ذهب لمكة، وقد اتخذ الجدليون تبجيل المسلمين للكعبة في مكة ذريعة للسخرية من الأساطير الإسلامية والتي تتعلق بجمل إبراهيم ﷺ والحجر المقدس والتي تعود لما قبل الإسلام، ولم يكن يوحنا وحده من قال هذا، بل تكرر ذكر الأسطورة التافهة حول أصل الإسلام من قبل مؤلفين مختلفين وبطرق مختلفة مما يدل على معلوماتهم الشخصية والسطحية عن الإسلام.

---

(1) meyendorff, Byzantine Views of Islam, p. 119.

(2) Rhodes, John Damascene, 61-62.

(3) Sacramento, three apolcalypses, p, 57.

(4) Nikolaou, A Survey of Byzantine, p. 21.

(5) Merril, J., of The Tractate of John of Damascus on Islam, Beacon, New York., no date, P,,٩1

وبالنسبة لكلامهم بأن الحجر الأسود هو رأس أفروديت -معبودة الشهوة والحب والجمال عند اليونان - فأول من زعم ذلك يوحنا الدمشقي في بداية فصله أن العرب عبدوها قبل الإسلام وأن آثار النقش اليوناني لا يزال واضحاً عليه، ولا نعرف من أين أتى يوحنا بهذا الابتكار، ولكن الأمر الذي لاشك فيه أنه يهدف به قومه النصارى وهو يقوم بعملية تشويه وتلفيق ضد الإسلام حتى يمنع النصارى من اعتناقه، عن طريق تحصينهم بهذه المفتريات ضده، والتاريخ يشهد أن مكة -حيث الكعبة والحجر الأسود- لم تخضع مطلقاً لحكم اليونان والرومان طوال تاريخها، حتى يبقى فيها أثر من آثارهم والحق أن الآثار اليونانية والرومانية- المادية والفكرية- باقية ومشاهدة حيث ولد يوحنا الدمشقي وعاش ومات وفي سائر البلاد التي انتشرت فيها النصرانية وتأثرت بتلك الآثار الفكرية والمادية بالإضافة إلى سائر الفلسفات والوثنيات السابقة كالهلينية والفرعونية وغيرها فالإسلام هو الدين الحق الذي تكفّل الله بحفظه حين قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، ومن الوسائل التي هيأها الله تعالى لحفظ دين الإسلام أن جعله في مكة والمدينة حيث تسود الأمية وفي هذه البلاد لا توجد بها فلسفات فكرية سابقة يمكن أن تؤثر في العقيدة الجديدة، فلم يخضع الإسلام في بداية عهده لدولة أخرى حتى تتأثر عقائده بعقائد وأفكار الدولة المهيمنة، ولم يعد بمقدور أحد أن يؤثر في عقائده أو يحرفها، وهذا على العكس تماماً من النصرانية، التي ظهرت وانتشرت في بلاد تسودها الفلسفة الهلينية والمعتقدات الرومانية وغيرها كما أن النصرانية خضعت منذ ظهورها للإمبراطورية الرومانية والحضارة الهلينية قروناً كثيرة فتأثرت بتلك الفلسفات إلى أبعد حد العقائد النصرانية بعقائد اليونان والرومان وبفلسفتهم الدينية كما أثبت الواقع التاريخي، أضف لذلك أنه لم تقم للنصارى دولة مثل المسلمين على يد تلاميذ المسيح[2].

وبالنسبة للنقش الظاهر على الحجر يبدو أن يوحنا قد اختلط عليه الأمر بين الحجر الأسود والحجر الذي في مقام إبراهيم عليه السلام فالنقش ما هو إلا قدما إبراهيم عليه السلام

---

(١) سورة الحجر، آية ٩.

(٢) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص ٨٦-٨٧.

حيث كان يقف على الحجر، قال ابن كثير: "رفعا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام القواعد من البيت فجعل إسماعيل ﷺ يأتي بالحجارة وإبراهيم ﷺ يبنى حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبنى"[1] وقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ... ﴾[2]، ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ... ﴾[3]، في هذه الآية نبه على مقام إبراهيم ﷺ مع الأمر بالصلاة عنده، والآيات البينات أي دلالات ظاهرة أن إبراهيم من بناه وأن الله عظمه وشرفه، لذا عد أثر قدميه في المقام آية بينة، وقد قال أبو طالب عم النبي ﷺ شعر عن المقام فقال: وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافياً غير ناعل[4]، وقد حاول هؤلاء الكتاب تشبيه عبادة النصارى للصليب بتقبيل المسلمين للحجر الأسود زاعمين أن في ذلك عبادة للحجر نفسه، وهذا من افترائهم فالمسلمون لا يعبدون الحجر الأسود مطلقاً لأنهم يعلمون علم اليقين أنه حجر لا يضر ولا ينفع، وقد عبر عن هذه العقيدة عمر بن الخطاب ﷺ في الحديث الصحيح عندما جاء إلى الحجر الأسود فقبله وقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ قبلك ما قبلتك[5]، وقد شرع تقبيله اختياراً ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع، وذلك شبيه بقصة إبليس حيث أُمر بالسجود لآدم ﷺ، فليس للحجر الأسود ميزة عن سائر حجارة البيت العتيق

---

(١) تفسير القرآن العظيم، مج ١، ٤٢٩.

(٢) سورة البقرة، آية ١٢٥.

(٣) سورة آل عمران، آية ٩٧.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ١، ص ٤١٣-٤١٨، مج ٢، ص ٧٩.

(٥) الزبيدي، فتح الباري، باب تقبيل الحجر، حديث رقم ٧٩٩، ص ٣٢١؛ المنذري، مختصر صحيح مسلم، باب إستحباب تقبيل الحجر الأسود، حديث رقم ٦٠٨-(٢٤٩/ ١٢٧٠)، ٦٠٩-(١٢٧١/٢٥٢)، ص ١٥٣؛ الإمام مسلم، صحيح مسلم، باب إستحباب تقبيل الحجر الأسود، مج ١، حديث رقم ٢٤٨-٢٥٢، ص ٥٧٨؛ مسند الإمام أحمد بن حنبل، (١٦٤-٢٤١هـ)، ج ١، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت، د. ت، حديث رقم ١٧٦، ص ٣١٠، حديث رقم ٢٢٦، ص ٣٥٢، حديث رقم ٢٢٩، ص٣٥٤، حديث رقم ٢٧٤، ص ٣٧٧، حديث رقم ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ص ٤٤٤-٤٤٥.

سوى أنه من أحجار الجنة حيث روى أن إسماعيل عليه السلام ذهب إلى الوادي يطلب حجراً، فنزل جبريل عليه السلام بالحجر الأسود... فلما جاء إسماعيل عليه السلام فرأى الحجر الأسود قال من أين هذا، من جاءك به؟ قال إبراهيم عليه السلام: من لم يكلني إليك وإلى حجرك كما وردت فيه أحاديث منها حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما [1] إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لأضاءا ما بين المشرق والمغرب، وبهذا يتضح أن قول عمر في الحجر الأسود بأنه حجر لا يضر ولا ينفع، حتى لا يظن الجهال أن استلام الحجر الأسود وتقبيله من باب تعظيم الأحجار كما كانت تفعل العرب في الجاهلية فأراد عمر رضي الله عنه أن يعلّم الناس أن استلامه إتباع لفعل رسول الله ﷺ لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقد في الأوثان، كما أن في قول عمر رضي الله عنه هذا التسليم للمشرع في أمور الدين، وحسن الإتباع فيما لم يكشف عن معانيها[2]، لكن الكندي استشهد بما حدث مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورآه قول حق، ليوعز بأن النبي ﷺ ومن ثم تبعه المسلمون، وهذا يدل على أنه لم يصل لعلة الأمر التي ذكرت أعلاه، لذا فقد أخطأ الكندي عندما ذكر الركن والمقام والصحيح أن القول كان في الحجر الأسود فقط.

حاول الجدليون معرفة سبب تكريم المسلمين للحجر فتفرد يوحنا الدمشقي عن غيره بسرد الأسباب التي جعلت المسلمين يقدسون الحجر، فويخهم لأن إبراهيم عليه السلام مارس جماعاً مع امرأة عليه، ثم وضع يوحنا سبباً آخر يجعل المسلمين يقبلون الحجر لأن إبراهيم عليه السلام ربط به جمله عندما أراد أن يضحي بإسحاق عليه السلام، وهذا الأمر عار من الصحة فلم تذكر المصادر الإسلامية مثل هذه الأقوال الملفقة، بل إن يوحنا لم يكن هدفه وضع سبب لوهمه، بل حاول أن

---

(١) كان يكنى أبا محمد، وأسلم قبل أبيه وشهد مع أبيه صفين، وكان مسكنه مكة ثم دخل الشام، فأقام بها حتى توفي يزيد بن معاوية، ثم توفي بمكة سنة خمس وستين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وكان بينه وبين أبيه اثنتا عشرة سنة في السن، ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٢) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص ٨٢-٨٤.

ينكر أن إسماعيل ﷺ هو الذبيح بجعل أخيه إسحاق ﷺ بدلاً منه، أضف لذلك أن الدمشقي اتخذ من هذا القول مدخلاً لينكر أن تكون قد جرت قصة الذبيح بمكة -بمنى- ليصل بذلك إلى الهدف الذي يرمي إليه وهو أن إبراهيم ﷺ لم يذهب إلى مكة ولم يبن البيت الحرام ولا صلة له بهذا المكان لأن الكتاب المقدس لم يذكر ذلك[1]، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2]، وقد قال ابن كثير في معرض تفسيره لهذه الآيات "بنص كتبهم أن ابراهيم ﷺ ولد اسماعيل ﷺ وهو ابن ست وثمانين عاما واسحاق ﷺ وهو ابن تسع وتسعين وأنه أمره بذبح ابنه البكر، لذا فقولهم إن إسحاق ﷺ هو البكر به كذب وبهتان ومخالف لما في كتبهم فحرفوه إلى وحيدك أي الذي ليس عندك غيره وما دام إسماعيل ﷺ قد ذهب مع أمه فالمراد إسحاق ﷺ وهذا تأويل وتحريف باطل، فلا تقال وحيد إلا لمن ليس له غيره وأول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الأولاد فالأمر بذبحه أبلغ في الإبتلاء والاختبار، والآثار الواردة بأنه اسماعيل ﷺ وهو الصحيح المقطوع به"[3].

أما الإمبراطور ليو الثالث فلم يستطع التوصل لسبب عبادة الحجر الأسود، في الوقت الذي نسبه عمار البصري لإبراهيم ﷺ، وقد كان عمار البصري يتخيل وجود خصم مسلم أمامه يطرح الأسئلة عليه ومن ثم يتبقى أجوبة عليها، وقد برز خلال المحاورة أن عمار البصري حاول ترسيخ أن تبجيل الصليب أولى من

(١) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص ٨٤-٨٥.

(٢) سورة الصافات، آية ١٠١-١١٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، مج ٧، ص٢٧-٣٣.

الحجر، لأنه رأى أن المسيح ﷺ مكانته أفضل من إبراهيم ﷺ، أما باقي الجدليين فلم يتعرضوا لهذا الأمر.

وبالنسبة لقول نيقيتاس أن الله جعل الصفا والمروة من ضمن الأصنام، فإن هذا يدل على أن نيقيتاس قد اجتزأ جزءً من الحقيقة وأنه علم بطريقة ما بوجود صنمين قبل الإسلام بهذا الاسم، وقد روي أن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت "ما زلنا نسمع أن إسافاً ونائلة كانا رجلاً وامرأة من جرهم أحدثا في الكعبة؛ فمسخهما الله تعالى حجرين، وقد قال أبو طالب في ذلك شعراً:

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم ... بمفضى السيول من إساف ونائل[1]

فحولا للصفا والمروة فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما فتحرج المسلمون من ذلك، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[2].

وروى أن عروة بن الزبير رضي الله عنهما سأل السيدة عائشة عن هذه الآية فقال: ما على أحد جناح أن لا يطوف بهما؟ فقالت له بئس ما قلت يابن أختي إن هذه الآية لو كانت كما أولتها عليه، كانت لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما ولكنها أُنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يُهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المُشَلَلِ، فكان من أهل يَتحرج أن يطوف بالصفا والمروة فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، قالوا: إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة فأنزل الله الآية، وقد سن الرسول ﷺ الطواف بينهما فلا يجوز لأحد أن يتركه[3]، وأصل السعي بينهما ما قامت به السيدة هاجر فلم تزد تتردد بينهما متذللة خائفة وجلة فقيرة لله حتى كشف كربتها، فأصبح السعي بينهما من مناسك الحج، وقد

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٩٩-١٠٠.

(٢) سورة البقرة، آية ١٥٨.

(٣) سنن أبي داود، ج ٣، حديث رقم ١٩٠١، ص ٢٧٩؛ الزبيدي، فتح الباري، باب وجوب الصفا والمروة، حديث رقم ٨٠٨-٨٠٩، ص٣٢٣-٣٢٤، وللمزيد انظر: ص٤٤٠ وما بعدها؛ الإمام مسلم، صحيح مسلم، مج ١، حديث رقم ٢٥٩-٢٦٤، ص ٥٨٠-٥٨١.

قال النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية أبدأ بما بدأ به الله[1]، فأصبح السعي بينهما ركناً من أركان الحج لا يجبر بدم ولا بغيره[2]، وإذا كان الوضع كذلك فكيف يفضلهما الله ﷻ، بل كيف وأن الله قد أرسل نبيه محمد ﷺ قد يقضي على عبادة الأصنام أن يستثنى من بينهم هذين الصنمين، لذا كان حرياً بنيقيتاس البيزنطي أن يخبرنا ما السبب الذي جعل الله يفضل هذين الصنمين، وما هو المغزى من ذلك، كما كان عليه أن يخبرنا من هذا الذي تحول للمسيحية وترك الإسلام وقال بوجود إله في وسط الكعبة كي يكون كلامه ذا قيمة بدلاً من أن يلقى كلاماً بلا دلائل.

وبالنسبة للكندي فاتضح أنه أكثر دراية بأركان الحج عن غيره من الكتاب الآخرين حيث عددها ولربما يعود ذلك لاحتكاكه بالمسلمين وقرآته عن الإسلام بشيء من الإسهاب، لكنه لم يحد عن النهج الذي بدأه يوحنا الدمشقي، لكنه رمى الإسلام بشيء جديد حين شبه أركان الحج بمناسك البراهمة[3] في الهند، وهذه المقارنة غير منصفة فكان حرى به أن يقارن بشيء من الحيادية حيث إن مناسك الحج أساسها الزهد وترك الدنيا والتقرب من الله ﷻ، فالحج يعد الركن الخامس من أركان الإسلام وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[4]، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ١، ص ٤٦٩-٤٧٢.

(٢) السيد سابق، فقه السنة، ص ٤٦٦.

(٣) اسم يطلق على أفراد الطبقة العليا وهى طبقة الكهنوت أو رجال الدين عند الهندوس، والذين يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي، لذا فهم كهنة الأمة ولا تجوز الذبائح إلا في حضرتهم وعلى أيديهم، فهم نقاوة الجنس، لذا فهم خيرة الإنس، للمزيد انظر: البيروني، أبوالريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠ هـ/ ١٠٤٨م)، كتاب البيرونى في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، الهند، ١٩٥٨م؛ أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى- الهندوسية- الجينية- البوذية) مكتبة النهضة المصرية، ط ١١، القاهرة، ٢٠٠٠م.

(٤) سورة الحج، آية ٢٧.

سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]، قال ابن كثير: "أمر الله ﷻ إبراهيم عليه السلام أن ينادى في الناس داعياً لهم إلى الحج للبيت الذي أمر ببنائه، وقد قال إبراهيم عليه السلام يا رب كيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم؟ فقيل ناد وعلينا البلاغ، فقام وناد يأيها الناس إن الله قد اتخذ بيتا فحجوه، فيقال إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض وأسمع من في الأرحام والأصلاب وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة "لبيك اللهم لبيك"، ويشهد الناس هناك منافع الدنيا من منافع البدن والتجارات ومنافع الآخرة كرضوان الله"، ويعد الحج أحد دعائم الإسلام وقواعده وأجمع المسلمون على ذلك إجماعاً ضرورياً، وإنما يجب على المكلف في العمر مرة واحدة وذلك مصداقاً لقول النبي عندما سئل أكل عام، قال: لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ذروني ما تركتكم"، فأوجب الحج عند الجمهور[2]، وقد قال النبي ﷺ "من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه"[3]، وفيه يجتمع المسلمون من شتى بقاع الأرض راجين رضى الله، حيث يوقن الحاج أنه لا وصول إلى الله إلا بالتجريد والانفراد لخدمته، وكما كان الرهبان ينفردون في الجبال طلباً للأنس بالله، جُعل الحج رهبانية لهذه الأمة[4]، وبالنسبة للوقت المحدد الذي تحدث عنه الكندي،

---

(١) سورة آل عمران، آية ٩٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، مج ٢، ص ٨١ وما بعدها، وللتعرف على وجوب شروط الحج انظر: التذكرة في الفقه، ص ٩٩؛ الشيخ عبد الغني ابن ياسين اللبدي الحنبلي (ت ١٣١٩هـ)، كتاب دليل الناسك لأداء المناسك على مذهب الإمام المبجل أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، ط ١، مطبعة التقدم العلمية، القاهرة، ١٣٣٠ هـ، ص ١٠ وما بعدها؛ البعلي، الروض الندي، مج ١، ص ٣١٥ وما بعدها؛ الشوكاني، نيل الأوطار، ج ٩، حديث رقم ١/ ١٧٨٣-٢/ ١٧٨٤، ص ١٣-١٨؛ النووي، رياض الصالحين، حديث رقم ١٢٦٩-١٢٨٠، ص ٤٩٢-٤٩٥؛ ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين، مج ٥، حديث رقم ١٢٧١-١٢٨٤، ص ٣١٧-٣٢٧

(٣) الزبيدي، فتح الباري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، حديث رقم ٧٥٦، ص٣٠٩.

(٤) ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص ٤٧.

فكان عليه أن يعلم أن الله هو من حدده قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ...﴾[1]، قالت السيدة عائشة: "خرجنا مع النبي في أشهر الحج وليالي الحج وحُرُم الحج"[2]، قال ابن كثير: "أي إن الحج مخصص في أشهر معينة وهى شوال وذي القعدة وذي الحجة"[3]، ولم يكتف الكندي بذلك بل قارنها بممارسات واستنكر التعري الذي يقوم به المسلمون وكان حري به أن يخبرنا أي تعر هذا الذي يتحدث عنه، وقد أمر الإسلام بستر جسد المسلم فكيف يأمره أن يتعرى بمحفل من الناس، لذا عد هذا إفتراء بين من الكندي، وقد روى أن أحد الصحابة "سئل النبي ﷺ عن العورة ما الذي يأتي منها وما يذر، فقال النبي ﷺ: احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك، فقال الصحابي: فإذا كان القوم بَعضُهم فى بَعض، فقال النبي ﷺ: إن استطعت ألا يراها أحد فلا يرينها، قال الصحابي: فإذا كان أحدنا خالياً، قال النبي ﷺ: "فالله تبارك وتعالى أحق أن يستحيا منه"، وقد دل هذا الحديث أنه لا يجوز النظر لغير من استثنى، فلا يجوز نظر الرجل لعورة الرجل ولا المرأة لعورة المرأة"[4]، والمعروف لدى المسلمون أن رسول الله ﷺ عندما أرسل أبا بكر ﷺ في الحجة التي أَمَرهُ عليها قبل حجة الوداع أمره أن يؤذن في الناس ألا يحج بعد العام مشرك ولايطوف بالبيت عريان[5]، أي أن بعض الناس قبل ذلك كان يطوف عرياناً، فدل هذا الأمر على حفظ حرمة جسد الإنسان، وبالنسبة للبس المحرم فقد روى عنه ﷺ أنه بعدما انطلق من المدينة ترجل وأدهن ولبس إزاره ورداءهُ هو وأصحابه، فلم ينه عن شيء من الأردية والأُزر تُلبَسُ إلا المُزعفَرَةَ التي تَردَعُ على الجلد..."[6].

---

(١) سورة البقرة، آية ١٩٧.

(٢) الزبيدي، فتح الباري، باب قوله تعالى ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ حديث رقم ٧٧٣، ص٣١٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، مج ١، ص ٥٤٠-٥٤٣.

(٤) الشوكاني، نيل الأوطار، ج ٣، أبواب ستر العورة، حديث رقم ١/ ٥١٤، ص ٢٨٢-٢٨٤.

(٥) الزبيدي، باب لا يطوف بالبيت عريان ولايحج مشرك، حديث رقم ٨٠٣، ص٣٢٢؛ مسند الإمام أحمد، ج ٢، حديث رقم ٥٩٤، ص ٣٢.

(٦) الزبيدي، باب ما يلبس المحرم من الثياب والأردية والأزر، حديث رقم ٧٦٧، ص٣١٢.

وقد علق فيليب حتى فقال: "وعلى الحاج أن يكون في حالة الطهارة المرموز إليها بلبس إزار وهو قطعة واحدة من قماش غير مَخيط"[1]، وهذا اللبس يسمى الإحرام[2]، والذي هو ركن أساسى من أركان الحج، وبه يدخل المرء في النسك[3]، وبالنسبة لقول عمار البصري أن المسلمين يُكرمون ما كُرم في الجاهلية فاكرام المسيح أولى، وعمار بهذا القول يوحى بأن الإسلام ما هو إلا امتداداً لآثار الوثنية، وهذا لايصح فالمشهور أن العرب قبل الإسلام قد عظموا البيت الحرام وأكرموه لأنهم أيقنوا أنه بيت الله في الأرض، وعندما جاء الإسلام لم يجد غضاضة في ذلك حيث أن المكرم ليست الحجارة التي بني بها البيت بل رمزية البيت حيث إنتسابه لله خالقهم، أضف لذلك أن الإسلام لم يأت لهدم كل ما سبقه بل هدم الأمور السيئة التي لا تتناسب مع الفطرة السوية، أما وإن وجد أمر حسن أو به بر فالإسلام يؤيده ويشد عليه والأدلة في التاريخ الإسلامي كثيرة.

ثم عرج نيقيتاس على فرية أخرى فقال: "ومن ضمن الاختلافات التي وجدت في كتابه غير المنضبط قوله: إن المعبد تم بناؤه من قبل إسرائيل[4] وإبراهيم، وهو الشيء الذي لم يحدث على الإطلاق كما أنه لم يذكر في الكتاب المقدس، ثم ناقش نيقيتاس البيزنطي تعاليم محمد ﷺ القائلة بأن المكان الأول

---

(١) تاريخ العرب، ص٥٧.

(٢) وهو نية أحد النسكين؛ الحج أو العمرة، أو نيتهما معاً، وهو ركن، السيد سابق، فقه السنة، ص ٤٣٤.

(٣) وأركان الحج ثلاثة الإحرام والوقوف والطواف، وفي السعى روايتان، ولا يحصل وجوب الحج ولا يتم إلا بفعلها، التذكرة في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، ص١٠٢-١٠٣، وللمزيد عن الإحرام وشروطه انظر: الشيخ عبد الغنى ابن ياسين اللبدي الحنبلي، كتاب دليل الناسك، ص ٢٢-٢٦، وللتعرف على ما يباح للمحرم انظر: الإمام مسلم، صحيح مسلم، مج ١، كتاب الحج، حديث رقم ١-١٠، ص٥٢٧ -٥٢٩؛ سنن أبي داود، ج ٣، حديث رقم ١٨٢٣، ص ٢٢٧.

(٤) أخطأ نيقيتاس في الاسم حيث إن إسماعيل هو من ساعد أباه في بناء البيت الحرام وقد صحح demetades الاسم في حاشية ١.

للاجتماع (مكان العبادة) نصب للبشرية في مكة، وحجته أن إبراهيم يوفر شهادة ودليلاً كافياً لدعمه"[1].

والمتأمل لقول نيقيتاس البيزنطي يجده يبرر رفضه أو اعتراضه على ما يقوله النبي محمد ﷺ وذلك من خلال التشبث بأن هذا الأمر لم يذكر في الكتاب المقدس، ويحق لنا القول وهل اتبعت كل ما جاء في الكتاب المقدس الذي حوى أوامر ونواه عدة وتم التغاضي عنها، وهل كل الممارسات التي يقوم بها النصارى مذكورة في الكتاب المقدس ثم ما الضير إن لم تذكر في العهد القديم أو الجديد خاصتكم، وقد ذكرت في الكتاب الخاتم الذي كمل كل ما سبق وتممه، وقد صرح الله تعالى أن إبراهيم عليه السلام هو سن رفع القواعد هو وابنه قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2]، وقد قال ابن كثير: "إن الملك قال لهاجر: لا تخافى الضيعة فإن هاهنا بيتاً لله يبنيه هذا الغلام وأبوه...، وقد قال إبراهيم لابنه إسماعيل عليهما السلام: إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمر ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتاً وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل عليه السلام يأتى بالحجارة وإبراهيم عليه السلام يبني، فاستدل به أن إبراهيم عليه السلام هو أول من بني البيت العتيق"[3].

ويتضح في هذه الفقرة أن نيقيتاس يرفض هذا القول الذي هو ثابت بنص القرآن حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا[4] وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[5] وقد أخبر الله في هذه الآية "أن أول بيت وضع للناس، أي لعموم الناس لعبادتهم

(1) Demetriades, Nicetas Of Byzantium, pp. 35, 38.

(٢) سورة البقرة، آية ١٢٧

(٣) ابن كثير، تفسير القران العظيم، مج ١، ص ٤٢٧ وما بعدها.

(٤) سماها بكة لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابرة، وقيل يكون أي يخضعون عندها وقيل لأن الناس يتباكون فيها، ابن كثير تفسير القران العظيم، مج ٢، ص ٧٨.

(٥) سورة آل عمران، آية ٩٦.

ونُسكهم يطوفون به ويصلون إليه ويعتكفون عنده الذي ببكة أي مكة [1].

ثم أكمل الكندي فقال: "وأما قولك إنك تنظر إلى حرم رسول الله، وتشاهد تلك المواضع المباركة العجيبة فقد صدقت أكرمك الله في قولك انها مواضع عجيبة وأي عجب أعجب من تلك المواضع عند ذوي العقول والتمييز التي يرتكب فيها ما يرتكب من ظلم العقل، والتميز الذي فضل الله به الإنسان على سائر البهائم وأنعم به عليه، وأما قولك انها مواضع مباركة فخبرني ما الذي صح عندك من بركتها أي مريض مضى إليها فبرئ من مرضه أو أي زمن قصدها فنهض من زمانته أو أي أبرص زار ذلك المكان فذهب عنه برصه، أو أي أعمى صيرته إلى تلك البقعة فانفتحت عيناه، أو أي مخبط من الشيطان حمل إلى ذلك البلد فرجع صحيحاً سليماً فما أظنك أبقاك الله بل كيف أنك وحدك، ولا أجد أحداً ممن يتقلد مقالتك أو يرى رأيك يجترئ أن يفكر في مثل هذا ويقول إن مثل ذلك الموضع فعل مثل ذلك، فضلاً عن أن يدلنا على أحد يومئ إليه أنه عوفي وانصرف عن مثل الحال التي طالبناك بها، وكيف أقول وأنت وأهل ملتك ونبيك الذي تفخر به وبحجك إليه ليس أحد على وجه الأرض ممن يضُمُّهُ هذا الفلك المحيط يقدر أن يدعي شيئاً مما طالبناك به أو يصح في يديه إلا من انتحل الملة النصرانية، فهذا أمر قاطع فيك وفي غيرك من جميع أهل الأديان والملل فما معنى إضافتك ذكر البركة والتشريف وإلحاقك ذلك في هذه المواضع، وإنما عرفنا البركات تحل في المواضع التي يُعبد الله فيها حق عبادته، ويا أيها الأبرار الصالحون الأتقياء الذين قد وهبوا أنفسهم لله فهم في طاعته، والدائبون ليلهم ونهارهم لا يفترون ولا يشغلهم عن ذلك شاغل فقد رفضوا الدنيا وخلوها ونزعوا عن قلوبهم الفكر منها والاهتمام بشيء من أمرها فهم أحق بأن تنزل البركات من عند الله عليهم وعلى مساكنهم وتنزل الأشفية والعوافي على أيديهم، وإذا سألوه تعالى أعطاهم واذا طلبوا أنجح طلبتهم، واذا تشفعوا إليه شفعهم واذا دعوه أجابهم لأن موعده لا يخلف فيه ولا يضيع عنده أجر

---

(١) تفسير القرآن العظيم، مج ٢، ص ٧٧.

المحسنين، وكذلك قال الله تبارك وتعالى على لسان داود النبي "الرب قريب ممن يدعوه بالحق يعمل رضى خائفيه ويسمع تضرعهم فيخلصهم يحفظ الرب كل محبيه ويهلك جميع الأشرار[1]، وأكد هذا القول الرب المسيح - تعالى الله عن ذلك - في إنجيله المقدس بقوله اسألوا تُعطوا اطلبوا تجدوا[2]، وقال في موضع آخر "أيما رجلان منكما يتفقان على مسألة أمر ما من الأمور باسمي فإنهما يعطياها من أبي الذي في السموات، فقد أنجز موعده، وحقق قوله وصدق ما جاء به من النور والهدى في إنجيله فليس من مكروب، ولا ملهوف ولا محزون ولا مريض ولا مستغيث يسأله بإيمان صحيح ونية صادقة وقلب سليم من أولياء المسيح باسم المسيح المقدس الطاهر إلا فرج عنه همه وغمه وكره وكفي مؤونة حزنه، ونزلت له العافية والشفاء من الله بواسطة أوليائه وبركة دعاء الصالحين عبادة لأنه طلب الأمر من جهته، وسأل حاجته من الناحية التي تُسأل الحوائج منها فهذه الديارات العامرة بالبيع، وجميع المواضع التي يذكر فيها اسم المسيح مخلص العالم، ويأوى فيها الرهبان ممتلئة من هذه البركات تفيض على جميع من صار إليها، وقصدها بإخلاص نيته وسلامة قلبه، واسترسال إلى من يسكنها وتصديق لما في أيدي من يطلب منه ذلك فيضاً لا يطلب من أحد ثمناً، ولا مكافأة ولا ينال على ذلك جزاءً ولا شكراً؛ لأن السيد المسيح مخلص العالم قال في إنجيله الطاهر "مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا ولا تأخذوا ذهباً ولا فضة"[3]، فهم حافظون لوصيته تابعون أمره مقتفون أثره وهو جل ذكره راع يسمع دعائهم ويؤتى البركات وينزل الرحمة والأشفية على أيديهم للناس كافة إلا من عاند الحق وارتد خائباً وصد مُعرِضاً عن التقوى فإنه يخيب ويخسر على أنه إن رجع قل كما يقبل الأب الابن الحبيب الذي نير الضالة يشرد عن بيت ابيه ثم يعاتب نفسه فيرجع نادماً تائباً عارفاً بما يجب عليه من الحق اللازم له مقراً بخطيئته

---

(١) مزامير، الإصحاح المئة والخامس والأربعون، آية ١٨-٢٠.

(٢) إنجيل متى، الإصحاح السابع، آية ٧.

(٣) متى، الإصحاح العاشر، آية ٨-٩.

متنصلاً من ذنبه متخذلاً ذليلاً لما جنى من نكوصه وشرة فتتلقاه رحمة أبيه فتقبله حق القول ويُسر بتوبته واعتذاره ويفرح بموافاته وأوبته، ولا يؤاخذه بما جناه على نفسه بقلة معرفته وجهل صبائه ثم يقول له إنك أنت كنت ميتاً فعشت وضالاً فاهتديت ومستغوياً فرشدت، فميز أصلحك الله الأمرين ولا تتداخلنك الحمية فإنها ثمرة كيد الشيطان إن الشيطان كان للإنسان عدواً، فهل ترى لي يرحمك الله أن أدع ما في يدى من هذه النعمة العظيم قدرها الجليل خطرها التي تغبطني الملائكة عليها فضلاً عن بني البشر من ذرية آدم، وما كانت الأنبياء والملوك والأبرار تترجاه وتتوق أنفسها إليه وآخذ بما كتبت به إلى مما يأنف منه طبعي ويأباه تمييزي ويلومني عليه عقلي وينفر منه، ما أظنني أكون فعلت ذلك لنفسي من الناصحين"[1].

وللرد على فريته لابد من القول أن الله ﷻ لا يحتاج لواسطة بينه وبين عبيده، حيث قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[2] أي أنه سبحانه لا يخيب دعاء داع، ولا يشغله عنه شيء بل هو سميع الدعاء يجيب عبيده ما لم يدعوا بإثم أو قطيعة رحم[3]، وقال: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[4]، ينبه سبحانه أنه هو المدعو عند الشدائد والمرجو عند النوازل، فلا يقدر على ذلك إلا الله لأنه المتفرد بفعله[5]، وقد حاول الكندي أن يرسخ أن أماكن عبادته بها إجابة الدعاء وتتنزل بها الخيرات على زوارها ملمحاً أن هذا مختص بهم فقط، وتناسى قول الله

---

(١) رسالته، ص ١٠٥-١٠٨

(٢) سورة البقرة، آية ١٨٦

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ١، ص٥٠٦-٥٠٩.

(٤) سورة النمل، آية ١٦٢.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٦، ص ٢٠٣-٢٠٦

﴿ لِيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ ففي البيت الحرام تتنزل رحمات الله على زواره، بل من جليل رحمته سبحانه أن ينظر للعصاة من عبيده برحمة وعفو فيعفوا عمن أساء ما دام قد تاب وأناب وعزم على عدم العودة مرة أخرى.

ثانياً: الممارسات الإسلامية:

أ- الختان[1]:

كان للختان نصيب في كتابات الجدليين البيزنطيين فتعرض يوحنا الدمشقي للختان فقال: "وأوصاهم بأن يختتنوا وكذلك نسائهم"[2].

كما تم التعرض لموضوع الختان خلال المناظرة التي حدثت بين الخليفة المهدي والبطريرك تيموثي حيث سأله الخليفة: "هل كان المسيح مختتناً أم لا؟ فأجابه البطريرك: نعم، فقال له الخليفة: فلماذا لا تختتن إذا كان رئيسك ومرشدك يسوع المسيح قد اختتن؟، فيلزمك من الضرورة أن تختتن أنت أيضاً، فأجابه البطريرك قائلاً: أيها الملك إن يسوع المسيح قد اختتن واعتمد أيضاً؛ وختانته كانت بعد ثمانية أيّام، حسب أمر الناموس وعماده صار بعد ثلاثين سنة تقريباً؛ وأبطل الختانة بعماده فالمسيح حفظ الناموس كلّه ليجذب اليهود إلى الخلاص، وأنا لست ملتزماً بأن أحفظ الناموس إلا الإنجيل؛ لأجل ذلك فلو أن المسيح قد اختتن، فأنا لا أختتن بل أعتمد

---

(١) من مصدر ختن أي قطع، وهو قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص، وهو قطع جميع الجلدة التي تغطي الحشفة حتى ينكشف جميع الحشفة، لئلا يجتمع فيها الأوساخ، وليتمكن من الاستبراء من البول، ولئلا تنقص لذة الجماع بالنسبة إلى الرجل، وأما المرأة فيتم قطع أدنى جزء من الجلدة التي في أعلى الفرج، ويسمى إعذاراً، ويختص بالنساء الخفض، وهو سنة قديمة، الشوكاني، نيل الأوطار، ج ١، ص ٤٢١، ويعد الختان من سنن الأنبياء التي اختارها الله، وأمر بالاقتداء بها وجعلها من قبيل الشعائر التي يكثر وقوعها ليُعرف بها أتباعهم ويتميزوا بها عن غيرهم، السيد سابق، فقه السنة، ص ٢٨.

(٢) الهرطقة المئة، ص ٦١.

بالماء والروح مثلَه، وأعتقد به وإن المسيح اعتمد، فالضرورةُ تلزمني بالعماد؛ وبذلك، أترك الظل والرمز، وأتبع الأصل والحقيقة لأن الختانة رمز لعماده، ثم سأله الخليفة: كيف أبطل يسوع الختان؟ وما هو الرمز الذي قلت عنه؟ فأجبه البطريرك: أيها الملك إن التوراة بأسرها كانت رمزاً للإنجيل، والذبائح التي كانت مسطورة في الناموس كانت رمزاً لِذبح المسيح، ثم الكهنوت وحبريّة الناموسِ كانتا رمزاً لكهنوت المسيح وحبريّته، والختانة الجسديّة كانت رمزاً لختانتِه الروحيّة وكما أبطل بإنجيلِه التوراة، وبذبحه الذبائح، وبحبريتِه الحبرية الناموسيّة؛ هكذا قد أبطل الختانة التي كانت تكمل بفعل الأيادي البشريّة بختانته - أي بعماده - التي لم تصر بفعل أيادي البشر، بل بقوة الروح القدس، وهي سر عن ملكوت السماء، وعن القيامة من بين الأموات وليس بإبطالة الختانة مضادة الناموس فقال الخليفة: إذا كان عيسى ﷺ أبطل الناموس وجميع أوامره فإذا كان عدواً له ومضاداً؛ لأن المضادة تقال عن الأشياء التي تنقض بعضها بعضا"[1].

وقد تكرر نفس الجدال في بلاط الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨ هـ/ ٨١٤-٨٣٣م) الذي وجه سؤالاً لأبي قرة فقال له: "أريد أن أسألك عن شيء، فقال له أبو قرة: وما هو الشيء يا سيدي؟، فقال: أليس تعلم يا أباقرة بأن القلفة نجسة، قال أبو قرة: تعلم يا أمير المؤمنين أن الله عز وجل خلق أبانا آدم من تراب، ونفخ فيه من نسمة الحياة، قال نعم، فقال أبوقرة: ثم إن الله سبحانه جبله بيمينه على صورته ومثاله، قال نعم، فقال أبوقرة: فهل يخلق الله شيئاً نجساً ويصوره على شبهه ومثاله ويسكنه جنته، قال المأمون: معاذ الله أن يخلق شيئاً نجساً، قال أبوقرة: فنحن الآن نشبه آبانا آدم، فضحك المأمون وأطرق طويلاً، ثم قال يا أباقرة بارك الله فيك لقد صدقت، فكيف أنزل الله الختان على إبراهيم وما سبب ذلك؟، قال أبوقرة: الله سبحانه خلق آبانا آدم أغلفاً، ولم يكن فيه

---

(1) Hackencurg, Ar. Arabic- to English translation, pp. 68-71 .

شيء نجس وكان بين آدم وإبراهيم أربعة وثلاثين جيلاً لأن من آدم إلى نوح عشرين جيلاً، ومن نوح إلى إبراهيم أربعة عشر جيلاً، وكانوا جميعاً غلفاً، ولم يأمر الله بالختان قط إلى زمان إبراهيم واعترف بالله وآمن به، وكفر بالأصنام ورذلها أراد الله أن يكون هو وقبيلته المعترفين بالباري سبحانه موسومين مثل من يوسم غنمه وخرافه ليبان المؤمنون من عبدة الأصنام فوسم إبراهيم الناس[1] كلهم إلى مجئ السيد المسيح فلما جاء السيد المسيح له المجد أبطل تلك الشرائع التي كان رسمها موسى وكان قد رسم لبنى إسرائيل شرائع ونواميس فلم يقبلوها وما امتثلوا بها فجعل السيد المسيح للأمم عهداً جديداً"[2].

كما قال نيقيتاس البيزنطي "لا يمكن للهاجريين أن يستخدموا عادة الختان، وحقيقة انتسابهم لإبراهيم ليجادلوا بأنهم يعبدون إله إبراهيم؛ لأنهم ليسوا مخلصين لتوحيده فالختان ليس دليلاً على أن إله الهاجريين هو نفس إله إبراهيم، فختان إبراهيم كان تأكيداً على رفضه عبادة كل الأصنام، وبما أن محمد عبد الصنم الذي هو أقدم واحد في صحراء يثرب، ومعبوداً على شكل أفروديت، لذا فالوثنية والختان لا يمكن أن يجتمعا فإله المسلمين هو إله بالاسم فقط؛ لأنهم من حيث استبدلوا الله الحقيقي بشيء جزئي من صنعهم، فعبدوا إلهين متضادين حقيقي وكاذب أو بالأحرى اثنين من الآلهة الذين ليس لديهم شيء مشترك، وقد حرض رسول الهاجريين ليس على الختان فحسب، بل أيضاً على الوثنية واستحضار الأرواح"[3].

---

(١) هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يُختتن منكم كل ذكر فتختتنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم ابن ثمانية أيام يُختتن منكم كل ذكر في أجيالكم..." انظر: سفر التكوين، الإصحاح السابع عشر، آية ١٠-١٣.

(٢) مجادلة أبوقرة، ص ٦٥-٦٦.

Beritania, an Arabic, 434 –437, it's transferd from Arabic Transcription of Vatican Borgia Arabic MS135

(3) Demetriades, Nicetas Of Byzantium, pp. 63-64, 97.

قال ديميترويس ربما أرواح المتوفين، ص ٩٧، حاشية ١.

كما قال جورج الراهب: "وعلمهم أن ختان الرجال والنساء هو عبادة الله"[1].

أما الكندي فقد حاول أن يوضح قصة الختان فقال: "وأما الختان فينبغي لك أن تعلم قصته ثم تحث الناس على ذلك، وأن يمتثلوا سنة إبراهيم أبيهم فأقول إن الله جل اسمه لما كان مزمعاً أن يدخل بني إسرائيل الذين هم ولد إبراهيم أرض مصر، ولم يزل عالماً أن الشيطان سوف يحملهم على ارتكاب الفواحش التي حرمها عليهم ونجس أهلها جعل هذا سبباً لمن أراد ارتكاب الفاحشة من امرأة مصرية نظرت إلى هذه العلامة التي في جسده وهى الختان فامتنعت، ولم تواته فوسمهم الله بهذه السمة لهذه العلة فكيف تحث الناس على الختان وأنت تعلم أن صاحبك لم يختتن كزعم أهل مقالتك على ما نقلت الرواة عنه أنه لم يكن مختوناً البتة لأنهم شبهوه كما ادعوا له ذلك انه كآدم أبي البشر وشيث ونوح وحنظلة بن صفوان، وهذا خبر ليس أحد من أصحابك ممن يعتقد مثل اعتقادك يشك في صحته فإن قلت إن المسيح قد اختتن، قلنا لك: قد إختتن لإقامة سنة التورية لئلا يرى أنه استخف أو نقص شيئاً من سننها ثم أكد ذلك بقوله: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء بل لأكمل"[2]، وكذلك قال رسول الحق بولس إن كنتم تختتنون لأن المسيح أختتن فإن ذلك لا ينفعكم شيئاً، ولا الغرلة أيضاً تضر شيئاً مع الإيمان الصحيح والقلب السليم النقي، وإلا فيجب عليك أيضاً أن تقرب القرابين وتحفظ السبت، وتعمل الفصح وتقيم شرائع التوراة كلها كما أقامها المسيح سيدنا فإنه بفضل ذلك ورفعه عنا وأكمله وأتمه بفعله إياه، وكفانا مؤونة العمل بشيء منه وأغنانا بيننه الحسنة الالهية وشرائعه الروحانية التي دفعها إلينا عن السنن التي شهد جل وعز على لسان نبييه قائلاً: إني أعطيتكم يعني بني إسرائيل سنناً ليست بحسنة وشرائع لن تقدروا أن تقوموا بها، فان أنصفنا علمت أن الختان ليس هو عليك فريضة واجبة لأن كتابك الذي تدعي أن فيه شرائع ديانتك يذكر أن الختان ليس شريعة واجبة، وإنما هو سنة من شاء استحسنها وعمل بها، ومن شاء استشنعها ولم يعمل بها، فأما

---

(1) Chronicon, p. 867.

(٢) إنجيل متى، الإصحاح الخامس، آية ١٧ -١٨.

خفض النساء فالقصة فيه أن سارة زوج إبراهيم ﷺ لما رأت إعجاب إبراهيم ﷺ بهاجر أمتها المصرية حين وهبتها له وأطلقت له أن يطأها لحقها ما يلحق النساء من الغيرة على أزواجهن فخفضت أمتها بيدها أرادت تشويهها وأن تهتك الموضع الذي توهمت أن إبراهيم ﷺ يعجب به منها، فكان ذلك على إيقاع العيب بهاجر أمتها والتشفي منها فلما صارت هاجر إلى بلد تهامة وتزوج إسماعيل ﷺ عمدت إلى امرأته فخفضتها لئلا تعيرها بذلك، وأوهمتها أنها سنة لإبراهيم ﷺ فعندما ولد لإسماعيل ﷺ ولد عمد إلى الذكور من ولده وولد ولده وأقام فيهم سنة إبراهيم ﷺ، وعمدت امرأة إسماعيل ﷺ إلى الإناث من أولادهم فخفضتهن، وأقامت فيهن العلامة التي ورثتها من هاجر على إنها سنة كالختان للذكور، والدليل على ذلك أنه لم ينزل فيه أمر ولا نهى، ولا جرى له ذكر في شيء من الكتب المنزلة، وإنما عملت به العرب على حسب ما جرت به سنة البلد، ولولا أن الديانة عندى أشرف من الحسب الجسدانى الزائل لكان بوسعى السكوت عن هذه الأمور إذ كنت أنا أيضا من ولد إسماعيل ﷺ منتمياً إليه لكنى رجل نصراني ولي في هذه الديانة سابقة هي حسبي ونسبي وشرفي الذي أتشرف به، وأفتخر بمكاني منه وأرغب إلى الله في أماتتى على هذه الديانة، وحشرى عليها فإنه غاية أملي ورجائي الذي أرجو به الخلاص من العذاب في نار جهنم، والدخول إلى ملكوت السماء والخلود فيها بفضله وإحسانه وسعة رحمته"[1].

ولتفنيد ما سبق يتضح أن جميع الجدليين اتفقوا على رفض الختان، أما يوحنا الدمشقي فتحدث عن الختان بشيء مقتضب، ولعل مرد ذلك عدم تأييده له، أما ثيودور أبو قرة فقد جاء حديثه عن الختان في معرض جداله في بلاط الخليفة المأمون، حاول فيها أن يظهر الخليفة كمن لا يستطيع أن ينتقى ألفاظه فيعلمه أبو قرة خطأه فيتقبله الخليفة بكل أريحية ودون اعتراض، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أظهر الخليفة مسلماً كل جوارحه لأبى قرة ليعلمه ما يجهله، ثم شرح أبو قرة أن الختان شرع للتمييز بين المؤمنين وعبدة الأصنام، وظل هذا

(١) رسالته، ص٩٨-١٠٣.

الأمر إلى مجيء المسيح الذي أبدل الشرائع بعهد جديد، ويعد هذا المنطق سقيم فهل قطع جزء من الجسم يميز المؤمنين من غيرهم.

وبالنسبة لقول أبي قرة أنه لم يوجد ختان إلى عهد إبراهيم ﷺ...، ينقد قوله هذا ما جاء في إنجيل برنابا حيث قال المسيح: "لما أكل آدم الإنسان الأول الطعام الذي نهاه الله عنه في الفردوس مخدوعاً من الشيطان عصى جسده الروح، فأقسم قائلاً: تالله لأقطعنك، فكسر شظية من صخر وأمسك جسده ليقطعه بحد الشظية، فوبخه الملاك جبريل على ذلك، فأجاب لقد أقسمت الله أن أقطعه فلا أكون حانثاً، حينئذ أراه الملاك زائدة جسده فقطعها، فكما أن جسد كل إنسان من جسد آدم وجب عليه أن يراعى كل عهد أقسم آدم ليقومن به، وحافظ آدم على فعل ذلك في أولاده، فتسللت سنة الختان من جيل إلى جيل، إلا إنه لم يكن في زمن إبراهيم سوى النزر القليل من المختونين على الأرض، لأن عبادة الأوثان تكاثرت على الأرض، وعليه فقد أخبر الله إبراهيم ﷺ بحقيقة الختان، وأثبت هذا العهد قائلاً: النفس التي لا تختن جسدها إياها ابدأ من بين شعبي إلى فارتجف التلاميذ خوفاً من كلمات يسوع لأنه تكلم باحتدام الروح، ثم قال يسوع: دعوا الخوف للذي لم يقطع غرلته لأنه محروم من الفردوس[1]، ومعنى الختان عند أهل الكتاب التطهير وهو من الشعائر المعروفة في اليهودية[2]، وهو قطع لحم غرلة كل ذكر ابن ثمانية أيام وقد جعل هذا الطقس علامة عهد بين الله وإبراهيم ﷺ الذي اختتن هو وأهل بيته وعبيده الذكور، وكان الختان يقوم به عادة رب البيت أو أحد العبرانيين وأحياناً الأم[3]، وقد ختن إبراهيم ﷺ وهو في التاسعة والتسعين وإسماعيل ﷺ وهو في الثالثة عشرة[4] ثم تجددت سنة الختان

---

(١) الفصل الثالث والعشرون، أصل الختان وعهد الله مع إبراهيم ولعنة الغلف، ص ١١٣.

(٢) أعطاكم موسى الختان ليس لأنه من موسى بل من الآباء، انظر إنجيل يوحنا، الإصحاح السابع، آية ٢٢.

(٣) فأخذت صفورة صَوانة وقطعت غُرلة ابنها...، خروج، الإصحاح الرابع، آية ٢٥-٢٦.

(٤) في ذلك اليوم خُتن إبراهيم وإسماعيل ابنه وكل رجال بيته...، تكوين، الإصحاح السابع عشر، آية ٢٦-٢٧، وقد ذكر أن النبي قال أن إبراهيم ﷺ أختتن بعدما أتم عليه ثمانون سنة واختتن بالقدوم"، الشوكاني، نيل الأوطار، ج ١، حديث رقم ١٤/ ١٣١، ص٤٢١.

لموسى عليه السلام[1] فقضي أن لا يأكل الفصح رجل أغرل، وكان اليهود يحافظون كل المحافظة على هذه السنة، وقد كان فرضاً دينياً للتمييز بين نسل إبراهيم وباقي الناس، ومعنى الختان الروحى لدى اليهود هو تكريس الجسد ولذلك كانوا يدعون أنفسهم أهل الختان، وفي بكور العصر المسيحي زعم فريق من اليهود المنتظرين أن حفظ تلك السنة ضروري للخلاص.

أما الكندي فقد بدا أكثر إلماماً من الجدليين الآخرين في هذا الموضوع حيث حاول التعرض لجميع جوانبه فذكر سبباً آخر للختان غير الذي ذكره ثيودور أبو قرة، فجعل الغرض منه حامية بني إسرائيل من الوقوع في الرزيلة بأرض مصر، وهو يشير إلى أن المرأة المصرية عندما ترى الإسرائيلي مختتن تمتنع عنه، وفي ذلك إشارة إلى أن المصريين كانوا لا يحبذون الختان، ولكن كيف ذلك وقد كان الختان شائعاً ومعروفاً بين المصريين[2]، حتى وإن افترضنا صحة قوله فإن هذا الأمر ما كان ليحول أمام الزنا إذا عُقدت النية لفعله، ولوكان الأمر حقيقي لوجد قانون أو موروث شعبي لدى المصريين يقلل من قيمة المختتن ويمنع إقامة علاقة معه، لذا كان حرى بالكندي أن يوضح علة الأمر، ثم إن الكندي تساءل متعجباً أنه في الوقت الذي يتحدث الناس فيه عن الختان فإن نبيهم لم يختتن مؤكداً أن كلامه هذا من كتب المسلمين، وهذا الاقتباس إن دل على شيء فيدل على انه لم يفهم ما استشهد به حيث روى ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما قال: "ولد رسول الله ﷺ مختوناً مَسروراً، قال فأعجب به جده عبد المطلب وحظي عنده..."[3].

ثم وضع الكندي شبهة أخرى وهى أن الختان لم يذكر في القرآن فهو سنة، للمرء الحرية في فعلها أو لا، وللرد على هذا الأمر نجد أنه على الرغم من أن الختان لم يأتِ ذكره في القرآن على الإطلاق، ولكن يجري تنفيذه من

---

(١) وفي اليوم الثامن يُختتن لحم غرلته، لاويين، الإصحاح الثاني عشر، آية ٣.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٣٣.

(٣) البيهقي، دلائل النبوة، السفر الأول، ص ١١٤، ولم تجد الباحثة هذا القول لدى ابن إسحاق أو ابن هشام.

جميع المسلمين باعتباره سنة نبوية وذلك إتباعاً لإبراهيم ﷺ، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]، وقد قال نفس القول نبي الله عيسى بن مريم ﷺ موضحاً لتلاميذه سبب الختان حين قالوا له: قل لنا يا معلم لأى سبب يجب على الإنسان الختان؟ فأجاب يسوع: يكفيكم أن الله أمر به إبراهيم قائلاً: يا إبراهيم اقطع غرلتك وغرلة كل بيتك؛ لأن هذا عهد بيني وبينك إلى الأبد[2]، وقد جاء في صحيح البخاري في باب الختان من كتاب الإستئذان "عن النبي محمد ﷺ قال: الفطرة خمس: الختان والإستحداد ونتف الإبط وقص الشارب وتقليم الأظافر"[3]، وبالنسبة لتبريره لإختتان المسيح ﷺ مستشهداً بقوله "لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء بل لأكمل" فهذا القول يدينه وإن دل على شيء فإنما يدل على أن الختان مستمر في شريعة المسيح، وبالنسبة لاستشهاده بقول بولس: "إن كنتم تختتنون لأن المسيح اختتن فإن ذلك لا ينفعكم شيئاً..."، إن دُعي أحد وهو مختون فلا يصير أغلف، إن دُعي أحد في الغرلة فلا يختتن، ليس الختان شيئاً وليست الغرلة شيئاً بل حفظ وصايا الله"[4]، فهذا من كلام بولس وليس من كلام المسيح، ولا يعد لهذا القول أهمية إذ ينقضه ما قاله المسيح أعلاه.

لذا نستطيع أن نخلص إلى أن تلاميذ المسيح هم من عملوا على تحريم الختان بعد رفعه، ففى سفر أعمال الرسل حدثت منازعة بين اليهود وبرنابا وبولس حول الإختتان، ولكن انتهى الأمر بذكر ما صنع الله من معجزات وآيات وعجائب في الأمم بواسطتهم مؤكدين انه لم يميز بينهم بشيء

---

(١) سورة النحل، آية ١٢٣.

(٢) إنجيل برنابا، الفصل الثاني والعشرون، ص١١٢.

(٣) الإمام مسلم، صحيح مسلم، مج ٢، حديث رقم ٤٩ (٢٥٧)، ص ١٣٣-١٣٤؛ النووي، رياض الصالحين، حديث رقم ١٢٠١، ص ٤٧١-٤٧٢، وللمزيد يمكن الرجوع إلى: البعلي، الروض الندي، مج ١، ص ٤٦، أبن عثيمين، شرح رياض الصالحين، مج ٥، حديث رقم ١٢٠٣، ص٢٢٨-٢٣١

(٤) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح السابع، آية ١٨-١٩.

لأنه طهر بالإيمان قلوبهم محاولة منهم لثنيهم عن الختان[1] فقال بولس: "لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة "[2] لذا فالمعمودية[3] في العهد الجديد أخذت نفس المكانة التي كانت للختان في العهد القديم[4].

ومما سبق يتضح أن بولس هو من ألغى الختان واستبدله بالمعمودية، ثم أن يعقوب بعدما خطب في المجتمعين قدم لهم مقترحاً أن يحصروا المحرم على الأمم كي لا يشقوا عليهم في أربعة وهي: الزنا وأكل المخنوق والدم وما ذبح للأوثان، لكن حدث شقاق بين برنابا وبولس افترقا على إثره ووجد بولس أن الختان يشق على بعض من يدعونهم إلى النصرانية فيفرون منها بسببه فقال ما قاله[5]، وفي تعليق قاموس الكتاب المقدس على الإصحاح الخامس عشر من سفر أعمال الرسل" وفيه تحررت الكنيسة من قيود الختان للمسيحيين من الأمم[6].

---

(١) الإصحاح الخامس عشر، آية ١-١٢

(٢) رسالة بولس إلى أهل غلاطية، الإصحاح الخامس، آية ٦، الإصحاح السادس، آية ١٥

(٣) طقس الغسل بالماء رمزاً للنقاوة والانخراط في سلك طائفة ما، وقد عرفها اليهود واستخدموها وعندما جاء يسوع تبناها، وهي طقس مسيحي يمثل دخول الإنسان الحياة المسيحية، وتتمثل المعمودية باغتسال المعمّد بالماء بطريقة أو بأخرى وتتأصل المعمودية المسيحية في كهنوت يسوع الناصري وفي موته وقيامته فهي اندماج في المسيح، ودخول في العهد الجديد بين الله وشعبه، وقد ورد ذكرها في الكتاب المقدس "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس"، إنجيل متى، الإصحاح الثامن والعشرون، آية ١٩، وينظر إليها كنعمة حياة ولا تزال الكنائس حتى اليوم تقوم بهذه الممارسة، وللمزيد عنها انظر: يوحنا الذهبي الفم، ثماني عظات في المعمودية، المكتبة البولسية، ط ١، بيروت، ١٩٩٣م، بيان ليما المعمودية الإفخاريستيا والكهنوت، تعريب الأب ميشال نجم، منشورات النور بالاشتراك مع مجلس كنائس الشرق الأوسط، ١٩٨٤م، قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٣٦.

(٤) قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٣٣.

(٥) انظر سفر أعمال الرسل، الإصحاح الخامس عشر، آية ١٣-٢٩.

(٦) تأليف نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير د/ بطرس عبد الملك وآخرون، ص٦٥، رقم ٤.

وللترجمان تعليق رائع قال: "ومما يعيبه النصارى على أهل الإسلام الختان فيقال لهم: إن عندكم في الإنجيل أن عيسى عليه السلام كان مختوناً ويوم ختانه هو عندكم من أكبر الأعياد[1]، فكيف تنكرون على المسلمين ما أنتم تعظمونه من أمر نبيكم؟ ثم إنكم تعتقدون أن إبراهيم عليه السلام وجميع الأنبياء كانوا مختونين وأن الله تعالى أمركم بالختان كما هو في التوراة فالعيب عندكم والملام عليكم لأنكم تركتم سنة نبيكم في الختان وخالفتم فيه جميع الأنبياء ثم تعيبونه وكل من عاب أفعال الأنبياء فيما شرع الله لهم فقد كفر بالله وبأنبيائه[2]، وإذا كان قطع الغرلة لا ينفع مع الإيمان كما ذكر الكندي، فالمعمودية لا قيمة لها ما دام القلب غير سليم وقد وجد نوع من التناقض لدى بولس فرغم إنه أعلن أن الختان لا ينفع شي إلا أنه ختن تيموثاوس من أجل اليهود الذين في تلك الأماكن لأن الجميع كانوا يعرفون بأن أباه يوناني[3]، وهذا يدل على أن الأمر يقع وفق الأهواء والمصالح الشخصية، فإن كان أمر المنع نابعاً من المسيح عليه السلام لما تجرأ بولس أن يفعله.

أما نيقيتاس البيزنطي فقد اتضح أنه لا يحيد عن هدفه ففي كل فقرة يكتبها يحاول أن يثبت أن محمد ليس رسولاً، لذا استغل حديثه عن الختان لتأكيد زعمه الباطل وهو أن المسلمين وثنيين ويعبدون الأصنام، لذا يرى الختان الذي كان سببه التفريق بين عبدة الأصنام وعبدة الله لا يمكن أن يجتمعا، وبالنسبة للحديث عن ختان الإناث فنجد أنه لم يتعرض لهذا الأمر إلا يوحنا الدمشقي والكندي، لكن الكندي قد تفرد بالحديث عن سبب ختان الاناث بشيء من الإسهاب ليشعر القارئ خلال قراءته أنه أمام نوع من الغيرة النسائية، والتي تنتهي بالانتقام والتشويه، وهذا الأمر لا يليق بزوجة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام إذ كيف للكندي أن ينسب لها القيام

---

(١) رغم ترك الختان وإبداله بالتعميد إلا أن النصارى إلى الآن لا يزالون يحتفلون بعيد الختان ويعظمونه ويعطلون أعمالهم وذلك في الأول من كانون الأول وهو من الأعياد الثابتة وتحتفل به كل الطوائف التالية: الموارنة، السريان، الأرمن، الكلدان، اللاتين، الملكيون)، الترجمان، تحفة الأريب، ص٢٤٦، حاشية رقم ٢ المحقق.

(٢) الترجمان، تحفة الأريب، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٣) سفر اعمال الرسل الإصحاح السادس عشر، آية ١-٣.

بهذا الفعل، وهي التي كما يزعم النصارى بارك الله نسلها[1]، وحاشا لله أن يجازى بهذا الإكرام والشرف من يحمل في قلبه مثل هذه القسوة، ثم أين إبراهيم ﷺ من هذا ما هو رد فعله لما حدث لجاريته، فكان حرى بالكندي أن يكمل لنا قصته المهترئة بذكر موقفه، ثم انتقل بنا الكندي لشئ آخر لا يقل إهتراءً عما سبق ذكره فقال إن هاجر ختنت زوجة ابنها إسماعيل ﷺ خوفاً من أن تعيرها فأوهمتها أنها سنة إبراهيم، ويحار المرء من هذا القول إذ كيف لزوجة ابنها أن ترى هذا الموضع منها؟! وهذا القول لم يرد ذكره في الكتاب المقدس، فلماذا قبله وهو الذي يرفض أي شيء جاء به النبي محمد ﷺ لم يذكر في الكتاب المقدس أم أنه يكيل بمكيالين فمن أين استقى الكندي هذا القول، وبالنسبة لقول الكندي أن الختان لم يرد به نهى ولا ذكر في الكتب المنزلة والعرب قاموا به على سبيل العادة، فالمعروف أن الإسلام هو الدين الخاتم فليس منطقي أن يلغي الرسول كل ما كان قبله، لذا ما وجد حسناً ترك وأمر الناس بترك ما دون ذلك، ثم يوضح أنه ما تحدث إلا لأنه ليس من بني إسماعيل ﷺ، وإلا لآثر السكوت وبهذا يلمح أن المسلمين قد يقبلون ما هو خطأ لأنهم ينتمون لهذا الدين، ثم يفتخر الكندي بديانته ويتمنى أن يحشر عليها ونأمل أن يكون الله قد استجاب له، والمتأمل للختان يجد أن النبي ﷺ قد قال "الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء"، ويقال إنه ﷺ قال: لأم عطية وكانت خافضة، أشهى ولا تنهكي، وأيضاً، يا نساء الأنصار اختضبن غمساً واختفضن ولا تنهكن وإياكن وكفران العشير"[2].

ب - ما حرم من الأطعمة والأشربة :

لم يترك الجدليون البيزنطيون باباً ليهاجموا الإسلام من خلاله إلا طرقوه، وكانوا يستخدمون بعض النصوص الواردة في القرآن الكريم أو في السنة النبوية كدليلاً على صحة موقفهم، وقد كان يعوزهم سوء الفهم لهذه النصوص فلم

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح السابع عشر، آية ١٥-١٦، ١٩.

(٢) اختلف العلماء في أمر الختان بالنسبة للنساء فمنهم من قال بوجوبه، وآخرون بعدم وجوبه، وآخرون قالوا بأنه مكرمة: الشوكاني، نيل الأوطار، ج ١، ص ٤٢٤-٤٢٧؛ البعلي، الروض الندي، مج ١، ص ٤٦؛ ابن تيمية، مجموع فتاوى، مج ٣، ص١١٠٦، وترى الباحثة أن الطبيبة هي مِن تحدد إن كانت الأنثى بحاجة له أم لا.

يفهموا كنهها والحكمة منها، وقد كان لتحريم الإسلام بعض الأطعمة والأشربة نصيب في كتابات البيزنطيون، فقال يوحنا الدمشقي: "مانحاً لهم أن يأكلوا بعض الأطعمة المحرمة من الشريعة، وأن يمتنعوا عن أطعمة أخرى، وقد حرم عليهم أيضاً شرب الخمرة على الإطلاق"[(١)].

أما نيقيتاس البيزنطي فقد قال: "ميز محمد بين الحيوانات الطاهرة / المقبولة، والنجسة/ المرفوضة، فحث البرابرة أن يأكلوا أي لحوم باستثناء لحوم الخنازير فلم يحرم محمد إلا لحمها، وقد سمح محمد لأتباعه بأن يأكلوا دون خوف لحوم الحمير، والبغال والجمال والكلب والذئب أو أي نوع آخر من اللحوم ذوات الأربع قائلاً لهم: كلوا كل ما هو موجود على الأرض؛ لأنه نظيف وجيد، وقد رأى نيقيتاس البيزنطي أن هذا يتناقض مع إرادة الله الذي يميز بين النظيفة وغير النظيفة "[(٢)].

أما ثيوفانيس فقد قال "لكن عندما رأوه أكل لحم الإبل أدركوا أنه لم يكن من ظنوا أن يكون"[(٣)]، كما قال جورج الراهب "ومنعهم من أكل لحم الخنزير"[(٤)].

وقال الكندي: "وكذلك يفعل من اجتنب منا أكل لحم الخنزير كاجتنابه أكل لحوم الحمير والجمال لأن ذلك غير محرم عليه؛ لأن الله لم يخلق شيئاً قبيحاً كقوله جل اسمه في التوراة على لسان موسى نبيه في سفر الخليقة "فنظر الله إلى جميع ما خلقه فرأى حسناً جداً"[(٥)]، فالله تبارك وتعالى استحسن كل ما خلق أفأجترئ أنا وأقول عن شيء خلقه أنه قبيح أو حرام إذاً أكون معانداً لله مقاوماً ما خلقه واستحسنه، ومعاذ الله أن أكون لربي معانداً بل كل ما خلقه الله مما تقله نفسي، ويجوز لي في طبيعتي آكله فهو مطلق لي ولجميع ولد آدم غير أكل الدم والميتة وما ذبح للأصنام؛ فإنه نزل في تحريمه أمر من الله نص، والسبب في تحريم لحم الخنزير والجمل وغيرهما مما حرم على بني إسرائيل

---

(١) الهرطقة المئة، ص ٦١.

(2) Demetriades, Nicetas of Byzantium, pp. 36, 41-42.

(3) chronographia, p. 464.

(4) chronocion, p. 867.

(٥) تكوين، الإصحاح الأول، آية ٣١.

أكله فذلك إنما حرم عليهم لعلة معروفة مشهورة لأنهم حيث كانوا مقيمين بمصر نظروا إلى أهل مصر يعبدون الأصنام التي كانت على خلق الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم ألا ترى كيف أجاب موسى عليه السلام فرعون قائلاً له: لن يجوز أن نقرب لله قرابين تجاه المصريين؛ لأننا إنما نريد أن نقرب القرابين التي يعبدونها وهي آلهتهم فإذا فعلنا ذلك بين أيديهم لم نؤمن أنهم يرجموننا إذا قربنا آلهتهم وذبحناها، فدل بهذا القول أن أهل مصر كانوا يعبدون الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم، ودليل آخر أن موسى عليه السلام حيث أقام في طور سيناء وثب بنو إسرائيل على هارون أخيه قائلين له: إتخذ لنا إلهاً نعبده فإن موسى قد أبطأ علينا، ولا نعلم حاله، وإنما إتخذ لهم صنماً على صورة العجل على منهاج ما كانوا يرون من عبادة أهل مصر مثله فكان المصريون يعبدون هذه الخليقة من البهائم، ويقربون لها القرابين مما كان خلافها كالخنزير والحمار والجمل والفرس وما أشبه ذلك من الأشياء التي هي عندهم أخس في الخلقة من خلقة آلهتهم فحيث أمر الله موسى بالقرابين أمره أن يقرب له من التيران والبقر وسائر الغنم غير ذلك، وأمر أن ينجس الخنزير والجمل والحمار والفرس ليعلموا أن هذه نجسة في أكلهم إياها فضلاً عن تقريبها لأن المصريين كانوا يقربونها لآلهتهم بل كلوا لحوم الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم التي كانت آلهة عند أولئك، وقربوا لى منها وتجنبوا أكل الخنزير والجمل والحمار والفرس وما أشبه ذلك، ولا تقربوا لي شيئاً منها أصلاً؛ لأنها نجسة غير ذكية لذلك السبب فزهدهم في عبادة الثيران والغنم والكباش والبقر بإطلاقه لهم أكل لحومها، وتقريب القرابين منها وزهدهم في عبادة الخنزير والجمل والحمار والفرس، وما أشبه ذلك ونفرهم منها بأنه صيرها نجسة غير ذكية، فأما تحريم لحم الخنزير فقط من بين البهائم كلها، وإطلاق أكل الجمل وتقريب القربان منه ولحم الحمار والفرس الذي أتى به صاحبك فالسبب فيه من ذلك اليهوديين عبد الله بن سلام[1]،

(١) اسمه الحصين، فلما أسلم سماه النبي ﷺ عبد الله، وهو رجل من بني إسرائيل من ولد يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم عليهما السلام، وهو حليف للقوافلة من بني عوف بن الخزرج للمزيد عنه انظر: ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، ج ٥ في الطبقة الثالثة من المهاجرين والأنصار ممن شهد الخندق وما بعدها، ص ٣٧٧-٣٨٦، وقد وردت أحاديث توضح مناقبه انظر: الزبيدي، فتح الباري، حديث رقم ١٥٤١-١٥٤٢، ص ٦٢٤-٦٢٥.

ووهب بن منبه رضي الله عنهما اللذين أفسدا الدنيا وأهلكا الأمة، وصاحبك بريئ من هذا كله"[1].

وللرد على ما سبق نجد أن جميع الجدليين قد أنكروا على النبي ﷺ تحديد الأطعمة الطاهرة والنجسة وكأنه ﷺ قد أتى بشيء جديد، فالمعلوم أن الشعوب القديمة فرقت بين الأطعمة الطاهرة والأطعمة النجسة، ورأت أن بعض الحيوانات صالحة للطعام والذبيحة وسواها غير صالح وبين هذا التميز جزئياً على أن بعض اللحوم غير ملائمة للأكل أو مضرة وجزئيا على العادات والإفتراس وجزئياً على اشمئزاز طبيعي من بعض الحيوانات، وقد نظر الشرع الموسوي إلى عرف الناس في عهده فضم إلى الشرع هذا التفريق بين الطاهر والنجس، وأضيفت حيوانات أخرى إلى قائمة الحيوانات غير الطاهرة وذلك لإعتبارات خاصة في ديانة بني إسرائيل[2].

---

(١) رسالته، ص١٠٠-١٠٢.

(٢) اشتملت الحيوانات النجسة عند بني إسرائيل على الوجه الآتي:

١- البهائم التي تجتر ولا تشق الظلف وتقسمه ظلفين، لاويين، الإصحاح الحادي عشر، آية ١-٣.

٢- الطيور الآكلة للحوم، لاويين، الإصحاح الحادي عشر، آية ١٣-١٩، تثنية، الإصحاح الرابع عشر، آية ١١-٢٠.

٣- الحشرات المجنحة التي تدب على أربع إلا ما له كراعان فوق رجليه يثيب بهما على، لاويين، الإصحاح الحادي عشر، آية ٢٠-٢٣.

٤- كل ما في المياه وليس له زعانف وحرشف، ونهى عن الأنقليس والحيوانات المائية كالسرطان، لاوين، الإصحاح الحادي عشر، آية ١٠- ١١.

٥- الدبيب كل ما يمشي منه على بطنه أو على أربع وما كثرت أرجله وكانت بعضها مؤذيا وبعضها يدب في التراب أو في الطين وكان غيرها شبيها بالحيات، وكانت هذه الحيوانات نجسة في كل حال، ولكن لحم الحيوانات الطاهرة كان قابلا للتنجس فنهت الشريعة عن أكل ما قدم ذبيحة للأوثان والمخنوق أي ما مات بنفسه أو افترسه حيوان أو طير ضار أما الدم وشحم الطير والحيوان فكان مقدساً للرب وما أجيز لأحد، وهذا هو النجس لكم من الدبيب الذي يدب على الأرض ابنُ عِرسٍ والفأر والضب على أجناسه والحِرذون والوَرَلُ والوزغة والعِظاية والحرباء"، لاوين، الإصحاح الحادي عشر، آية ٢٩-٣٠، لاويين، الإصحاح السابع عشر، آية ١٠-١٥، أما الحيوانات التي ماتت من نفسها فأجيز بيعها للأجنبي وأن يأكلها،تثنية، الإصحاح الرابع عشر، آية ٢١؛ قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٩٦-٣٩٧.

لذا لم يأت النبي محمد ﷺ بشيء مبتدع عندما أرشد صحابته لأنواع الطعام وقسمها لأطعمة طاهرة ونجسة فوضح تعالى ما أحله من الأطعمة قال تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ﴾[1].

ثم أوضح الله ﷻ لعباده حكمه في صيد البحر، فقال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًاۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[2]، أي أحل الله ما يصطاد منه طرياً، وما يتزود به مليحاً يابساً، وقد روى عن بن عباس قوله صيده ما أخذ منه حياً "وطعامه" ما لفظه ميتاً، وقد قال النبي "هو الطهور ماؤه الحل ميته"[3]، وبذلك فالأصل في الأطعمة الإباحة إلى أن يرد منع أو إلزام[4].

وبالنسبة للحوم المحرمة فقد إختلف الجدليون في طريقة الحديث عنها، فوجدنا يوحنا الدمشقي لم يذكر ما الذي حدده النبي ﷺ واكتفى بالقول أنه حرم أطعمة، وكنا ننتظر منه أن يسهب في هذا الأمر لأنه كان محتكاً بالمسلمين، أما نيقيتاس البيزنطي فقد ذكر أن النبي قد حرم الخنزير ولم يذكر باقي ما حرم، ولا ندري هل هذا عن عمد منه أم سهو، كما أنه لم يوضح ما العلة في تحريم أكل الخنزير، واكتفى بهذا القول المقتضب الذي ينم عن عدم رضائه عن هذا الأمر، أما الكندي فقد أسهب في الحديث عما حرم على بني إسرائيل وقد

---

(١) سورة المائدة، آية ٤-٥، وللتعرف على تفسير الآيات انظر: تفسير القرآن العظيم، مج٣، ص٣١-٤١، للمزيد انظر: ابن عقيل، التذكرة في الفقه، ص ٣٣٥-٣٣٧.

(٢) سورة المائدة، آية ٩٦.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٣، ص ١٩٧-١٩٩.

(٤) عبد الكريم بن محمد اللاحم، المطلع على دقائق زاد المستنقع، فقه الأطعمة والذكاة والصيد والذبائح والأيمان والنذور، الرياض، ٢٠١٢م، ص ١٣؛ الشوكاني، نيل الأوطار، ج ١٥، حديث ١/ ٣٥٦٧-٤/ ٣٥٧٠ ص ١١-٢٢.

حاول أن يوضح العلة فذكر قصة هارون عليه السلام مع فرعون وخوفه على بني إسرائيل من المصريين إذا ما استعملوا ما يقربه المصريين من لآلهتهم، وانتهى به الأمر بنزول أمر من الله بأكل ما يقربه المصريون وترك لحم الخنزير لنجاسته[1]، لذا لم يكن النبي محمداً ﷺ مبتدعاً عندما حرم لحم الخنزير فالمعروف أنه من الحيوانات النجسة، والقذرة، فلا يجوز طعامه؛ لأنه يوجد بلحمه بعض الأمراض إذ لم ينضج عند طبخه، وكان محرماً على العرب تربيته، وقد حرم القرآن أكله كما حرمته التوراة، وقد تحتم على من يلمس خنزيراً ولو عرضا أن يغتسل، ولم يكن يسمح لراعي الخنزير أن يدخل الهيكل، ولم يكن يتزوج إلا من بناة الرعاة مثله، لأن أحداً لا يرضى أن يزوج ابنته من راعي الخنازير، وقد كان لحم الخنزير محرماً عند اليهود لقذارته، لذا كان رعي الخنازير من أحط المهن وأدناها لا يقرها إلا الفقراء المعدومون[2]، واستعمل لحم الخنزير في الأعياد الوثنية بين اليهود المستبيحين ليوم السبت[3]، وفي عصر المسيح كان بعضهم يرعون قطعانا من الخنازير في مستعمرة أغلب سكانها من اليونان وما كانوا يربونها ليأكلوا لحومها، بل ليبيعوها إلى اليونان أو للجيوش الرومانية[4]، ثم قال تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[6]، قال ابن كثير: "أحل

---

(١) الإصحاح الحادي عشر، آية ٧-٨.

(٢) في إنجيل لوقا سرد قصة إنسان له ابنان أخذ أصغرهم صيبه وانفقه كله ولما أحس جوع واحتياج ذهب أحد الكور ورعى في حقل الخنزير، الإصحاح الخامس عشر، آية ١١-١٦.

(٣) شعب يُغيظُني بوجهي دائماً يذبح في الجنات ويُبَخِرُ على الآجر يجلس في القبور ويبيت في المدافن يأكل لحم الخنزير وفي آنيته مرقُ لحوم نجسة، أشعياء، الإصحاح الخامس والستون، آية ٣-٤، الذين يقدسون ويطهرون أنفسهم في الجنات وراء واحد في الوسط آكلين لحم الخنزير والرجس والجراد يفنون معاً، أشعياء، الإصحاح السادس والستون، آية ١٧.

(٤) قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٤١-٢٤٢، ص ٣٠٦.

(٥) سورة المائدة، آية ١.

(٦) سورة الحج، آية ٣٠.

الله الإبل والبقر والغنم، وقوله إلا ما يتلى عليكم" أي ما سيتلى عليكم من تحريم بعضها في بعض الأحوال، يعنى بذلك الميتة والدم ولحم الخنزير[1].

وبالنسبة لما حرم من الطعام فقد ذكر الله ﷻ ما حرم من الطعام كي يجتنبه المسلمون فقال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]، قال ابن كثير: "يخبر الله تعالى عباده خبراً متضمناً النهي عن تعاطي هذه المحرمات من الميتة، وهي ما مات من الحيوان حتف أنفه من غير ذكاة ولا اصطياد، وما ذاك إلا لما فيه من المضرة، لما فيها من الدم المحتقن فهي ضارة للدين والبدن فلهذا حرمها الله، ويستثنى من الميتة السمك، فإنه حلال سواء مات بتذكية أو غيرها، وقد سُئل الرسول عن ماء البحر فقال: هو الطهور ماؤه الحِل ميتته، كما قال: أُحِل لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان فالحوت والجراد[5]، وأما الدمان فالكبد والطحال، وأما لحم الخنزير فجميع أجزائه حتى الشحم محرم حيث أن اللحم يعم جميع الأجزاء كما هو مفهوم في لغة العرب، وقد قال النبي ﷺ: "من لعب بالنردَشير

---

(١) تفسير القرآن العظيم، مج ٣، ص ٨.

(٢) سورة المائدة، آية ٣.

(٣) سورة النحل، آية ١١٥.

(٤) سورة البقرة، آية ١٧٣.

(٥) قال أبي أوفى ﷺ غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أو ستاً كنا نأكل معه الجراد، الزبيدي، فتح الباري، باب أكل الجراد، حديث رقم ١٨٨٧، ص ٧٨٥.

فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه"[1]، فالتنفير لمجرد اللمس فكيف يكون التهديد والوعيد الأكيد على أكله والتغذى به، وقد قال النبي ﷺ "إن الله ﷻ حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، قيل يارسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنها تطلى بها السفن، وتدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هي حرام"[2]، وقد روى أن أبي سفيان ﷺ قال لهرقل: "ونهانا عن الميتة والدم"[3]، وأما قوله: "وما أهل لغير الله"، أي ما لم يذكر اسم الله عليه، وقد قيل نزل آدم عليه السلام بتحريم أربع "الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به"، وإن هذه الأربعة أشياء لم تحل قط ولم تزل حراماً منذ خلق الله السموات والأرض، فلما كانت بنو إسرائيل حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم بذنوبهم فلما بعث الله عيسى بن مريم عليه السلام نزل بالأمر الأول الذي جاء به آدم عليه السلام وأحل لهم ما سوى ذلك فكذبوه وعصوه[4]، ويتضح أن اللاهوتيين استخدموا تحريم الإسلام لحم الخنزير كدليل على الجذور اليهودية للإسلام[5].

وبالنسبة لقول الكندي "سمح لهم بأن يأكلوا دون خوف لحوم الحمير والبغال..."، نجد أن الله ﷻ قد فصل الحكم في هذه فقال: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[6]، قال ابن كثير: "هذا صنف من خلق الله امتن به على عباده وقد جعلها للركوب والزينة وذلك أكبر المقاصد منها، وقد فصلها من الأنعام وأفردها بالذكر استدل عدد من العلماء ممن ذهب لتحريم لحوم الخيل بأن الله تعالى قرنها بالبغال والحمير وهى حرام كما ثبت به

---

(١) مسلم، صحيحه، باب تحريم اللعب بالنردشير، حديث رقم ٢٢٦٠، ص ١٠٧٣.

(٢) مسلم، صحيحه، باب تحريم بيع الخمر والميت والخنزير والأصنام، حديث رقم ١٥٨١، ص ٧٤٣.

(٣) وذلك خلال حديثه معه عنه انظر: ويمكن الرجوع لحديث عبد الله بن عباس، انظر: الزبيدي، فتح الباري، حديث رقم ٧، ص ١٧-٢٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، مج ١، ص ٤٨٠-٤٨١، مج ٣، ص ١٤-٢٥، مج ٤، ص ٦٠٩-٦١٠.

(5) Nikolaou, A Survey of Byzantine Risponses, p. 20.

(٦) سورة النحل، آية ٨.

السنة النبوية وذهب إليه أكثر العلماء، كان ابن عباس رضي الله عنهما يكره لحوم الخيل والبغال والحمير وكان يقول قال الله: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[1] فهذه للأكل، ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] فهذه للركوب، ويقال أن الرسول نهى عن البغال والحمير ولم ينه عن الخيل[3]، وقد قالت أسماء بنت أبي بكر رضوان الله عليها: "نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرساً ونحن بالمدينة وأكلناه"[4].

وبالنسبة لقول الكندي: "أكل الجمل وتقريب القربان منه ولحم الحمار والفرس الذي أتى به صاحبك فالسبب فيه من ذلك اليهوديين عبد الله بن سلام ووهب بن منبه اللذين أفسدا الدنيا وأهلكا الأمة، وصاحبك برئ من هذا كله"، في هذه الفقرة يحاول الكندي أن يظهر كمن ينفى عن النبي الخطأ ولكنه، في الحقيقة يقلل من النبي حيث يجعله كمن يأخذ تعاليمه من اليهود وهى تهمة رددها كتاب بيزنطة، وحاشاه ﷺ أن يأخذ أحكامه من غير الله، كما يؤكد على محاولته المستميتة للإيحاء بأن الإسلام كان امتداد يهودي؛ ليزهد بني دينه فيه، ويمكننا نقد قوله هذا بما قاله ثيوفانيس أن اليهود علموا أن النبي ليس من كانوا ينتظرونه لأنه أكل لحم الجمل، ولعله يلمح إلى ما في شريعتهم من أن الجمل حيوان مجتر، ولكنه لا يشق ظلفا ولذا فيعتبر من الحيوانات غير الطاهرة بحسب الناموس الموسوي[5]، وإن كان النبي ﷺ تابعاً لليهود كما قال الكندي لحرم أكل

---

(١) سورة النحل، آية ٥.

(٢) سورة النحل، آية ٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، مج ٤، ص ٥٥٧-٥٥٩.

(٤) الزبيدي، فتح الباري، باب النحر والذبح، حديث رقم ١٨٨٨، ص ٧٨٦.

(٥) لاوين، الإصحاح الحادي عشر، آية ٣-٤، تثنية، الإصحاح الرابع عشر، آية ٧، وللمزيد عن الجمل وأهميته واستعماله انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ١٩٠-١٩١.

لحم الجمل لكنه أباحه، وقد أمر بالوضوء بعد أكله لأنه ينقض الوضوء[١] وقد روى أن النبي ﷺ "نهى عن أكل كل ذى ناب من السباع"[٢].

وقد أخطأ الكندي عندما جعل هارون ﷺ هو من إختار لهم الصنم فالثابت في القرآن الكريم أن السامرى هو من إختاره لهم وحكى سبحانه وتعالى هذا في كتابه[٣].

وبالنسبة لقول يوحنا الدمشقي "وحرم عليهم شرب الخمر[٤] على الإطلاق"[٥]، وهذا يدل على إدراكه الجيد لرفض المسلمين استخدام جميع الكحول في الوقت الذي كان النبيذ جزءً لا يتجزأ من الحياة اليومية البيزنطية والتي سمحت بالنبيذ كضرورة للتواصل، كما أنه لم يكن محظوراً في العهد الجديد أيضاً، ومن ثم لا يمكن أن يعز هذا الحظر إلى الله[٦].

وقد كان حرى بيوحنا الدمشقي أن يكون منصفاً، ويوضح لقراءه لماذا حرمه[٧] النبي ﷺ بدلاً من اقتصاص الحديث، وقد نهى النبي ﷺ عن شرب الخمر وتوعد من يشربها إن لم يتب فقال: "من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها

---

(١) ابن عقيل، التذكرة في الفقه، ص٣٣.

(٢) الزبيدي، فتح الباري، باب أكل كل ذي ناب من السباع، حديث رقم ١٨٩١، أي الحيوانات آكلة اللحوم، ص ٧٨٦-٧٨٧.

(٣) انظر: سورة طه، آية ٨٥-٩٧.

(٤) كل ما خامر العقل، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ١، ص ٥٧٩، وللتعرف على ما قاله النبي في الخمر يمكن الرجوع إلى: مسند الإمام أحمد، ج ١، حديث رقم ٣٧٨، ص ٤٤٢-٤٤٣؛ سنن أبي داود، ج ٥، حديث رقم ٣٦٦٩-٣٦٨٧، ص ٥١١-٥٢٩.

(٥) الهرطقة المئة، ص ٦١.

(6) Nikolaou, A Survey of Byzantine Risponses, p. 20.

(٧) مر تحريم الخمر بعدة مراحل إلى أن حرم بشكل نهائى للتعرف على هذه المراحل يمكن الرجوع إلى: سورة البقرة، آية ٢١٩؛ سورة البقرة، آية ٢١٩؛ سورة المائدة، آية ٩٠-٩١؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ١، ص ٥٧٨-٢٧٩؛ مج ٢، ص ٣٠٨، مج ٣، ص ١٧٨-١٨٥؛ السيد سابق، فقه السنة، ص ٦٩٦-٦٩٧.

حُرمها في الآخرة"[1]، والمتأمل للقرآن الكريم يجده قد حرم الخمر لذا فهي نجسة عند جمهور العلماء لأضرارها[2]، ولم يأت النبي ﷺ بشيء مبتدع عندما حرم الخمر، فقد حوى الكتاب المقدس على تحريم الخمر، فجاء في العهد القديم "الخمر مستهزئة المسكر عجاج ومن يترنح بهما فليس حكيم"[3]، ويل للمبكرين صباحاً يتبعون المسكر للمتأخرين في العتمة ملهمهم الخمر"، "ويل للأبطال على شرب الخمر ولذوي القدرة على مزج المسكر"[4]، كما تم تحريمها في المسيحية "لنسلك بلياقة كما في النهار لا بالبطر والسكر لا بالمضاجع والعهر لا بالخصام والحسد"[5]، "وقد جاء في العهد الجديد وَلاَ تَسْكَرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلاَعَةُ، بَلِ امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ"[6]، وقد قال بولس الرسول: "وإنما أقول أسلكوا بالروح لا تُكملوا شهوة الجسد لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون...."[7].

ومما سبق يتضح أن الكتب الإلهية جميعها حرمت المسكرات جميعها سواء أكانت من العنب أم من سائر المواد كالشعير والتمر والعسل والتفاح وغيرها.

---

(١) الزبيدي، فتح الباري، كتاب الأشربة، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ...﴾ حديث رقم ١٨٩٦، ص ٧٨٩، للمزيد انظر: التذكرة في الفقه، ص ٣١٠-٣١١، وللإستفاضة يمكن الرجوع إلى: الشوكاني، نيل الأوطار، ج ١٥، حديث رقم ١/ ٣٦٨٤-٧/ ٣٦٩٠، ص١٧٨-١٨٦؛ محمد سالم محيسن، المحرمات، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٠٥-١٠٨.

(٢) السيد سابق، فقه السنة، ص٢٢، ٦٩٨-٧٠٠، وللتعرف على الأضرار التي تسببها الخمر يمكن الرجوع إلى أحمد ديدات، الخمر بين المسيحية والإسلام، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٢٠ وما بعدها.

(٣) سفر الأمثال، الإصحاح العشرون، آية ١.

(٤) سفر إشعياء، الإصحاح الخامس، آية ١١، آية ٢٢.

(٥) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، الإصحاح الثالث عشر، آية ١٣.

(٦) رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس، الإصحاح الخامس، آية ١٨.

(٧) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية، الإصحاح الخامس، آية ١٦-٢١.

ثالثاً: المرأة:

ذكر يوحنا الدمشقي قائلاً "تكلم محمد وانشأ مؤلفات سخيفة وأعطى اسماً لكل منها، وهكذا فعل بسورة النساء[١] التي قضى فيها جلياً لكل واحد بأن يتخذ أربع نساء وألف خليلة إن أمكن، وبقدر ما تخضع له يدُه منهن علاوة على النساء الأربع، وفي السورة عينها "التي يقول فيها هكذا" يُسدى نصائح من هذا النوع: أحرث الأرض التي أعطاك إياها الله وضع فيها كل اهتماماتك[٢]، وبهذه الطريقة حتى لا نتفوه بكلام بذئ على غراره"[٣].

وقال نيقيتاس البيزنطي: "والسورة الثالثة هي سورة النساء، وبها وصف للمرأة والتي قد يكون أو لا يكون لديك أي علاقة معها، وقال فيها نساؤكم هي قوة شبابكم، ويمكنكم أن تأتوهن في أي وقت تريده روحك، لتنفيذ رغبة من روحك فهذه حياة بهيمية، وحشية وشيطانية"[٤].

ولدحض ما سبق يتضح اتفاق كل من يوحنا الدمشقي ونيقيتاس البيزنطي على تشويه متعمد للإسلام، وذلك من خلال إثارتهم قضية المرأة وتعدد الزوجات في الإسلام، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وصل به الإفتراء بوسم الإسلام بما ليس فيه، وعلهم كانوا متأثرين بتعاليم بولس عن رفض الزواج وتحبيذ الرهبانية والتبتل حيث قال: "حسن للرجل ألا يمس امرأة، ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها...، وإن مات رجلها فهي حرة لكى تتزوج بمن تريد في الرب فقط، ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيي، وأظن أني أنا أيضاً عندي روح الله[٥]، وقد روج بولس لعدم الزواج حين قال "أقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه أحسن لهم إذا لبثوا كما أنا،

---

(١) السورة الرابعة في القران.

(٢) ويعنى هذه الآية: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ...﴾، سورة البقرة، آية ٢٢٣.

(٣) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٥٦-٥٧.

(4) Demetriades, Nicetas of Byzantium, pp. 36-37, 39.

(٥) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح السابع، آية ٣٩-٤٠.

ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا؛ لأن التزاوج أصلح من التحرق...، وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن، ولكنى أعطي رأياً كمن رحمه الرب أن يكون أميناً فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر أنه حسن للإنسان أن يكون هكذا.. أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة لكنك إن تزوجت لم تخطئ وإن تزوجت العذراء لم تخطئ، ولكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيق في الجسد، وأما أنا فأشفق عليكم فأقول هذا: أيها الأخوة الوقت منذ الآن قصير لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم...، لأن هيئة هذا العالم تزول فأريد أن تكونوا بلا هم، فغير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضى الرب، وأما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضى إمرأته إن بين الزوجة والعذراء فَرقاً غيرُ المتزوجة تهتم في ما للرب لِتكون مُقدسةً جسداً وروحاً، وأما المتزوجة فتهتم فيما للعالم كيف ترضى رجُلها"[1].

وترى الباحثة أن ما سبق يدل على أن الزواج كان غير محبذ لديهم، لذا هاجم يوحنا الدمشقي ونيقيتاس البيزنطي الزواج وعده الأخير أمراً بهيمياً ووحشياً، ولو علموا هدف الإسلام من إباحة الزواج ما هاجموه، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]، أي خلق لكم من جنسكم إناثاً يكن لكم أزواجاً، لتسكنوا إليها، فلو أنه جعل بني آدم كلهم ذكوراً وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو حيوان لما حصل هذا الائتلاف بينهم والأزواج، بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس، لذا فمن تمام رحمته تعالى ببنى آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم وجعل بينهم مودة، وهى المحبة ورحمة وهى الرأفة فالرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد أو

---

(١) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح السابع، آية١-١٠، الإصحاح السابع، آية٢٥-٣٣

(٢) سورة الروم، آية ٢١

محتاجة لنفقته أو للألفة بينهما[1]، لذا جعل الإسلام الزواج راحة نفسية للأسرة، وقد حث النبي أصحابه على الزواج فقال: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[2]، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كره الرسول التبتل وهو الإنقطاع عن النكاح وملاذ الحياة فروى عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: رد رسول الله على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا"[3] فالزواج هو سنة الله في خلقه والأنبياء عليهم السلام هم لأنهم الذين طبقوا هذه السنة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾[4]، لكن بعض النصارى وعلى رأسهم يوحنا الدمشقي ونيقيتاس البيزنطي لم يلتزموا بما قام به الأنبياء، وابتدعوا الرهبانية التي لم يأمر الله تعالى بها قال ﷻ: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[5]، أي أن أمة النصارى إبتدعت

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج٦، ص ٣٠٩، وتوجد دراسة منصفة لدكتور غير مسلم يمكن الرجوع إليه انظر:
Eniola, S, G., An Islamic Perspective of Sex and Sexuality: A Lesson for Contemporary Muslim, IOSR Journal Of Humanities And Social Science (IOSR-JHSS), Vol. 12, Issue 2 (May.-Jun. 2013), PP. 20-28.

(٢) سنن أبي داود، ج ٣، حديث رقم ٢٠٤٦، ص ٣٨٩؛ الزبيدي، فتح الباري، حديث رقم، ٩٠٥، ص ٣٥٥؛ المنذري، مختصر صحيح مسلم، حديث رقم ٦٧٦-(١٤٠٠/٣) -٦٧٧-(٥/ ١٤٠٠)، ص ١٦٧، ص ١٦٧؛ الزبيدي، فتح الباري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم ١٧٩٥، ص ٧٤٣، وقد رويت أحاديث مفصلة عن الزواج تباعاً لهذا الحديث يمكن الرجوع إليها حديث رقم ١٧٩٦-١٨٢٦، ص ٧٤٣-٧٥٩؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ١، ص ٥١٠، الإمام مسلم، صحيح مسلم، باب استحباب النكاح، مج ١، حديث رقم ١-٨، ص ٦٣٠-٦٣١؛ الشوكاني، نيل الأوطار، ج ١٢، حديث رقم ١/ ٢٦٢١-٥/ ٢٦٢٥، ص ١٣-٢٠.

(٣) الزبيدي، فتح الباري، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والإخصاء حديث رقم ١٧٩٦، ص٧٤٣، ويمكن الرجوع لمسند الإمام أحمد، ج ١، حديث رقم ٤١١، ص٤٧٠-٤٧١.

(٤) سورة الرعد، آية ٣٨.

(٥) سورة الحديد، آية ٢٧.

الرهبانية[١]، ولم يشرعها الله ﷻ لهم، بل هم من التزموها من تلقاء أنفسهم، ولربما قصدوا بها رضوان الله، لكنهم لم يقوموا بها حق القيام، وعد هذا ذم لهم لأنهم ابتدعوا مالم يأمر به الله، ولم يقوموا بما التزموه مما زعموا أنه يقربهم

---

(١) الرهبانية لم تكن مألوفة في الشرق المسيحي قبل القرن الرابع وتعود بذور حياة الزهد والرهبانية للأصول المسيحية الأولى حيث لم يخلو العهد الجديد من إشارات تحرض الناس للانصراف للعبادة متى استطاعوا، أضف لذلك أن أقوال القديس بولس والتي تحث على حياة العزوبية والتي هي ركناً من أركان حياة الزهد والرهبانية، لذا آثر بعض المسيحيين الابتعاد عن الحياة الدنيوية والانقطاع للحياة الدينية، فكانت الرهبانية في أول الأمر فردية ثم تحولت إلى حياة ديرية اجتماعية حيث عاشت طوائف من الرهبان في البراري والقفار منعزلة عن حياة الناس، يمارسون طقوسهم وعبادتهم. وكانت أهم الأسس التي قامت عليها حياة الرهبانية في الأديرة هي الزهد والعزلة والتبتل، وقد عدت الرهبانية ثورة نفسية ضد ما ساد في المجتمع الروماني في القرن الرابع الميلادي من فساد، حيث برز الفرق بين تعاليم العهد الجديد وبساطة الكنيسة من جهة وفساد المجتمع الخارجي من جهة أخرى، لذا فر الكثيرون للأماكن النائية ينشدون راحة الفكر والضمير، أضف لذلك فرار الذين ذاقوا ويلات الاضطهاد على يد دقلديانوس ففروا بعقيدتهم في الأماكن البعيدة، فأضحى نبذ الممتلكات والأهل والوطن نوعاً من أنواع الرياضة النفسية التي تستهدف خدمة الدين لأن الفقر والحرمان يؤديان لطهارة النفس والعزلة في جو تكتنفه المصاعب من شأنها أن تمحو الذنوب وتزيل الآثام، وفي تاريخ النصرانية أمثلة كثيرة جداً على تلك الحياة التي عاشها الرهبان، ففي مصر وجد القديس بولس الطيبى (٢٥١-٣٥٦م) ومعاصره القديس أنطون وعلى يدهما قامت الرهبانية الفردية، أما القديس باخوم لم يستطيع التأقلم مع الرهبنة الفردية فأنشأ رهبنة بها حياة اجتماعية محدودة، وأما في بلاد الشام -على سبيل المثال- ظهر سمعان العمودي في القرن الخامس الميلادي (ت ٤٥٩م) اعتزل الناس، وانقطع للعبادة على عمود من الصخر لمدة ثلاثين سنة مكتفياً بأن يدلي سلة صغيرة بواسطة حبل ليحصل على احتياجاته الأساسية من طعام وشراب، انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، بيروت، ١٩٧٦م، ص ١٢٧-١٣٣، وقد أضاف د/ أحمد شلبي لما سبق أن كانت الرهبانية منذ القدم منتشرة في البوذية والهندوسية بشكل عام وقد إنتقلت إلى المسيحية، انظر: المسيحية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٢٤٣-٢٤٧، أحمد على عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، القاهرة، ٢٠٠٤ م؛ آباء الكنيسة القبطية، بستان الرهبان، بني سويف، ١٩٦٨ م.

إلى الله ﷺ[1]، ولما كانت حياة الرهبنة تصادم الفطرة الإنسانية لأنها تحرم على الرهبان والراهبات الزواج فقد حفل تاريخ الأديرة بالكثير من الفضائح الأخلاقية مثل الشذوذ الجنسي، وغيره من مظاهر الإنحلال هذا فضلاً عن أن تحريم الزواج للرهبان والراهبات يؤدي إلى تقليل عدد النساء والرجال، بل ولو جرى الأخذ به في كل الأديان لأدى إلى انقراض الجنس البشري، وكان من أهم نتائج تلك الحياة الرهبانية المصادمة للفطرة الإنسانية في أوروبا طوال العصور الوسطى هي الانتفاضة المعاكسة ضد الكنيسة، ورهبانيتها في هذا الباب بحيث انتشر الانحلال على نطاق واسع، ونرى أثره الآن في أوروبا حيث راجت أندية العراة في الغرب وانتشرت بيوت الدعارة في كل مدنه، بل وأصبحت القطعان النصرانية تمارس الزنا علناً أمام بعضهم بعضاً على الأرصفة، وفي الحدائق العامة ناهيك عن سن القوانين المنحرفة التي تبيح الشذوذ الجنسي، وزواج المثليين حتى بين الرهبان ورجال الكنيسة!!![2].

ومن أفضل الردود على النصارى في هذا الباب ما قاله عبد الله الترجمان حيث قال: فيما يعيبه النصارى على المسلمين أعزهم الله... أن الصالحين من المسلمين يتزوجون بخلاف أهل الرهبانية من النصارى، فيقال لهم: إنكم متفقون في دينكم على أن داود ﷺ كان نبياً ملكاً وفي التوراة تزوج مائة امرأة[3]، وولد

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٨، ص ٢٩.

Eniola, An Islamic Perspective of Sex and Sexuality, PP. 25-26.

(٢) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص ٩٥.

(٣) لم أعثر على هذا العدد في الكتاب المقدس بل وجدت الآتي:

- له زوجة واحدة "أن شاول أعطاه ابنته ميكال زوجة له"، سفر صموئيل الأول، الإصحاح الثامن عشر، آية ٢٨.
- له زوجتان: "كانت له امرأتان ابيجال وأخينوعم، سفر صموئيل الأول، الإصحاح الخامس والعشرون، آية ٤٣، الاصحاح الثلاثون، آية٥، سفر صموئيل الثاني، الإصحاح الثاني، آية ٢.
- له ستة نساء، سفر صموئيل الثاني، الإصحاح الثالث، اية ٢-٥.

أخذ داود سراري ونساء من أورشليم فولد له بنون وبنات، سفر صموئيل الثاني، الإصحاح الخامس، آية ١٣- ١٥.

=

له منهن أزيد من خمسين ولداً ذكوراً وإناثاً، وسليمان عليه السلام تزوج ألف امرأة كما ثبت في التوراة[1]، وأنتم تعتقدون أن التوراة نزلت من عند الله، وكذلك جميع الأنبياء عليهم السلام تزوجوا وولد لهم الأولاد إلا عيسى ويحيى بن زكريا عليهما السلام، وفي التوراة: يحل للرجل أن يتزوج من النساء قدر ما يقدر عليه من نفقتهن، وأنتم يا معشر النصارى لم تدينوا في التزويج بما شرعه الله في التوراة ولا في الإنجيل، وإنما تمسكتم في ذلك بقول بولس الذي زعم كفار أوائلكم أنه بمنزلة نبي، وبولس هو الذي أمركم أن لا يتزوج الرجل غير امرأة واحدة، فإذا ماتت عوضها بأخرى وأمر أن يتزوج القسيس امرأة واحدة بكراً لا ثيباً، فإذا ماتت حرم عليه الزواج، وقد تبين أن دينكم في التزوج خالفتم فيه الأنبياء وخالفتم فيه في تزويج القسيس بالأبكار، فحرمتم على جميع القسيسين أن يتزويجوا وصار سفهاؤكم وجهالكم يعتقدون أنكم في ذلك على هدى ويعيبون على المسلمين ما يفعلون في التزويج فأما علماؤكم فيعلمون أن ذلك حلال منصوص في الكتب النبوية، وأهل الإسلام من الله عليهم الحنفية السمحة التي لا مشقة عليهم فيها، وقال نبيهم "لا رهبانية في الإسلام"، وقال لهم: "تناكحوا تناسلوا فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة" فهم في التناكح والتناسل مثابون لأجل امتثالهم لأمر نبيهم[2].

= بل لم يقتصر الأمر على ذلك فوسموه بأنه "احتال ليأخذ امرأة أوريا الحثى ورمى به للموت وقد وبخه الرب" صموئيل الثاني، الإصحاح الحادي عشر، آية٣-٢٧، إصحاح الثاني عشر، آية ١-٢٣، وحاشا أن يفعل ذلك نبي الله.

(١) واحب سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون مُوآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم ولا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري فأمالت نساؤه قلبه، سفر الملوك الأول، الإصحاح الحادي عشر، آية ١-٤، لا يمكن أن نقبل كمسلمون هذه الروايات لأنها تنتهك عصمة الأنبياء.

(٢) تحفة الأريب، ص ٢٣٩-٢٤٥.

وفي حديث يوحنا الدمشقي عن عدد الزوجات تأكيد على أن الإسلام قد شرع تعدد الزوجات[1]، ولكي نفند هذه الفرية لابد من القول بأن الإسلام لم ينشئ التعدد إنما حدده، ولم يأمر بالتعدد إنما رخص فيه وقيده، ورخصه لمواجهة واقعيات الحياة البشرية، وضروريات الفطرة الإنسانية، وقد أثبت الواقع التاريخي أن شريعة الإسلام في هذا الباب هي شريعة الكمال والعدل، فشريعة التعدد التي أباحها الإسلام هي الحل الأمثل لزيادة عدد النساء على عدد الرجال في سائر المجتمعات البشرية، لاسيما بعد الحروب والصراعات التي لا تكاد تنقطع في تاريخ البشر، والتي تستنفد إعداداً هائلة من الرجال، الأمر الذي يزيد أعداد النساء بصورة كبيرة[2].

ولعل يوحنا يلمح عندما قال أربع زوجات وألف خليلة إلى آيتين أولهما: قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾[3]، روى أن سبب هذه الآية أن رجلا كانت له يتيمة فنكحها وكان لها عذق، وكان يمسكها عليه ولم يكن لها من نفسه شئ، وعندما سئلت السيدة عائشة عن معنى الآية، قالت: هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تَشركَه في ماله ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها[4] فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا بهن أعلى سُنتهن في الصداق وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن، وبالنسبة لقوله مثنى وثلاث ورباع" فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما هذا مقام امتنان وإباحة، فلو كان يجوز الجمع بين

---

(1) Merril, of the Tractate of John of Damascus, p, 92

(٢) علي الغامدي، يوحنا الدمشقي، ص ٩٢، وللمزيد عن التعدد يمكن الرجوع إلى: عبد الكريم بن محمد اللاحم، المطلع على دقائق زاد المستنقع (فقه الأسرة، النكاح)، مج١، الرياض، ٢١٠ـم، ص ٣٩-٤٢.

(٣) سورة النساء، آية ٣.

(٤) وللتعرف على الصداق في الإسلام وبماذا يجب يمكن الرجوع إلى: ابن عقيل، التذكرة في الفقه، ص٢٤٤-٢٤٧.

أكثر من أربع لذكره، وقد قال الشافعي: دلت سنة النبي ﷺ المبينة عن الله أنه لا يجوز لأحد غيره أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة، ثم يقول سبحانه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا...﴾ أي فإن خشيتم من تعداد النساء ألا تعدلوا بينهن، فمن خاف من ذلك فيقتصر على واحدة أو على الجواري والسراري فإنه لايجب قسم بينهن، ولكن يستحب، فمن فعل فحسن ومن لا فلا حرج، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ أي ألا تجوروا، كما أمر الله الرجل أن يؤتي زوجته مهرها/ صداقها[1]، ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2]، أي لن تستطيعوا أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه، فإنه وإن حصل القسم الصوري: ليلة وليلة، فلابد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع، كما قال ابن عباس وغيره، ثم يقول الله فإذا ملتم إلى واحدة منهن فلا تبالغوا في الميل بالكلية فتبقى الأخرى معلقة، أي لا ذات زوج ولا مطلقة[3]، وكلام هؤلاء الكتاب يوحى بأن المرأة كانت مضطهدة في الإسلام، وتغافلوا عن حقيقة إن الإسلام هو من رفع من شأن المرأة فقد كانت المرأة تعامل على أنها أقل من الرجل فقد قال بولس "لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذوناً لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئا فليسألن رجالهن في البيت لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم في الكنيسة"[4]، وقال أيضاً: "لِتَتَعلم المرأة بِسُكُوتٍ في كلِ خضوع ولكن لست آذن للمرأة أن تُعَلِمَ ولا تتسلط على الرجل بل تكون في سُكُوت لأن آدم ﷺ جُبِلَ أولاً ثم حواء وآدم لم يُغو لكن المرأة أُغويت فحصلت في التعدى، ولكنها ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة والتعقل"[5]، هذا في المسيحية التي يدين بها

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٢، ص ٢٠٨-٢١٢.
(٢) سورة النساء، آية ١٢٩.
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٢، ص ٤٣٠-٤٣١.
(٤) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح الرابع عشر، آية ٣٤-٣٥.
(٥) رسالة بولس الرسول الأولى إلى تِيمُوثَاوُسَ، الإصحاح الثاني، آية ١١-١٥.

يوحنا الدمشقي، ولكن الإسلام رفع من شأن المرأة وأكرمها بنتاً وأماً وزوجة، وإذا كانت المرأة في النصرانية محظور عليها أن ترفع صوتها أو أن تسأل إلا زوجها فالإسلام أباح للمرأة أن تسأل متى تشاء، بل لقد سمع الله قول السيدة خولة بنت ثعلبة المجادلة التي جادلت رسول الله ﷺ وأنزل قرءاناً يتلى في ذلك قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[1]، وإذا ما تأملنا وضع المرأة في الجاهلية قبيل الإسلام نجد أنه لم يكن مرغوباً بها، وقد صور القرآن الكريم حالة من تولد له فتاة قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[2]، أي كان كثيباً من الهم ساكتاً من شدة ما فيه من الحزن، يكره أن يراه الناس إن أبقاها أبقاها مهانة لا يورثها ولا يعتني بها ويفضل أولاده الذكور عليها أو يدفنها حية[3]، وقد كان منتشراً في الجاهلية وأد الفتاة لأنها لم تكن مرغوباً بها قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾[4]، وهى التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية للبنات فيوم القيامة تسأل الموؤدة على أي ذنب قتلت، ليكون ذلك تهديداً لقاتلها، وقيل طلبت بدمها[5]، كما عدت المرأة كميراث حيث كانت تورث ضمن التركة فلغى الإسلام هذا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[6]، قيل إن سبب

---

(١) سورة المجادلة، آية ١، وللتعرف على هذه القصة يمكن الرجوع إلى: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٨، ص ٣٤-٣٥.

(٢) سورة النحل، آية ٥٨-٥٩

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٤، ص ٥٧٨.

(٤) سورة التكوير، آية ٨-٩.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٨، ص ٣٣٣-٣٣٥.

(٦) سورة النساء، آية ١٩.

نزول الآية أنه إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاؤوا زوجوها، فهم أحق بها من أهلها، ولا تعضلوهن أي لا تُضاروهن في العِشرة لتترك لك ما أصدقتها أو بعضه حقاً من حقوقها عليك أو شيئاً من ذلك على وجه القهر لها والاضطهاد، ويقال أن ورث المرأة كرهاً كان في الجاهلية والإعضال كان في الإسلام، ولا يحل الله أخذ ما أوتى للمرأة إلا لو أتت بفاحشة مبينة، أو لو خافت المرأة ألا تقيم حدود، ثم أمر الله ﷻ الرجال بمعاشرة نسائهم بالمعروف مقتديين برسول الله ﷺ، حتى وإن كرهوهن فعسى الله أن يجعل في ذلك خير في الدنيا والآخرة[1]، كما حفظ الإسلام حقوق المرأة قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[2] فلو أراد الرجل أن يتزوج بامرأة أخرى لايجوز له أن يأخذ من الأولى ما أعطاه لها حتى لو كان قنطاراً، ثم يوضح الله علة ذلك لما كان بينهم من عشرة، ويذكر الله وأخذنا منكم ميثاقاً غليظاً، وهو الإمساك بمعروف أو التسريح بإحسان[3].

واتضح جهل كل من يوحنا الدمشقي ونيقيتاس البيزنطي، بمعنى "أحرثوا الأرض..."، وهذا من سوء فهمهم حيث لم يكن النبي ﷺ هو من قال هذا بل قاله الله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4] نزلت هذه الآية عندما اختصمت امرأة من الأنصار مع زوجها القرشي حول الطريقة التي يأتي بها الرجل أهله وقد أفاض بن كثير في تفسيرها[5].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٢، ص٢٣٩-٢٤٣.

(٢) سورة النساء، آية ٢٠.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٢، ص٢٤٣-٢٤٥.

(٤) سورة البقرة، آية ٢٢٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم، مج ١، ص ٥٨٥-٥٩٨.

كان للطلاق نصيب في كتابات الجدليين فقال يوحنا الدمشقي: "وباستطاعته أن يطلق امرأة واحدة إذا ما أراد ذلك ليتخذ له أخرى[١]، ولقد سن محمد هذا القانون للسبب التالي: فقد كان لمحمد عشير اسمه زيد، وكان لهذا الرجل امرأة جميلة شغف بها محمد...[٢]، ثم أصدر هذا القانون: من يرغب في أن يطلق امرأته فليفعل؛ أما إذا عاد إليها بعد تطليقها فليتزوجها آخر، إذ ليس مسوغاً في الواقع أن يتخذها ما لم يتزوجها آخر قبل ذلك، وإذا كان من طلقها أخاً فليتزوجها أخوه إن رغب في ذلك"[٣].

كما تعرض نيقيتاس البيزنطي للطلاق فقال: "يقول محمد: إذا طلق الرجل زوجته لا يمكن أن يعود لها مرة أخرى حتى تتزوج من رجل آخر، فإذا طلقها الزوج الثاني فإنه ليس خاطئاً اذا اجتمعا مرة أخرى، وقد علق نيقيتاس على ذلك فقال: ما هذا التبذير البربري الذي قدمه محمد كما لو أنه قوانين الله"[٤].

وسار على نفس النهج الكندي الذي قال: "وأقبح من هذا كله ما جاء في ذكر الطلاق ونكاح المرأة رجلا آخر يسمى الاستحلال وأن يذوق عسيلتها وتذوق عسيلته ثم مراجعة الرجل الأول بعد ذلك هذا، وقد يكون لها أولاد رجال نسل بنين وبنات نساء كبار ذوات بيوت، والزوج الذي له الشرف النفيس والحسب الخطير، وتكون هي المرأة النبيلة في قومها المشار إليها في عشيرتها البهية في أهلها ذات المجد، والبيت الرفيع فهذا أقبح وأشنع من فعل المجوس الأقذار الأنجاس، وإن كان ذلك في غاية القبح والقذارة والنجاسة، فهل ترى أصلحك الله ورضى عنك أن تدعوني إلى مثل هذا الذي تستشنعه البهائم وتستقبح فعله فإنها بغير شك لو سُئلت فأذنت لها في النطق لأخبرتنا بقبيح هذه الأفعال واستشناعها إياها وأعلمتنا لو أجبنا إلى دعوتك انا قد ظلمنا تمييزنا وطباعنا وأعوذ بالله أن أكون من القوم الظالمين"[٥].

---

(١) سورة النساء، آية ٢٠.

(٢) تم التعرض له في الفصل الأول.

(٣) يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص ٥٦-٥٧.

(4) Demetriades, Nicetas Of Byzantium, p. 37.

(٥) رسالته، ص١٠٥.

ولتفنيد هذه الفرى نجد أن هؤلاء الجدليين اعتمدوا في رفضهم الطلاق على ما جاء في كتابهم المقدس الذي فيه "وجاء إليه الفرسيون ليجربوه قائلين له هل يحل للرجل أن يُطلق امرأته لكل سبب، فأجاب وقال لهم أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً إذ ليس بعد اثنين بل جسد واحد فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان، قالوا فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق، قال لهم إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نسائكم، ولكن من البدء لم يكن هكذا، وأقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني معها والذي يتزوج بمطلقة يزني قال له تلاميذه إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج فقال لهم ليس الجميع يقولون هذا الكلام بل الذي أعطى لهم... من استطاع أن يقبل فليقبل"[1]، وينقض قولهم هذا ما جاء على لسان المسيح ﷺ لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل"[2]، ولكن الواضح أنهم كانوا متأثرين في رفضهم للطلاق بما قاله بولس "وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها، وإن فارقته فالتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها، ولا يترك الرجل امرأته"، "أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال"[3].

وقد شرع الطلاق لأجل مصلحة الإنسان ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾[4]، أي الله يغنيه عنها

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح التاسع عشر، آية ٣-١٢، إنجيل مرقس، الإصحاح العاشر، آية ٢-١٢.

(٢) إنجيل متى، الإصحاح الخامس، آية ١٧.

(٣) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح السابع، آية ١٠-١١، الإصحاح السابع، آية ٢٧.

(٤) سورة النساء، آية ١٣٠، وقد جوز الطلاق للحاجة وكره مع عدمها انظر: الشوكاني، نيل الأوطار، ج ١٢، حديث رقم ١/ ٢٨٤٢-٥/ ٢٨٤٦، ص ٣٦٦-٣٧٢؛ السيد سابق، فقه السنة، ص ٦٢٦

ويغنيها عنه بأن يعوضه بها من هو خير له منها ويعوضها عنه بمن هو خير لها منه[1]، وقد وضعت شروط ليكون الطلاق صحيحاً[2]، وقد تفرد يوحنا الدمشقي عندما قال "وباستطاعته أن يطلق امرأة واحدة إذا ما أراد ذلك ليتخذ له أخرى، فكلامه هذا يعنى أنه لايستطيع الرجل أن يتزوج إلا بعدما يطلق إحدى نسائه، وهذا الأمر غير صحيح ولا يحدث إلا لو كان الرجل متزوجاً من أربع نساء فلا يحل له أن يتزوج امرأة أخرى إلا بعدما يطلق إحداهن لأن الله هو من حدد للرجال أربعة نساء، كما اتضح عدم معرفة الجدليين بحالات الطلاق جيداً بدليل قولهم: "لا يحق للرجل أن يعيد مطلقته إلا بعدما يتزوجها آخر، وهذا الأمر صحيح لكنه ليس في المطلق، فهذا الأمر لا يحدث إلا في حالة واحدة وهي أن تكون المرأة قد طلقت ثلاث طلقات بائنات ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ ... فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[3]، وهذه الآية الكريمة رافعة لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام، من أن الرجل كان أحق برجعة امرأته، وإن طلقها مائة مرة ما دامت في العدة، فلما كان هذا فيه ضرر على الزوجات قصرهم الله إلى ثلاث طلقات، وأباح الرجعة في المرة والاثنتين، وأبانها بالكلية في الثالثة، فإنها تحرم عليه حتى تنكح زوجاً غيره، أي حتى يطأها زوج آخر في نكاح صحيح، فلو وطئا في غير نكاح، ولو في ملك يمين لم تحل للأول لأنه ليس بزوج، وهكذا لو تزوجت، ولكن لم يدخل بها الزوج لم تحل للأول، حتى تذوق عسيلته كما قال النبي، وقد كان قصد النبي من الزوج الثاني أن يكون راغباً للمرأة قاصداً للعشرة كما هو المشروع من التزويج، فإن تزوجها زوجها الأول

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٢، ص ٤٣١.

(٢) للتعرف عليها يمكن الرجوع لحديث عبد الله بن عمر، انظر: المنذري، حديث رقم ٧٣٠-(١/ ١٤٧١)، ص ١٨٠؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ٨، ص ١٤٢، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض فقال له الرسول ﷺ مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بَعد وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله بها انظر: الزبيدي، فتح الباري، كتاب الطلاق، حديث رقم ١٨٣٩، ص٧٦٤.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٢٩-٢٣٠.

دون حدوث العشرة الصحيحة مع زوجها الثاني عد ذلك المحلل الذي ذم ولعن في الأحاديث، حيث لعن النبي ﷺ المحلل والمحلل له، وقد قال بن عباس ﷺ سئل الرسول ﷺ عن نكاح المحلل فقال: لا إلا نكاح رغبة لا نكاح دُلسة ولا استهزاء بكتاب الله"، ثم يقول تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ أي الزوج الثاني فلا جناح عليهما أي المرأة والزوج الأول أن يتراجعا إن ظنا أنهما سيتعاشرا بالمعروف[1]، ويبدوا من كلام الكندي معرفته بهذا القول عندما قال حتى تذوق عسيلته"، لكنه رفض أمر الانفصال لأنه قد يكون الزوجين أصحاب مكانة في المجتمع ولهما أولاد، وهذا يدل على سقم عقل الكندي فالأمر الإلهي لا يحابي أي إنسان لأن أمر الله نافذ في الجميع، وهذا يدل على أن الأمر من الله وليس كما وسم نيقيتاس البيزنطي بأن هذا الأمر غير ملائم وبربري وتبذيري، فدل على عدم حياديتهم وانصافهم.

وبالنسبة لقولهم كي يرجعها زوجها، فقد ورد ذكره في القرآن قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]، وقد نزلت هذه الآية في الرجل يطلق امرأته طلقة أو طلقتين فتنقضي عدتها ثم يبدوا له أن يتزوجها وأن يراجعها وتريد المرأة ذلك فيمنعها أولياؤها من ذلك فنهاهم الله عن ذلك[3]، وإن كان الشارع الحنيف قد أباح الطلاق إلا أنه حفظ حقوق المرأة بعد الطلاق قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ﴾[4]، ويعد هذا أمر من الله للرجال إذا طلق

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ١، ص ٦١٠-٦١٢، ص ٦٢١-٦٢٩، وللمزيد عن الطلاق وشروطه يمكن الرجوع إلى: الإمام مسلم، صحيح مسلم، مج ٢، كتاب الطلاق، حديث رقم ١-٢١، ص ٦٧٤-٦٧٨، وللمزيد عن الطلاق يمكن الرجوع إلى: عبد الكريم بن محمد اللاحم، المطلع على زاد المستنقع (فقه الأسرة-الطلاق)، مج٣، الرياض، ٢٠١٠م.

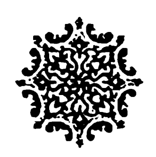
(٢) سورة البقرة، آية ٢٣٢

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ١، ص ٦٣١-٦٣٢.

(٤) سورة البقرة، آية ٢٣١.

المرأة طلاقاً له عليها فيه رجعة، أن يحسن في أمرها إذا انقضت عدتها، ولم يبق منها إلا مقدار ما يمكنه في رجعتها، فإما أن يمسكها، أي يرتجعها إلى عصمة نكاحه بمعروف، وهو أن يشهد على رجعتها وينوى عشرتها بالمعروف، أو يتركها حتى تنقضي عدتها ويخرجها من منزله بالتي هي أحسن من غير شقاق ولا مخاصمة ولا تقابح، وقد نهى الله عن الضرر بالمرأة، كما حذر سبحانه أن يهزأ المرء بآياته[1]، وما سبق ينقض كل ما قاله نيقيتاس البيزنطي بأنه تبذيري وبربري لأن حكمة الله تجلت في الآيات التي ذكرت أعلاه.

ثم قال نيقيتاس البيزنطي "حرم محمد الزنا"[2]، وللنظر لهذا القول نجد أن الكاتب قد اقتضب في قوله هذا، ولنا أن نسأله وهل الزنا أحل في الكتاب المقدس أم أنه ﷺ أتى بشيء جديد، فالمتعارف عليه أن الزنا محرم لديهم فقد جاء في العهد القديم "لا تزن"[3]، ومن الواضح أن العهد القديم يستخدم فقط للتحذير من الارتباط الفعلي في فعل الزنا، بينما يحذر القرآن المجيد من الاقتراب من الزنا[4]، ومن خلال ما كتبه نيقيتاس يتضح أن أي أمر للنبي ﷺ به نفع للناس أو يتلائم مع الفطرة السوية نجد نيقيتاس يغض الطرف عنه، وأي أمر للنبي ﷺ حتى وإن كان ملائماً مع الفطرة لكنه لم يرد ذكره في الكتاب.



(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ١، ص ٦٢٩-٦٣١، وللتعرف على حفاظ الإسلام على حقوق المرأة المطلقة انظر: سورة البقرة، آية ٢٣٦-٢٣٧، سورة البقرة، آية ٢٤١، سورة الأحزاب، آية ٢٨؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مج ١، ص ٦٤١-٦٤٤، ٦٦٠، مج ٦، ص ٤٠٣.

(2) Demetriades, Nicetas Of Byzantium, p. 41.

(٣) سفر الخروج، الإصحاح العشرون، آية ١٤.

(4) Eniola, An Islamic Perspective of Sex and Sexuality, P. 24.

الفصل الخامس
الفتوحات الإسلامية في الكتابات البيزنطية

أولاً : عمليات الفتح ومجالاتها .

(أ - فتوح الشام- ب- فتح بيت المقدس- ت - فتح مصر- ث- محاولات فتح قبرص- ج- محاولات فتح القسطنطينية) .

ثانياً : المعاهدات .

(أ - معاهدات بناء على طلب المسلمين- ب - معاهدات تمت بناء على طلب البيزنطيين- ج - معاهدات بناء على طلب المتمردين) .

الفصل الخامس
الفتوحات الإسلامية في الكتابات البيزنطية

أولاً:عمليات الفتح ومجالاتها:

أ- فتوح الشام :

حمل المسلمون على عاتقهم بعد وفاة النبي محمد ﷺ تقويض[1] أكبر قوتين عظيمتين هما الإمبراطورية البيزنطية والإمبراطورية الفارسية، لذا وبمجرد تولي أبو بكر الصديق ﷺ الخلافة واجه هاتين القوتين، فأنفذ جيش أسامة بن زيد ﷺ للشام في العام (٦٣٢م/ ١١هـ)؛ تنفيذاً لرغبة رسول الله ﷺ وبعث بهذه الحملة كما أعدها الرسول ﷺ إلى مشارف الشام، وذلك لأنه رأى فيها مناورة حربية وسياسية تشعر البيزنطيين بقوة المسلمين وثبات مركزهم[2]، وقد نجحت حملة أسامة بن زيد رضي الله عنهما وعاد للمدينة يصحبه النصر[3]، ولعل أوثق شهادة

---

(١) أرسل الله نبيه لنشر السلم والعدل بين الناس، وأمر النبي أتباعه بامتثال أمر ربه بدعوة الناس بالحسنى، لكن كبرياء دولتا الروم والفرس قد جعلهما يأبيا حق الحياة على كل من آمن بالله ورسوله، ويمنعا كل من أراد أن يدين بدين الإسلام، وينفك من أسر الجاهلية، وقد حملها هذا الموقف المتجبر والمتنعت على قتل كل من كان يريد أن يدخل في الإسلام من أتباعها، كما فعل الروم بفَرْوَة بن عمرو الجُذامي، الذي كان والياً على مَعَان من قِبَلِ الروم، الباحثة.

(٢) طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج ١، البيزنطيون والعالم الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٤٢.

(٣) حيث وصل إلى أبنى وآبل الزيت ومؤتة وأغار على قبائل قضاعة وجذام ولخم وللتعرف على هذه المواضع التي ذهب إليها أسامة وظروف وجوده بها يمكن الرجوع إلى: ابن خياط، تاريخه، ص ١٠٠-١٠١؛ ابن عساكر، أبي القاسم على بن الحسن ابن هبة الله ابن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٤٩٩/ ٥٧١هـ)، تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، بيروت، ١٩٩٥م، ج ٢، ص ٤٦-٦٠. =

للفتوحات تلك التي كتبها المؤرخ الأرميني سيبيوس الذي يعد شاهد عيان، وقد نقل البيزنطيون عنه الكثير من الأحداث فقال: "تجمع جميع بقايا بني إسرائيل واتحدوا؛ فأصبحوا قوة كبيرة ثم أرسلوا رسالة إلى الإمبراطور البيزنطي قائلين: لقد أعطى الله ذلك البلد كملك موروث لإبراهيم وأبنائه من بعده، ونحن أبناء إبراهيم، وإنه كثير جداً أن تأخذ بلدنا فاتركها بسلام، وأعطنا ما استوليت عليه بالإضافة إلى الفائدة، فرفض الإمبراطور، وقال: البلد لي وميراثكم الصحراء لذا اذهبوا بسلام إلى بلدكم، ثم بدأ هرقل ينظم قواته لألوية وجعل أحد خصيانه قائداً عليها، وأمرهم بالذهاب إلى شبه الجزيرة العربية، وأمرهم يأن يحفاظوا على حالة التأهب وألا يشتركوا في الحرب حتى يتمكن من تجميع قواته الأخرى ويرسالها للمساعدة، لكن عندما وصل البيزنطيون إلى الأردن عبروا إلى العربية وبدأوا بقتل العرب، ولكنهم وقعوا في كمينهم حيث خرج رجالهم فجأة من أماكنهم في الكمائن وسقطوا عليهم فحل رعب الرب على القوات البيزنطية، فلم تتمكن من الفرار بسبب الرمال المتحركة التي غرسوا بها إلى الساقين، بالإضافة لحرارة الشمس، لذا سقط كل الجنرالات وقتل كثير من الرجال، وهرب عدد قليل من الناجين، أما العرب فعبروا الأردن ونزلوا في أريحا، وأفزعوا سكان البلد، وخضع الجميع لهم، لذا أخذ المقدسيون صليب الرب وجميع أوعية كنائس الله معهم وهربوا على متن قارب إلى القصر في القسطنطينية"[1].

وقد تحدث جيفوند عن هذه الأحداث فقال: "لم يجرؤ العرب طيلة حياة هرقل المتوج من الله على شن غارات ضد اليهود، حيث انتشرت سمعة هرقل وشجاعته فأرعبتهم، وبمجرد أن جاء ابن هرقل - قسطنطين الثالث، ٦١٣-٦٤١م/٩ ق.هـ-٢٠هـ- إلى الحكم خلفاً لوالده، أيقظ الرب أرواح الرجال

= ولعل أهم نجاح لأسامة بن زيد أنه ما كان يمر بقوم ولا قبيلة يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ومنعة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج ٢، ص ١٩٩-٢٠٠.

(1) Sebeos, History, pp. 124-126.

الحاقدين ليسفكوا دم المسيحيين[١]، حيث سلطهم للإنتقام لأننا أخطأنا بحضرة الرب الإله فبدأ العرب في تشكيل ألوية وقوات ضخمة ضد مملكة قسطنطين وضد اليهود وأشور، وكان اليهود من مؤيديهم وقادتهم فاتجهوا إلى معسكر مديّم Madiam، وقالوا لهم: أن الله وعد إبراهيم بأنه سيخضع سكان العالم لخدمته، ونحن ورثته وأبناء البطريرك، وبسبب شرنا أصبح يشمئز منا ورفع صولجان الملكية منا، وأخضعنا للعبودية، وبما انكم أيضاً أبناء إبراهيم وأبناء البطريرك فقوموا معنا وأنقذونا من خدمة إمبراطور البيزنطيين، وسنحافظ معاً على عالمنا اليهودي، فتشجع العرب وذهبوا ضد اليهودية/ إسرائيل، وعندما علم إمبراطور البيزنطيين كتب إلى قائده في يهودا وأمره بتجمع قواته والذهاب لقتال السراسنة، وفور تلقى القائد الأمر الإمبراطوري كتب إلى القادة العسكريين الذين كانوا تحت سلطته، كي يأتوا إليه أينما كانوا، فأتوا جميعاً بسرعة، وشكلوا جيشاً عظيماً ضد اللصوص[٢] الذين نمت قوتهم فالتقى الجانبان قرب حدود المكان الذي يسمى الصخرة العربية/ بلاد العرب، فسقطوا بيد العرب لأنهم حاربوا وهم منهكوا القوى بسبب ثقل الأسلحة التي كانوا يحملونها بالإضافة لحرارة الشمس والرمال الساخنة، ووعورة الأماكن الصخرية؛ لذا عندما هاجموا جيش الروم سددوا له ضربات عديدة جداً، بل إنهم قتلوا معظم من فرّ، أما الناجون فقد امتطوا خيولهم وهربوا إلى بلادهم، فحمل الإسماعيليون كنوز الروم كغنائم وسلبوا المقتولين بالسيف وقفلوا عائدين إلى بلادهم مبتهجين، ثم استولوا بعد ذلك على إسرائيل وبلاد آشور وفرضوا عليهما الجزية التي فرضوها أيضاً على كنائس مدينة القدس المقدسة ومنذئذ توقفت إسرائيل وسوريا عن دفع الجزية لملك الروم لأن جيش الروم لم يفلح في مقاومة إسماعيل، وهكذا جاء إسماعيل ليحكم يهودا"[٣].

---

(١) أخطأ جيفوند حينما جعل حركة الفتوحات بعد وفاة هرقل فالثابت تاريخياً أنها بدأت في حياته.

(٢) يبدوا أن هذا كان وسم العرب في ذلك الوقت، وهذا يعد تقليل من شأن العرب ومكانتهم انظر: التمهيد.

(3) Ghewond's History, Sources of the Armenian Tradition, Translated from Classical Armenian by Robert Bedrosian, (Long Branch, N.J., 2006), p. 1.

وقد تحدث الكتاب البيزنطيون عن هذه الفتوحات فقال المؤرخ البيزنطي ثيوفانيس: "أرسل أبوبكر[1] في عام (٦٣١-٦٣٢م/ ١٠-١١هـ)[2] أربعة قادة من العرب الذين تحدثت عنهم في وقت سابق[3]، فجاؤا وأخذوا الحيرة Hera وكل أراضي غزة، وعلى الفور وصل سرجيوس[4] من قيصرية بفلسطين بصعوبة مع عدد قليل من جنوده، وبمجرد دخوله المعركة كان أول من قتل مع جنوده الثلاثمائة[5]، وقد عاد العرب إلى ديارهم بعدما أحرزوا نصراً رائعاً وأخذوا العديد من الأسرى والكثير من الغنائم، وفي نفس الوقت حدث زلزال في فلسطين، وظهرت علامة حربة في السماء تسمى dokites، وكانت على شكل سيف وبقيت لمدة ثلاثين يوماً تنتقل من الجنوب إلى الشمال فعدت كنذير للفتح العربي، ثم بعث عمر[6] حملة ضد العربية في عام (٦٣٢/ ٦٣٣م) فاستولى على

---

(١) وهو عتيق ابن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب، ولي الحكم في شهر ربيع الأول من سنة إحدى عشرة من هجرة النبي ﷺ، فولى سنتين وأربعة أشهر إلا ثمانية أيام، للمزيد انظر: ابن حبيب، المحبر، ص ١٢-١٣؛ ابن قتيبة الدينورى، المعارف، ١٦٧-١٧٥.

(٢) أخطأ ثيوفانيس في التاريخ حيث أن الجيوش لم تخرج إلا في عام (٦٣٣م/ ١٢هـ).

(٣) وقد تحدث ثيوفانيس عن غزوة مؤتة وأمرائها الثلاثة وضم إليهم خالد بن الوليد الذي أنقذ جيش المسلمين، ويمكن الرجوع للفصل الأول.

(٤) أرستقراطي من قيسارية، التقى بالعرب في عام ٦٣٤م فهزم وقتل، وقد كان قائداً للجيش البيزنطي، كما كان مرشحاً ليكون ضمن الحرس الشخصي للإمبراطور، وأصبح ذا مكانة عالية في القرن السابع، وربما يشار إليه في المصادر البيزنطية على أنه القائد باردان/ فاردان أو وردان في المصادر السريانية المبكرة ولربما يكون الاسم لقائدين بيزنطيين، ومن الممكن أن يكون سرجيوس أرميني.
Hoyland, Seeing Islam as others saw it, p. 60, Kaegi, Byzantium and the early Islamic conquest, Cambridge University Press, 2000, pp. 88-89.

(٥) قيل أن عدد قواته كان ٥٠٠٠ وقد أبيدت جميعاً، تيسير خلف، الرواية السريانية للفتوحات الإسلامية، دمشق، ٢٠١٠م، ص ٤٢-٤٣.

(٦) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب ابن لؤي بن غالب، ولي الخلافة عشر سنين وثمانية أشهر، للمزيد عنه انظر: ابن حبيب، المحبر، ص ١٣-١٤؛ ابن قتيبة، كتاب المعارف، ص ١٧٩ وما بعدها.

مدينة بصرى Bostra وغيرها من المدن وتقدموا نحو أجنادين Gabitha التي كان عليها تيودور شقيق الإمبراطور هرقل فاشتبك معهم، لكنه هزم وذهب إلى الإمبراطور في الرها Edessa [1]، لذا عين الإمبراطور قائداً آخر يدعى بانيس Banes، وأرسل تيودور sakellarios على رأس الجيش الروماني ضد العرب، فجاء إلى حمص لاستردادها والتقى بعدد كبير من المسلمين الذين ذهبوا مع أميرهم إلى دمشق وعسكروا عند نهر بارديانيوس Bardanesios، أما هرقل فقد تخلى بأسى عن سوريا، وأخذ معه الصليب المقدس من القدس ذاهباً للقسطنطينية وأمر بتحول بانياس وتيودور Sakellarios من دمشق إلى حمص Emesa ليكونا على رأس جيش قوامه ٤٠.٠٠٠ ليقوموا بمطاردة العرب من حمص إلى دمشق، وعندما علم بانياس بخروج قوات كبيرة للمسلمين من العربية منطلقين بحملة إلى دمشق في عام (٦٣٣ -٦٣٤م/ ١١-١٢هـ)، فأرسل رسالة إلى ساكيلاريوس الإمبراطورى Imperial Sakellarios يطلب منه أن يأتي مع جيشه لمساعدته، ليرى أن العرب كانوا كثيرين جداً لذلك انضم ساكيلاريوس لبنياس وانطلقا من حمص، والتقيا بالعرب فنشبت المعركة، وقد هزم رجال الساكلاريوس في اليوم الأول الذي هو يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر يوليو، أعلن الجنود بانياس امبراطوراً متخليين عن هرقل، فانسحب رجال الساكلاريوس، لذا اغتنم المسلمون هذه الفرصة، ودخلوا في المعركة في الوقت الذي هبت فيه رياح جنوبية في اتجاه الرومان الذين لم يتمكنوا من مواجهة عدوهم بسبب الغبار فهزموا، فعاقبوا أنفسهم بإلقاء أنفسهم في نهر Hiermoucht الضيق فهلكوا جميعاً، وقد كان عدد قوات الجيشين ٤٠.٠٠٠، وبعد هذا

---

(١) كان الإمبراطور وهو في الرها يحاول أن ينظم دفاع الجزء الشمالي من بلاد ما بين النهرين والجزء الجنوبي الشرقي للأناضول، ثم انتقل بعد ذلك إلى أعلى منطقة نهر الفرات قبل أن يتحرك غرباً باتجاه القسطنطينية.

Kennedy, H., The great Arab conquests How the spread of Islam changed the world we live in, London, 2010, p. 53.

الانتصار الرائع ذهب العرب إلى دمشق واستولوا عليها كما استولوا على فينيقيا -لبنان-، واستقروا هناك"[١].

أما البطريرك[٢] نقفور فقد قال: "بعد فترة قصيرة إجتاح المسلمون المنطقة المحيطة بأنطاكية Antioch، وفي الحال انطلق هرقل ومعه زوجته مارتينا وابنه هرقل متجهاً نحو الأقاليم الشرقية، وهناك غضب غضباً شديداً على أخيه ثيودور Theodore بعدما سمع عن إساءة ثيودور لزوجته مارتينا في بعض المناطق حيث كان دائماً يقول عنها: إن خطيئته تسبقه باستمرار[٣] فأمر بإرساله على وجه السرعة إلى القسطنطينية وأمر ابنه قسطنطين أن يجرده من ألقابه الشرفية أمام مجلس عام، ثم يلقى به في السجن، وعين المدعو ثيودور وكنيته تريثيريوس Trithyrios وكان يشغل منصب أمين الخزانة الإمبراطورية، وقائداً عاما للقوات الشرقية[٤]، وتوفي سرجيوس الـ Kata Niketan آنذاك على النحو التالي قام المسلمون بسلخ جلد جمل ثم وضعوه داخل جلده وقاموا بحياكته، وجف

---

(1) Theophanes,The Chronicle, pp. 467-470, Łódź, B, C., islam, the arabs and Umayyad rulers according to Theophanes the confessor's chronography, Studia Ceranea 2, 2012, p.102.

هي عاصمة مقاطعة osrhorne أخذها العرب ٦٤٠م، وظلت مركزاً مسيحياً وتجارياً مهماً في العالم الإسلامي.

OBD, vol. 1, p. 676.

(٢) لقب ديني يحمله الأسقف الذي يتولى رئاسة الكنيسة البيزنطية، أي بطريركية القسطنينية، للمزيد انظر: طارق منصور، بيزنطة: مدينة الحضارة والنظم (دراسات وبحوث)، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠١٥م، ص ١٣٤-١٣٦.

(٣) ويقصد أن هرقل قد تزوج زوجته الثانية مارتينا Martina ابنة أخته بعد وفاة زوجته الأولى يودكيا عام (٦١٣/٦١٤م) وقد أثار هذا الزواج فضيحة كبرى لأنه عد من المحرمات، البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ص ٦٠، ٦٥.

OBD، vol. 2، pp. 1307-1308.

دونالد نيكول، معجم التراجم، ص١٦٧؛ ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية، ص ٨٩.

(٤) وقد كانت القيادة مشتركة بين ساكلاريوس ثيودور تريثوريوس ونيكيتاس Nikets نجل شهرابراز وفاهان فارسي.

OBD, vol. 3, p. 2214.

الجلد إلى أن تصلب وقضى على الرجل بداخله وبطريقة مؤلمة، وكانت تهمة الرجل أنه أقنع هرقل ألا يسمح للمسلمين بالتجارة في الأراضى الرومانية فأضاع عليهم الأرباح التي كانوا يجنونها من وراء هذه التجارة، ولهذا السبب بدءوا في تدمير الأراضى الرومانية، فأمر هرقل ثيودور ألا يشتبك في معركة مع المسلمين[1] إلا أن قائده العام التابع له لم يتصرف وفقاً لرغبة الإمبراطور، لأنه كان يخطط للقيام بتمرد وحث رجاله على قتال العدو بطريقة مفاجأة ظنا منه أن تحقيق النصر سيكون في صالح المتمردين ضد الإمبراطور، ولهذا اشتبك في معركة ضد المسلمين في مكان يدعى أجنادين Gabitha لكنهم بعد أن نصبوا الكمائن وناوشهم في قلة من الرجال تفوقوا على الرومان وأحاطوا بهم وذبحوا أعداداً منهم"[2].

والمتأمل لما سبق يرى أن ثيوفانيس والبطريرك نقفور قد اطلعا على ما كتبه سيبيوس المؤرخ الأرميني والمصادر العربية والتي ذكرت أن أبا بكر ﷺ جهز الجيوش لغزو الروم بالشام وأمر الأمراء في سنة (٦٣٤م/ ١٣هـ)، وأرسل شرحبيل بن حسنة ﷺ بالأردن، وأمر يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما على جيش عظيم فنزل البلقاء بدمشق، وأرسل أبوعبيدة بن الجراح ﷺ وأمره بحمص فنزل الجابية وأرسل عمرو بن العاص ﷺ لفلسطين فنزل العربة[3]، فبلغ الروم

---

(١) وقد ذكر أغابيوس المنبجي أن هرقل لما رأى انطراد الروم وهو بأنطاكية وبلغه ما صنع العرب بالفرس إعتراه الحنق والغضب وركبته الكآبة، وكتب إلى مصر والشام والجزيرة وأرمينية يأمرهم ألا يحاربوا العرب ولا يقاوموا أمر الله وعرفهم أن هذه آفة أرسلها الله تعالى إلى الناس وأنه لا مرد لأمر الله وأنه لابد منه، المكلل بفضائل الحكمة، ص ٣٤٢.

(٢) البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ص٧١، وقد هزم البيزنطيون رغم اعتمادهم بشكل كبير جداً على العرب المحليين فيما يتعلق بتوفير المؤن والإمدادات.

Kaegi, Byzantium and the early Islamic conquests, p. 55.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي، فتوح البلدان، ط ١، مطبعة الموسوعات، القاهرة، ١٩٠١م، ص ١١٥؛ ابن أعثم، أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ/٩٢٦م)، كتاب الفتوح، تحقيق على شيرى، ج ١، دار الأضواء، ط ١، لبنان، ١٩٩١م، ص ٨١-٨٢.

ذلك فكتبوا إلى هرقل -وكان بالقدس- فقال: أروا أن تصالحوا المسلمين فوالله لأن تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أحب إليكم من أن يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم، فتفرقوا عنه وعصوه فجمعهم وسار بهم إلى حمص فنزلها، وأعد الجنود والعساكر وأراد إشغال كل طائفة من المسلمين بطائفة من عسكره لكثرة جنده لتضعف كل فرقة من المسلمين عمن بإزائها فأرسل تذارق أخاه لأبيه وأمه في تسعين ألفاً إلى عمرو ﷺ، وأرسل جرجة بن توذر إلى يزيد بن أبي سفيان ﷺ وبعث القبقلار بن نسطوس في ستين ألفاً إلى أبي عبيدة بن الجراح ﷺ وبعث الدراقص نحو شرحبيل ﷺ فهابهم المسلمون، وكاتبوا عمراً ﷺ ما الرأى؟ فأجابهم: إن الرأي لمثلنا الاجتماع فإن مثلنا إن اجتمعنا لا نغلب من قلة فإن تفرقنا لا تقوم كل فرقة لمن إستقبلها لكثرة عدونا فاجتمعوا مع الروم باليرموك، وعندما رأى المسلمون تطاول الروم طلبوا مدداً من أبي بكر ﷺ فأرسل لهم خالد ﷺ الذي كان في الحيرة بالعراق ليكون معيناً لأبي عبيدة بن الجراح ﷺ [١]، فالتقيا بالجابية ومضيا جميعاً إلى بُصرى وافتتحوها صلحاً مقابل الجزية[٢]، وقد كانت هذه أول مدينة أخذها المسلمون[٣]، وبوصول خالد ﷺ أصبح عدد المسلمين ٣٠.٠٠٠ ومن بينهم ألف صحابي فيهم مائة ممن شهدوا بدراً، أما الروم فكان عددهم مائتي وأربعين ألفاً منهم ثمانون ألف مُقيد، وأربعون ألف مسلسل للموت وأربعون ألفاً مربوطون بالعمائم لئلا يفروا، وثمانون ألف راجل، فانتصر المسلمون[٤]، وقتل سرجيوس البطريق

---

(١) الأزدي، كتاب فتوح الشام، ص ٥٧-٦٣؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١٥-١١٨؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسي، تاريخه، ليدن، ١٨٨٣م، ج ٢، ص ١٥٠؛ وقد انفرد ابن الأثير بذكر عرض هرقل الصلح، انظر: الكامل في التاريخ، مج ٢، ص ٢٥٢-٢٦٢.

(٢) الأزدي، كتاب فتوح الشام، ص ٦٦-٧١؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١٨-١١٩؛ ابن خياط، تاريخه، ص ١١٩؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج ١، ص ١٠٥ وما بعدها.

(3) Kennedy, The great Arab conquests, p. 49.

(٤) فكانت هذه المعركة حداً فاصلاً بين المسلمين والروم، فقد أدى هذا النصر إلى ازدياد قوة المسلمين وتدهور الحالة المعنوية للبيزنطيين، كما لفت انتباه أباطرة بيزنطة إلى=

بعدما سقط من فرسه، وعندما سمع هرقل وهو بحمص عن هزيمة الروم نادى بالرحيل عنها وجعلها بينه وبين المسلمين، وأمر عليها أميراً كما أمر على دمشق[1]، ثم كانت بعد اليرموك وقعة أجنادين وكانت يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة بقت من جمادى الأولى سنة (٦٣٤م/ ١٣هـ)، سار خالد وأبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل ابن حسنة ويزيد بن أبي سفيان رضوان الله عليهم إلى فلسطين مدداً لعمرو بن العاص ﷺ[2] المقيم بالعربات -من غور فلسطين- واجتمعت الروم بأجنادين، وعليهم تذارق "ثيودور" أخو هرقل لأبويه -وقيل كان على الروم "القبقلار"، وسار عمرو بن العاص ﷺ حين سمع بالمسلمين فلقيهم، ونزلوا بأجنادين وعسكروا بها، وكان هرقل يومئذ مقيم بحمص فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً حتى هزم الروم وقتل القبقلار وتذارق، ولما بلغ الخبر هرقل نخب قلبه وسقط في يده وملئ رعباً وهرب من حمص إلى أنطاكية، وقيل هرب بمجرد قدوم المسلمين الشام، ثم حدثت واقعة فحل بالأردن وسببها أن هرقل بعدما فر لأنطاكية استنفر الروم وأهل الجزيرة وبعث عليهم رجلا من خاصته وثقاته فقاتلوا المسلمين أشد قتال حتى أظهر الله المسلمين عليهم وقتل بطريقهم وعشرة ألف

= حجم القوة الإسلامية الصاعدة ومدى خطورتها على الأمن البيزنطي الداخلي والخارجي، وهو الأمر الذي أجبر قادة بيزنطة على القيام بإصلاحات إدارية وعسكرية لتدعم القوة الحربية لبيزنطة لصد المسلمين بعد ذلك، طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج ١، ص ٤٦.

(١) البلاذري، فتح البلدان، ص ١٤١-١٤٣؛ ، وهناك رواية أخرى تذكر أن معركة اليرموك كانت بعد معركة أجنادين وقبل فتح القدس، انظر: الواقدي، أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ)، فتوح الشام، ضبطه وصححه عبد اللطيف عبد الرحمن، لبنان، ١٩٩٧، ج ١، ص ١٤٨ وما بعدها؛ بن خليفة، تاريخه، ص ١٣٠-١٣١؛ الحافظ الذهبي (٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧م)، العبر في خبر من غبر، ج ١، تحقيق، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، لبنان، ١٩٨٥م، ص ١٤.

(٢) ابن وائل بن هشام بن سهم بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، كان يكنى أبا عبد الله، أسلم سنة ثمان مع خالد بن الوليد، وولاه معاوية مصر ثلاث سنين، ثم حضرته الوفاة قبل الفطر بيوم، وقبض وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ودفن يوم الفطر بجبل المقطم، ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٨٥.

معه وتفرق الباقون في مدن الشام ولحق بعضهم بهرقل وصالح أهل فحل على دفع الجزية[1].

وقد جعل سيبيوس سبب هزيمة وهروب ثيودور شقيق الإمبراطور هو الهجوم المفاجئ للعرب عليه بالسيف[2]، كما وجدت رواية أخرى وهى أنه لما انصرف أبوعبيدة وخالد إلى حمص[3] سار عمرو وشرحبيل إلى بيسان وافتتحاها صلحاً واجتمع عسكر الروم بغزة وأجنادين وبيسان فسار عمرو وشرحبيل إلى الأرطبون، وقد كان الأرطبون أدهى الروم وكان قد وضع بالرملة جنداً عظيماً وبإيلياء جنداً عظيماً وقد سار إليه عمرو كرسول وسمع كلامه، وتأمل حصونه حتى عرف ما أراد ففطن به الأرطبون وأراد قتله ففطن عمرو ﷺ بذلك، واحتال حتى خرج سالماً من عنده وهذا السياق في عام (٦٣٦م/ ١٥هـ)، وسياقه غير السياق السابق[4]، ثم اتجهت الجيوش إلى دمشق وحاصرتها حتى تم فتحها"[5].

---

(١) الواقدي، أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ)، فتوح الشام، ضبطه وصححه عبد اللطيف عبد الرحمن، لبنان، ١٩٩٧، ج ١، ص٥٩-٦١؛ بن الخياط، تاريخه، ص ١١٩-١٢٠؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٩-١٢٠، أجنادين موضع معروف من نواحي الشام بفلسطين من كورة بيت جبرين، كانت به وقعة شهيرة بين المسلمين والروم، بن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٩٨، اليرموك واد بناحية الشام في طرف الثغور، يصب في نهر الأردن وقعت عليه معركة اليرموك الفاصلة بين المسلمين والروم، مهند صادق، الجهود الإسلامية، ص٣٢.

(2) Sebeos، History، pp. 123-124.

(٣) للتعرف على ظروف نزول المسلمين حمص ومصالحة أهلها انظر: الواقدي، فتوح الشام، ج ١، ص ١٣١-١٣٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج ٢، ص ٣٤٥، وقد وجدت أكثر من رواية لوقت حصار دمشق انظر: جوزيف نسيم، الإسلام والمسيحية وصراع القوى بينهما في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٣٢-٣٣.

(٥) الأزدي، كتاب فتوح الشام، ص ٨١ ومابعدها، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ١٠٩ وما بعدها.

والمتأمل لما سبق يجد رغم أن المؤرخان البيزنطيان قد اطلعا على المصادر العربية إلا أنهما لم يذكرا بالتفصيل ما جاء في المصادر العربية فأوجزا فجاءت معلوماتهما ناقصة وغير متكاملة بل تكاد تكون مبهمة فبالنسبة لثيوفانيس فقد تطابق ذكره عن الأمراء الأربعة مع ما جاء في المصادر العربية، والمتأمل للأحداث التي ذكرها ثيوفانيس يجد أنه قد قسمها إلى جزئين أحداث وقعت في عهد أبي بكر ﷺ والأخرى في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، مما يدل على أنه كان أكثر دقة خلال سرد أحداثه من البطريرك نقفور الذي تحدث بوجه عام، ورغم أن ثيوفانيس قد تحدث عن أحداث معركة اليرموك لكنه لم يذكر اسمها صراحة أثناء سردهُ للأحدث وقد غاب عنه أن يوضح اسم المعركة، وقد اتفق ثيوفانيس والبطريرك نقفور مع ما جاء في المصادر العربية عن مقتل سرجيوس القائد العام الذي حاول مواجهة العرب بكتيبة صغيرة من قيصرية Caesarea [1]، لكنه هزم وقتل حوالى عام ٦٣٣ م، لكن يبدوا أن البطريرك نقفور قصد شخصاً آخر غير الذي تحدث عنه ثيوفانيس لذا قال سرجيون الـ Kata Niketan فصيغة الاسم توضح أنه كان في خدمة نيقيتاس ابن عم الإمبراطور[2]، وقد كان البطريرك نقفور أكثر تفصيلاً من ثيوفانيس حينما ذكر تفاصيل موته بطريقة بشعة، وعلل موته بهذه الطريقة لأنه حرض هرقل على منع مرور تجارة العرب؛ لذا عاقبه العرب، وبالطبع لم يرد أي شيء من هذا القبيل في المصادر العربية، ولا تدرى

---

(١) عاصمة كابادوكيا Cappadocia ازدهرت على يد القديس باسيل العظيم بعدما دمر مسيحيوها المتحمسون معابدها الوثنية، فأصبحت قاعدة عسكرية كبيرة ومصانع للأسلحة والمنسوجات تمد بها الإمبراطورية، وقد قام جستنيان الأول justnian 1 باستبدال أسوارها القديمة والتي احتوت بداخلها على الحقول والحدائق والمراعي، وجعل بها حصن قصير لكنه أكثر قابلية للدفاع، وعلى الرغم من أن قيصرية قاومت خسرو الأول عام ٥٧٥م، إلا أن خسرو الثاني قام بأحراقها عام ٦١١م، وقد هاجمتها العرب أول مرة عام ٦٤٦م سيطروا عليها عام ٧٢٦، للمزيد انظر:

OBD, vol. 1. pp. 363-364.

(٢) البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ص ١٢٧.

الباحثة من أين استقى البطريرك نقفور قوله هذا، وإن كان قد استقاه من أي مصدر آخر فلماذا لم يذكره ثيوفانيس.

وقد نظر للهزيمة على أنها عقاب من الله على الخطيئة[1]، ويعزز ذلك ما ذكره ميخائيل السرياني حين قال "دمر المسلمون قيصرية فلسطين لأن حكامها لم يعرفوا الرب ولم يفهم الشيوخ القضاء فامتلأت شوارعها وأزقتها إثماً، ودنس الشباب والشابات بعضهم البعض، ووصل صراخ المظلومين إلى مسامع الرب فسلط عليها غضب المسلمين[2]، وترى الباحثة أن هذا قد يكون سبباً للهزيمة لكن ليس السبب الوحيد فلابد أن يكون لسوء التخطيط وعدم تقدير قوة المسلمين نصيب في أسباب الهزيمة.

وقد أخطأ ثيوفانيس عندما ذكر أن العرب بعدما قتلوا سرجيوس ومن معه عادوا إلى ديارهم محملين بالغنائم، فالثابت تاريخياً أن القوات الإسلامية التي قاتلت في اليرموك استمرت في الشام حتى أكملت فتح الشام بعدما خاضت العديد من المعارك، وبالنسبة لعدد القوات التي شاركت في المعركة فترى الباحثة انه قد يكون بها نوع من المبالغة، لكنها قد تدل على كثافة القوات وترمز لاستعداد كلا الجانبين كل حسب أقصى قوته.

تحدث ثيوفانيس عن معركة الجابية وجعلها في عهد عمر بن الخطاب ﷺ ولم يحدد عدد قوات الجيشين وهو بذلك يتفق مع ما جاء في المصادر الإسلامية، ولم يتعرض ثيوفانيس أو البطريرك نقفور لسبب هذه المعركة، وقد انفرد المؤرخ سيبيوس الذي قال: إن اليهود هم السبب في نشوب الحرب مع العرب لمطالبتهم بميراث أبيهم إبراهيم فنشبت الحرب التي نتج عنها هزيمة ثيودور[3].

وقد اتفق ثيوفانيس مع البطريك نقفور عندما تحدثا عن عزل ثيودور شقيق هرقل بعد معركة أجنادين وتعيين آخر بدلاً عنه على إثر هزيمته أمام العرب

---

(1) Tolan, Réactions chretiennes aux conquêtes musulmanes, P. 349.

(٢) تاريخه، ج ٢، ص ٣٠٦، ٣٢٦.

(٣) ألفرد بتلر، فتح العرب، عربه محمد فريد أبو حديد بك، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٩٥-١٩٦.

وفراره إلى الرها حيث هرقل، لكن انفرد ثيوفانيس عن البطريرك نقفور فسمى القائد بانياس، أما البطريرك نقفور فقد ذكر سبباً آخر لعزل هرقل شقيقه وهو إهانته لزوجته مارتينا، أما المصادر الإسلامية ذكرت أن ثيودور شقيق هرقل كان ضمن قادة معركة الجابية وهذا يناقض ما ذكره ثيوفانيس والبطريرك نقفور.

وبالنسبة لمكان وجود هرقل وقت الفتح الإسلامي فقد ذكر البطريك نقفور أن الإمبراطور قدم للشرق هو وزوجته وأبنائه بعدما سمع عن إجتياح المسلمين لأنطاكية في الوقت الذي تحدثت فيه المصادر الإسلامية عن أنه كان في القدس[1]، ولم يفلح في إقناع الروم بالصلح مع المسلمين، لذا خطب فيهم خطبة حماسية لشحذ همم الروم لقتال المسلمين وقد ألقاها في القدس ثم في دمشق وحمص وأنطاكية ثم مدهم بالرجال والسلاح والعتاد لقتال المسلمين[2].

والمتأمل لما كتبه البطريرك نقفور يجده قد أغفل ذكر الكثير من الأحداث التي أدت لفتوح الشام فلم يتحدث عن معركة اليرموك وما تلاها من فتح بيت المقدس وباقى مدن الشام[3]، ولنا أن نتسائل ما السبب الذي دفع البطريرك لفعل هذا هل رأى هذه الأحداث عديمة الأهمية فنحاها جانباً أم أنه لم يوفق في الحصول على هذه المعلومات.

أما ثيوفانيس فقد ذكر سبب معركة أجنادين أن بانياس أرسل ثيودور ساكيلاريوس على رأس قوات المسلمين لكنه لم يوضح ما حدث في المعركة لكن يتضح من سياق كلامه أنهم هزموا لأنه ذكر أن هرقل تخلى بأسى عن سورية ذاهباً للقسطنطينية[4].

---

(١) كان بفلسطين، الأزدي، كتاب فتوح الشام، ص ٢٢.

(٢) الأزدي، فتوح الشام، ص ٢٢-٢٣.

(3) Sicker, M., The Islamic world in Ascendancy From the Arab Conquests to the Siege of Vienna, United States of America, 2000, p. 12.

(٤) وبذلك لم يدافع الإمبراطور عن القدس وللمزيد يمكن الرجوع إلى:

Sahas, D, J., Why did Heraclius not defend D Jerusalem, and fight the Arabs ?, parole del'Ortent 24 (1999), pp. 79-97.

وهذا يتناقض مع ما ذكر في المصادر الإسلامية التي قالت إنه ذهب لأنطاكية[1].

انفرد سيبيوس عن المؤرخين بخبر إرسال أهل بيت المقدس الصليب ومتعلقات الكنيسة خلف هرقل الذي عاد للقسطنطينية بعد معركة اليرموك، ويبدوا أن قوله أقرب للصحة مما ذكره ثيوفانيس من أن هرقل حمله معه وهو عائد للقسطنطينية.

كما اتضح من سياق حديث كل من ثيوفانيس والبطريرك نقفور وجود مؤامرة ضد هرقل فذكر البطريرك نقفور أنهم لم يستجيبوا لأمر هرقل لهم بعدم الإشتباك مع العرب في أجنادين لكنهم إشتبكوا معهم، وهذا يدل على أن قادته كان هدفهم مصالحهم الشخصية، وليس مجد الإمبراطورية، فكان كل منهم يتحين الفرصة للوثوب للسلطة، لكن ثيوفانيس أكمل قصة التمرد بانسحاب رجال الساكلاريوس من جيش بانياس الذي نصب إمبراطوراً فكان سبباً لهزيمة الرومان أمام العرب بالإضافة لأن الرياح هبت ضدهم فحاصرهم المسلمون وقتلوهم، ومن سياق حديث ثيوفانيس يتضح أنه ممن يؤمنون بالفأل، وما شابه بدليل ذكره علامة السيف في السماء، والرياح الجنوبية حيث جعلها سبباً لهزيمة الرومان، وتناسى أو تغافل عن ذكر الأسباب الحقيقية التي أدت لهزيمتهم، وكان حرى به أن يذكرها إذا كان يريد أن يصلح الضعف الذي حل بجيشه.

وقد وجدت عدت آراء حاولت أن تفسر سبب هزيمة البيزنطيين واستشفت من سياق الأحداث أن هرقل لم يكن لديه إدراك بالتهديد العربي الذي لم يتوقعه، لذا لم يكن لديه استعدادات دفاعية لتأمين فلسطين وسوريا في أوائل ومنتصف عام (٦٣٠م/ ٩هـ)، لكنه قام بعمل ترتيبات عسكرية أو حربية مؤقتة

---

(١) لكن ابن العبري ذكر أن هرقل رحل من أنطاكية إلى القسطنطينية بعد فتح دمشق، مختصر الدول، ص ٩٠-٩١.

وقد ذكر البلاذري أن هرقل غادر أنطاكية متجهاً إلى القسطنطينية بعد هزيمة اليرموك وذلك عام ١٥ هـ، فتوح البلدان، ص ١٤٣.

عام (٦٣٤م/ ١٣هـ)، وذلك أثناء انتظاره قدوم تعزيزات من أجزاء أخرى من إمبراطوريته، وذلك بعدما أصبح واعياً أو مدركاً للمشكلات المحتملة مع القبائل العربية المتواجدة في شرق البحر الميت وفي الجزيرة العربية، والرأى الآخر يؤكد أن الغزوات العربية لم تكن مفاجأة كاملة للقيادة البيزنطية على الرغم من أنها أدهشت أو أذهلت الجمهور المسيحي بأكمله في سوريا وفلسطين فقد أشار نفقور أن هرقل كان مدركاً للمشكلة، لذا تحرك إلى أنطاكية بسبب التهديد العربي للمنطقة ورغبته في أن يكون قريباً من موضع الصراع ليتمكن من التفاعل مع الأزمات بشكل أسرع ومن ثم يصدر قرارات أفضل ولنا أن نتساءل إن كان البيزنطيون يعرفون كل شيء عن المسلمين بما في ذلك نقاط ضعفهم فلماذا لم يستغلوا هذا الأمر[1]، وترى الباحثة أنه يمكن التوفيق بين الرأيين، فمن خلال سياق الأحداث يتضح أن البيزنطيين وعلى رأسهم هرقل لم يكونوا يتوقعون أن يهاجمهم العرب، وعندما أدركوا كانوا قد خسروا في المعركة وقتل سرجس، لذا حشدوا الحشود بعد ذلك للدفاع عن إمبراطوريتهم المتهاوية، لكن هذا لم يفيدهم حيث تداعت ممتلاكتهم.

ويرى بتلر: "إن سبب قعود هرقل وتهاونه في الدفاع عن الشام ومغادرة سورية، لأنه علم أن الأمر قد انفلت من يده وأن الله قد خذل الإمبراطورية وأصبح غالب الفرس الوثنيين وقد غلبه العرب الذين لا يتبعون دين المسيح كما أن جسده كان آخذاً في الإعتلال والانحلال لذا كان مغلولا وكأن عقله كان مفلوجاً، وقد جمع كبار قومه في حفل حافل في كنيسة أنطاكية يستشيرهم فيما يعمل، فقام شيخ أشيب وقال إن الروم يعذبون اليوم لعصيانهم كتاب الله وتطاحنهم فيما بينهم ونخاذلهم ولما يرتكبونه من الربا والقسوة وكان حتماً عليهم أن يؤخذوا بذنوبهم فعرف هرقل أن بقائه بالشام قد أصبح لا غناء فيه فرحل عنها (سبتمبر ٦٣٦م/ ١٥هـ)"[2]، وترى الباحثة أن سقوط بُصرى جعل هرقل يستنفر قواته، لأنه أدرك أنه لابد من مواجهة خطر المسلمين بكل ما يملك من قوة

---

(1) Kaegi, Byzantium and the early Islamic conquests, pp. 75-79.

(٢) فتح العرب، ص ١٩٦-١٩٧.

وعتاد وإلا فإنه سيفقد سيطرته على الشام في المستقبل لذا حشد قواته لأجل ذلك فقامت معركة أجنادين من جنوب فلسطين فكانت نتائجها على خلاف ما أراد، بل كانت بداية لسقوط دمشق[1] وما يليها من بلاد الشام[2]، وبالنسبة للعبارة التي ودع بها هرقل أرض الشام "سوزا سوريا" أي وداعاً يا سورية[3] فنجدها تحمل معاني واسعه أوجزها قائد محنك خاض الكثير من الحروب بنفسه وحول تيارها دائماً إلى جانب دولته، فأدرك هرقل وعبر عن ذلك في عبارته الختامية أن الشام المفتاح الذي يسهل للمسلمين ولوج أبواب جديدة، والاستيلاء على أقطار شاسعة تجعلهم سادة إمبراطورية عالمية[4]، وقد قالها بنبرة من الأسى، وكأنها تكشق ما كان يدور في نفسه من أن مجده الغابر ونصره الباهر قد انتهيا بالخذلان والعار، وإنه إذ يقولها ليودع عزه وسطوته[5].

ب- فتح بيت المقدس :

كان طبيعياً أن يتجه المسلمون بعد فتح دمشق، والعديد من مدن الشام إلى بيت المقدس ثاني الحرمين وقبلتهم الأولى، وقد تحدث المؤرخ سيبيوس بشكل مقتضب فقال: "طلب المقدسيون اليمين من العرب ثم خضعوا لهم"[6].

أما ثيوفانيس فقد أسهب في ذكر الأحداث فقال: "غزا عمر بن الخطاب ﷺ فلسطين (٦٣٤- ٦٣٥م/ ١٣-١٤هـ) بعد حصار للمدينة المقدسة استمر لمدة

---

(١) عن فتح دمشق انظر: الواقدى، فتوح الشام، ج ١، ص ٦٣ وما بعدها، ابن خياط، تاريخه، ص ١٢٥-١٣١؛ ابن أعثم الكوفى، كتاب الفتوح، ج ١، ص ١١٤-١١٥، ١٢٦-١٢٨.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٢٧-١٣٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج ٢، ص٢٧٨-٣٤٢.

(٣) السرياني، تاريخه، ج ٢، ص ٣١٩.

(٤) إبراهيم أحمد العدوي، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، القاهرة، ١٩٥١م، ص ٤١.

(٥) بتلر، فتح العرب لمصر، ص ١٩٧.

(6) Sebeos, History, p.126.

عامين وقد استسلم صفرونيوس Sophronios أسقف القدس بعدما حصل على وعد بحصانة كل فلسطين، ودخل عمر المدينة المقدسة مرتدياً ثياباً قذرة مصنوعة من شعر الإبل، وقد توسل البطريرك إليه أن يأخذ منه وشاح وثوب ليرتديهم، لكنه لم يكن يرغب في ارتدائهم فأقنعه البطريرك بارتدائهم حتى تغسل ملابسه ثم أعادها إلى صفرونيوس بعدما ارتدى ملابسه، وسعى بحجة شيطانية لجعل معبد اليهود - والذي هو أحد مباني سليمان - مكاناً لعبادة دينه الكفري وعندما رأى صفرونيوس هذا قال من غير ريب إن هذا عمل مقيت لأنه وكما جاء على لسان النبي دانيال: إن الخراب يقف في المكان مقدس[1]، وقد نعى بمزيد من دموع التقوى الشعب المسيحي"[2].

والمتأمل للمصادر العربية يجدها قد ذكرت أحداث فتح بيت المقدس وقد جاء فيها "بعدما فتح عمرو غزة ومرج عيون أرسل رجلاً يتكلم بالرومية ومعه كتاباً إلى أرطبون وقال له أسمع ما يقول، وبعدما سلمه الكتاب قال أرطبون والله لا يفتح عمرو شيئاً من فلسطين بعد أجنادين، فقالوا له: من أين علمت هذا؟ فقال: صاحبها صفته كذا وكذا وذكر صفة عمر ﷺ، فرجع الرسول إلى عمرو ﷺ فأخبره الخبر فكتب إلى عمر بن الخطاب ﷺ يقول: إن أعالج عدوا شديداً وبلاداً قد ادخرت لك فرأيك، فعلم عمر ﷺ أن عمراً ﷺ لم يقل ذلك إلا بشيء سمعه فسار عمر ﷺ عن المدينة، وقيل كان سبب قدوم عمر ﷺ إلى الشام أن أبا عبيدة ﷺ حصر بيت المقدس فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشام وأن يكون المتولى للعقد عمر بن الخطاب ﷺ، فكتب إليه بذلك وسار عمر ﷺ فقدم الجابية على فرس وكتب إلى أمراء الأجناد أن يوافوه بالجابية فكان أول من لقيه

---

(١) ويقال أن البطريرك قال لأصحابه باللغة اليونانية: حقاً إن هذا هو الرجس الآتى من القفر الذي ذكره النبي دانيال، انظر: بتلر، فتح العرب لمصر، ص ٢٠١.

Tolan, Reactions Christianes, p. 352.

(2) Theophanes,The Chronicle, pp. 471-472, Kaegi, Initial Byzantine Reactions to the Arab Conquest, Church History, Vol. 38, No. 2. (Jun., 1969), p. 356.

وقد ذكر نفس الخبر أغابيوس المنبجي، المكلل بفضائل الحكمة، ص ٣٤٣-٣٤٤.

يزيد[١] وأبوعبيدة ثم خالد رضوان الله عليهم، وبينما عمر ﷺ بالجابية أتاه أهل إيلياء فصالحهم على الجزية وفتحوها، وكان الذي صالحه العوام من أهل إيلياء والرملة لأن أرطبون والتذارق دخلا مصر، وقد رفضوا الصلح عندما وصل عمر ﷺ إلى الشام وأخذوا كتابه على إيلياء وحيزها والرملة وحيزها، ثم صار عمر ﷺ لبيت المقدس وفتحت إيلياء واستسلم أهلها على يديه[٢].

ولعل قدوم عمر ﷺ لم يكن حدثاً عادياً في حينه، أو مجرد استجابة لشروط المدينة التي أبت الإستسلام، ولكنه مرتبط بسياسة الدولة الإسلامية وأمنها بعد مواجهتها وضعا جديداً في أعقاب متغيرات الفتوح، حيث لم يكن الخطر البيزنطي قد زال حينذاك تماماً من الشام[٣].

وإذا ما نظرنا لاستسلام صفرونيوس ربما لأنه كان يشعر أن المدينة لن تستطع المقاومة بعد ذلك طويلا لنفاد المؤونة وقرب وقوع المجاعة واشترط أن يسلم المدينة على شرط أن يأتي الخليفة عمر ﷺ بنفسه ليكتب عهدها[٤]، وقد

---

(١) هو ابن أبي سفيان، وكان يقال له يزيد الخير، واستعمله أبو بكر على الشام، للمزيد انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٤٥.

(٢) الواقدي، فتوح الشام، ج ١، ص ٢١٩-٢٣٧؛ بن الخياط، تاريخه، ص ١٢٥-١٢٩؛ الأزدي، كتاب فتوح الشام، ص ٢٢٢-٢٣٢؛ البلاذري، ص ١٤٥-١٤٦؛ ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج ١، ص ٢٢٧-٢٢٩، ويلاحظ من الوثيقة التي كتبها عمر والتي تعرف "بالعهدة العمرية" لأهل إيلاء -القدس- مدى تسامح الخليفة عمر بن الخطاب مع نصارى أهل إيلياء وبروز الحرية الدينية بشكل واضح، إياد محمد إسماعيل أبو ربيع، المواقف والعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين خلال فترة صدر الإسلام (٤٠ ق. ب-٤٠ هـ/ ٥٧٠-٦٦٠م)، رسالة ماجستير، جامعة بير زيت، فلسطين، ٢٠١٣م، ص ١٠٤.

(٣) إبراهيم بيضون، تاريخ بلاد الشام في العصور الإسلامية في إشكالية الموقع والدور، لبنان، ٢٠٠٢م، ص ١٣٥-١٣٦.

(٤) كان لدى البطريرك معلومات عن عمر كشخص وحاكم أعطته شعوراً بالثقة لتسليمه المدينة، ولنا أن نتسائل هل كان هذا الموقف تعبيراً آخر عن استقلاله في ممارسه دوره في غياب أي سلطة سياسية أو عسكرية أخرى؟. =

كان صفرونيوس واقعي لأنه كان يعلم بعدم وجود دعم بيزنطي للمدينة المحاصرة(١).

وبالنسبة لقولهم يرتدي ملابس رثة تعد محاولة للانتقاص من عمر بن الخطاب ﷺ، ويبدوا أن الخليفة العادل كان يرى أن فتح القدس يستوجب شكراً وتضرعاً لله أكثر من التفكير في ارتداء ملابس جديدة، وقد عرف عن عمر بن الخطاب ﷺ زهده، وهذا هو سمته الذي عاش عليه(٢).

وقد نظر لسيطرة المسلمين على القدس على أنه خراب وأرجع سبب حدوثه لأن المسيحيين دنسوا دينهم بأعمالهم الخسيسة(٣)، لذا وبسقوط فلسطين والقدس توالى سقوط مدن الشام وانفصالها عن جسم الإمبراطورية فخسرت خلال سبع سنوات ما حكمته حوالي سبعمائة سنة فأصبحت الدولة الإسلامية من أهم الدول في ذلك الوقت(٤)، فأصبح العرب سادة على فلسطين وبلاد الشام(٥).

وبالنسبة لقول أحدهم مهما تحدثنا عن المآسي التي قاستها منطقة سورية فسنظل عاجزين عن الحديث عن جميعها لكثرتها لأن هذه الضربات كانت نتيجة غضب الله(٦)، والكاتب بهذه العبارة يوسم الإسلام بما ليس فيه وكان حرى به أن يكون منصفاً بذكر الواقع الفعلي الذي عاشه المسيحيون تحت حكم المسلمين.

= Sahas, D, J., The face to face encounter between patriarch Sophronius of Jerusalem and the caliph Umar ibn Al Khattab: friends or foes ?, in The Encounter of Eastern Christianity with Early Islam, The History of Christian-Muslim Relations, Editorial, David Thomas, and others, Boston, 2006, Vol. 5, p. 37.

(1) Sahas, The face to face encounter between patriarch Sophronius of Jerusalem and the caliph Umar ibn Al Khattab, Vol. 5, p. 36.

(٢) وقد حوت المصادر الإسلامية على الكثير من ورع وزهد عمر ويمكن الرجوع إليها.

(3) Hoyland, Seeing Islam as others saw it, pp. 72-73.

(٤) مهند صادق الجهود الإسلامية، ص ٣٢-٣٣.

(٥) جوزيف نسيم، الإسلام والمسيحية، ص ٤١.

(٦) تيسير خلف، الرواية السريانية للفتوحات الإسلامية، دمشق، ٢٠١٠م، ص ٤٩.

ت- فتح مصر :

كان على المسلمين أن يأمنوا فتوحاتهم في بلاد الشام وفلسطين وفارس[١] فأيقنوا أن استقرارهم في الشام يعد حجر الزاوية لفتوحاتهم الجديدة ومرهون بالإستيلاء على مصر[٢]، وتخليصها من الوجود البيزنطي.

تحدث سيبيوس عن فتح العرب لمصر فقال: "انطلقوا في صحراء سيناء، ولم يرافقهم الخليفة عمر واستولوا على مصر فامتدت مملكتهم من مصر إلى جبل طوروس العظيم، ومن البحر الغربي - المحيط الأطلسي - إلى خوزستان Xuzhastan"[٣].

وقد تعرض كتاب بيزنطة لهذا الفتح فتحدث ثيوفانيس عن فتح مصر عندما ذكر أحداث (٦٣٣/ ٦٣٤م -/هـ) فقال: "بمجرد إستقرار المسلمون في دمشق ولبنان قرروا القيام بحملة ضد مصر، وعندما علم كيروس Kyros أسقف الإسكندرية ببداية هجومهم قام باتخاذ التدابير اللازمة[٤]، ثم أبرم معاهدة[٥] معهم خوفاً من طمعهم فوعدهم أن تدفع مصر لهم كل عام ٢٠٠.٠٠٠ دينار، وحدد موعداً لإرسال الذهب المقرر عن ثلاثة سنوات، فنجت بذلك مصر من كارثة، وعندما علم الإمبراطور بما فعله كيروس غضب واتهمه بأنه أعطى ذهب مصر للسراسنة، وأرسل رسالة لاستدعاء كيروس وتعين مانويل Manuel الأرمني الأصل دوقاً[٦] أوجستالاً augustalis، وفي نهاية العام عندما أتى

---

(١) طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج ١، ص ٤٩.

(٢) إبراهيم أحمد العدوي، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٤٥.

(3) Sebeos, History, p. 130.

وتعد هذه معلومات مقتضبة، لشخص كسيبيوس معاصر لحركة الفتوحات الإسلامية.

(٤) فأعد وسائل الدفاع وحفر خندقاً حول حصن بابليون العظيم قرب ممفيس، وزاد في تحصين الحصون الأخرى ورمم أسوار كثير من المدن، انظر: بتلر، فتح العرب لمصر، ص ٢٣٩.

(٥) تسمى معاهدة بابليون الأولى، وقد كانت مرهونة بموافقة هرقل عليها، طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج ١، ص ٥١-٥٢.

(٦) كان يحمل هذا اللقب في العصر البيزنطي الباكر المشرف على ضياع مصر في عهد الإمبراطور جوليان المرتد (٣٦١-٣٦٣م) وقد أطلق فيما بعد على حاكم فلسطين وليبيا وأنطاكية، طارق منصور، بيزنطة: مدينة الحضارة والنظم، ص ١٤٢-١٤٣.

السراسنة لاستلام الذهب، قابلهم مانويل وقال لهم بطريقة فارغ الوفاض، قائلاً: أنا لست رجل مدني ككيروس لأدفع لكم الجزية بل إنني رجل عسكري فرحل الرجال، وعلى الفور جاء السراسنة بجيوشهم ضد مصر، وبمجرد ما نشبت المعركة هزم مانويل وهرب مع عدد قليل من رجاله إلى الإسكندرية، ثم فرض المسلمون الضرائب على مصر، وعندما سمع هرقل بهذه الأحداث أرسل كيروس لإقناع السراسنة بالمغادرة من مصر وفقاً للمعاهدة السابقة، لذا ذهب كيروس إلى معسكر السراسنة وقدم العديد من الأعذار، وقال إنه بريء من نقض الاتفاق معهم، وأنه مستعد ليؤكده لهم بالقسم، ورغم ذلك كان المسلمون غير راضين، وقالوا للأسقف: هل أنت قادر على ابتلاع هذا العمود الضخم؟ فأجابهم إن هذا مستحيل، فقالوا له: ونحن لا يمكننا أن نغادر مصر في هذا الوقت"[1].

كما تعرض البطريرك نقفور لفتح مصر فقال: "بينما كان هرقل مقيماً في الأقاليم الشرقية قام بتعين حنا باركاينا John of Barkaina[2] قائداً عاماً للجيش وأرسله لمواجهة المسلمين في مصر، ولكنه قتل أثناء محاربتهم، وبالمثل دخل مارينوس Marinos [3] - القائد العام للفرق التراقية - معهم في معركة وهزم وفقد العديد من جنوده وهرب هو بشق الأنفس، وخلفا لحنا أعطى هرقل قيادة

---

(1) Theophanes,The Chronicle, p. 470.

وقد نظر لهذه الهدنة على أنها باهظة الثمن.

Kaegi, Byzantium and the early Islamic conquests, p. 67.

وقد ذكر نفس الحدث أغابيوس المنبجي، المكلل بفضائل الحكمة، ص ٣٤٢-٣٤٣، وقد فند بتلر هذه القصة انظر: فتح العرب لمصر، ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٢) حنا باركاينا كان قائداً عاماً هزمه العرب وقتلوه، وقد أخرجت جثته من النهر ووضعت في صندوق وأرسلت لهرقل أرسل انظر: يوحنا النقيوسي، تاريخ العالم القديم ودخول العرب مصر، تقديم، القمص بيشوى عبد المسيح، القاهرة، د. ت، ص ٢٠٥-٢٠٦، ٢١٢، ويبدو انه كان ممن عينهم هرقل وتم استعادة جثته ونقلت إلى بابيلون وأرسلت من هناك إلى القسطنطينية، البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ص٧٢، حاشية ٨٤، ص ١٢٩.

(٣) لم يذكر مارينوس marinsفى أي مصدر آخر، البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ص٧٢، حاشية ٨٥، ص ١٢٩.

الجيش لماريانوس Marianis الذي كان يحمل اللقب الإمبراطوري Cubicularius[١]، وأرسله على وجه السرعة يتشاور مع كيروس رئيس قساوسة الإسكندرية عما إذا كانوا سيدخلون في حرب مع المسلمين، حينئذ أخبر كيروس الإمبراطور بأنه سوف يعقد اتفاقا معAmbros - عمرو بن العاص - قائد المسلمين ويدفع الجزية المقررة له وأن ذلك لن يؤثر بشيء على الضرائب الإمبراطورية، أوصى أيضاً أن الأوغسطا إيدوكيا Eudokia، أو ابنة أخرى للإمبراطور[٢] يجب تزويجها من عمرو على أمل أن يتم تعميده ويصبح نصرانياً، ذلك أن عمرو وجيشه كانوا يثقون في كيروس ويكنون له كل تقدير لكن هرقل لم يطق أياً من ذلك ورفض ماريانوس هو الآخر سياسة كيروس وهاجم المسلمين وسقط في أرض المعركة مثلما سقط الكثيرون من جنوده[٣]، وفي الدورة الضريبية الثانية عشر استدعى هرقل كيروس أسقف الإسكندرية قبل ذلك ببضع سنوات واعتقله باتهام قاس جداً وهو استسلامه للمسلمين وتسليمه لهم كل شئون مصر[٤]، وجه هذه الاتهامات لكيروس في ذلك الوقت أمام جمع كبير من

---

(١) ماريانوسmarianos cubicularius قضى عليه المسلمون انظر: ساويرس ابن المقفع، تاريخ مصر من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة، ج ٢، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٣٣-٣٤، البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ص٧٢، حاشية ٨٦، ص ١٢٩.

(٢) كان للامبراطور إيدوكيا وأوجستينا Augustina وأناستاسيا Anastasia، لم يتعرض ثيوفانيس لهذا الأمر وكذلك المصادر العربية.

Hoyland, Seeing Islam as others saw it, p. 75.

(٣) البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ص٧٢.

(٤) ذكر ابن عبد الحكم أن المقوقس أرسل يخبر ملك الروم -يقصد الإمبراطور هرقل- بشأن الصلح الذي أبرمه مع عمرو بن العاص ﷺ بشأن تسليم حصن بابليون-على مقربة من الكنيسة المعلقة بمصر القديمة - ويطلب موافقته، لكن هرقل وبخه وأمره بالعدول عنه ومقاتلة المسلمين بمن معه من الروم، انظر: ابن عبد الحكم، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم أبو القاسم القرشي (١٨٧-٢٥٧هـ)، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد صبيح، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٤م، ص ٥٦ وما بعدها.

أفـراد الشعب، وقد دافع كيروس عن نفسه مصـراً علـى أنـه غـير مـذنب علـى الإطلاق[1]، ولو أن خطته نفذت ودفع الجزية للمسلمين من خلال عائد التجارة لآثر هؤلاء السلام، ولما تـأخرت المسـتحقات الإمبراطوريـة، وأصـر علـى أن اتهامهم له غير صحيح[2]، لكن وصمه هرقل بالوثنيـة لأنـه نصـح بتـزويج ابنـة الإمبراطور من عمرو بن العاص كبير المسلمين وهو وثـني عـدو للـرب خصـم للنصارى، ولكل هذا أغضب هرقل وهدده بالموت وسلمه لـوالي المدينـة كـي يعاقبه، لكن قسطنطين بـن هرقـل (٦٤١م - ٦٦٨م/ ٢٠-٤٨هـ)[3] قـام بأعـادة

---

(١) وقد ذكر الكاتب أن هرقل هو من طلب من المقوقس دفع الجزية لعمرو ليرحل عن مصر لكنه أساء في عرض عرقل وزاد بعرض زواج يودكيا من عمر لـذا وبمجـرد علـم هرقـل غضب على المقوقس واستدعاه للقسطنطينية ووبخه بل كان عازماً على قطع رأسه لكنـاه أبقاه عساه يفيده في تشجيع سـكان الاسـكندرية الرومـان بمـا لـه مـن المكانـة والنفـوذ عندهم، أ. ل. بتشر، كتاب تاريخ الأمة القبطية وكنيستها، تعريب إسكندر تادرس، مـج ٢ القاهرة، ١٩٠١م، ص ١٣٠-١٣١، ولا تتفق الباحثة مع الكاتب في قوله أن هرقـل هـو من عرض أوعز للموقس دفع الجزية لأنه يتعارض مع ما كتبه البطريرك نقفـور، كمـا أن ثيوفانيس لم يذكر شيئاً من هذا القبيل، أما يوحنا النقيوسـى فقـد ذكـر أن المقـوقس قـد عقد الإتفاقية مـع العـرب وأخـبر بهـا ثيـودور والقائـد كونسـتانتان، ودعـاهم ليخـبروا الإمبراطور هرقل بشروطها ويمتدحوها له، تاريخ العالم، ص ٢٢٥، لذا فمن أين استقى الكاتب قوله.

(٢) يشير النص إلى أن إهانة كيروس وقعت بنفس الوقت الـذي نصـب فيـه بـيروس وأنـه تم اسـتدعائه للقسـطنطينية قبـل ذلـك بوقـت قصـير، والمعـروف أن كـيروس كـان في الإسكندرية نوفمبر ٦٣٨، وكذلك ٦٣٩/ ٦٤٠، ومـن المسلم بـه أيضـاً أن كـيروس قـد ذهب إلى القسطنطينية في نوفمبر ٦٤٠م كـي يحصـل علـى الموافقـة الامبراطوريـة علـى اتفاقيتـه مـع عمـرو وتم ابعـاده مؤقتـاً، ولم يعـد للإسـكندرية إلا بعـد وفـاة هرقـل سـبتمبر ٦٤١م، انظـر: البطريـرك نقفـور، التـاريخ المختصـر، ص٧٤، حاشـية ١٠٠، ص١٣٠-١٣١.

(٣) هو قسطنطين الثالث ابن هرقل من زوجته الأولى يودكيا Eudokia أوصى أبـوه أن يتـولى العرش مشاركة مع أخوه غير الشقيق هيراكلوناس، توفى بعدما حكم سـتة أشـهر وتـرك ابنه قنسطانز، دونالد نيكول، معجم التراجم، ص ١٣٢.

كيرلس[١] أسقفاً للإسكندرية فعاد إلى كرسيه[٢]، وأوصاه أن يدفع الجزية للمسلمين وأن يكافح قدر ما يستطيع"[٣].

أما المصادر الإسلامية فقد ذكرت: "مضى عمرو بن العاص ﷺ إلى مصر[٤] في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ[٥]، فنزل العريش ثم أتى الفرما[٦] ووجد بها قوماً مستعدون للقتال فحاربهم وهزمهم ثم إتجه إلى بابليون Babylon[٧] ثم لم يلبث حتى جائه الزبير بن العوام ﷺ مدداً بـ ١٠.٠٠٠ فأخذ المسلمون حصن بابليون[٨]،

---

(١) عاد كيروس إلى الإسكندرية في عيد الصليب المقدس-١٤ سبتمبر عام ٦٤١م-البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ص٧٥، حاشية ١١١، ص ١٣٣.

(٢) البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ص٧٣-٧٥.

(٣) يوحنا النقيوسي تاريخ العالم، ص ٢١٣-٢١٤.

(٤) وقد كان لمكانة مصر أثر كبير في إصرار عمرو بن العاص ﷺ على فتحها، وللتعرف على فضائل مصر وأسباب فتحها انظر: اليعقوبي، تاريخه، ج ٢، ص ١٦٨ وما بعدها؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٤٦-٤٧.

(٥) اختلف المؤرخون في فى وقت خروج عمرو ﷺ لمصر فذكر البلاذري رأيين أولهما: أن عمرو ﷺ جاء لفتح مصر بثلاثة آلاف وخمسمائة بعد اليرموك من تلقاء نفسه، فغضب عليه عمر ابن الخطاب ﷺ وأرسل من يستدعيه، والثاني: خرج عمرو ﷺ عام ١٩هـ، ص ٢١٩، أما ابن الأثير فقال: فتحت مصر عام ٢٠ هـ، وقيل ١٦ هـ، وقد خرج عمرو ﷺ بعدما فتح عمر بن الخطاب ﷺ بيت المقدس وأقام به أياماً، مج ٢، ص ٤٠٥.

(٦) مدينة على شط بحيرة تنيس، وهى مدينة خصبة كثيرة الرطب جيدته صالحة الفاكهة كثيرتها، للمزيد انظر: ابن حوقل، صورة الأرض، القسم الأول، بيريل، ط ٢، ليدن، ١٩٣٨م، ص ١٦٠.

(٧) ذكر البلاذري أن عمرو بن العاص ﷺ وجيشه قدما إلى الفسطاط فنزلا جنان الريحان وقد خندق أهل الفسطاط وكان اسم المدينة أليونة، فسماها المسلمون فسطاطاً لأنهم قالوا هذا فسطاط القوم ومجمعهم، وقوم يقولون أن عمراً ﷺ ضرب بها فسطاطاً فسميت بذلك، فتوح البلدان، ص ٢٢٠.
وللتعرف على موقع الفسطاط يمكن الرجوع لإبن حوقل، صورة الأرض، القسم الأول، ص١٤٥-١٤٧.

(٨) ابن خياط، تاريخه، ص ١٤٢-١٤٣؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢١٩- ٢٢٠، ٢٢٢؛=

وقد ذكر أنه قد لقيهم أبو مريم جثليق مصر ومعه الأسقف[1] بعثه المقوقس[2] لمنع بلادهم، فلما نزل بهم عمرو ﷺ قاتلوه فأرسل إليهم: لا تعجلونا حتى نعذر إليكم وترون رأيكم بعد، فكفوا وخرجوا عنه فدعاهما إلى الإسلام أو الجزية فقالوا قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء، أمِنا حتى نرجع إليك فأجلهما ثلاثاً لينظرا فذهبا للمقوقس وحرضهما أرطبون على عدم الموافقة فتلاقا فقتل أرطبون ومن معه وهزموا الباقين، وعندما نزل عمرو والزبير رضي الله عنهما بعين شمس كره أهل مصر قتال المسلمين، فقالوا لملكهم في اليوم الرابع: ما تريد إلا قتال قوم هزموا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم؟ فلا تعرض لهم ولا تعرضنا، لكنه أبي والتقى بقوات المسلمين وقاتلهم حتى ظفر المسلمون، وفتحوا الباب وخرجوا لعمرو مصالحين فقبل منهم، ثم صار عمرو عام (٦٤٢م/ ٢١هـ) إلى الإسكندرية بعدما استأذن عمر بن الخطاب ﷺ، فوجد الروم والقبط قد تجمعوا بين الفسطاط والإسكندرية ليغزوه قبل أن يذهب فهزمهم، وعندما بلغ الإسكندرية كاتبه المقوقس يسأله الهدنة إلى مدة فلم يجبه إلى ذلك، وقال: لقد

= ابن الأثير، الكامل، مج ٢، ص ٤٠٦، حصن بابليون بناه الإمبراطور الروماني تراجان (٩٨-١١٧م) وسماه العرب الحصن أو قصر الشمع، وكان بالقرب من منف عاصمة مصر القديمة كما اختطت الفسطاط عاصمة العرب بالقرب منه وبقايا الحصن الآن في حي مصر القديمة في القاهرة بجوار الكنيسة المعلقة، سيدة إسماعيل كاشف، مصر الإسلامية وأهل الذمة، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٢٩، حاشية ٣٩، ولمزيد من التفاصيل عن الفتح يمكن الرجوع إلى: ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٤٧-٦٣؛ الطبرى، أبي جعفر محمد بن جرير (٢٢٤-٣١٠هـ)، تاريخ الرسل، ج ٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٠٤-١١١.

(١) بتلر، فتح العرب لمصر، ص ٢٤٧.

(٢) ذهب معظم المؤرخين إلى أن كلمة المقوقس لم تكن اسم علم ولكنها لقب أو رتبة، والحقيقة ليست كذلك فإن هذا الرجل الذي كان والياً في مصر اسمه الصحيح جرجس ابن مينا بروكوبوس وهو مصرى، ولأن اللغة اليونانية كانت اللغة الرسمية في مصر كان ولاة مصر يفخمون ويعظمون بواسطة كلمة يونانية تضاف في أوائل أسمائهم، فكلمة المقوقس معناها الأفخم، وقد ظنها العرب جزءاً من إسمه فاقتضبوها ونقلوها، انظر: بتشر، كتاب تاريخ الأمة القبطية وكنيستها، مج ٢، ص ١٢٣-١٢٤.

لقينا ملككم الأكبر هرقل، فكان منه ما بلغكم، فقال المقوقس لأصحابه: صدق فنحن أولى بالإذعان فأغلظوا له في القول، وامتنعوا فقاتلهم المسلمون وحصروهم ثلاثة أشهر، وفتحها عمرو عنوة وغنم ما فيها وجعلهم ذمة، ثم صالحه عمرو ﷺ[١] على أن يُخرج من الاسكندرية من أراد الخروج ويقيم بها من أحب المقام، وأن يفرض على القبط دينارين فبلغ ذلك ملك الروم فتسخطه وبعث الجيوش، فأغلقوا باب الإسكندرية وآذنوا عمراً بالحرب فخرج إليه المقوقس فقال أسألك ثلاثاً لا تبذل للروم مثل الذي بذلت لى فإنهم قد استغشوني، وأن لا تنقض بالقبط فإن النقض لم يأت من قبلهم[٢]، وإن مت فمر بدفني في كنيسة بالإسكندرية"[٣].

إن المتأمل لما سبق يجد تباين في الأحداث بين المصادر العربية والبيزنطية وكذلك بين ما ذكره كل من ثيوفانيس والبطريرك نقفور، بل إن ما ذكراه عن فتح مصر يعد ناقصاً لا يمكن الإعتماد عليه لفهم أحداث الفتح بل لا بد للرجوع للمصادر العربية لمعرفة دقة الأحداث، وقد جعل ثيوفانيس مقدم العرب لمصر مرتين الأولى بعد فتحهم الشام لكنهم لم يسيطروا عليها بل نجح المقوقس في إثنائهم عن دخولها، وهذا يدل على إنصافه رغم أنه غير مسلم، وقد رسم صورة للمسلمين وكأنهم جباة لا هم لهم إلا جباية المال، ولم يتعرض لما ذكرته

---

(١) يسمى بصلح الإسكندرية أو معاهدة بابليون الثانية، طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج ١، ص ٥٢.

(٢) ويبدوا أن المقوقس قد اشترط مع عمرو شروطاً تخص جميع سكان مصر من غير الرومانيين، ومن ضمن الشروط أن يخول للأقباط الحرية الدينية المطلقة إذا هم دفعوا الجزية ولم يقاوموا العرب، فأقسم عمرو الأيمان المغلظة أن يقيم هذا الوعد مع المصريين على السواء، انظر: بتشر، كتاب تاريخ الأمة القبطية، مج ٢، ص ١٣٤، وتتسائل الباحثة إن صح هذا القول فلماذا لم يفعل المقوقس نفسه مع المصريين الذين أذاقهم سوء العذاب للخلاف المذهبي، ولماذا لم يترك لهم الحرية الدينية ما داموا يدفعون الضرائب التي يطلبها منهم، لذا لا تتفق الباحثة مع هذا القول بل تراه غير منطقي.

(٣) البلاذري، فتوح البلان، ص ٢٢٢-٢٣١، وقيل إن المقوقس صالح عمراً على إثني عشر ألف دينار، وجعل فيها عمرو جنداً، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج ٢، ص ٤٠٨.

المصادر الإسلامية من عرض الإسلام ثم الجزية على أهل البلاد التي يفتحونها، وتتفق الباحثة مع ما قاله بتلر: "ليس من الصدق قول القائل إن كيرس قد اشترى العرب فصرفهم عنه بجزية وعدهم بها، بل لم يرد لفظ واحد يشير إلى هذا الأمر في كتاب كتبه أحد أهل الشرق سواء أكان فارسيا أم سريانياً أم قبطياً أم من العرب"[1]، وقد برز صدق إحساس كيرس بأن المسلمين.

وبالنسبة لموقف هرقل من كيرس فيتضح أنه كان يستبعد أي تصرف من المقوقس ينتج عنه التنازل ولو عن شبر واحد من أرض مصر كما يدل على استخفافه بقوة المسلمين[2].

أما البطريرك نقفور فلم يتعرض لهذا الحدث بل ذكر إرسال هرقل وهو لا يزال بالشرق- أي قبل أن يبرح الشام في سبتمبر (٦٣٦م/ ١٥هـ) أي أن العرب لم يفكروا في فتح مصر بعد[3]، وبالنسبة لقوله أرسل جيشاً لمصر بقيادة يوحنا وذكر أنه اشتبك مع المسلمين في معركة وقتل، لم يحدد البطريرك نقفور اسم المعركة ولا تاريخها، ثم تحدث عن إستكمال مارينوس القتال وفراره ونجاته بإعجوبة، ولم يذكر أيضاً أي معركة تلك التي حارب فيها مارينوس فضلاً عن تعريفنا به، ثم عرج بنا البطريرك على تولي القائد ماريانوس القيادة خلفاً لحنا ومجيئه للتشاور مع كيرس حول طريقة التعامل مع العرب، وذكر أن كيرس قد أطلعه على رغبته في عرض السلام على العرب ودفع جزية لهم[4] لا تؤثر فيما يأخذه البيزنطيون من ضرائب مصر، كما أخبره عن رغبته في تزويج ابنة هرقل لعمرو ليتثنى لهم تعميده بعد ذلك وإلى هذا الحد لم يذكر ثيوفانيس أي من هذه الأحداث التي ذكرها البطريرك، ولا نعرف هل لم يتثن له الوقوف على هذه

---

(١) بتلر، فتح العرب لمصر، ص ٢٣٩-٢٤١.

(٢) علية عبد السميع الجنزوري، هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى، ط ١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ١٦-١٧.

(٣) بتلر، فتح العرب لمصر، ص ٢٤٠، حاشية ١.

(٤) أي أنه اشترى الهدنة منهم.

Kaegi, Byzantium and the early Islamic conquests, p. 67.

الأحداث أم أنه تغافل عنها؟، ثم ذكر البطريرك أن ماريانوس والإمبراطور رفضا ما قاله المقوقس فترتب على ذلك استدعائه للقسطنطينية لمحاكمته، وقد إتفق ثيوفانيس مع البطريك في ذكر غضب الإمبراطور واستدعاء المقوقس لكنه -ثيوفانيس- تفرد بذكر تعيين مانويل بدلاً من كيرلس، وهذا الموقف يدل على أن كل ما يهم هرقل هو مصر وذهبها[1].

وبالنسبة لذكر المصادر العربية وترحيب المصريون بالعرب ومعاونتهم لهم في حربهم ضد الروم وذلك منذ أن اجتاز العرب العريش، لذا حين فتح العرب مصر كان شعبها تواقاً للتخلص من الظلم المالي والإجتماعي والديني الذي كان يعانيه تحت حكم البيزنطيين[2]، فقد بلغت أحوال مصر حداً شديداً من السوء فالحالة الاقتصادية كانت متدهورة للغاية بسبب قسوة الضرائب الباهظة التي جعلت بعض المزارعين يتركون أرضهم، وقد اعتبر الحكام الرومان المصريين دائماً الطبقة السفلى التي تأتى بعد الرومان واليونانيين واليهود، ففرضوا عليهم بقسوة أشد الالتزامات وحرموهم من أبسط حقوقهم الاجتماعية[3]، لذا شعر القبط بالإرتياح لقدوم العرب لأنهم كانوا ممتلئين بالمرارة والكراهية لكل ما هو بيزنطي بسبب إذلالهم للمصريين وإذاقتهم كأس العذاب بسبب الخلاف المذهبي[4]، وإذا ما أمعنا النظر في أوضاع الإمبراطورية الرومانية نجدها قد أضعفت بسبب الانقسامات الدينية وهجمات كثير من الأعداء عليها خلال نصف القرن السابق

---

(١) طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج ١، ص ٥٥.

(٢) سيدة إسماعيل كاشف، مصر الإسلامية، ص ٢٥، ٢٩، وينطبق نفس الأمر على مقاطعات بيزنطة في الشرق، فكانت العوامل الاقتصادية والاجتماعية والدينية سبباً لنجاح حركة الفتوحات الإسلامية، انظر:

Hoyland, R, G., In god's path the Arab conquests and the creation of an Islamic Empire, Oxford, 2015, p. 2.

(٣) سمير عبد المنعم عبد الخالق أبو العينين، العلاقات الدولية في العصور الوسطى، دون ناشر، ط ١، القاهرة، ١٩٨٩م، ص١٣١- ١٣٣.

(٤) عزيز سوريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة إسحاق عبيد، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٩٧-٩٩.

لـ ٦٥٠م، فاستسلمت مقاطعتها الشرقية كسورية وفلسطين ومصر بسهولة تدعوا للسخرية[١]، كما أن تذمر أهل سوريا ومصر كان من الأسباب الرئيسية في الإنتصارات العربية العسكرية التي تبعث على الدهشة[٢]، وقد كان لاختلاف النصارى حول الطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة، وضغط الروم على من لم يشاركهم قولهم في العقيدة قد حمل قسماً كبيراً من نصارى الشام على الترحيب بالعرب الفاتحين، ويغيب عن بال هؤلاء أن هذه القبائل العربية التي وقفت إلى جانب هرقل في وجه العرب الفاتحين كانت درع من قال بالطبيعة الواحدة وأن هرقل كان قد ثبت في رئاسة الكنيسة الأنطاكية من قال بالطبيعة الواحدة وهو أثناسيوس وأن بابا روما أونوريوس وجميع البطاركة ما عدا صفرونيوس بطريرك المدينة المقدسة كانوا قد وافقوا هرقل على القول بالمشيئة الواحدة -وهو المذهب المنوثيليتي Monothelitism القائل بأن للسيد المسيح طبيعتان ومشيئة واحدة، والذي حاول هرقل من خلاله التقريب بين مذهب المنوفيزتيين والملكانيين - أو سكتوا عن ذلك[٣]، والمتأمل لفتوح الشام من وجهة نظر الروم وعرب الشام يجدها حرباً دينية سياسية قبل كل شيء، وأن نصارى الشام من الروم والعرب السريان وقفوا إلى جانب الروم قدر المستطاع، في الوقت الذي لم يتمكن فيه الروم من صد الهجوم العربي الإسلامي؛ لأن الحرب الفارسية كانت قد استنفدت قواتهم في المال وفي الرجال[٤]، ومن ثم إهمال الحصون، وإبطال الجراب التي كانت توزع على قبائل الحدود وقلة الانضباط وكثرة التمرد والفوضى[٥]، بالإضافة

---

(١) ساليفان، ورثة الإمبراطورية البيزنطية، ص ٧٠.

(٢) نورمان بينز، الإمبراطورية، ترجمة د/ حسين مؤنس، محمود يوسف زايد، القاهرة، ١٩٥٠م، ص ٣٥٧.

(٣) انظر: ابن المقفع، تاريخ مصر، ج ١، ص ٥٣٠؛ موسوعة من تراث القبط، مج ١ من تاريخ القبط، رئيس التحرير د/ سمير فوزي جرجس، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٢٠٠-٢٠١.

(٤) وقد كان صراعهما للسيطرة على سورياً ومصر، وبذلك مهدت الطريق للفتوحات الإسلامية وتكوين الإمبراطورية الإسلامية العربية.

Lapidus, A History of Islam societies, p. 20.

(٥) أسد رستم، الروم، ص ٢٤٧-٢٤٨.

لإرهاق الشعوب الواقعة تحت سيطرتها بالضرائب الباهظة كل هذا أدى إلى ضعف سيطرتها على الأقاليم التابعة لهما وكراهية أهالي البلاد المحكومة لسياستها[1].

وما لبث هؤلاء المحاربون المتمسكون بأهداب دينهم أن إستولوا على أقاليم حيوية من الإمبراطورية الرومانية الشرقية بسرعة مثيرة للدهشة وأقاموا بفتوحاتهم دولة جديدة إستمرت تهدد جيرانها في منطقة البحر المتوسط فترة طويلة من الزمن وفيما بين عامي (٦٣٤-٦٣٨م/ ١٢-١٧هـ) سقطت سورية وفلسطين في قبضة العرب على الرغم من جهود هرقل العسكرية المستميت للإبقاء عليها، وتعزى الهزيمة إلى حد ما إلى سياسة الإمبراطور الدينية؛ لقد انفض أهالي هذه البلاد من حول الإمبراطور بسبب جهوده الرامية إلى البحث عن توفيق لاهوتي في المبادئ الدينية يمكن به مصالحة أتباع المذهب المونوفيزي في الولايات الشرقية وهو المذهب القائل بأن للمسيح طبيعة لاهوتية واحدة، هذا بينما كان رأى المسيحيين الآخرين في الإمبراطورية أن المسيح له طبيعتان إحداهما إنسانية أو بشرية والأخرى إلهية أو لاهوتية وبذلك فضل كثير من المسيحيين الذين يقطنون في تلك الجهات حكم العرب عن سياسة القهر التي فرضتها عليهم القسطنطينية[2].

ث- محاولات فتح قبرص:

يعتبر الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ (٤١-٦٠ هـ/ ٦٦١-٦٨٠م)[3] أول

(١) بدر عبد الرحمن محمد، تاريخ الدولة العربية عصر الخلفاء الراشدين والدولة الأموية، القاهرة، ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٣٨.

(٢) حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٧٢-٧٣؛ ساليفان، ورثة الإمبراطورية، ص ٥٤، ويمكن الرجوع إلى: فايز نجيب إسكندر، بنيامين الأول البطريرك الثامن والثلاثون (٦٢٣-٦٦٢م)، د. ت.، ص ٧٢.

(٣) ابن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أسلم عام الفتح وكتب للنبي ﷺ، ولي الشام لعمر وعثمان عشرين سنة بويع له بالخلافة في شهر ربيع الأول، فولي سنة أربعين وهو ابن اثنتين وستين سنة، فحكم عشرين سنة إلا شهراً، وتوفي وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، للمزيد عنه انظر: ابن حبيب، المحبر، ص ١٩-٢١؛ ابن قتيبة، المعارف، =

سياسي عربي يدرك أن الحرب ضد البيزنطيين، وتدعيم السيادة الإسلامية على الشواطئ الشرقية والجنوبية للبحر المتوسط في حاجة إلى أسطول قوي[1]، وقد نجح في إنشائه في عهد عثمان بن عفان ﷺ[2]، لذا فهو من وضع حجر الأساس أو اللبنة الأولى لبناء الأساطيل الإسلامية البحرية، فلقد أدرك أهمية السيطرة على مياه البحر المتوسط الذي كان بمثابة بحيرة بيزنطية تجوب فيه السفن البيزنطية التي اتخذت من الجزر الموجودة به قواعد لشن الهجمات على المسلمين[3]، لذا أراد المسلمون فتح جزر البحر المتوسط ليقطعوا الطريق على البيزنطيين من تكوين قواعد لهم، وكان فتح جزيرة قبرص باكورة الفتوحات الإسلامية[4].

وقد تحدث ثيوفانيس عن محاولة فتح قبرص فقال: "غزا معاوية قبرص عام (٦٤٧ - ٦٤٨م/ ٢٨هـ) عن طريق البحر بـ١٧٠٠ سفينة، وأخذ قنسطنطينة Constantia[5]، والجزيرة بأكملها مما أدى لضياعها، وبمجرد سماع cubicularius Kakorizos تحرك ضدهم بقوات رومانية كبيرة، فأبحر بعيداً عن

= ص٣٤٩، ويمكن الرجوع إلى: أحمد بن سعد الدين الغمري العثماني الشافعي، ذخيرة الأعلام بتواريخ الخلفاء الأعلام وأمراء مصر الحكام وقضاة قضاتها في الأحكام من فتوح الإسلامي لزمن ناظمه، مخطوطة في معهد المخطوطات العربية.

(١) إبراهيم أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون "البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ٧٣؛ حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٨٢-٨٤.

(٢) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، تولى الحكم أول سنة أربع وعشرين بعد وفاة عمر بن الخطاب، فولي اثنتي عشرة سنة، للمزيد عنه انظر: ابن حبيب، المحبر، ص ١٤-١٦؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ١٩١-١٩٧.

(٣) أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠-١١٠٠م)، ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٨٨-٩٠؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج ١، ص ٥٨

(٤) إبراهيم أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٨٠؛ مهند صادق الجهود الإسلامية، ص ٣٩، وللمزيد عن الفتح انظر: أغابيوس المنبجي، المكلل بفضائل الحكمة، ص ٣٤٦.

(٥) توجد في البلقان الشمالية .OBD, vol. 1, p. 497 .

رودس وبمجرد أن رسى بالأسطول سعى للحصول على مساعدات مختلفة من بلدة صغيرة على الجزيرة تسمى كاستيلوس kastellos، ولم يوفقوا في طلبهم، فأرسل الأسقف ثاريخوس Thomarichos إلى السكان لتخويفهم ليتخلوا عن المدينة، ويخضعوا لشروطهم، وعندما قام الأسقف بمقابلتهم احتجزوه في الداخل ولم يستسلموا لمعاوية فأصبح حصار رودوس عديم الجدوى، فعاد إلى دمشق وقضى بها الشتاء ثم خرج معاوية في عام (٦٤٨-٦٤٩/ ٢٨-٢٩هـ) ضد رودس مسلحاً بتسليح كبير، فأخذها عن طريق الإستسلام شريطة أن يسكن سكانها أينما رغبوا في ذلك فأحرق المدينة، ودمر جدرانها فتسبب ذلك في أن أصبحت الجزيرة غير مأهولة إلى هذا اليوم وفي عام (٦٥٢ - ٦٥٣م/ ٥١ - ٥٢هـ) أنزل تمثال رودس العملاق الذي ظل منتصبا ١٣٦٠ سنة-يقال أن إرتفاعه ١٠٧ قدم، وقد شيد فيما بين (٣٠٤-٢٩٣ ق.م)، وقد حدث زلزال في (٢٢٨ ق.م) كسره من الركبة - فاشتراه تاجر يهودي من الرها Edessa، وقد حمل البرونز على ٩٠٠ جمل"(١).

وقد تعرضت المصادر الإسلامية لغزو قبرص في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ (٦٤٣ - ٦٥٥م/ ٢٣-٣٥هـ) حيث "غزا معاوية ﷺ قبرص أول مرة ولم يركب المسلمون بحر الروم قبلها وكان معاوية استأذن عمر ﷺ في غزو البحر فلم يأذن له (٢)، فلما ولى عثمان بن عفان ﷺ غزا معاوية ﷺ قبرص وصالح أهلها على أن يؤدوا له ٧٢٠٠ دينار كل عام، وكانوا يدفعون للروم مثلها فكانوا يدفعون خراجين، واشترطوا ألا يمنعوهم المسلمين أداء الصلح إلى الروم، واشترط عليهم المسلمون أن لا يقاتلوا عنهم من أرادهم من ورائهم، وأن يؤذنوا المسلمين بسير عدوهم من الروم فكان المسلمون إذا ركبوا البحر لم يعرضوا لهم ولم ينصرهم أهل قبرص، ولم ينصروا عليهم، فلما كانت سنة (٣٣هـ) أعانوا الروم في البحر بمراكب أعطوهم إياها فغزاهم معاوية ﷺ للمرة الثانية سنة (٣٣ هـ،

---

(1) Theophanes,The Chronicle, pp. 478-479, 481.

وهو تمثال لإله الشمس، انظر: بورفيروجنيتوس، إدارة الإمبراطورية، ص٧٨، ٨١-٨٢.

(٢) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج ١، ص ٢٦٤-٢٦٥.

وقيل ٣٥هـ) في خمسمائة مركب ففتح قبرص عنوة فقتل وسبى ثم أقرهم على صلحهم، وقد قيل إن المسلمين ذهبوا إلى قبرص لأن أهلها كانوا أذلاء مقهورين يغلبهم الروم على أنفسهم، فرأوا أن من حقهم عليهم أن يمنعوهم ويحموهم"[١].

والمتأمل لما سبق يجد أن ثيوفانيس لم يتعرض لسبب غزو المسلمين لقبرص كما ذكرت المصادر الإسلامية، والمتأمل لسبب فتح معاوية لجزيرة قبرص وإلحاحه على الخليفة عثمان بن عفان ﷺ كان لقربها من سواحل الشام، ولمركزها الإستراتيجي حيث كانت تحت السيادة البيزنطية ومثلت معقلاً من معاقل الهجوم على المسلمين في الشام ومصر، كما أن موقعها أتاح لها فرصة التحكم في مياه الجزء الشمالي الشرقي من البحر المتوسط، فجعلها هذا الموقع موضع صراع بين القوى العظمى، لذا تطلع معاوية لإستغلال هذه الجزيرة[٢]، ولا شك أن إستيلاء المسلمين على قبرص كان فاتحة خير لسيادة المسلمين على مياه البحر المتوسط، حيث أضيفت بهذه الجزيرة رقعة جديدة إلى أرض الإسلام، كما نجح معاوية ﷺ بتقليم أظافر البيزنطيين وجعلهم يدركون ما عليه بحرية المسلمين الناشئة من فتوة وقوة[٣]، وأن المسلمين أصبح لهم أسطول كبير في البحر المتوسط[٤].

وبالنسبة لتمثال رودس الذي دمره معاوية ﷺ فلم يأت ذكره في أي من المصادر العربية، ولعل هذا فرية على معاوية، وبالقياس على ما حدث في مصر نجد أن المسلمين لم يتعرضوا لأى من الآثار المصرية لذا لا يمكن قبول هذا القول من ثيوفانيس.

ومن ضمن الإتهامات التي رمى بها ثيوفانيس المسلمين القيام بحملات لأخذ الأسرى والإستيلاء على المعدات والمؤن ومن ثم العودة لديارهم فقال:

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٩-١٦٣.

(٢) إبراهيم أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٨١-٨٢؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج ١، ص ٥٨-٥٩.

(٣) إبراهيم أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٨٦.

(٤) حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٨٤.

"جاء مسلمة -بن عبد الملك- والعباس -بن الوليد - بحملة ضد تيانـا Tyana[١] (٧٠٨ - ٧٠٩م/ ٨٩-٩٠هـ) فأهلكوا عدة آلاف وأخذ كثيرون كأسرى، وإستولوا على معدات المخيم ومؤنه وإستمروا في الحصـار حـتى أخـذوا المدينـة فقبـل السكان بالاستسلام للعرب بعدما أخذوا وعداً بخروج العـرب، وتـرك المدينـة مهجورة حتى هذا اليوم لكـن العـرب لم يلتزمـوا بوعـدهم وقـادوا بعضـهم إلى الصحراء، وأبقوا على الآخرين عبيداً[٢] كما قام عثمان بـن الوليـد بحملـة عـام (٧١٠م/ ٩١هــ) ضـد كيليكيـا Cilicia[٣]، وأخـذ العديـد مـن الحصـون بالإستسلام[٤]، وغـزا العـرب الدولـة الرومانيـة (٧٥٨ - ٧٥٩م/ ١٤٠-١٤١هــ) وأخذوا العديد من الاسرى"[٥].

ويمكن الرد على هذا القول بما ذكره ثيوفانيس نفسه عن قيام الرومـان في عـام (٦٩٩/ ٧٠٠م/ ٧٩-٨٠هــ) بغـزو سـوريا وجـاؤا إلى مـا بعـد سميسـاط Samosata[٦] فخربـوا الـبلاد المحيطـة بهـا، ويقـال إنهـم قتلـوا مـا يصـل إلى ٢٠٠.٠٠٠ عربى فأخذوا الكثير من الغنائم والعديد من الأسرى العرب، وعـادوا

---

(١) مدينة على الطريق الرئيسي بين القسـطنطينية والشـرق الأدنى علـى بعـد حـوالي ٣٠ كـم شمال بوابة Cilician.

OBD, vol. 3, p. 2130.

(2) Theophanes,The Chronicle, pp. 525-526, Nicephori Patriarchae Constantinoplitani, De rebus post Mauricium gestis, PG, 100, colum 946, anne 704.

(٣) هى مقاطعة رومانية تقع في جنـوب شـرق أسـيا الصـغرى، وتتكـون مـن منطقـتين همـا Cilicia، Pedias ، وهى عبارة عن سهل ملئ بالمياه الصالحة للشرب، للمزيد انظر:

OBD, vol. 1, p. 462.

(4) Theophanes,The Chronicle, p. 527.

(5) Theophanes,The Chronicle, p. 596.

(٦) تقع شمال الضفة الشمالية لنهر الفرات، وهي الآن في تركيا، وقد كانت واحدة من أكـبر المدن في مقاطعة الفرات، فكانت معسكراً للجيش البيزنطي في طريقه إلى بـلاد فـارس خلال الحروب الفارسية، لكنها لم تلعب دوراً حاسماً الأحداث، وتعـد المدينـة مركـزاً هاماً للمسيحية لوجود العديد من الشهداء بها، للمزيد انظر:

OBD, vol. 3, p. 1836.

لبلادهم بعدما زرعوا الخوف الكبير في نفوسهم[١]، وأيضاً ما فعله الإمبراطور جستنيان الثاني Justinian II (٦٨٥-٦٩٥ م، ٧٠٥-٧١١م)[٢] عام (٧١٠م) بسكان خيرسون Cherson[٣] حيث أرسل قوات ضدهم لأنه لم ينسى أنهم حاولوا تسليمه للإمبراطور أو قتله عندما كان منفى، لذا بمجرد عودته للعرش قرر انتقم منهم"[٤].

---

(1) Theophanes,The Chronicle, p. 518.

(٢) هو ابن الإمبراطور قسطنطين الرابع Constantin IV (٦٦٨-٦٨٥م)، وأنستاسيا Anastasia، ولد في القسطنطينية عام ٦٦١م وخلف أباه في حكم الإمبراطورية البيزنطية في سبتمبر عام ٦٨٥م فحكم فترتين الفترة الأولى: وهو ابن أربعة وعشرين سنة (٦٨٥-٦٩٥م)، وفيها عقد معاهدة سلام مع العرب مكنته من مواجهة أعدائه الآخرين، وقد كان يتفاخر بتقواه وتدينه لذا رسم صورة المسيح على عملته، كما عرف عنه كبريائه وتسلطه على الرقاب، مما جعل الناس تتنكر له وتعارضه، لذا ثارت عليه الطبقة الثيوقراطية سنة ٦٩٥م، ونادوا بليونتيوس Leontios والى هيلاس أحد قواده إمبراطوراً لمدة ثلاث سنوات، وجدعوا أنف جستنيان فسمى بذى الأنف المجدوع Rinotmeus، ونفى عن الملك بعدما ملك عشر سنين إلى بلاد القرم، لكنه نجح وبمساعدة الجيش البلغاري في استرداد عرشه مرة أخرى ليحكم من (٧٠٥-٧١١م)، وقد امتازت فترة حكمه الثانية باستفحال الرعب والفزع والانتقام حتى امتدت يد الانتقام للإمبراطور نفسه وجميع أفراد أسرته فتم اغتيالهم جميعاً وبموته انتهى حكم سلالة هرقل، ونودي بفيليبيكوس بردانس Philippikos Bardanes إمبراطوراً، دونالد نيكول، ص ١٠٧-١٠٦.

Agapius on the reigns of Mu'awiya and Abd al-Malik The missing parts of Agapius, by Robert Hoyland, Edition of Agapius, Ms. Laurentiana Orientali 323, 105 v-06 r., Cedrenus, G., vol. Im, CSB, Bonnae, 1838, p. 771, Leonis Diconi Caloensis Historiae, tomus III, Bonae, 1828, p. 104 ff, Theophanes, Chronographia, pp. 504 ff, OBD, vol. 2, pp. 1084-1085.

(٣) مستعمرة يونانية مجاورة لسباستبول sebetopl الحديثة في شبه جزيرة القرم، انتشرت بها المسيحية في القرن. الرابع الميلادي، للمزيد انظر: OBD، vol. 1، pp.418-419 .

(٤) وللتعرف على ما فعل بأهل خرسون انظر:

Cedrenus, vol. Im, pp. 778 -783, Theophanes,The Chronicle, p. 527, Cedrini, G., Historiarum Compendium, P G. 121, PP. 851- 855, Ephram Monahi, Imperatorum et patriarcharum recensus, interpete Angelo Maio, Bonnae, 1840, pp. 71-72, Nicephori Ptriarchae, Constantinopolitnopolitanti, De rebus post Mauricium gestis, PG. 100, colum 946-949, anne 709, Michael Glycas, Annalium pars IV, Bonnae,

وقد قال البطريرك نقفور: "بعدما نجح جستنيان في إستعادة ملكه أنزل عقوبة الإعدام على العديد من رعاياه، وقام بترقية بعض الرجال إلى مناصب حكام ثم أرسل في الحال وراءهم من يغتالهم وآخرون دعاهم إلى العشاء وغدر بهم وذبحهم ووضع بعضهم في أجولة وألقى بهم في البحر، وباختصار تعامل مع رعاياه بقسوة شديدة وسلوك وحشي"[١]، ولا يفوتنا أن نذكر ما فعله جنود الإمبراطور هرقل بناء على أوامره حيث سلبوا ونهبوا كل ما وجدوه في البلدان والقرى ودمروا البلاد بشكل أكبر كما لو كانت الأرض تخص العدو بالفعل، بل إن ما قاموا به كان أكثر مما فعله العرب"[٢]، وهذا يدل على همجية البيزنطيين فهم يقتلون بني جلدتهم أو التابعين لهم لمجرد أنهم قد تخلوا عنهم في وقت ما، أو عندما إستشعروا فقدها وتناسوا ما قدموه لهم من ولاء وخضوع، وما وسموا به الإسلام لا يصح فالمسلمون قاموا بحملتهم لأجل نشر الإسلام فالمنتصر في كل العصور في الحرب إما يحرز الغنائم أو يستحوذ على الأراضي، لذا فإننا نجد نفس الأمر ينطبق على ما فعله الإمبراطور هرقل مع الفرس، لذا فلماذا يمجدون إنتصاراتهم وما أحرزوه من غنائم في هذه الحرب، في الوقت الذي كانوا يرمون المسلمين بالهمجية في حروبهم؟!.

ج- محاولات فتح القسطنطينية :

وجد إتصال بين المسلمين والبيزنطيين منذ عهد النبي محمد ﷺ الذي أرسل خطاباً إلى هرقل عظيم الروم يدعوه فيه للإسلام، وقد كان عرب الشام هم أداة البيزنطيين في صراعهم مع المسلمين حيث قاموا بمنع الأقوات والميرة عن المسلمين وقتل دعاة الرسول، لذا أصر الرسول على مجابهتهم بالقوة كي يحمى دولته الوليدة فقاد بنفسه حملة ضدهم وأرسل السرايا تباعاً[٣]، ولم ينته الأمر

1836, 518-520, Zonarae, I., Epitomae Historiarum, Libri. XIII-XVII, edidit Theodorus Buttner-Wobst, Bonnae, 1897, pp. 240-241.

(١) البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ص٨٢-٨٥.

(2) Kennedy, The great Arab conquests, p. 53.

(٣) سبق التعرض له في الفصل الأول.

بوفاة الرسول ﷺ بل حمل خلفائه من بعده على عاتقهم مسؤلية مجابهة الإمبراطورية البيزنطية، لذا خرجت الفتوحات الإسلامية لتقويض ممتلكات الدولة البيزنطية وبمجرد إستقرار الفتح الإسلامي في بلاد الشام، ومصر تطلع المسلمون إلى فتح القسطنطينية[١] عاصمة الدولة البيزنطية تصديقاً لقول النبي محمد ﷺ "لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش جيشها"[٢]، بالإضافة لكونها رأس المقاومة لحركة الفتح والتوسع الإسلامي، فلا استقرار لفتوحاتهم إلا بإدخالها في قائمة فتوحاتهم[٣].

وقد تعرض الكتاب البيزنطي ثيوفانيس لمحاولات المسلمين الإغارة على بيزنطة فقال: "في عام (٦٥٣ - ٦٥٤م/ ٣٢هـ) أمر معاوية بضرورة إعداد قوات بحرية كبيرة بهدف الإبحار للقسطنطينية، وقد تم الإعداد الكامل في طرابلس فينيقيا، وقد رأي شقيقين محبين للمسيح، وهما أبناء نافخ البوق الذي كان يعيش في طرابلس، وقد انطلقا الشقيقيان بحماسة إلهية إلى سجن المدينة الذي كان به العديد من الأسرى الرومان فكسروا البوابات، وبعدما حرروا الأسرى اندفعوا إلى أمير المدينة، وقتلوه هو وحاشيته ثم أحرقوا جميع المعدات وأبحروا إلى الدولة الرومانية، ورغم ذلك لم تتوقف الإعدادات، وبينما كان معاوية يرسل حملة ضد قيصرية كبادوكيا Caesarea of Cappadocia [٤] عين عبد الله ابن سعد بن أبي السرح Abula Barus قائداً للأسطول - الذي خاض معركة

---

(١) مهند صاردق، الجهود الإسلامية، ص ٣٥، وللتعرف بمزيد من الإسهاب عن تفاصيل غزوات المسلمين على أرض الروم يمكن الرجوع إلى: الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٤٢٩ وما بعدها.

(٢) رواه بشر الخثعمي، حديث رقم ١٨٥٧، مسند الإمام أحمد، ج ٣١، ص ٢٨٧.

(٣) إبراهيم أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٩٢.

(٤) منطقة جبلية بوسط آسيا الصغرى امتدت من جبال pontic إلى طوروس Taurus، وقد اكتسبت أهمية لسيطرتها على الطرق السريعة الرئيسية عبر الأناضول، للمزيد عنها انظر: OBD, vol. 1, pp. 378-379.

ذات الصواري (٦٥٥م/٣٥هـ) -، فوصل هذا الرجل إلى ليكيا Lycia[1]، حيث كان الإمبراطور قنسطانز الثاني Constans II (٦٦١-٦٦٨م)[2] مقيماً بمعسكره مع الأسطول الروماني فاشتبك معه في معركة بحرية، وأثناء قتال الإمبراطور في البحر، رأى في نومه أنه كان في تسالونيكي Thessalonica[3] فلما استيقظ الإمبراطور قص رؤيته لمفسر الأحلام الذي قال له: هل إنك لم تغفو في النوم أم أنك رأيت الحلم؟ وتفسير وجودك في تسالونيكي يعني أن النصر سيكون لعدوك، ولم يتخذ الإمبراطور أي تدابير لوضع خطة للمعركة وأمر الأسطول الروماني بالقتال، وعندما اشتبك الطرفان تم هزيمة الرومان في البحر الذي كان مصبوغاً بالدم الروماني، أما الإمبراطور فقد وضع ثيابه على رجل آخر، وقفز نجل نافخ البوق المذكور إلى السفينة الإمبراطورية وخطف الإمبراطور بعيداً، ونقله إلى سفينة أخرى فحماه بشكل غير متوقع فدل موقفه هذا على أنه رجل شجاع حيث صعد على متن السفينة

---

(١) هي المنطقة الجنوبية الغربية الوعرة لآسيا الصغرى، ومحاطة بسلسلة من الجبال على طول الخط الساحلي، وتقع على الطريق البحري بين إيطاليا أو القسطنطينية وليكيا الشرقية، فازدهرت بها التجارة، للمزيد عنها انظر:

OBD, vol. 2, pp.1257-1258.

(٢) هو ابن قسطنطين بن هرقل، ولد في القسطنطينية عام ٦٣٠م، وتوجه عمه هركليانوس بعد وفاة أبيه امبراطوراً مشاركاً له عام ٦٤١م باسم قنسطانز الثاني، وقد انتقم من قتلة أبيه، واعتلى العرش مشاركاً لإخوته هركليانوس وتيبريوس حتى عزلهم عام ٦٨١م، وتوج ابنه جستنيان بدلاً منهم، وقد تعرضت القسطنطينية لحصار استمر أربع سنوات (٦٧٤-٦٧٨م) ولم يخلصها إلا مناعة أسوارها، فاضطر لطلب الصلح ودفع جزية للبلغار بعدما هزمت قواته عام ٦٧٠م، فوجدت مملكة بلغارية صقلبية على الحدود البيزنطية، وتوفي في سبتمبر غير متجاوز الثالثة والثلاثين من عمره تاركاً العرش لابنه جستنيان الثاني.

OBD, vol. 1, pp. 496-497.

دونالد نيكول، معجم التراجم، ص ١٤٢-١٤٣.

(٣) Tessalonika هي مدينة قديمة تقع على رأس خليج Thermaic بالقرب من مصب الفاردار Vardar وعلى الجانب الآخر من Egnatia، وقد برزت أهمية موقعها الإستراتيجي منذ من نهاية القرن الثالث، للمزيد عنها انظر:

OBD, vol. 3, pp. 2071-2072.

الإمبراطورية، وقتل العديد من العدو قبل أن يضحي بحياته من أجل الإمبراطور فأصبح محاطا بالأعداء ومحتجزاً وسطهم، حيث اعتقدوا أنه الإمبراطور لأنه كان يرتدي الجلباب الإمبراطوري، فقتلوه بعدما قتل الكثيرين منهم، فأبحر الإمبراطور للقسطنطينية بعدما نجح في الهرب تاركاً الجميع وراءه"[١].

أما المصادر الإسلامية فقد جاء فيها: "أن المسلمون لما أصابوا من الروم بإفريقية خرج الروم في جمع لم يجمع مثله قط، خرجوا في خمسمائة مركب عليهم قسطنطين بن هرقل، وتلاقوا في الماء والسفن بعضها إلى بعض، واقتتلوا أشد القتال، وقتل من الفريقين خلق كثير، ثم نصر الله المسلمين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم ينج منهم إلا الشريد وانهزم قسطنطين"[٢].

ومما سبق يتضح أن هناك تباين في سبب معركة ذات الصواري حيث جعلها ثيوفانيس محاولة إستباقية من الإمبراطور قنسطانز الثاني لوقف الحملة التي يعدها المسلمون على القسطنطينية في الوقت الذي أجمعت فيه المصادر العربية على أنها كانت حملة انتقامية للهزائم المتتالية التي مني بها البيزنطيون، ويمكن التوفيق بين كلا القولين، حيث كان لإنتصارات الجيش الإسلامي أثرها على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما حيث شجعته على إستكمال الفتوحات البحرية، فخطط للإستيلاء على القسطنطينية، وقد تنامى لمسامع الإمبراطور قنسطانز الثاني أن معاوية ﷺ يعد العدة ويجهز أسطولاً كبيراً وجيشاً كثيفاً لمهاجمة القسطنطينية، فأراد الإمبراطور أن يتلافى الخطر المقبل، فخرج للشام ليدمر الأساطيل الإسلامية قبل إبحارها من قواعدها.

---

(1) Theophanes,The Chronicle, p. 482.

ويمكن الرجوع أغابيوس المنبجي، المكلل بفضائل الحكمة، ص ٣٤٧-٣٤٨.

وللاستزادة بمكن الرجوع إلى:

Jankowiak, M., The first Arab siege of Constantinople, in Construting The seventh century, edited by Constantin Zuckerman, Paris, 2013, pp. 237-243.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٥، ص ١٢؛ ابن أعثم، كتاب الفتوح، ج ٢، ص ٣٥٤-٣٥٦.

وقد وجد اتفاق في الروايتين العربية والبيزنطية على هزيمة الإمبراطور وجيشه، بل عدت هذه المعركة بمثابة كارثة للبيزنطيين، وغدت تلك المعركة يرموك ثانية حطمت فيها القوى البيزنطية تحطيماً كاملاً، فدفعت الإمبراطور البيزنطي للتخلي عن أفكار البيزنطيين من طرد المسلمين من البلاد التي استولوا عليها في شرق البحر المتوسط والذي سيصبح بحيرة إسلامية، وأعلن انتهاء عصر السيادة البيزنطية في البحر المتوسط(١).

وبمجرد إستتباب الأمور لمعاوية ﷺ أدرك بثاقب نظره أن القسطنطينية عصب جزر البحر المتوسط تغذيها بالقوات والإمدادات، وتشجع أهاليها على شن الغارات على سواحل المسلمين، لذا أدرك قيمة القسطنطينية، فوضع خطة تهدف إلى ضربها في عقر دارها ومن ثم الإستيلاء عليها(٢)، فبدأ معاوية ﷺ يستنزف قواها كي يسهل على المسلمين السيطرة عليها، فعمد على إرسال ما يسمى بالصوافي والشواتي لأجل تحقيق هدفه، وقد تحدث عن هذه الحملات المؤرخ ثيوفانيس فقال: "أرسل العرب حملة ضد الرومان في عام ٦٦١/٦٦٢م بقيادة بسر بن أرتات فأخذوا عدداً من الأسرى ودمروا العديد من المدن"(٣)، وبمجرد ما أعد معاوية ﷺ القوات اللازمة لحصار القسطنطينية شحذ الهمم(٤)، ومن ثم انطلقت الحملة في خريف (٦٦٨م/ ٤٩هـ) مكونة من قوتين برية وأخرى بحرية متوغلة في بلاد الروم، وبمجرد وصول القوات إلى القسطنطينية فرضوا حصاراً عليها لإرهاب أهلها، وقد شارك عدد من صحابة النبي ﷺ في هذه الحملة، وكان لهم دور فعال في رفع معنويات الجند وبث روح الحماسة في نفوسهم، واشتد القتال بين الجانبين فأظهر المسلمون الجلد والصبر،

---

(١) إبراهيم أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٩٨-٩٩؛ مهند صادق، الجهود الإسلامي لفتح القسطنطينية، ص ٤٤-٤٥.

(٢) إبراهيم أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ١٥٤-١٥٥.

(3) Theophanes,The Chronicle, p. 486

وللتعرف على هذه الحملات التي ذكرها ثيوفانيس يمكن الرجوع إليها:

Theophanes,The Chronicle, pp. 487 ff.

(٤) وللتعرف على الاستعدادات التي قام بها معاوية ﷺ، انظر: مهند صادق، الجهود الإسلامية لفتح القسطنطينية، ص ٤٧-٥٨.

واستشهد بعض المشاركين في الحصار كالصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري ﷺ الذي دفن بالقرب من سور القسطنطينية بناء على وصيته، ورغم ما بذله المسلمون إلا أنهم لم ينجحوا في الدخول للقسطنطينية حيث صمدت أمام ضربات المسلمين، فاضطر المسلمون لفك الحصار والعودة للشام، بعدما فشلوا في حصارهم الأول (٦٦٩-٦٧٠م/ ٤٩-٥٠هـ)[1]، لكن هذه الحملة كان لها أثر كبير في سياسة الأباطرة البيزنطيين، إذ أقضت هذه الحملة مضاجعهم وجعلتهم يدركون أن مطرقة الجيوش الإسلامية قد وصلت إلى مشارف عاصمتهم، وأنهم على استعداد لإعادة حملتهم بشكل أقوى وأعنف، لذا قرروا اتخاذ كافة الوسائل الممكن لجعل عاصمتهم بعيدة عن أيدي المسلمين، وذلك في الوقت الذي صمم فيه معاوية ﷺ على إعداد حملة ثانية لتقويض دعائم البيزنطيين[2]، فتعرضت القسطنطينية للحصار الثاني من قبل المسلمين والذي استمر سبع سنوات (٦٧٣-٦٧٩م/ ٥٤-٦٠هـ)[3]، وقد نجح المسلمون عام ٥٤هـ في فتح جزيرة أرواد قرب القسطنططينية، واتخذوها قاعد أثناء حصار السبع سنوات[4]، ورغم الاستعدادات الكبيرة التي أعدت لنجاح هذا الحصار إلا أنه مني بالفشل وعادت القوات الإسلامية إلى الشام[5]، ورغم أهمية الحصارين

---

(١) ولمزيد من التفاصيل عن هذه الحملة انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٢١١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٣٢؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٥، ص ٢٢٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج ٣، ص ٣١٤-٣١٥.

(٢) إبراهيم أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ١٥٨-١٦٤.

(٣) عن هذا الحصار انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٢٢٣-٢٢٦؛ الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٢٩٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج ٣، ص ٣٤٤؛ مهند صادق، الجهود الإسلامية لفتح القسطنطينية، ص ٤٦-٨٦؛ نيقولو باربارو، الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني ١٤٥٣م، ترجمة د/ حاتم عبالرحمن الطحاوي، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٩-١٠؛ وفاء مختار غزالى على، أضواء جديد على حملة المسلمين على القسطنطينية عام (٩٨-١٠٠ ه/ ٧١٦-٧١٨م) مجلة قطاع الدراسات الإنسانية، ع ١٣، يونيو ٢٠١٤م، ص ٣٧-٣٨.

Agapius, on the reigns of Mu‘awiya and ‘Abd al-Malik, pp. v 97, r 98.

(٤) ابن الأثير الكامل في التاريخ، مج ٣، ص ٣٤٤.

(٥) أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ص ٩٦-٩٧؛

إلا أن المصادر البيزنطية لم تتعرض للحديث عن الحصار الأول، أما الحصار الثاني فقد مر عليه ثيوفانيس مرور الكرام رغم طول مدة الحصار، والتي من المفترض أن يكون قد حدث بها العديد من الأحاث المهم إلا أنه تجاهلها تماما ولم يذكر إلا خبر الحصار فقال: "أبحر أسطول أعداء الله في عام ٦٧٢-٦٧٣م ورسوا بمنطقة ترقيا Thrace بين النقطة الغربية لرأس هبدومون Hebedom والنتوء الخليجية الشرقية المسماة كيكليبيوس Kyklobion، وكانوا يقومون بالاشتباك العسكري من الصباح إلى المساء بين البوابة الذهبية وكيكليبيوس خلال الفترة من شهر أبريل إلى سبتمر ثم يعودون إلى كزيكوس kyzikos (أرواد) التي يسيطرون عليها ويشتون بها، ثم يخرجون في فصل الخريف بحملات بحرية ضد المسيحيين واستمروا على هذا الوضع طيلة سبع سنوات، وبفضل مساعدة الله وأمه فقدوا العديد من المحاربين، وأصبح لديهم كثير من الجرحى، وعادوا بحزن كبير، وبالنسبة للأسطول فقد كان مقدر له أن يغرقه الله في البحر عن طريق عاصفة شتوية مدمرة في منطقة سيلايون Syllaion فحطم لقطع ودمر تماماً"[1].

وإذا ما تأملنا هذه الحملة نجد أنه رغم محاولات المسلمين المستميتة والمتكررة إلا أنهم لم يتمكنوا من فتح القسطنطينية في تلك السنوات، إلا أن هذا لم يصرف حكام المسلمين عن ترقب الفرصة لإعادة المحاولة مرة أخرى، فتقدموا براً في آسيا الصغرى وبحراً في البحر الإيجي وهددوا العاصمة القسطنطينية[2].

بدأ الخليفة الوليد بن عبد الملك عهده بمواصلة الفتوحات الإسلامية، فجعل على رأس أهدافه فتح القسطنطينية، لذا عمل على الإستيلاء على المدن والمعاقل المهمة الواقعة على الطريق الرئيسي المؤدي إلى القسطنطينية[3]،

إبراهيم أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ١٦٧.

(1) Theophanes,The Chronicle, pp. 493-494.

(٢) حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٨٩، ١٠١.

استمرت "الصوافي والشواتي" بعد هذا الحصار، وقد تعرض المؤرخ ثيوفانيس لذكر حملات المسلمين على القسطنطينية، عنها انظر:

Theophanes,The Chronicle, pp.512-513, 516, 519.

(٣) فسيطر المسلمون على تيانا Tyana أهم معاقل كبادوكيا في أسيا الصغرى، وتبعها شن=

فخرجت جيوش المسلمين للغزو والجهاد، فعمدوا على إزالة القوى والعقبات الواقعة في طريق زحف الجيوش الإسلامية للتمهيد لأضخم حملة برية وبحرية[1] لغزو القسطنطينية وفتحها للتخلص من الخطر البيزنطي على الدولة الإسلامية[2]، وهي المحاولة الثالثة والأخيرة في عهد الأمويين.

تحدث ثيوفانيس عن هذه الحملة في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك فقال: "قام مسلمة بحملة ضد القسطنطينية عام (٧١٥ - ٧١٦م/ ٩٧هـ) فأرسل أمامه سليمان بن معاذ الأنطاكي بالقوات البرية وعمر بن هبيرة عن طريق البحر، على أن يلحقهم بمعدات عسكرية كبيرة، وعندما وصل سليمان والبختري بن الحسن إلى عمورية[3] كتباً إلى ليو إستراتيجيوس الأناضول: نحن نعلم أن الإمبراطورية الرومانية تليق بك؛ لذا دعنا نتشاور حول السلام، وقد لاحظ سليمان أن عمورية بلا جيش، وفي حالة من العداء مع الإستراتيجيوس بسبب

= هجمات على أراضي بيزنطية أخرى كإقليم قيليقية Cilicia، واستولوا على عدد من الحصون والقلاع، كما استولوا على جالاتيا Galatia التي تقع قرب القسطنطينية انظر:
Theophanes,The Chronicle, pp. 520, 525-527, 533-534.

(١) تعرض المؤرخ ثيوفانس لمحاولة الإمبراطور أرتيموس Artemios وقف إستعدادات العرب البحرية في رودوس لكن حملته فشلت لتمرد رجال الأوبسيكيون عليه وتعيين ثيودسيوس إمبراطوراً بدلاً منه.
Theophanes,The Chronicle, pp. 535-537.

(٢) وفاء غزالي، أضواء جديدة على حملة المسلمين على القسطنطينية، ص ٣٨-٤٠.

(٣) تقع الآن بالقرب من Emirdag على حدود غلاطية Galatia وفريجيا Phrygia، اكتسبت أهمية في القرن السابع عندما أصبحت عاصمة للأناضول، وقد هاجمها العرب لأول مرة عام ٦٤٤م وأخذوها في عام ٦٤٦م، للمزيد انظر:
OBD,vol. 1, pp. 79-80.
كانت منذ أيام معاوية بن أبي سفيان مقصد الجيوش الإسلامية الزاحفة على القسطنطينية، وأثناء الحملة كانت عمورية تحت قيادة ليو الأيسوري وكان يدين بمركزه للإمبراطور السابق أنستاسيوس ويناهض الإمبراطور ثيودسيوس الثالث الذي تولى الحكم بالقسطنطينية، طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج ١، ص ١٠٧.

دعمه لأرتيموس Artemios (٧١٣-٧١٥م)[١] ففرضوا حصاراً عليها، واعتزموا انتظار مسلمة هناك، وعندما اقتربوا من المدينة نادوا بليو الإستراتيجيوس إمبراطوراً، وحثوا من بالداخل على فعل نفس الأمر، وهتفوا له بحرارة وتبعهم العموريون"[٢].

أما البطريرك نقفور فقال: "بسبب الصراع الدائم على العرش الإمبراطوري واغتصابه بالقوة من حين إلى آخر أهملت شئون العاصمة والإمبراطورية، فتدهورت وإضمحل التعليم وانهار التنظيم العسكري، ونتيجة لذلك تمكن العدو من اجتياح الدولة الرومانية دون أن يتعرض للقصاص، وتسبب ذلك في الكثير من المذابح وحوادث الاختطاف والإستيلاء على المدن، وللسبب نفسه اتجه المسلمون نحو العاصمة الإمبراطورية ذاتها تحت قيادة شخص يدعى مسلمة حيث أرسلوا عن طريق البر أعداداً لا تحصى من الفرسان، والمشاة المجندين الذين جمعوهم من مختلف الشعوب التابعة لهم فضلاً عن أسطول كبير"[٣].

أما المصادر الإسلامية فجاء فيها: "جهز سليمان بن عبد الملك[٤] عام ٩٧هـ الجيوش إلى القسطنطينية، ثم وجه أخاه مسلمة بن عبد الملك إليها عام ٩٨هـ، وأمره أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه، فأقام في القسطنطينية قاهراً لأهلها،

---

(١) غير إسمه لأناستاسيوس الثاني Anastasios II حين نودي به إمبراطوراً بعد أن نجح الجيش في إسقاط فيليبيكوس بردانس Philippikos Bardanes (٧١١-٧١٣م) في يونيو ٧١٣م، ورغم أنه كان من موظفي الدولة ولم يكن جندياً إلا انه قام بدور بارز في الدفاع عن القسطنطينية للمزيد عنه انظر: دونالد نيكول، معجم التراجم، ص ٧٩-٨٠
Theophanes, Chronologia, pp. 533-538, 544.
(2) Theophanes,The Chronicle, p. 538.

(٣) التاريخ المختصر، ص ٩٢.

(٤) يقال لما ولي سليمان الخلافة حدثه جماعة من العلماء أن الخليفة الذي يفتح القسطنطينية اسمه اسم نبى، ولم يكن في ملوك بني أمية من اسمه اسم نبي غيره، فطمع فيها، انظر: مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحدائق، من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحدائق، من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم، ج ٣، مكتبة المثنى، حماة، د. ت، ص ٢٤.

معه وجوه أهل الشام[1]، كما اتفق ابن الأثير مع نفس رواية الطبرى لكنه زاد فيها أن ليو هو من ضمن لهم الفتح، لذا سار مسلمة معه إلى القسطنطينية[2]، لذا وفي سنة ثمان وتسعين شتى مسلمة بضواحى الروم وشتى عمر بن هبيرة في البحر فسار مسلمة من مشتاه حتى سار إلى القسطنطينية في البر والبحر"[3].

ومما سبق يتضح اتفاق كل من المصادر البيزنطية والإسلامية في موعد الحملة وكذلك فيمن تولى سدة القيادة، لكن انفرد الطبري بذكر اتصال ليو بالمسلمين قبل خروج الحملة، بل يستشف أنه هو من حرضهم وهون عليهم الحملة وكان دليلا لهم في الطريق.

انفرد المؤرخ ثيوفانيس بذكر تفاصيل مفاوضات ليو مع المسلمين فقال: "كان ليو يخشى فقد عمورية لغياب الجنود والضباط النظامين؛ لذا بعث برسالة لسليمان يسأله لماذا تحاصر المدينة إذا كنت تريد عقد سلام معى؟، فرد عليه الأخير: تعال وسوف أغادر، وقد جاء الإستراتجيوس مع ٣٠٠ فارساً، وقد أدرك ليو خلال الثلاثة أيام التي كان يفاوضهم فيها على السلام ومغادرتهم المدينة أنهم يعتزمون أسره، فحاول أن يزيل شكوكهم تجاههم بخداعهم، لكنه علم أنهم فهموا خداعه، فأرسل سراً رسالة للسكان العموريين عن طريق أسقف المدينة يحثهم فيها على الصمود قائلاً لهم: خوفاً من الله لا تستسلموا"[4].

"عندما علم سليمان بأمر الأسقف أصر على القبض عليه، وطلب من ليو أن يسلم الأسقف له، إلا أن ليو كان قد أمر أحد رجاله بإخفائه، عندئذ طلب ليو التشاور مع أميرهم في الوقت الذي كان يخشى فيه ليو أن يحتجزوه بينهم، لكنه نجح في خداعهم بأنه يرغب في التنه والصيد، فسمحوا له بالذهاب فركب الخيول هو ومائتين من رجاله، وغادر مع رجاله، وأرسل وفي اليوم التالي رسالة

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٥٢٣، ٥٣٠؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ص ٢٤-٢٥.

(٢) الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٠٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٦٣١.

(٣) ابن خياط، تاريخه، ص ٣١٥.

(4) Theophanes,The Chronicle, p. 538.

إلى العرب يخبرهم أنه غادر لمحاولتهم أسره عن طريق الخداع رغم أنهم أعطوه عهداً بالأمان"[1].

ويتضح مما ذكره ثيوفانيس أن ليو هو من سعى للتفاوض مع المسلمين وهذا يتعارض مع ما ذكره أحد المؤرخين المسلمين الذي قال: "خرج مسلمة يطلب قسطنطينية حتى نزل عمورية وبطريقها ليون المرعشي، فوادعه مسلمة وأعطاه رهناً وأخذ منه مثل ذلك وذلك على أن يناصحه ويظاهره على أهل قسطنطينية ويكون عوناً له وملك قسطنطينية يومئذ تيدوس"[2].

لذا فالثابت مما سبق حدوث نوع من التفاوض بين الطرفين، لكن الخلاف فيمن طلبه فيتضح من رواية ثيوفانيس أن ليو هو من طلب التفاوض مع المسلمين أثناء حصارهم عمورية، في حين ذكر المؤلف المجهول أن مسلمة هو من وادعه، كما وجد اختلاف حول الشخصية الإسلامية التي تفاوضت مع ليو، ففي الوقت الذي ذكر فيه ثيوفانيس أن التفاوض كان مع القائد سليمان، لم يذكر صراحة على وجود تفاوض مباشر بين ليو ومسلمة، وذلك على عكس ما ذكره المؤلف المجهول أن المفاوضات كانت مع مسلمة.

كما برز أن كل من ليو والعرب كانا يحيكون المؤامرات ضد بعضهما البعض سراً وأن كلاً منهما لا يثق في الآخر، بل إن ليو أرسل رسالة عتاب لسليمان على غدر نواياه [3].

ويكمل ثيوفانيس: "وفي الوقت الذي كان فيه مسلمة مستعداً لعبور الممرات الجبلية لطوروس Tauros، لم يكن سليمان يدرك ذلك، فانتفض الأمراء والجنود ضده قائلين: لماذا نحاصر الجدران بدلاً من الإغارة؟ فأخذوا خيامهم وانصرفوا عن عمورية، وفي الوقت نفسه أدخل الإستراتيجيوس حامية

(1) Theophanes,The Chronicle, p. 539.

(٢) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ج ٣، ص ٢٥.

(3) Bury, A History of the late Roman Empire, vol. II, p. 380.

عسكرية مكونة من ٨٠٠ جندي إلى عمورية، وأخرج معظم النساء والأطفال وذهب إلى بيسيديا Pisidia"[١].

وقد قال المؤرخ العربي ابن كثير: "قالوا لإليون رده عنا ونحن نملكك علينا، فخرج فأعمل الحيلة في الغدر والمكر"[٢].

ومما سبق يعتقد أن فك الحصار عن عمورية تم نتيجة لاعتقاد المسلمين بنجاح المفاوضات بعد أن إغتروا بوعود ليو وكأنهم يريدون أن يؤكدوا له أنهم على استعداد لتنفيذ بنود الإتفاق الخاصة بهم وهي الاعتراف به امبراطوراً، كما يعتقد أن ليو قد كسب ولاء سكان المدينة، فحذوا حذوه لأنهم علموا بحيلة ليو، بالإضافة إلى شعورهم بالإمتنان له لإنقاذهم مدينتهم"[٣].

ويكمل ثيوفانيس: "عندما جاء مسلمة لكابادوكيا Cappadocia التابعة لثيم[٤] الأناضول كان الكابادوكيون قانطون على سلامتهم، فخرجوا نحوه متوسلين إليه بأخذها، وقد سمع مسلمة عن عداء الإمبراطور ثيودوسيوس الثالث Theodosios III (٧١٥-٧١٧م) [٥] للإستراتجيوس، فأراد أن يستقطبه لعقد سلام

---

(1) Theophanes,The Chronicle, p. 539.

بيسيديا منطقة في الأناضول الغربية تتميز بالجبال والبحيرات، وتحدها فريجيا وليسيا وبامفيليا، وأصبحت بيسيديا مقاطعة منفصلة في أوائل القرن الرابع، للمزيد انظر:
OBD, vol. 3, p. 1680.

(٢) البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٦٣١.

(٣) وفاء مختار غزالي، أضواء جديدة على حملة المسلمين على القسطنطينية، ص ٦٤.

(٤) وجد نظام ألوية الثغور Themes في القرن الثامن الميلادي في عهد حكم الأباطرة الأيسوريون، وكان الأصل فيه إنزال فرق معينة، أي تجمعات نظامية معينة من الكتائب للدفاع عن نواح ثابتة معينة، ويسمى قائد الثيم بإستراتجيوس Strategus فبجانب رتبته العسكرية يكون رئيساً للحكومة المدينة أيضاً، وكان يطلق على اسم كل لواء اسم الفررقة التي تحتله للمزيد انظر: ستيفن رنسمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ص ١٦٣-١٦٤.

(٥) كان جابياً للضرائب في آسيا الصغرى، ورغم أنه تكن لديه رغبة في الحكم فضلاً عن عدم امتلاكه مواهب تؤهله ليكون إمبراطوراً إلا أن الجيش رفعه إلى سدة الحكم بدلاً =

معه، ومن ثم يسيطر من خلاله على بلاد اليونان، لذا أمر جيشه بعدم مداهمة مقاطعة ليو- ثيم أناتوليا Thema Anatolikon- وأعطى أماناً للأهالي"[1].

"عندما سمع الإستراتيجيوس بهذه الأخبار أدرك أن سليمان سيخبر مسلمة بأنه تركه وانصرف، لذا أرسل رسالة إلى مسلمة قائلاً: أردت أن آتي إلى حضرتكم، لكني عندما ذهبت إلى سليمان عمل على أسري، وأنا الآن خائف من المجيء إليكم، وعندما علم مسلمة من خادم الإستراتجيوس أن العموريين يخضعون لليو وأنه وضع جنوده والطورماخ turmarch[2] فيها، وأنه نقل العائلات الزائدة حزن جداً؛ لأنه كان ينوي أخذ عمورية في الصيف عندما يأتي أسطوله، لذا نزل إلى آسيا وقضى الشتاء هناك، واستدعى خادم الإستراتيجيوس مرة أخرى واستجوبه مرة ثانية فأخبره الأخير تحت القسم بأن كل شيء قاله له صحيح، لذا كتب مسيلمة إلى ليو: تعال إلي وسأعقد سلاماً معك وأفعل كل ما تتمناه"[3].

= من الإمبراطور أناستاسيوس الثاني Anastasius II، وقد تم تنحيته على يد ليو الثالث Leo III، فأمضى بقية حياته راهباً في أفسوس، دونالد نيكول، معجم التراجم، ص١٠٠.
Theophanes, The Chronicle, pp.538-541, OBD,vol. 3, p. 2052.

(1) Theophanes, The Chronicle, p.539, Bury, A History of the late Roman Empire, vol. II, p. 381..

(٢) ويعني بها آمر الكتيبة/ اللواء، وهي وظيفة عسكرية، كان صاحبها يتقاضى ثلاثة أرطال على الأقل (٣.٢٤٠ فرنكا ذهبياً)، رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ١٧٠، ويختلف عدد الطرامخة باختلاف الأقاليم، فكان الطرماخ يقود قسماً من قوات الأقاليم، وهو أهم شخص يلي قائد الإقليم في الجيش التابع له، كما كان له مرتبة أكبر من مرتبات الضباط الآخرين في الإقليم، من حيث المقام، وقد كان الطرمارخ يقود إحدى تورمات/ لواءات الجيش، فكان يساعد قائد الإقليم -الإستراتجيوس- في قيادة جيشه ويوضع على رأس الجناح الأيمن في التشكيل، كما كان يدير القسم الخاص به في الإقليم أيضاً، للمزيد انظر: طارق منصور، بيزنطة: مدينة الحضارة والنظم، ص ١٧٦-١٧٧؛ طارق منصور، قطوف الفكر البيزنطي، ج ١، ص ١٣٢-١٣٣؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج ١، ص ٨٣-٨٤.

(3) Theophanes, The Chronicle, pp.539-540.

"علم ليو أن مسلمة سيتجاوز حدود مقاطعته في غضون خمسة أيـام، لـذا أرسل إليه ليو اثنين من القناصلة -هذا اللقب إنتشر بدءً من القـرن السـابع للتاسـع - برسالة يخبره فيها عن موافقته على المجئ وعقد اتفـاق معـه بعـدما يعطـه أمانـاً بتأمينه هو وحاشيته، ويعلمه بمكانته كإستراتجيوس، ويخبره أنهم إن اتفقوا فهذا شيء حسن، وإلا عاد سالماً بلا أذى، وعندما وصل القناصل إليه في ثيودوسيانا Theodosiana قال لهم مسلمة: كنت أعرف أن الإستراتيجوس يخدعني، لكنهم نفوا فسلمهم مسلمة الوعد الذي طلبوه وطردهم، وبينما كان القناصلة يتجهـون إلى ليو لتوقيع الوعد، كان مسلمة غير قادر على التوقف في أي مكـان، بسـبب كثرة عدد جيشـه فوصـل إلى أكرونيـون Akroinos في ثـيم الأبسـيق فيمـا وراء إقليم الأناضول"[1].

ويتضح مما سبق أن المؤرخ ثيوفانيس يعتبر المصدر الرئيسي لهذه الأحـداث لذا انفرد بذكرها دون غيره، فانفرد بذكر موقف العموريين مـن ليـو الـذي كـان عدو لهم لكنه أبـرز أنهـم رضـخوا للمسـلمين الـذين يحاصـرونهم وهتفـوا لـه كإمبراطور بناءً على أوامرهم، لكنه أظهر تناقضاً حينما تحدث عن سؤال مسلمة خادم ليو عن موقفهم منه وغضبه عندما علم أنهـم بخضـوعهم لليـو، ولنـا أن نتسائل إن كان قد تنامى إلى مسامع مسلمة أن العمـوريين ليسـوا مـع ليـو أو في حالة عداء معه فكيف لم يتنامى إليه أن سليمان الذي أرسله قبله وحاصر المدينة قد أخضعهم لليو، بل إن سليمان قال لليو إنه لن يترك حصار المدينة إلا بعـدما يعقد اتفاقاً معه، كما يمكننا أن نتسائل أيضاً إن كان مسلمة علـى علـم بحـدوث نوع من المفاوضات بين ليـو وقائـده سـليمان، فحتمـاً يكـون قـد علـم بفشـل المفاوضات بفرار ليو، لذا فلماذا لم يتعامل بناء على هذا الأمر.

تعمد ثيوفانيس رسم صورة للقائد مسلمة وكأنه غـير متواصـل مـع قادتـه الذين أرسلهم من قبله، ولا تتفق الباحثة مـع ثيوفـانيس فمـن غـير المنطقـي أن يرسل خليفة المسلمين قائداً غير ماهر أو عديم الخبرة لقلب حكم الإمبراطوريـة

---

(1) Theophanes, The Chronicle, p. 540.

البيزنطية، لذا لا يمكن أن يكون مسلمة غير متصل مع قادته، ولكن العجب في أن مسلمة في كل لقاء مع من يرسلهم ليو يقول لهم إنه يعلم انه يخدعه، فهذا يدل على أنه تنامى إلى مسامعه ما فعله ليو -هروبه من سليمان- ولكن يحق لنا أن نتسائل لماذا عقد معاهدة معه ولماذا ظل حتى اللحظة الأخيرة منتظراً أن يسلمه ليو المدينة الإمبراطورية! ، أضف لذلك أن ثيوفانيس قد رسم لنا صورة مبهرة عن ليو حيث أبرز دهائه خلال تعامله مع المسلمين، فأظهره دائماً كصانع للحدث في الوقت الذي يبرز المسلمين في موقف رد الفعل.

قال ثيوفانيس: "ذهب ليو إلى نيقوميديا عندما رأى أن مسلمة ذاهب إلى ما وراء مقاطعته، فصادف ابن ثيودوسيوس فاعتقله مع العائلة الإمبراطورية بأكملها وكبار الشخصيات في القصر، وبعدما تشاور ليو مع رفاقه ذهب إلى خريسوبوليس Chrysopolis [١] ليكون مطلعاً على الأحداث، وقد تشاور الإمبراطور ثيودوسيوس الثالث مع البطريرك جيرمانوس Germanus (٧١٥-٧٣٠م/ ٩٧-١١٢هـ)[٢]، ورجال السناتو، فأعطاه البطريرك وعداً بالحصانة من ليو (وتعهد أنه سيحافظ على الكنيسة دون عائق)، لذا سلمه الإمبراطورية، وأصبح ثيودوسيوس وابنه رجال دين وقضوا الباقي من حياتهم في سلام"[٣].

---

(١) "المدينة الذهبية" أطلق الاسم على الأقل على مدينتين بيزنطيتين أحدهما في مقدونيا Macedonia، والأخرى في بيثينيا Bithynia، وللتعرف عليهما انظر:
OBD, vol. 1, pp. 454-455.

(٢) هو جرمانوس الأول، ولد فيما بين ٦٣٠-٦٥٠م وكان بطركاً للقسطنطينية خمسة عشر عاماً، وهو أول بطرك في ظل النظام اللاأيقوني زمن الإمبراطور ليو الثالث، وكان قبل ذلك أسقف كيزيكوس Kyziicos، وقف موقف المعارض للإمبراطور في سنة ٧٣٠م حين أصدر مرسوماً بإزالة الصور والتماثيل المقدسة حيث رفض التوقيع على هذا الشرار ولم يقبل إجازته فما كان منهم إلا أن أرغموه على التخلى عن منصبه فتخلى عنه فخلفه البطريرك أنستاسيوس، ثم مات سنة ٧٣٣م وقد ترك العديد من الرسائل.
OBD, vol. 2, p. 846.
دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ص ٣٤.

(3) Theophanes, The Chronicle, p. 540.

قال البطريرك نقفور: "أدرك القائمون على المدينة من المدنيين والعسكريين عدم خبرة ثيودوسيوس، وضعفه في مواجهة العدو فضغطوا عليه، وهددوه كي يتنازل عن المنصب الإمبراطورث مقابل منحه منزلة خاصة وعدم إيذائه، وبناء على ذلك انسحب بعد ما حكم عاماً وأجروا اقتراعاً على من سيصبح إمبراطوراً، وانتخبوا البطريق ليو Leo الذي كان إستراتيجوس بجيش الأناتوليك Anatolic[١]، ودخل بيزنطة من البوابة الذهبية وتوج إمبراطوراً"[٢].

أما المصادر الإسلامية فقالت: "لما قدم مسلمة هابه الروم فشخص إليون وقال لمسلمة ابعث إلي رجلاً يكلمني، فبعث له ابن هبيرة وعرض عليه أن يدفع له عن كل رأس ديناراً، في الوقت الذي عرض فيه البطارقة على ليو إن صرفت عنا مسلمة ملكناك، فوثقوا له"[٣]، ومن عجائب أحوال ليون وخبره وحيله وكيف بلغ من الروم المنزلة التي صار بها ملكاً"[٤].

اتفق كل من ثيوفانيس والبطريرك نقفور والمصادر العربية في القول بأن العرب كانت لهم يد في إعتلاء ليو العرش، كما اتفق ثيوفانيس مع المصادر العربية بذكر محاولة استغلال العرب ليو بتتويجه إمبراطوراً ليمكنهم من السيطرة على القسطنطينية، ويتضح من قول ثيوفانيس أن العرب كان لهم هدف مزدوج بإعلانهم ليو إمبراطوراً إهلاك ليو وإستخدامهم الحيلة ضد ليو، وقد تفردت المصادر الإسلامية بذكر خداع ليو لهم، ويحسب لليو أنه استغل العرب[٥]

---

(١) ثيم آسيا الصغرى يمتد من بحر إيجة Aegean إلى لاكونيا lykaonia وايسوريا Isauria، وقد قام أهلها بدور في تتويج ليو الأيسوري إمبراطوراً، للمزيد انظر:
OBD, vol. 1, pp. 89-90, 205-207.

(٢) التاريخ المختصر، ص ٩٢.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٥٣٠-٥٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٠٤.

(٤) مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ج ٣، ص ٢٥.

(٥) وذلك بعدما أدرك أن المسلمين سيواصلون الزحف على القسطنطينية وأنه لابد أن يسلم إليهم فدخل في مفاوضات مع المسلمين وأعلن لهم فيها إنضمامه إليهم، وطلب منهم رفع الحصار عن عمورية ثم صاحب الجيوش بعد نجاح مفاوضاته قاصداً القسطنطينية،=

للوصول إلى العرش لأنه استغله لحماية بلده، لأنه وبمجرد اعتلائه العرش أعد العدة لمحاربة المسلمين ومن ثم نجح في هزيمتهم.

وقد اتضح من خلال ما سبق أن للوضع المتردي في الإمبراطورية البيزنطية والذي إستمر لمدة ست سنوات (٧١١-٧١٧م/ ٩٢-٩٨هـ) حكم خلالها ثلاثة أباطرة وانتشرت الفوضى والفتن في أنحاء الدولة وتوالت الكوارث على الدولة البيزنطية[١]، لذا يعد إختيار ليو ليكون إمبراطوراً يدل على خوف مبرر لدى كل من القادة العسكريين والمدنيين ويقينهم بأن ليو الأصلح لمهمة قيادة الدفاع عن القسطنطينية[٢]، ويتضح مما ذكره ثيوفانيس أن تتويج ليو تم بعدما نجح في القبض على ابن الإمبراطور ومن ثم نجح في كسب ولاء البطريرك ورجال السناتو إلى صفه، ومن ثم قاموا بإقناع الإمبراطور بترك عرشه لليو، في الوقت الذي جعل البطريرك نقفور تتويج ليو بعد انتخابه، أما المصادر العربية فعزت ذلك إلى مكره وخداعه.

كما يدل على حنكة الإمبراطور ثيودسيوس الثالث الذي أدرك أن الأسلم له ولأسرته ترك العرش بدون خسائر فضمن سلامته.

وبرز ليو القائد العسكري السوري الأصل الذي كان يتكلم العربية والملقب بالأيسوري فقبض على الحكم عام ٧١٧ م، كمنقذ في وقت كانت فيه عاصمة القسطنطينية المحاصرة على وشك السقوط[٣].

= ولكن أعداء ليو اتهموه بتفريطه في الدفاع عن إقليم الأناضول وبممالأته للمسلمين وتسهيله سبل الطمأنينة والراحة لهم عبر أسيا الصغرى، وكان هذا الإتهام عاملاً جعل ليو موضع ثقة المسلمين فسمحوا له بأن يسبقهم إلى القسطنطينية ليمهد لهم سبل الإستيلاء عليها بعد أن رفعوا الحصار عن مدينة عمورية عاصمة إقليم الأناضول، طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج ١، ص ١٠٨.

(١) حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٠٠-١٠١.

(2) Bury, A History of the late Roman Empire, vol. II, p. 383.

(٣) ساليفان، ورثة الإمبراطورية، ص ٥٦.

قال ثيوفانيس: "من جهة أخرى ذهب مسلمة إلى آسيا وقضى فصل الشتاء هناك كما فعل الأمر نفسه عمر بن هبيرة في قيليقيةCilicia ، ثم جاء مسلمة إلى بيرغامون Pergamon الواقعة قرب بحر إيجه، فحاصرها وأخذها بعدما استغنى الله عنها، بسبب إتباع سكان المدينة لمكائد الشيطان[١].

قال البطريرك نقفور: "بعد أن دمر جيش المسلمين عدداً من المدن الرومانية وصل إلى مدينة برجامة Begamon، وشرع في حصارها وسرعان ما استولوا عليها [٢] للسبب التالي: بقر سكان المدينة بطن فتاة حامل في الشهر الأخير وأخرجوا الطفل منها، وغلوه في إناء وغمسوا أيديهم فيه فحل بهم الغضب الإلهي، فعجزت أيديهم عن حمل الأسلحة ونتيجة لذلك استولى العدو على المدينة دون أي مقاومة تذكر"[٣].

أما ابن خياط فقال: "أغارت خيل بُرجان على مسلمة، فهزمهم الله وخرب مسلمة ما بين الخليج وقسطنطينة"[٤].

اتفقت المصادر البيزنطية مع ما ذكره ابن خياط في هزيمة أهل برجامة على أيدى المسلمين، لكن المتأمل لما ذكره ثيوفانيس والبطريرك نقفور يجد أنهما قد اشتركا في القول بأن سبب الهزيمة عائد إلى عقاب الله لما فعلوه، وقد عزى المؤرخ بيوري سبب هذا العمل الشنيع فقال: "أشار عليهم بهذا العمل الشنيع أحد العرافين حيث قال إن ضربات أسلحتهم ستكون أقوى[٥].

قال ثيوفانيس "وفي (٧١٦-٧١٧م)، وبعدما أمضى مسلمة الشتاء في آسيا منتظراً وعود ليو أدرك أنه تعرض للخداع لأنه لم يتلق شيئاً من ليو، فانتقل إلى

---

(١) ذكر ثيوفانيس قصة بقر بطن الفتاة.

Theophanes, The Chronicle, pp. 540-541.

(٢) البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ص٩٢، حاشية ٢١٣.

(٣) التاريخ المختصر، ص ٩٢.

(٤) تاريخه، ص ٣١٥-٣١٦.

(5) Bury, A History of the late Roman Empire, vol. II, p. 389.

أبيدوس Abydos، وعبر إلى تراقيـاThrace [١] مـع جـيش كـبير، وتقـدم نحـو المدينة الإمبراطورية، وكتب إلى الخليفة سليمان بضرورة أن يأتي مع الأسـطول الذي جهزه كما تقدم" [٢].

"وبعدما دمر مسلمة الحصون التراقيّة فرض حصاراً في ١٥ أغسطس علـى المدينة، وقام العرب بعمل سياج مستدير، وحفروا خنـدقاً عريضـاً وبنـوا فوقـه حاجزاً مرتفعاً لحجز الحجارة الصلبة" [٣].

"في الأول من سبتمبر أبحر العدو سليمان بأسطوله وأمراءه، كان لديه عدد هائل من السفن ووسائل النقل العسكرية ودرمونات التي قدر عـددها بــ١٨٠٠، واستقروا فيما بين Magnaura وKyklobion، وبعد يومين هبت ريـاح جنوبيـة، فانطلقوا من هناك وأبحروا للمدينة، فعبر بعضهم إلى ضـواحي اتريـوس Eutropios، وانثيموس Anthemios، في المدخل الجنوبي للبسفور لمنع وصول الإمـدادات من بحر إيجه، بينما ذهب آخرون إلى جانب تراقيا Thracian عند حصن غلاطية Galata، وكان معهم سفن كبيرة ثقيلة الحمولة وتتحرك ببطء يحميهم من الخلف عشرين سفينة بكل واحدة مائة رجل مسلح، فوجدوا أنفسهم في منتصف التيار، الذي كان يدفعهم للخلف، فاصطدمت ببعضها مما عرضها للغرق" [٤].

قال البطريرك نقفـور: "تقـدم المسـلمون نحـو مضـيق أبيـدوس Abydos وعبروا إلى تراقيا وبعد استيلائهم على العديـد مـن المـدن هنـاك، وصـلوا إلى العاصمة الإمبراطورية وضربوا حولها سـياجاً مـن الأوتـاد الخشـبية وبـدءوا في حصارها، واستمروا في ذلك نحو ثلاثة عشر شهراً بمسـاعدة العديـد مـن الآت

---

(١) عرفت في العصور القديمة المتأخرة كمنطقة يحدها جبـال البلقـان، البحـر الأسـود بحـر مرمرة ونهر نيستوس Nestos

وعرفت فيما بين القرنين الرابع والسابع الميلاديين بمقاطعة Thracian للمزيد عنها انظر:
OBD, vol. 3, pp. 279-2080.

(2) Theophanes,The Chronicle, p. 545.

(3) Theophanes,The Chronicle, p. 545.

(4) Theophanes,The Chronicle, p. 545.

الحصار التي جلبوها معهم، ثم وصل بعد ذلك أسطول المسلمين الذي كان بلغ عدده نحو ١٨٠٠ سفينة، بقيادة سليمان الذي أبحر بالأسطول في أعالي المضايق المجاورة لبيزنطة، إذ جاءت ريح خفيفة أدت إلى تقهقر السفن التي تحرس مؤخرته وعلى متنها أعداد كبيرة من الجنود والعتاد[١].

ثم استغل البيزنطيون ما حل بالسفن الإسلامية جراء العاصفة فقال ثيوفانيس: "استغل الإمبراطور ليو هذا الوضع فأرسل السفن المحملة بالنار الحارقة من الأكروبول Acropolis، وبمساعدة إلهية أضرموا فيهم النيران، فحرق بعضهم، وغرق آخرون مع أطقمهم إلى أسفل، وامتدت النيران لأسفل بقدر جزر Oxeia، Plateia، عندئذ تحلى سكان المدينة بالشجاعة، في حين أن العدو ارتعد خوفاً بعد التجربة الفعالة للنار السائلة[٢] لأنهم كانوا يعتزمون وضع سفنهم على

---

(١) التاريخ المختصر، ص ٩٢-٩٣.

(٢) تسمى النار الإغريقية أو النار السائلة، اخترعها كالينيكوسKallinikos وهو مهاجر بيزنطي كان يعيش في هليوبوليس الشام (بعلبك Helioupolis in Syria) في منتصف القرن السابع الميلادي، وقد أهدى اختراعه للإمبراطور قسطنطين الرابع، وبفضل هذا الاختراع تمكن البيزنطيون من إحراق السفن الإسلامية عام ٦٧٣م، حيث كانوا يقذفونها بعد وضعها في إسطوانات نحاسية يضعونها في مقدمة السفن أو يضعونها في أواني فخارية، فيقذفونها على سفن الأعداء وتظل مشتعلة وهى على سطح البحر، وللمزيد عن النار الإغريقية ودورها في الدفاع عن بيزنطة انظر:

Theohanes, Chronicle, p. 494, Zonarae, I., Epitomae Historiarum, tomus. III, Bonnae, 1879, 16, p. 224, Roland, A., Secrecy, Technology, and War: Greek Fire and the Defense of Byzantium, 678-1204, in Technology and Culture, Vol. 33, No. 4 (Oct., 1992), pp. 655-679.

وقد تحدث عنها الإمبراطور بورفيرجيتوس فذكر أن الإمبراطور قسطنين هو أول من استخدمها، كما تحدث أنه مخصصة للمسيحيين فقط، ويحق أن يعرف أحد سرها، وقد ناقض بورفيرجيتوس نفسه عندما ذطر أن ككالينيكوس Callinicus من مدينة هليوبوليس Helioupolis، والتجأ إلى الرومان وصنع النار السائلة التي ترمى من الأنابيب، انظر: إدارة الإمبراطورية، ص ٦٨، ص ١٨٢.

وقد عرف المسلمون النار الإغريقية للمرة الأولى، عند حصارهم للقسطنطينية في حملتهم الثانية (٥٤-٥٥ هـ-٦٧٣/ ٦٧٤م)، إلا أنهم بالاستيلاء على بعض السفن =

الشاطئ في المساء ووضع المجاديف الخاصة بهم على الأسوار، ولكن الله جلب مشورتهم بلا شيء ليخبرهم بشفاعة Theotokos النقي، وفي نفس الليلة قام الإمبراطور التقى بوضع سلسلة خفية على جانب غلاطية Galata ومع ذلك فكر العدو أن الإمبراطور قد وضعه جانبا لمحاصرتهم، فلم يجرؤوا على التحرك ووضع المرساة داخل غلاطية، وبدلاً من ذلك أبحروا إلى خليج سوثنيان Sosthenion، ووضعوا أسطولهم آمنا هناك"[١].

قال البطريرك نقفور: "عندما رأى الإمبراطور ذلك شرع في مهاجمتهم بالنيران وتمكن من تشتيت العدو وحرق نحو عشرين من سفنه واتجهت البقية الباقية من الأسطول العربي نحو البسفور التراقى ورست في مرفأ سوسثنيون Sosothenion وقضوا الشتاء هناك وتصادف أن كان ذلك الشتاء قارصاً جداً حيث سقطت كميات من الثلج استمرت حتى ظلت تكسو الأرض لما يقرب من مائة يوم، وبالتالي فقد العرب أعداداً كبيرة من الرجال والخيول والجمال والحيوانات الأخرى وعندما حل الربيع وصل أسطول آخر كبير من مصر محملاً بشحنة كبيرة من الذرة والأسلحة بقيادة القائد العسكرى المدعو سوفيام Sophiam، ولم تمض مدة طويلة حتى جاء أسطول آخر من أفريقيا يحمل الكثير من الأسلحة والمؤن وكان قائده من المسلمين المدعو يزيد ويقال أن هذه الأساطيل خوفاً من أن تصيبها نيران الرومان الصناعية تجنبت مضايق بيزنطة ورست على الجانب البيثيني Bithynian[٢] الأسطول الثاني فقد رسى في مرفأ كالوس أجروس Kalos Agros، أما الأسطول الآخر فقد رسا على الساحل

= البيزنطية المجهزة بآلات قذف هذه النار عام ٢٢ هـ/ ٨٢٧م، صارت لديهم معرفة كاملة بميكانيكية دفع هذا المركب الكيماوى من على ظهر السفن، للمزيد انظر: طارق منصور، بيزنطة: مدينة الحضارة والنظم، ص ٢٣٤ وما بعدها.

(1) Theophanes,The Chronicle, p. 545.

(٢) تقع بيثينيا في منطقة شمال شرق آسيا الصغرى وهى مقابلة للقسطنطينية، أصبحت مقاطعة منفصلة في أوائل القرن الرابع الميلادي وعاصمتها nikomedia للمزيد عنها انظر: OBD, vol. 1, p. 292.

المسمى ساتيروس Satyros بعد ذلك استقل البحارة المصريون قواربهم الصغيرة في جنح الليل وجاءوا لبيزنطة، وصاحوا على الإمبراطور، عندئذ تحلى الإمبراطور بالشجاعة وأرسل سفناً مسلحة بالنيران في مواجهة هذه الأساطيل، فحرقت سفن العدو واستولت على الكثير من الغنائم من أسلحة ومؤن كانت على متنها ثم عادت للإمبراطورية ثانية"(١).

وقد علق المؤرخ بيوري Bury على هذه الأحداث وعزى معرفة ليو بأمر الأسطولين المختبئين إلى عيونه التي كانت تراقب عمليات العدو(٢).

انفرد البطريرك نقفور بذكر انضمام البحارة المسيحيين الذين كانا يعملون في الأسطول العربي إلى الجانب البيزنطي فقلب الوضع تماماً(٣).

قال ثيوفانيس: "كان الشتاء قاسياً في تراقيا فكانت الأرض مغطاه بالثلوج لمدة مائة، وقد عانى العرب كثيراً ففقدوا العديد من الخيول والجمال والحيوانات الأخرى، وبحلول الربيع أرسل العرب أسطولان محملان بالإمدادات للعرب، وكانا قد علما بأمر النار، فحاولا تفاديها واختبأ، لكن الإمبراطور علماً بأمرهما فأمر بحرقهما وغرقا وعاد جنودنا محملين بالغنائم، وبذلك ساد الهدوء في البحر وتمكنت السفن من الخروج للصيد وللحصول على ما تحتاجه المدينة، في الوقت نفسه عانى العرب من مجاعة شديدة فأكلوا حيوناتهم الميتة بل طهوا في الأفران الرجال الذين قتلوا كما أكلوا روثهم، فانتشر الوباء وقتل منهم الكثير"(٤).

أما المصادر العربية فقالت: "فطلب ليو من مسلمة أن يحرق ما لديه من طعام كي يصدق قومه أنه لن يقاتلهم ففعل ووقوى الروم وضاق المسلمون حتى كادوا يهلكون، فكانوا على ذلك حتى مات سليمان، ويقال أن ليو خدعه خديعة

---

(١) التاريخ المختصر، ص ٩٣.

(2) Bury, A History of the late Roman Empire, vol. II, p. 402.

(٣) أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ص ١٠٤.

(4) Theophanes,The Chronicle, p. 546.

لو كان امرأة لعيب بها، فلقي الجند مالم يلق جيش؛ حتى إن كان الرجل ليخاف أن يخرج من العسكر وحده وأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق وكل شيء غير التراب"[١].

ويتضح مما سبق أن البيزنطين أكثر تأقلماً مع البرد والصقيع من مسلمي الشام ومصر والجزير العربية[٢]، كما أن المسلمين لم يدخروا وسعاً لتحقيق هدفهم في فتح القسطنطينية وأبلوا بلاءً حسناً وأبدوا من ضروب البسالة والفداء والتحمل ما أرهق العدو وقهره، وحال بينهم وبين فتح القسطنطينية أسباب كثيرة[٣].

تحدث ثيوفانيس عن دعم البلغار للبيزنطيين فقال: "قامت الأمة البلغارية بشن حرب على العرب، وذبحوا ٢٢٠٠٠، وبالنسبة للمصائب التي أصابتهم في ذلك الوقت جعلتهم يتعلمون من خلال الخبرة أن الله والعذراء المقدسة والدة الله، يحمون هذه المدينة والإمبراطورية المسيحية، وبالنسبة لأولئك الذين ينادون الله بصدق لا يمكن أن يتركوا بالكامل، حتى لو تم تأديبهم لوقت قصير بسبب خطايانا"[٤].

أما المصادر العربية فقد تحدثت عن "تحالف ليو مع ملك البرجان - من نواحي الخزر - الذي خدع المسلمين وقتلهم مقتلة عظيمة، فكتب مسلمة لأخيه سليمان الذي أرسل له مدداً أمرهم بعبور خليج القسطنطينية ليقاتلوا ملك البرجان، ثم يعودوا لمسلمة، فذهبوا إلى بلاد البُرجان فاقتتلوا نعهم قتالاً شديداً فهزمهم المسلمون، ثم ذهبوا إلى مسلمة وانضموا إليه"[٥].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٥٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٠٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٦٣١.

(2) Bury, A History of the late Roman Empire, vol. II, p. 402.

(٣) وفاء غزالي، محاولات فتح القسطنطينية، ص ٨٧.

(4) Theophanes,The Chronicle, p. 546.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٦٥٥-٦٥٦.

ويتضح مما سبق أن الإمبراطور ليو أراد أن يحصل على حليف قوى ليدعمه في حربه ضد العرب، وقد اتفق كل من ثيوفانيس وابن كثير في وقوع قتلى في الجانب الإسلامي لكى إنفرد ثيوفانيس بذكر عدد القتلى.

قال ثيوفانيس: "عندما أصبح عمر سيداً للعرب (٧١٧ - ٧١٨م/ ٩٨-٩٩هـ) أمر بعودة مسلمة، وفي ١٥ أغسطس ابتعد الهاجريون في عار كبير وأبحروا بأسطولهم بعيداً، فأرسل الله عاصفة عليهم شتتهم من خلال شفاعة أم الإله فأغرقت بعضهم بواسطة Prokonesos والجزر الأخرى، والبعض الآخر بواسطة Apostropha والشواطئ المجاورة، وكان الباقون يمرون ببحر إيجة عندما وقعت كارثة رهيبة عليهم؛ حيث سقط اللهيب المتقد ووضعهم في ماء البحر المغلي، الذي أذاب عظامهم، وغرقت سفنهم وجميع أطقمهم في الأعماق، ولم ينج إلا عشرة سفن فقط، لكنها لم تسلم من البيزنطيين الذين استولوا على خمسة منهم، بينما هرب الخمسة الآخرون إلى سوريا ليعلنوا عن أعمال الله العظيمة"[١].

قال البطريرك نقفور: "انسحبت كل قوى المسلمين العسكرية كاملة من برية وبحرية من أمام العاصمة الإمبراطورية، إلا أن خسارتهم كانت فادحة حيث هبت عليهم ريح عاصف حطمت بعض السفن وشتتت بعضها الآخر بين الجزر حتى جزيرة قبرص وأغرقت سفنا أخرى بكامل طاقمها"[٢].

أما المصادر الإسلامية فجاء فيها: "أمر عمر بن عبد العزيز مسلمة بالقفول من أرض الروم بمن معه من المسلمين"[٣].

ويتضح مما سبق اتفاق جميع المؤرخين على أمر عمر بن عبد العزيز بعودة الجيش الإسلامي للشام، والمتأمل لهذا الأمر يجده قراراً صائبا لأنه علم بحال المسلمين وعدم قدرتهم على فتح القسطنطينية فأراد أن يحقن دماء المسلمين[٤].

---

(1) Theophanes,The Chronicle, p. 550.

(٢) البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ص٩٤.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص٥٥٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣١٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٦٥٧.

(٤) وفاء غزالي، محاولات فتح القسطنطينية، ص ٨٩.

وقد برزت قيادة ليو الماهرة والتي تتميز بالعزم والتصميم الإمبراطورية بعدما استطاع إخراج العرب من أسيا الصغرى وتمكن من إعداد دفاع يكفى لصد الخطر العربي لعد سنوات [1].

وقد كان ذلك بداية عظيمة لحكم ليو كما كان صدمة كبرى لقوى الإسلام السياسية، حيث لقنت العرب درساً شديداً [2] لذا لم يعد العرب إلى مهاجمة المدينة، ولكن بقيت فكرة الإستيلاء عليها ماثلة في الأذهان [3].

ثانياً: المعاهدات:

انقسمت المعاهدات بين المسلمين والبيزنطيين وأتباعهم إلى ثلاثة أقسام:

(١- معاهدات بناء على طلب المسلمين.

٢- معاهدات بناء على طلب البيزنطيين.

٣- معاهدات بناء على طلب المتمردين على بيزنطة).

أ- معاهدات بناء على طلب المسلمين:

١- كان للفتنة العظمى [4] التي حدثت بين المسلمين أثرها على معاوية الذي أرسل سفارة إلى الرومان يطلب السلام عام (٦٥٧ - ٦٥٨م/ ٣٧-٣٨هـ) على أن يدفع العرب للرومان يومياً ألف صوليدس solidi [5]، وحصان وعبد

---

(١) ساليفان، ورثة الإمبراطورية، ص ٥٦.

(٢) عمر كمال توفيق، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٨٠-٨١.

(٣) نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٥٩، ٣٦١.

(٤) ظهرت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ واستمرت حتى تولى معاوية الحكم، عنها انظر: ابن خياط، تاريخه، ص ١٦٨-١٧٧، ١٨٠ وما بعدها؛ اليعقوبي، تاريخه، ج ٢، ص ٢٠٢ وما بعدها؛ فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة/ كمال اليازجي، ج ٢، ط ٣، بيروت، د. ت، ص ٢٨ وما بعدها.

(٥) عملة ذهبية، أصدرها الإمبراطور هرقل في الفترة ما بين (٦٢٩-٦٣١م) وظهر عليه هو وابنه الأكبر قسطنطين من أوداكيا Eudocia، ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية،=

على أن ينتهي السلام بعد ٧ سنوات– قيل ٣ سنوات-" [١].

٢- المردة/ الجراجمة[٢]

دخل المردة Mardaites لبنان في عام (٦٧٦/ ٦٧٧م) ونصبوا أنفسهم أسياد الجبل الأسود قرب المدينة المقدسة، واستولوا على قمم لبنان، فانضم إليهم الكثير من العبيد والأسرى، والمواطنين، وقد نموا في وقت قصير حتى وصلوا ألوفاً، وعندما علم بذلك معاوية ومستشاريه خافوا كثير، وأدركوا أن

= ص ١٠١، ١٣٨، وتزن حوالى ٦٠ حبة، وكانت تعرف في العالم الشرقى باسم النوميسما، وهي تساوي واحد على اثنين وسبعين من رطل الذهب، عفاف صبرة، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية، ص ١٥٦.

(1) Theophanes,The Chronicle, p. 484.

(٢) الجراجمة/ المردة وهم جماعة بيزنطية سكنت الجبال حيث سكنوا من مدينة على جبل اللكلام عند معدن الزاج فيما بين بياس وبوقا يقال لها الجرجومة، وكان أمرهم أيام إستيلاء الروم على الشام وأنطاكية إلى بطريق أنطاكية وواليها، فلما قدم أبو عبيدة أنطاكية وفتحها لزموا مدينتهم وهموا باللحاق بالروم إذ خافوا على أنفسهم فلم ينتبه المسلمون لهم ولم ينبهوا عليهم، للمزيد انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٦٦-١٦٧، والمردة عصابات نصرانية كانت تسكن منطقة الأمانوس Amanus، وقد نقل جستنيان الثاني المردة اللذين ساعدوا البيزنطيين أول الأمر في حروبهم ضد العرب ثم ما لبث ولائهم لبيزنطة أن بدأ يضعف ويتحول إلى العرب فنقلهم إلى منطقة البلوبونيز Peloponnese وجزيرة سيفالونيا Cephalonia وميناء نيكوبوليس Nicopolis في ابيروس Epirus حيث أسكنهم وأجبرهم على أن يعملوا كبحارة، وقد لعب هؤلاء المردة دوراً كبيراً في الحروب التي قامت بين العرب والروم، وكانوا من العوامل التي آلت إلى فشل العرب في التوسع غرباً ظهور جماعات من الثوار النصارى هم المردة وقيامهم على خدمة مصالح الدولة البيزنطية، والمردة شعب مجهول الأصل تمتع بقسط وافر من الاستقلال في موطنه بمعاقل جبال اللكام (أمانوس) فكان أبناؤه الذين عرفهم العرب بالجراجمة يمدون الروم بجيوش غير نظامية ويهدون سياة العرب في الشام، وأقام هؤلاء الجراجمة من أنفسهم بين العرب والروم جداراً جيداً يصون آسيا الصغرى فكانوا نواة إلتف حولها عدد كبير من الناقمين والمضطهين ومنهم الموارنة، للمزيد انظر: نبيه عاقل، الإمبراطورية البيزنطية دراسة في التاريخ السياسي والثقافي والحضاري، دمشق، ١٩٦٩م، ص ١٢٢-١٢٣.

الإمبراطورية الرومانية يحرسها الله؛ لذا أرسلوا السفراء إلى الإمبراطور قسطنطين الرابع Constantine IV (٦٦٨-٦٨٥م)[١] يطلبون السلام ويعدون بدفع جزية سنوية للإمبراطور، وبمجرد استقبال الإمبراطور لهؤلاء السفراء وسماع طلبهم، أوفد معهم إلى سوريا الأرستقراطي جون الملقب ببيتزيجاود Pitzigaudesl، وهو رجل من سلالة قديمة في الدولة ويمتلك الكثير من الخبرة والحكمة الممتازة، ليتداول ويتباحث بشكل مناسب مع العرب لإبرام معاهدة السلام، وعندما وصل هذا الرجل إلى سوريا جمع معاوية مجموعة من الأمراء القرشيين واستقبلوه بإعزاز وتكريم، وبعدما تبادلوا الأحاديث الودية إتفقوا على وضع معاهدة سلام مكتوبة موثقة بالقسم، فتعاهدا على أن يدفع الهاجريين لدولة الرومان جزية سنوية مقدارها ٣٠٠٠ [قطعة] ذهبية وخمسين أسيراً وخمسين خيلاً أصيلاً، وقد وافق الجانبان على هذه الشروط على أن تكون مدة المعاهدة ثلاثين عاماً، فساد السلام التام بين الرومان والعرب، وبعد كتابة المعاهدة تبادل كل طرف نسخته وعاد الرجل اللامع إلى الإمبراطور مصطحباً معه العديد من الهدايا..."[٢] ويكمل ثيوفانيس فيقول: "حدث طاعون ومجاعة عظيمة في سوريا في العام الذي تولى فيه عبد الملك السلطة (٦٨٣ -٦٨٤م/ ٦٥هـ)، وكان المردة يهاجمون مناطق لبنان في وقت استعار الطاعون، فأرسل عبد الملك سفرائه إلى الإمبراطور يتوسلون لعقد معاهدة سلام كالتي كانت في أيام معاوية فاتفقوا على

---

(١) ولد في عام ٦٥٠م، وهو أكبر أبناء الإمبراطور قنسطانز الثاني Constans II (٦٤١-٦٦٨م) وخليفته، وفي عهده تعرضت القسطنطينية لحصار (٥٣-٦٠هـ/ ٦٧٤-٦٧٨م) ولم يخلصها إلا مناعة أسوارها وإستخدام النار الإغريقية، دونالد نيكول، معجم التراجم، ص ١٣٢-١٣٣.

Theophanes, Chronographia, pp. 491 ff, OBD, vol. 1, pp. 500-501.

(2) Theophanes,The Chronicle, p. 496, Jankowiak, The first Arab siege, pp. 244-245.

ذكر زونارا نفس بنود الاتفاقية أنه قال يقدم العرب ثمانية من الخيول الحسنة وعدداً مماثلاً من العبيد بصفة الجزية:

Zonarae, Historiarum, tomus. III,: 16, pp. 224-225.

دفع جزية مقدارها ٣٦٥٠٠٠ قطعة ذهبية و٣٦٥ عبداً و٣٦٥ حصاناً أصيلاً[١]، وعندما تولى جستنيان Justinian II العرش أرسل عبد الملك مبعوثين إليه في عام (٦٨٥ - ٦٨٦م/ ٦٥-٦٦هـ) للتصديق على السلام الذي عقد في عهد والده، واختتمت الشروط: بضرورة أن يزيل المردة من لبنان، ويوقف توغلهم فيها على أن يعطى عبد الملك مقابل ذلك للرومان كل يوم ١٠٠٠ قطعة ذهبية، وحصان، وعبد، وأنهم سوف يتقاسمون بتساوي عائدات ضرائب كل من قبرص وأرمينيا وأيبيريا، لذا أرسل الإمبراطور الماجيستر[٢] بولmagistrianus Paul إلى عبد الملك للتصديق على الإتفاق ووضع ضمانات مكتوبة وممهورة بشهود، وعاد الماجيستر إلى منزله بعدما تمت مكافأته، وبناء على ذلك أرسل الإمبراطور أوامره لإستقبال ١٢٠٠٠ من المردة مما أدى إلى أضرار بالدولة الرومانية لأن جميع المدن على طول الحدود أصبح العرب يقطنونها من Mopsuestia to the Fourth Armenia، أصبحت ضعيفة وغير مأهولة بسبب اعتداءات المردة، ومنذ أن تم قمعهم لا تزال البلاد الرومانية تعانى من الإضطرابات على يد العرب حتى يومنا هذا"[٣].

أما المصادر العربية فقد ذكرت أن "الجراجمة أصبحوا بعد الفتح الثاني للمسلمين لأنطاكية أعواناً وعيوناً ومسالح لهم في جبل اللكام على أن لا يؤخذوا

---

(1) Theophanes,The Chronicle, p. 503.

(٢) فى فترة مبكرة من عمر بيزنطة كان موظفاً إما مدنياً أو عسكرياً، مثل وظيفة رئيس الدواوين أو قادة الجيش، وفي القرن الثامن الميلادي لعب من يحمل هذا اللقب دوراً في المراسم الإمبراطورية كرئيس أو مشرف عام للمراسم، وقد تطورت هذه الوظيفة في القرن التاسع فأصبحت في المرتبة الخامسة بعد بطريرك القسطنطينية، مما عكس علو شأن الماجستير في عهد ميخائيل الثالث، للمزيد انظر: طارق منصور، بيزنطة: مدينة الحضارة والنظم، ص ١٤٣-١٤٤.

(3) Theophanes,The Chronicle, p. 506, Agapius on the reigns of Mu‘awiya and ‘Abd al-Malik, p. 104 v, Zonarae, Historiarum, tomus. III, P. 228.
بورفيروجنيتوس، إدارة الإمبراطورية، ص ٧٩-٨٠، ٨٥.

بالجزية، وأن ينفلوا أسلاب من يقتلون من عدو المسلمين إذا حضروا مهم حرباً في مغازيهم، فكانوا يستقيمون للولاة مرة ويعوجون أخرى فيكاتبون الروم ويمالئونهم فلما كانت أيام ابن الزبير وموت مروان بن الحكم[1]، وتولية عبد الملك الأمر الذي خرج لمحاربة مصعب بن الزبير في العراق خرجت خيل للروم إلى جبل اللكام وعليها قائد من قوادهم ثم صارت إلى لبنان فانضم إليها جماعة كثيرة من الجراجمة وأنباط وعبيد أباق من عبيد المسلمين فاضطر عبد الملك في عام (٦٨٩م/٧٠هـ) إلى أن يصالحهم على ألف دينار في كل جمعة وصالح طاغية الروم على مال يؤديه إليه لشغله عن محاربته وتخوفه أن يخرج إلى الشام فيغلب عليه، وإقتدى في صلحه بمعاوية حين شغل بحرب أهل العراق فإنه صالحهم على أن يؤدى إليهم مالاً وإرتهن منهم رهناء وضعهم ببعلبك، ووافق ذلك أيضاً طلب عمرو بن سعيد بن العاص الخلافة وإغلاقه أبواب دمشق حين خرج عبد الملك عنها فازداد شغلاً وذلك في سنة ٧٠هـ فخرج المردة إليهم، ثم وجه عبد الملك إلى الرومى سحيم ابن المهاجر فنجح في خداعه بإظهارة الممالأة، والتقرب إليه بذم عبد الملك وتهوين أمره إلى أن نجح هو وموالي لعبد الملك في قتله هو ومن كان معه من الروم فتفرق الجراجمة بقرى حمص ودمشق ورجع أكثرهم إلى مدينتهم باللكام، ثم إجتمع الجراجمة بمدينتهم في عام (٧٠٨م/ ٨٩هـ)، وأتاهم قوم الروم من قبل الاسكندرونة وورودس فوجه الوليد بن عبد الملك إليهم مسلمة بن عبد الملك فأناخ عليهم في خلق فافتتحها على أن ينزلوا بحيث أحبوا من الشام، ويجرى على كل امرئ منهم ثمانية دنانير وعلى عائلاتهم القوت من القمح والزيت، وعلى أن لا يكرهوا ولا أحد من أولادهم ونسائهم على ترك النصرانية وعلى أن يلبسوا لباس المسلمين، ولا يؤخذ منهم ولا من أولادهم ونسائهم جزية وعلى أن يغزوا مع المسلمين، فينفلوا أسلاب من يقتلونه مبارزة وعلى أن يؤخذ من تجاراتهم وأموال موسريهم ما يؤخذ من أموال

---

(١) هو ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، ويكنى أبا عبد الملك، بايعه أهل الشام بالجابية بعد موت معاوية بن يزيد ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٥٣.

المسلمين، فاخرب مدينتهم وأنزلهم فأسكنهم جبل الحوار وسنح اللولون وصار بعضهم إلى حمص وهرب جماعة إلى أنطاكية ثم إلى بلاد الروم، وقد ألزم بعض العمال الجراجمة بأنطاكية جزية رؤسهم فرفعوا ذلك إلى الخليفة الواثق بالله[1] فأمر بإسقاطها عنهم، أما المتوكل ففرض عليهم الجزية على أن يجري عليهم الأرزاق لأنهم كانوا ممن يستعان به في المسالح وغير ذلك"[2].

ومما سبق يتضح أن ثيوفانيس والبلاذري كانا مصدراً أساسياً بل كلاهما متتم للآخر في معرفة أحداث المردة/ الجراجمة، فثيوفانيس كان أقرب مسافة من الحدث من البلاذري لأنه سبقه بنحو قرن، كما أنه كان مؤرخ الدولة البيزنطية التي انطلقت من أرضها موجتان للمردة، في العهدين السفياني والمرواني من الدولة الأموية، وفي المقابل كان البلاذري قريباً من السلطة ومعاصراً لاثنين من الخلفاء العباسيين، وكان له عندهما موقع وشأن فهو مطلع على الأسرار كما انه كان يسعى إليها في رحلاته المتعددة متصلاً بذوي المعرفة والاختصاص ولربما عرف البلاذرى من شيوخ أنطاكية شيئاً عن ثيوفانيس وحوليته[3]، لذا وجدنا تطابق للأحداث بين ثيوفانيس والمصادر العربية، فقد اتفقوا على أن معاوية وعبد الملك عقدا الصلح بسبب رغبتهم للتفرغ للحرب الأهليه الدائرة في بلادهم، وأن الجراجمة لم يكونوا مجرد جماعة تقطن مكان ما بل إنهم أصبحوا مركزاً لجذب الناقمين على السلطة لذا زادت أعدادهم حتى وصلت للآلاف وذلك بعد ما انضمت إليهم مجموعات من العبيد الفارين، ويتضح من سياق الحديث مسؤلية الإمبراطور البيزنطي عنهم لذا قام معاوية بن

---

(١) هو هارون بن المعتصم، تولى الحكم بعد وفاة أبيه، وتوفى يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثثين ومائتين وهو ابن سبع وثلاثين سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً، فكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً، ابن حبيب، المحبر، ص ٤٢-٤٣؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٩٣.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٦٦-١٧٠.

(٣) إبراهيم بيضون، تاريخ بلاد الشام، ص ١٩٠-١٩١.

أبي سفيان وعبد الملك بدفع الجزية لقسطنطين الرابع لكبح تقدمهم[1]، وقد كانت هذه الهجمات متزامنة مع إضطرابات داخلية شهدتها الدولة الأموية؛ فاضطر عبد الملك بن مروان لمضاعفة الجزية المدفوعة لجستنيان الثاني لعلمه بأنه هو الذي يحرضهم على الإغارة على الشام، وبالمقابل وافق جستنيان على إعادة توطين الجراجمة ببلاد الرومان فكان ذلك وبالاً عليه وفقاً لما ذكره ثيوفانيس، لكن المصادر الإسلامية ذكرت أن خطرهم لم يخبوا إلا بعدما تمكن مسلمة بن عبد الملك من إحتلال آخر حصونهم وإعادة توطينهم باجزاء من الشام، كما جندهم في جيشه وسمح لهم بالإحتفاظ بديانتهم.

والمتأمل للإتاوة التي تعهد الخليفة عبد الملك بن مروان بدفعها للبيزنطيين طبقاً لمعاهدة سنة (٦٩٠م/٧٠هـ) كانت أيضاً في مقابل أن تقوم الدولة البيزنطية بإرغام الجراجمة أو المردة على الإنتقال والاستقرار في الأقاليم الداخلية للدولة البيزنطية، والحقيقة أن الجراجمة قد لعبوا دوراً هاماً في قصة الحروب التي دارت بين المسلمين والبيزنطيين في أعالى الشام[2] فكانوا أداة مزعجة وأداة من أدوات الدبلوماسية البيزنطية أطلقها أباطرة بيزنطة ضد المسلمين حيث كانوا يقومون بعملياتهم نيابة عن بيزنطة، ويتضح أنه بسحبهم للأراضي البيزنطية تغيرت المناطق الحدودية بين المسلمين والبيزنطيين، وقد دلت موافقة جستنيان على نقلهم إلى أراضيه على قصر نظره لأنه بنقله الجراجمة أزال سداً منيعاً كان يحميه من المسلمين، لذا لم يجانبه الصواب في هذا القرار حيثُ أصبحت آسيا الصغرى مفتوحة أمام المسلمين.

وقد برز ذكاء عبد الملك بن مروان الذي اعتمد على سياسة المسالمة معتمداً على قصر نظر جستنيان الثانى، لذا تعد هذه المعاهدة من أعظم الخطوات الدبلوماسية نجاحاً، والتي تفوق بها عبد الملك بن مروان أثناء انشغاله بمشاكله الداخلية على الإمبراطورية البيزنطية[3].

---

(١) وقد دسهم قسطنطين ليشغلوا العرب عن الغزو، أغابيوس المنبجي، المكلل بفضائل الحكمة، ص ٣٥٢.

(٢) حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٩٦.

(٣) إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ١٧٥-١٧٦.

ذكر ثيوفانيس أن العرب كانوا يستجدون السلام من البيزنطيين فقال: "انتهت كل الحروب في دولة العرب عام (٦٨٩ - ٦٩٠م/٦٩-٧٠هـ) فسكن عبد الملك في سلام بعد أن أخضع الناس، وفي العام التالى (٦٩٠/ ٦٩١م) كسر جستنيان الثاني بن قسطنطين الرابع بحماقة السلام مع عبد الملك بسعيه في نقل السكان من جزيرة قبرص، وقد غرق القبارصة أو ماتوا من المرض عندما كانوا يعبرون وعاد الباقين لقبرص، ورفضه قبول العملة المسكوكة[١] فكتب جستنيان للعرب (٦٩١/ ٦٩٢م) أنه لن يلتزم بمعاهدة السلام المكتوبة، لذا اختار أناس ليكونوا بقربه وجميع جنود سلاح الفرسان على الحدودthemata فتقدم إلى سيباستوبوليس Sebastopolis[٢] التي على البحر، أما العرب فتظاهروا بأنهم غير راغبين في نقض السلام، وأن ما حدث كان نتيجة خطأ وتهور الإمبراطور، وسلحوا أنفسهم وجاءوا إلى سيواس Sebastopolis ليحتجوا ويأكدوا للإمبراطور أن الإتفاقات المتبادلة مؤكدة بالقسم ولا ينبغي حله، وإلا فإن الله يدين المذنب وينتقم منهم، وقد كان الإمبراطور في ذلك الوقت يستطيع تحمل سماع مثل هذه الأشياء، لكنه كان يستعجل المعركة، لذا كشفوا عن معاهدة السلام المكتوبة وعلقوها على رمح طويل حملوه أمامهم، ودفعوها تجاه الرومان بقيادة محمد - ابن مروان حاكم بلاد ما بين النهرين، شقيق عبد الملك - وانضموا في المعركة، ورغم أن العرب قد هزموا في البداية، إلا أن محمداً إنتصر على قائد السلاف[٣] الذين كانوا يقاتلون بجانب الرومان عن طريق إرسال حقيبة له ملئ بقطع الذهب، فأقنعه بالانضمام إلى جانبهم مع ٢٠.٠٠٠ من السلاف، بعدما خدعه بكثير من الوعود، فتسببت هذه الطريقة بهروب الرومان، كما أن جستنيان

---

(١) سيتم التعرض لها حقاً.

(٢) مدينة محصنة على الساحل الشرقي للبحر الأسود.

OBD, vol. 3, p. 1862.

(٣) كانوا يعيشون في منطقة الدانوب الوسطى، وكانوا يقومون بمهاجمة بعض مناطق شبه الجزيرة البلقانية لإخضاعها، ولكن منذ الربع الأول للقرن السادس الميلادي بدأوا يقطنون البلقان بشكل دائم، فتحولوا من قبائل تكتفي بالغزو والعودة بالغنائم فأخذت تستقر وتتوطن فوق أراضى هي في الأساس من ممتلكات بيزنطية، للمزيد انظر: ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية، ص ٤٧-٤٨، حاشية ٤٥ نبيه عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٧٩-٨٠.

هرب وسط الخزى والعار، ونجا مع نفر قليلين، ولما وصل إلى مكان صخري يسمى ليوكاتس Leukete - هي Yelken kayaburnu الحديثة تقع على الجانب الشمالي من الخليج، وتواجه يالوفا Yalova- بالقرب من خليج نيقوميديا- أمر بقتل ما تبقى من أمة الصقالبة المختارة جنباً إلى جنب مع زوجاتهم وأطفالهم"(١).

وقد تعرض البلاذري لسبب الخلاف بين عبد الملك وجستنيان فقال: "كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض مصر ويأتى العرب من قبل الروم الدنانير، فكان عبد الملك بن مروان أول من أحدث الكتاب الذي يكتب في رؤس الطوامير من قل هو الله أحد وغيرها من ذكر الله، فكتب إليه ملك الروم إنكم أحدثتم في قراطيسكم كتاباً نكرهه فإن تركتموه وإلا أتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه، وقد كان سبب تغير جستنيان وغضبه تغير عبد الملك ما كان من عادة الأقباط من ذكر المسيح في رؤس الطوامير ونسب إليه الربوبية، وجعل الصليب مكان بسم الله الرحمن الرحيم؛ لذا كره هذا التغيير، فما كان من عبد الملك إلا أن حرم دنانيرهم وشرب سككاً إسلامية، ومنع التعامل بها وأن يدخل إلى بلاد الروم شيئاً من القراطيس"(٢)، وبذلك تخلص عبد الملك من تهديد البيزنطيين، ولم يحدث هذا التغيير انقلاباً في أحوال الدولة الإسلامية؛ لأن الناس سرعان ما تعاملوا بالنقود الجديدة، ووجدت الجماعات التي تشذ عن استعمالها قسو وعقاباً صارماً من الخليفة، فترتب على ذلك إندلاع الصراع الحربى بينهم(٣)، حيث نقض جستنيان الهدنة مع عبد الملك بن مرون وأعلن الحرب على المسلمين بسبب وصول الجزية السنوية والتي كان يأخذها نقداً نظير إبعاده المردة، في هيئة مختلفة عما كانت تسك عليه، حيث ضرب الخليفة الأموى آنذاك ديناراً إسلامياً بدلاً من الدينار البيزنطي، ونقش عليه عبارة لا إله

---

(1) Theophanes, The Chronicle, pp. 509-511, S. Nicephori Ptriarchae Constantinoplitanti, De rebus post Mauricium gestis, P G 100, PP. 935, 938, Zonarae, Historiarum, tomus. III, pp. 230-231, Bury, C, W,C., The Byzantine Empire, New York, 1915, p. 174.

(٢) فتوح البلدان، ص ٢٤٩، ٤٧٢-٤٧٣.

(٣) إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ١٧٩.

إلا الله بدلاً من صور الأباطرة البيزنطيين التي كانت تسك على أحد وجهي العملة مع بعض الرموز الدينيـة المسـيحية[١]، فتحـرش بالمسـلمين وهـاجم أراضـيهم، ولكن صادفت هذه الأعمال انتهاء عبد الملك من مشاكله الداخلية كلـها وعـول على إلقاء درس قاس للإمبراطور المغرور[٢].

ب- معاهدات بناء على طلب البيزنطيين :

ذكر ثيوفانيس في حوليته: "غزا القائد بسر بن أرتات إيسوريا Isauria عـام (٦٤٩/ ٦٥٠م) فقتـل وأسـر العديـد مـن الرجـال وعـاد بــ٥٠٠٠ أسـير فأرسـل الإمبراطور قنسطانز الثـاني Constans II (٦٤١-٦٦٨م) بروكوبيـوس Prokopios سفيراً لمعاوية يطلب السلام الذي أبرم لمدة عامين وقد أخذ معاوية جريجـوري Gregory ابن تيودور Theodore كرهينة في دمشق ويقال إنه ابن أخ الإمبراطور"[٣].

ولعل ثيوفانيس قد إطلع على ما كتبه سيبيوس حين قال: "أمر قائد العـرب الذي كان في منطقة فلسطين بتنظيم أسطول بحري كبير فاستقل سفينة وبدأ يهدد القسطنطينية، فحدثت معركـة بحريـة بـين الإسمـاعيليين والبيـزنطيين لكنـها لم تنجح، لكثرة عدد القـوات البيزنطيـة الـتي جـاءت في قـوارب أمامـه، وقـد طـرد العرب، وفروا بعيداً بفعل النار، ومع ذلك فقد روع الإمبراطور قنسطانز من الهجوم فاعتبر أن من الحكمة دفع ضريبة وصنع السلام عن طريق الرسل، وبسبب صغر سنه لم يجرؤ على القيام بذلك دون موافقة الجيش، وترتب على ذلك أن إرسال بروكوبيوس إلى دمشق لرؤية معاوية أمير الجيش الإسماعيلي لجعل شروط الاتفاق مقبولة وفقا لرغبات الجيش، وبمجرد أن رأى بروكوبيـوس الأمـر الإمبراطـوري وعلم بالأمور من القوات، ذهب معهم إلى دمشـق لعقد سلام مع معاوية أمير جيش الإسماعيليين وأعلن عن مقدار الجزية، وصنع السلام بـين البيـزنطيين والعـرب الذين سارعوا لإكمال اتفاق السلام مع البيزنطيين، بعد ذلك غادر بروكوبيوس"[٤].

---

(١) طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجى، ج ١، ص ٩٨.

(٢) إبراهيم العدوى، الأمويون والبيزنطيون، ص ١٧٩.

(3) Theophanes,The Chronicle, pp. 479-480.

(4) Sebeos, History, pp.142-145.

والمتأمل لهدف قنسطانز الثاني من وراء عقد هذه الهدنة هو إعطـاء نفسـه برهة من الوقت ليستعد للـهجوم علـى سـواحل الشـام بأسـطوله، لاسـيما وأن الجيوش الإسلامية كانت تتقدم في أرمينية وأسيا الصغرى آنذاك، وهو ما حدث فيما بعد حيث التقى المسلمون والبيزنطيون في ذات الصواري[١].

وقد قال ثيوفانيس: "وبينما كان العرب يعدون قواتهم البرية والبحرية ضـد الدولة الروم في عام (٧١٣/ ٧١٤م)، أرسل الإمبراطـور أرتيمـوس Artemios[٢] عدداً من كبار الشخصيات إلى الوليد بن عبد الملك في سوريا بحجـة التفـاوض على السلام، وكان من بين من أرسـلهم دانيـال سـينوبتس Daniel Sinopites - الواقعة على الشاطئ الجنوبي للبحر الأسود - البطريرك وحاكم المدينة، فأراد أن يتعرف بنفسه على معلومات تتعلق بقوة العدو وحملتة ضد دولة الرومـان، لـذا عندما عاد أبلغ الإمبراطور بالتسليح الكـبير للقـوات البريـة والبحريـة، (ثم أمـر الإمبراطور) بضرورة أن يخزن كل رجل ما يكفيه لمدة ثلاث سـنوات، وليرحـل عن المدينة من لم يملك ذلك، وعين المشرفين وبـدأ بنـاء dromones[٣] حاملـة النيران وbiresmes وgreat triremes فاستعاد الأسوار البحرية وكذلك الجـدران الأرضية، وأقيمت على الأبراج مقاليع للسهام والحجارة وغيرها من المحركات بعد أن حصنت المدينة، وقام بتخزين كمية كبيرة من المنتجات في المستودعات الإمبراطورية وبهذا أصبح الإمبراطور آمناً"[٤].

كما تعرض ثيوفانيس لمعاهدة حدثت في عهد الشيد فقال: "أبحر هـارون عام (٧٨١/ ٧٨٢م) في خلافة والده المهـدي بقـوة مسـلحة هائلـة متقـدما نحـو

---

(١) طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج ١، ص ٦٥.

(٢) هو الإمبراطور أنستاسيوس الثاني (٧١٣-٧١٥م)، وقد سبق التعرض له فيما سبق.

(٣) استخدم هذا المصطلح لأول مرة في القرن الخامس الميلادي، ويشير بشـكل عـام يشـير إلى عدة أنواع متماثلة من السـفن الحربيـة والـتي أصبحت الدعامـة الأساسـية للبحريـة البيزنطية، وهي السفن الكبيرة في العصور الوسطى، للمزيد من التفاصيل عـن تكوينـها ودورها في البحرية البيزنطية انظر: بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٩٠.
OBD, vol. 1, P. 662

(4) Theophanes,The Chronicle, p. 534, Jankowiak, The first Arab siege, p.104.

كريسوبوليس Chrysopolis بعدما غادر بونوس Bounousos لمحاصرة ناكوليا Nakoleia، كما بعث Bourniche إلى آسيا بقوات تعدادها ٣٠.٠٠٠ فحدثت معركة لاشانودراكون Lachanodrakon بثيم[١] تراقيا thrakesian thema في مكان يسمى Darenos، وقد قتل من العرب ١٥.٠٠٠، وقد أرسلت الإمبراطورة إيرين الدومستق[٢] أنتونيوس domesticus Antonyعلى رأس التاجماتا Tagmata[٣]، فاحتل Bane، وحاصروا العرب لكن انشق Tatzatios[٤] إستراتجيوس

---

(١) هو نظام عسكري يعود إلى عهد الإمبراطور البيزنطي هرقل وخلفائه، الثيم Thimes وتعني فرقة عسكرية أو فيلقاً من الجند متمركز في أحد أقاليم الإمبراطورية، وقد انتقل تدريجياً المصطلح إلى الإقليم نفسه الذي تقيم به الفرقة أو الفيلق، وقد كان الجنود يأتمرون بأمر ضابط ذي رتبة عالية وهو الإستراتجيوس، وقد كان يتم منح قائد اللواء سلطات مدنية بجانب سلطته العسكرية، طارق منصور، قطوف الفكر البيزنطي، ج ١ (الأدب)، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١١٢-١١٧، ١٢٣؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج ١، ص ٧٣-٧٤، ص ٧٨-٧٩.

(٢) كان لقباً وظيفياً عسكرياً يحمله أرفع الناس مكانة في بيزنطة ممن يعملون في منصب الدُمستقية، مثل دُمستق فرقة الحرس الإمبراطورى المسماة الإسكرية، ودُمستقات فرق الحراسة الأخرى بالقسطنطينية، للمزيد انظر: طارق منصور، بيزنطة: مدينة الحضارة والنظم، ص ١٦١-١٦٥، ص ١٨٦-١٩٣.

(٣) إحدى فرق الجيش البيزنطي، وقد زادت أهميته أثناء القرن التاسع الميلادي وقد أطلق هذا المسمى على الفرق الأربع للحرس الإمبراطورى: فرقة المدارس Scholae والبادبة Excubitors ووحدة الجند المسماة أريثموس Arithmos وهي فرقة المراقبة Vigla والهيكاناتي Hicanati، وإذا ما أراد الجيش البيزنطي القيام بهجوم مضاد فإن فرق الحرس الإمبراطوري الأربعة "التاجماتا" كانت تخرج من القسطنطينية بقيادة الإمبراطور أو دومستق المدارس، ولم يزد عدد التاجماتا عن ٦٠٠٠ رجل، للمزيد انظر: رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ١٦٤-١٦٧، وقد تأسست هذه الفرقة عام (٧٦٠م) بقيادة قسطنين الرابع (٧٤١-٧٧٥م)، وسرعان ما انخرطت ضمن تقسيم النخبة الميدانية للأغراض القتالية، وكانت تحظى برعاية خاصة حيث يدفع لها بشكل جيد، كما تمتعت بانضباط عال أكثر من كل الوحدات الأخرى العادية أو الموسمية في الأقاليم، هالدون، بيزنطة في حرب، ص ٣٩.

(٤) قائد ونبيل أرميني خدم كل من البيزنطيين والعرب، جاء إلى بيزنطة عام ٧٦٠م، نعت بإستراتجيوس بوكيلاريون بعدما قام بحملة ضد البلغاريين لصالح، وقاد جيشاً ضد =

Bucellarii لجانب العرب بسبب كراهيته للخصي Staurakios، الذي كان في ذلك الوقت أرستقراطياً ولوجثيت وكان يدير كل الأمور، وبناء على نصيحته طلب العرب السلام، عندما ذهب ستواركيوس والإستراتجيوس بيتر والدومستق أنتوني في هذه المهمة، لم يحرصوا على تلقي وعود صريحة وأخذ أبناء القادة العرب كرهائن بدلاً من ذلك خرجوا بلا عناء واستولوا عليه ووضعوا سلاسل. لذلك كان كلا الجانبين مجبرون لعقد السلام فتبادل الأوغوستا Augusta وهارون الكثير من الهدايا واتفقوا علي الأوقات المحددة (الجزية) التي ينبغي أن تدفع للعرب وبعدما تم السلام غادروا وتركوا حصن Nakoleia"[(١)].

أما المصادر العربية فقد ذكرت أنه "في سنة خمس وستين ومائة سير المهدي ابنه الرشيد لغزو الروم فسار حتى بلغ خليج القسطنطينية، وصاحب الروم يومئذ إيرني امرأة لاون الملك، وذلك أن ابنها كان صغيرا قد هلك أبوه وهو في حجرها، فجزعت المرأة من المسلمين وطلبت الصلح من الرشيد فجرى الصلح بينهم على الفدية وأن تقيم له الادلاء والأسواق في طريقه، وأجابته إلى فدية سبعون ألف دينار لكل سنة[(٢)] ورجع عنها[(٣)]، ولو كانت ذات همة لأمكنها منع المسلمين من الخروج والفتك بهم[(٤)].

= العرب في ساموساتا samoata وقد شارك في حملتين ضد العرب الأولى عام ٧٧٨م عندما رافق مايخائيل لاشانودراكون إلى سوريا والثانية عام ٧٨١م، ثم انشق مع قواته لجانب هارون الرشيد عام ٧٨٢م، مما سمح للخليفة بالتقدم نحو chrysopolis ومن ثم عقد سلام مع إيرين.

OBD,vol. 3, p. 2014.

(1) Theophanes,The Chronicle, pp.628-629.

(٢) أن يتم تبادل الأسرى بين الجانبين، فتح الأسواق أمام التجار المسلمين في بيزنطة، تمد بيزنطة هارون الرشيد بالأدلاء في أثناء عودته، عدم إعتراض القوات الإسلامية المحملة بالغنائم وهي في طريق عودتها، وتكون مدة الهدنة ثلاث سنوات تبدأ من عام (١٦٦هـ/ ٧٨٢م)، طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج ١، ص ١٢٣.

(٣) اليعقوبي، تاريخه، ج ٣، ص ١٢٩.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٨، ص ٢٧٧-٢٧٨.

ثم أكمل ثيوفانيس فقال: "في عام (٨٠٥-٨٠٦م/١٩٠هـ) قام هارون زعيم العرب بغزو الدولة الرومانية مع قوة كبيرة وكان عددهم ٣٠٠.٠٠٠، وقد جائوا لتيانا Tyana، وبنوا منزلاً لتجديفهم -مسجد- وقد أخذوا قلعة هيراكليس Herakles بعد حصارها، وقد كانت قوية للغاية، وكذلك سبسطيه Thebasa، Malakopea، Sideropalos وAndrasos. وأرسل فرقة مداهمة قوامها ٦٠ ألف جندي توغلت حتى أنقره Ancyra وإنسحبت بعد ذلك فأرسل الامبراطور نقفور Nikephoros (٨٠٢-٨١١م)[1] لهارون يطلب السلام وقد توصلوا للسلام بعد مفاوضات طويلة وقد كان بنود الإتفاقية أن يدفعوا للعرب كل عام ٣٠.٠٠٠ نوميزما[2]، وثلاثة نوميزما نيابة عن الإمبراطور وثلاثة نوميزما أخرى نيابة عن ابنه، وقد كان هارون سعيداً بعد قبول هذه الشروط سعادة غامرة، أكثر مما لو كان قد حصل على عشرة آلاف talents، لأنه أخضع الإمبراطورية الرومانية، وقد نصت المعاهدة على أنه لا ينبغي إعادة بناء الحصون التي انسحب منها العرب بعدما استولوا عليها، ومع ذلك أعاد، نقفور على الفور بنائها وعزز الحصون نفسها وعندما علم بذلك هارون أرسل قوة ومرة أخرى وأخذ سبسطية

(١) ولد في leukcia عام ٧٦٠م، يرجع أصله للعرب كان وزيراً للخزانة زمن الإمبراطورة إيرين، تربع على العرش بعد الفتنة التي أطاحت بها ٨٠٢م، وقد حكم لمدة تسع سنوات، وكان رجلاً شغوفاً بالدماء عبد ا للمال، فكان يبيع الوظائف والمناصب ويبدو لعامة الشعب كسير البال، لكن إذا ما قدم أحد له المال هش وبش وأشرق وجهه، فرض على البيزنطيين ضريبة باهظة بذريعة الإحتياج إليها لترميم الأسوار فأمر بما يسمونها ضريبة "القيراطين"، فكان يحتفظ لنفسه بأجور الجيش.

Theophanes Continuatus, Ioannes, p. 531, OBd, vol. 3, p. 1476.

دونالد نيكول، معجم التراجم، ص ١٦١-١٦٢.

فاغتصب منها الحكم وذللها، وحكم تسع سنوات، فكان رجلاً شغوفاً بالدماء عبداً للمال، وقد كان فاشلاً في إدارة شئون الإمبراطورية.

Theophanes Continuatus m Ioannes cameniata, Symon magister, George monachus m ex recognition Immanuelis Bekkeri, CSHB M Bonnae m 1838, pp. 529-531.

(٢) سبق التعرض له.

كما أرسل أسطول إلى قبرص، ودمر الكنائس هناك، ورحل القبارصة فتسبب ذلك في الكثير من الدمار ونقض السلام"[1].

أما المصادر العربية فقد ذكرت: "في سنة سَبع وثمانين ومائة خلعت الروم إيريني [2] الملكة وملك نقفور وهو من أولاد جبلة، فكتب إلى الرشيد، من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد فإن الملكة -إيرني- التي كانت قبلى أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقا بحمل أضعافه إليها، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابى هذا فاردد ما أخذت وإلا فالسيف بيننا وبينك، فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب وكتب في ظهر الكتاب: من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، فقد قرأت كتابك والجواب ما تراه دون ما تسمعه، ثم سار من يومه حتى نزل على هرقلة فأحرق وخرب ورجع [3].

وقد قال خليفة بن خياط " في سنة تسعين ومائة غزا أمير المؤمنين الروم وفرق القواد في بلادهم، وأقام بطوانة، وسأله الطاغية أن ينصرف ويعطى مالاً

---

(1) Theophanes, Chronographia, pp. 661-662.

(٢) هى الإمبراطورة إيرين Irene زوجة ليو الرابع وأم ولده قسطنطين السادس وقد كانت من أثينا، (٧٩٧-٨٠٢م)، أصبحت وصية على ابنها بعد وفاة زوجها لكنها أرادت الانفراد بالسلطة، عملت على إعادة الأيقونات والصور المقدسة بعد نصف قرن من محاربتها، عزلها ابنها عن السلطة ٧٩٠م، لكنها قامت بسمل عينيه واستعادت السلطة لمدة خمس سنوات ٧٩٧-٨٠٢ حتى اغتصب عرشها وزير خزانتها نقفورس Nichephorus ونفاها إلى ليسبوس Lesbos وبقيت به حتى ماتت في ٨٠٣ م.

Theophanes continuatus, Ioannes Cameniata, Symeon Magister, George Monachus, ex recognition Immanuelis Bekkeri, CSHB, Bonnae, 1838, pp. 529-530, ODB, vol. 2, pp. 1008-1009.

دونالد نيكول، معجم التراجم، ص ٨٥-٨٦.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٩، ص ١٨٠-١٨٣؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج ١، ص ٢٢٨-٢٢٩.

Bury, J. B., A History of the Eastern Roman empire from the fall Irene to the accession of Basil I, (A. D. 802-867), London, 1912, pp. 249-251, Niavis, P., The Reign of the Byzantineempror Niephorus I (802-811), Ph.d. University of Edinburgh, 1984, pp. 261-270.

فأبى إلا أن يعطيه فدية، ويبعث إليه بجزية عن رأسه ورأس ابنه فبعث إليه بثلاثين ألف دينار جزية"[1]، وبذلك أدرك نقفور أن الإمبراطورة إيرين لم تكن سبب الهزائم التي حلت ببيزنطة وإنما سببها هو قوة المسلمين الجارفة، وإيمانهم بالهدف الذي يحاربون من أجله، لذا سأل الصلح على مال يؤدى كما كانت إيرين تفعل من قبل، وقبل هارون الرشيد ذلك بعد أن أدبه[2].

ج- معاهدات بناء على طلب المتمردين :

تحدث ثيوفانيس عن طلب بعض الولاة البيزنطيين والمتمردين عقد معاهدة مع المسلمين فقال: "في عام (٦٣٥/ ٦٣٦م) قام يوحنا John الملقب بـKataias حاكم -الرها- Osrhoene بالذهاب إلى اللد في Chalkis وعقد معاهد دفع له بموجبها ١٠٠.٠٠٠ solidi سنوياً شريطة أن لا يعبر الفرات سلمياً أو بقوة السلاح طالما يتم دفع كمية الذهب وبناء على ذلك عاد يوحنا إلى الرها، وبعدما جمع الضريبة السنوية أرسلها إلى اللد، وعندما سمع هرقل بهذا استدعاه وأدانه واعتبره مذنب لأنه فعل هذا الأمر دون علم الامبراطور، وحكم عليه بالنفي، وعين بدلاً منه الجنرال Ptolemaios[3].

في عام (٦٦٦/ ٧م) قام سابور Saborios إستراتجيوس أرمينيا، والذي كان من أصل فارسي بتمرد ضد الإمبراطور قنسطانز الثاني، وأرسل القائد سرجيوس Sergius مبعوثاً إلى معاوية، يبشره بإخضاع الدولة الرومانية لو حارب معه ضد الإمبراطورية، وعندما علم بهذا قسطنطين ابن الامبراطور أرسل هو أيضاً مبعوثاً إلى معاوية، يدعى cubicularius Andrew محملاً بالهدايا كي لا يتعاون معاوية مع المتمردين، وعندما وصل أندرو إلى دمشق وجد أن سرجيوس قد سبقه، أما معاوية فقد تظاهر بتعاطفة مع الإمبراطور، وقد كان سرجيوس يجلس أمام معاوية، وعندما دخل أندرو وقف سرجيوس بمجرد رؤيته فانتقده معاوية بشدة

---

(١) تاريخه، ص ٤٥٩.

(٢) طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج ١، ص ١٢٦.

(3) Theophanes,The Chronicle, p. 472.

قائلاً: لماذا أنت خائف؟ فبرر سرجيوس قائلاً: إنه فعل ذلك إنطلاقاً من العادة، وإتجه معاوية إلى أندرو وسأله عما يريد؟ فأجابه: يجب أن تقدم لنا المساعدة ضد المتمردين، فقال معاوية: كل منكم أعدائي فالذي يعطيني أكثر سأقدم له المساعدة، ثم قال له أندرو: لا تكن في شك يا أمير فالأشياء القليلة من إمبراطور تكون أكثر فائدة لك من الكثير من المتمردين، ومع ذلك افعل ما يحلو لك، وبعدما قال أندرو هذه الأشياء صمت، فقال معاوية: سأفكر في الأمر، وأشار لكل منهما بالخروج، ثم استدعى معاوية سرجيوس على انفراد وقال له: لن تقوم بعد الآن بإكبار لأندرو؛ لأنك بفعلك لن تحقق شيئاً، وفي الغد إستبق سرجيوس أندرو وجلس أمام معاوية، وعندما دخل أندرو لم ينهض كما في اليوم السابق، وكان أندروا ينظر حول سرجيوس فلعنه أندرو بقوة وهدده قائلا: إذا بقيت على قيد الحياة سوف أظهر لك من أنا، فأجابه سرجيوس: أنا لا أهتم بك لأنك لست رجل ولا امرأة، فوقف معاوية بينهما وقال لأندرو: تتعهد أن تعطيني بقدر ما سيعطينى سرجيوس فسأله أندرو وكم عدده؟ فأجاب معاوية: ستعطى العرب عائدات الضرائب، فقال أندرو: ويل لك يا معاوية! أنت تنصحنى أن أعطيك الجسم وأحتفظ بالظل قم بأي اتفاق تريده مع سرجيوس، لأني سأفعل أي شيء بينما اتجاهلك، لأنه يتعين علينا اللجوء إلى الله الذي لديه قوة أكثر منك للدفاع عن الرومان، ويجب أن نضع آمالنا به، وبعد هذه الكلمات قال لمعاوية وداعاً، ثم خرج من دمشق متجاهاً لملطية Melitene في نفس الطريق الذي سيسلكه سرجيوس، لأن المتمردين يكمنون في تلك الأجزاء، وعندما وصل إلى Arabissos إلتقى قائد المرور الذي لم يكن قد انضم إلى المتمردين، وأمره أن يكون مترقباً لسرجيوس عندما يعود ليسلمه له، وتحرك لأماسيا Amnesia لينتظر سرجيوس، وأخبر الإمبراطور بما حدث، وبعدما عقد سرجيوس عهداً مع معاوية رآه مناسباً خرج بجانب القائد العربي فضالة مع قوة من البرابرة للقتال إلى جانب سابور، فسافر سرجيوس أمام فضالة، وبينما كان يسير بفرح لمقابلة سابور سقط في الطريق في فخ أندرو فقبض عليه، وأتى به أسيراً لاندرو، وعندما رآه سرجيوس سقط على قدميه، وتسول لانقاذ حياته، فقال له أندرو: هل أنت سرجيوس الذي تحدث بفخر أمام معاوية، ودعاني

بالمخنث؟ أنظر الآن إلى أجزائك الخاصة لن تكون ذا فائدة لك لا بل إنها ستتسبب في موتك، لأنك قلت ذلك، وأمر أن تقطع أجزاء سرجيوس الخاصة وقام بشنقه على المشنقة، وعندما علم قسطنطين بوصول فضالة لمساعدة سابور بعث الارستقراطي نقفور Nikephoros مع قوة رومانية لمقاومة سابور الذي كان في أدريانبول "أدرنة" Adrianoupolis، وعندما علم بتحرك نقفور ضده، وكان قد أعد نفسه للمعركة إذا حدثت في أي يوم، وكان على وشك الخروج من البلدة على ظهر الخيل كما كانت عادته، فعندما اقترب من باب المدينة ضرب حصانه بسوطه فأصبح الحصان مضطرباً، وحطم رأسه في البوابة فمات تعساً، وبهذه الطريقة منح الله النصر للإمبراطور، وعندما جاء فضالة إلى Hexapolis وعلم كل شيء كان في مأزق فأرسل رسالة إلى معاوية طالباً المساعدة؛ لأنه رأى أن الرومان قد التأم خلافهم، فأرسل له معاوية ابنه يزيد[١] مع قوة كبيرة مسلحة من البرابرة فجاء اثنان منهم إلى خلقيدونية وأخذوا العديد من الأسرى وأخذوا عمورية Amorion في فريجيا Phrygia، وبعد أن تركوا هناك حراسة مكونة من ٥٠٠٠ رجل مسلح، عادوا إلى سوريا. عندما انتهى فصل الشتاء أرسل الإمبراطور cubicularius Andrew، ووصل عمورية في الليل عندما كان هناك الكثير من الثلج فتسلق هو ورجاله الجدار وبمساعدة الألواح دخلوا عمورية وقتلوا كل العرب وهم ٥٠٠٠ ولم يبق منهم واحد"[٢].

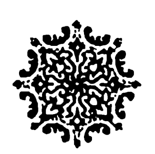
أما المصادر العربية فقد ذكرت "أرسل سابور المتغلب على أرمينيا إلى معاوية في سنة (٤٦هـ) رسولاً اسمه سرجي يطلب منه النجدة على الروم فأرسل قسطنطين الملك أيضاً رسولاً إلى معاوية يدعى أندرا الخصي وهو من أخص خواصه فأذن معاوية لسرجي أن يدخل أولاً فدخل ثم دخل أندرا فلما رآه سرجي نهض له لأنه كان عظيماً فوبخ معاوية سرجي وقال: إذا كان العبد هالك فكيف

---

(١) تولى الخلافة بعد وفاة أبيه، فكانت ولايته ثلاث سنين وثمانية أشهر، عنه انظر: ابن حبيب، المحبر، ص ٢١-٢٢.

(2) Theophanes,The Chronicle, pp. 488-490, Agapius on the reigns of Mu'awiya and 'Abd al-Malik, fols. 99 r -100 v.

مولاه، فقال سرجى: خدعت من العادة، ثم سأل معاوية اندرا: لماذا جئت، فقال: الملك سيرني لئلا تصغوا إلى كلام هذا المتمرد ولا يكون الملك والمملوك عندك بالسواء، فقال معاوية كلكم أعداء لنا فأيكم زاد لنا من المال راعيناه، فلما سمع أندرا ذلك خرج، وحضرا في الغد وقد سبقه سرجي بالدخول فلما دخل أندرا لم ينهض له فشتمه اندرا فقال له: يا يؤوس استخففت بى، فقذفه سرجى قذف المخانيث، فقال له أندرا: سوف ترى ثم أعاد كلامه الأول على معاوية فقال له معاوية: إن أعطيتمونا كل خراج بلادكم نبقى لكم اسم المملكة وإلا أزحناكم عنها، فقال أندرا: كأنك تزعم أن العرب هم الجسم والروم الخيال، نستعين برب السماء، ثم استأذن للرحيل وسار إلى ملطية، وتقدم إلى مستحفظى الثغور أنِ يكمنوا لسرجي في الطريق ويلزموه ويحملوه إلى ملطية، وينزعوا خصيتيه ويعلقوهما في رقبته ثم يسمروه ففعلوا به كذلك"[1] والمتأمل لما ذكره ثيوفانيس يجده يتطابق مع ما ذكر في الكتابات العربية وكذلك ما كتبه السرياني[2]، وهذه المحاولة تدل على أن العرب عندما كانوا أقوياء كانوا يتدخلون في مصير الإمبراطورية البيزنطية مستغلين حالة الانشقاق التي تمر بها، ويبدوا أن معاوية خالفه التوفيق عندما أيد سابور ووقف بجانبه دون الإمبراطور البيزنطي، ولربما أغراه بما سيأخذه منهم.



(١) ابن العبري، مختصر تاريخ الدول، ص ٩٧؛ أغابيوس المنبجي، المكلل بفضائل الحكمة، ص ٣٥٠.

(٢) تاريخه، ج ٢، ص ٣٤٥-٣٤٦.

الفصل السادس

المسلمون والمسيحيون في الكتابات البيزنطية

أولاً : اتهام المسلمين بالتمييز بينهم وبين والمسيحيين

ثانياً : إجبار المسيحيين على ترك دينهم وقتلهم

ثالثاً : عدم إحترام مقدسات المسيحيين

رابعاً : تعريب الدواوين

خامساً : الأيقونات والصور

الفصل السادس
المسلمون والمسيحيون في الكتابات البيزنطية

لم يوجد إتصال حقيقى بين المسلمين والمسيحيين الذين هم أهل الكتاب وهم أتباع نبي الله عيسى ﷺ إلا بعد فتح المسلمون للمقاطعات التابعة للدولة البيزنطية كالشام ومصر، فأصبحوا من رعايا الدولة الإسلامية، ومن ثم أصبح لهم حقوق وعليهم، وقد حدثت بعض المواقف نتيجة الإحتكاك الفعلى بين المسلمين والمسيحيين فاستغل الحدث بطريقة أظهرت المسلمين وكأنهم مضطهدين للمسيحيين، لذا ستتعرض لبعض هذه الأحداث ومن ثم نفندها ولعل أبرزها:

أولاً: اتهام المسلمين بالتمييز بينهم وبين المسيحيين:

ومن أبرز الفرى التي وسم بها المسلمون أنهم كانوا يقودون الحرب لأجل فرض الجزية ما قاله ثيوفانيس في معرض ذكره لأحداث عام (٦٤٦/ ٦٤٧م) "غزا المسلمون أفريقيا وعادوا إلى ديارهم بعدما فرضوا جزية على الأفارقة"[١]، وقد قال السرياني "ذهب معاوية عام (٢٥هـ) إلى قيصرية قبادوقيا فاستسلم السكان وتعهدوا بدفع الجزية وعندما دخل المسلمون ورأوا جمال أبنية الكنائس والأديرة والمال الوفير ندموا لإعطائهم تعهداً، لكنهم لم يتراجعوا عن قسمهم"[٢].

وللرد على هذه الشبهة نجد أن الجزية حق أوصى الله تعالى المسلمين بتحصيله من المشركين وهى موضوعة على الرؤوس واسمها مشتق من الجزاء، إما جزاء على كفرهم لأخذها منهم صَغاراً، وإما جزاء على أمننا لهم لأخذها منهم رفقاً، وقد وضعت الجزية عاصمة للدم، فمصلحة أهل الإسلام فيما يأخذونه من المال الذي يكون قوة للإسلام، كما أن بها نفع للكفار ففي بقائهم رجاء لإسلامهم إذا شاهدوا أعلام الإسلام وبراهينه أو بلغتهم أخباره فلابد أن

---

(1) Theophanes,The Chronicle, p. 478.

(٢) تاريخه، ج ٢، ص ٣٣٨.

يدخل في الإسلام بعضهم وهذا أحب إلى الله من قتلهم[1]، والأصل فيها قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾[2] وهم أهل الكتاب -اليهود والنصارى-[3] ووسموا في الإسلام بأهل الذمة[4]، وقد وضع الإسلام لهم قوانين وشروط تلزم الذميين الالتزام بها والخضوع لها ما داموا يعيشون في ديار الإسلام[5]، حيث اشترط عليهم شرطان أحدهما واجب وهو احترام الرسول ﷺ والقرآن الكريم وعدم القدح في الإسلام وألا يصيبوا مسلمة بزنا ولا بنكاح أو يحولوا مسلماً عن دينه وألا يعينوا أهل الحرب، وأما الشرط المستحب فيشمل لبس الغيار وشد الزنار وأن تكون مبانيهم أقل ارتفاعاً من مباني المسلمين وألا يسمعوا المسلمين نواقيسهم وتلاوة كتبهم وعدم المجاهرة بشرب الخمر أو إظهار الصلبان والخنازير وعدم النواح عليهم وعدم ركوب الخيل مع السماح بركوب البغال والحمير، وكان عليهم ألا يحدثوا بيعة أو كنيسة ولكن يجوز بناء ما تهدم من بِيَعهم وكنائسهم القديمة، وإذا نقض أهل الذمة عهدهم لم يُستبح بذلك قتلهم وغُنم أموالهم ولا سبي ذراريهم ما لم

---

(١) ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (٦٩١-٧٥١هـ)، أحكام أهل الذمة، حققه أبي براء وآخرون، الدمام، ١٩٩٧م، مج ١؛ ابن النقاش، الإمام محمد بن علي بن عبد الواحد الكالي (ت ٧٦٣هـ)، كتاب المذمة في فى استعمال أهل الذمة، تحقيق د/ عبد الله إبراهيم بن على الطريقي، www. Alukah. net.

(٢) سورة التوبة، آية ٢٩.

(٣) الماوردي، الإمام أبي الحسن على بن محمد ابن حبيب البصري (٣٧٤-٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد جاد، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٢٢١-٢٢٧.

(٤) الذمة في اللغة العهد والأمان والضمان وأهل الذمة هم المستوطنون في بلاد الإسلام من غير المسلمين، وأصبحوا في ذمة المسلمين وقد تدرج المسلمون في خطابهم مع أهل الأقاليم التي فتحوها فيعرضون بادئ ذي بدء الإسلام فإن أبوا عرضوا عليهم الجزية وإن أبوا قاتلوهم، ابن النقاش، المذمة في استعمال أهل الذمة، ص ٧، ١١-١٢؛ الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٢٢١-٢٢٣.

(٥) سيدة إسماعيل كاشف، مصر الإسلامية، ص ٩-١٠.

يُقاتلوا، ووجب إخراجهم من بلاد المسلمين آمنين حتى يحققوا مأمنهم من أدنى بلاد الشرك فإن لم يخرجوا طوعاً أكرهوا[(١)].

وقد وضع النبي ﷺ أسوة حسنة في معاملة أهل الكتاب وذلك في عهده ليوحنا بن رؤبة وأهل أيلة أمنهم فيه على أنفسهم وأموالهم وجعلهم في ذمته[(٢)]، لذا فالعلاقة بين المسلمين والذميين بدأت منذ عهد النبي محمد ﷺ الذي أمنهم على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم وشاهدهم وعشيرتهم وكل ما في أيديهم ومقابل ذلك يعطوا الجزية، ويحتفظ رهبان دير سانت كاترين في شبه جزيرة سيناء بصورة عهد ينسب إلى النبي محمد ﷺ يعرف بالعهد النبوي"[(٣)]، ورغم أن هذا العهد يتماشى مع تعاليم الإسلام السمحة التي جاء بها النبي ﷺ، لكننا لا نعتقد أنه يوجد مثل هذا العهد لصعوبة اتصال رهبان دير سانت كاترين بالنبي، بالإضافة لكون العهد منقط ولم يكن التنقيط موجوداً في عهد النبي، ولكن هذا النفي لا يتعارض مع ما أعطاه الإسلام لغير المسلمين من حرية واسعة في إدارة شؤونهم الخاصة وفق قوانينهم ومعتقداتهم، ولعل أبرز مناحي العهد الإسلامي المبكر أنه لم يكن هنالك أي تمييز بين الوثني والمسيحي ولا بين المؤمن واليهودي، فتعامل المسلمون بحياد فألغوا الحدود الداخلية عبر مساحة واسعة امتدت من شمال غرب أفريقيا إلى الهند، فترتب عليه مساحة معقولة من الاحتكاك الإنساني تجاوز الحدود الاجتماعية والإثنية والدينية، وفوق ذلك فإن المسلمين لم يحظروا على غير المسلمين الظهور في أي من الأماكن العامة أو شغل أي من المهن، وقد أعطى القرآن أريحية كبيرة نحو احتكاك الناس مع بعضهم البعض[(٤)]، ولم يعط المسلم الحق في محاسبة غير المسلمين على

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٢٢١-٢٢٧.

(٢) يمكن الرجوع في هذا إلى: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٦٥-١٦٦.

ويمكن الرجوع لملحق رقم (١) صورة لمخطوطة العهدة النبوية الطورية، حيث برزت فيه سماحة النبي مع النصارى.

(٣) سيدة إسماعيل كاشف، مصر الإسلامية، ص ١٩-٢١.

(4) Hoyland, R., Muslim and others, in the formation of the clasicak world, general editor Lawrenece I, Conrad, Ashgate, USA, No date, vol. 18, pp. 13, 29.

معتقداتهم ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٦٨ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1]، فلم يفرق الإسلام بين الناس فيما هو دنيوي حسب اعتقادهم أو جنسهم أو لونهم لأن القاعدة الأساسية للإسلام هي المساواة وجميع من في ديار الإسلام أمة واحدة[2]، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[3]، وقد عامل المسلمون أهل الأمصار المختلفة بتسامح فحددوا لهم واجباتهم وحقوقهم، وقد كتب عمر بن الخطاب ﷺ كتاباً إلى نصارى الشام أمنهم فيه على أنفسهم وأهليهم وأموالهم[4]، قال النبي ﷺ "أمرت أن أقاتل الناس- لا أزال أقاتل الناس- حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله"[5]، وقد فرض النبي ﷺ الجزية على كل يهودي أو نصراني حالم ذكراً أو أنثى عبد أو أمة ليصير في ذمة الله ورسوله ﷺ[6]، وعندما ولي النبي عبد الله بن أرقم على جزية أهل الذمة قال له "ألا من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته أو انتقصه أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة"[7]، وقد حدد محمد ﷺ

---

(١) سورة الحج، آية ٦٨-٦٩.

(٢) وللاستزادة انظر: إدوار غالى الدهبى، معاملة غير السلمين في المجتمع الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٣.

(٣) سورة المائدة، آية ٥.

(٤) للتعرف على هذا العهد انظر: الربعي، القاضي أبي محمد عبد الله بن أحمد بن زبر الربعي (٢٥٥-٣٢٩هـ)، جزء فيه شروط النصارى، وبذيله أحاديث لأبي محمد عبد الوهاب بن أحمد الكلابي (٣٠٦-٣٩٦هـ)، تحقيق أنس بن عبد الرحمن بن عبد الله العقيل، لبنان، ٢٠٠٦م، ص ٢٢-٤١.

(٥) مسلم، صحيحه باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، حديث رقم ٣٢-٣٣، ص ٣١-٣٢.

(٦) ابن سلام، كتاب الأموال، ص ٨٩ وما بعدها.

(٧) أبي داود، سننه، مج ٤، حديث رقم ٣٠٥٢، ص ٦٥٨.

القواعد التي تسمح لليهود والمسيحيين الذين كانوا في الجزيرة العربية أن يبقوا على دينهم إذا دفعوا جزية[1]..

وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ: "أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيراً أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم"[2]، ولم يفرض عمر بن الخطاب ﷺ الجزية على النساء ولا تفرض إلا من جرت أو مرت عليه الموس وجزيتهم أربعون درهماً على أهل الورق -الفضة- منهم وأربعة دنانير على أهل الذهب وعليهم أرزاق المسلمين من الحنطة مدان وثلاثة أقساط زيت لكل انسان كل شهر وعسل وثياب[3].

ثم قال ثيوفانيس: "وضع مرسوم في عام (٧١٧/ ٧١٨م - ٩٨/ ٩٩هـ)- في عهد عمر بن عبد العزيز - يمنع قبول شهادة المسيحيين ضد المسلمين"[4]، وعندما ذهب عبد الله -أبو جعفر المنصور-[5] عام (٧٧١/ ٧٧٢م-١٥٤/ ١٥٥هـ) إلى القدس أمر بأن يتم تمييز المسيحيين واليهود على أيديهم فهرب العديد من المسيحيين إلى الدولة الرومانية عن طريق البحر"[6].

للرد على ما سبق نجد أن المسلمين ضربوا أروع المثل في الحفاظ على العهد الذي قطعوه على أنفسهم بحماية من يأخذون منهم الجزية، لذا عندما كان المسلمون يشعرون أنهم لن يستطيعوا حمايتهم يردون إليهم أموالهم ودليل ذلك

---

(1) Lapidus, A History of Islam societies, p. 17.

(٢) أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٣هـ)، كتاب الخراج، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٢٥-١٢٦.

(٣) الدينار كان يساوي عشرة دراهم من الفضة انظر: ابن عساكر، التاريخ الكبير، مج ١، ص ١٧٨-١٧٩.

(4) Theophanes,The Chronicle, p. 550.

(٥) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ثانى خلفاء بني العباس تولى الحكم بعد أبو العباس السفاح، إلى أن مات بمكة لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، فكانت خلافته اثنتين وعشرين سنة إلا أربعة وعشرين يوماً، ومات وهو ابن ثمان وستين سنة، ابن حبيب، المحبر، ص ٣٤-٣٦؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٧٧-٣٧٩.

(6) Theophanes,The Chronicle, pp. 616.

ما ذكره البلاذري: "لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منه من الخراج، وقالوا قد شغلنا عن نصرتكم والدفاع عنكم فأنتم على أمركم، فقال أهل حمص لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم..."[١].

والمتأمل لما سبق يجد أن هنالك محاولة لاتهام المسلمين بالتفرقة في معاملة المسيحيين يتناقض مع الواقع الذي عاشه المسيحيون في ذلك العصر، فقد روى أنه عندما قدم عمر بن الخطاب ﷺ الجابية من أرض الشام مر بقوم مجذومين من النصارى، فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجرى عليهم القوت، وقد شرط خالد بن الوليد ﷺ لأهل الدير الذي يعرف بدير خالد شرطاً في خراجهم بالتخفيف عنهم[٢]، وإذا ما نظرنا إلى العهد الذي كتبه خالد بن الوليد ﷺ عندما فتح دمشق أعطاهم أماناً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يهدم ولا يسكن شيء من دورهم لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله ﷺ والخلفاء والمؤمنين لا يعرض لهم الا بخير إذا أعطوا الجزية[٣]، ويستشف من هذا إعفاء الأديرة من دفع الأموال.

فرض عمرو بن العاص ﷺ على أهل مصر أنهم ذمة ووضع عليهم الجزية في رقابهم والخراج في أرضهم، فأخذ على كل حالم دينارين[٤] جزية إلا أن يكون فقيراً وألزم كل ذي أرض مع الدينارين ثلاثة أرادب حنطة وقسطي زيت وعسل وخل، أحصى المسلمون فألزم جميع أهل مصر لكل رجل منهم جبة

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٣-١٤٤.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٣٦.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٢٧-١٢٨.

(٤) لفظ مشتق من اللفظ اليوناني اللاتيني Denaricus-Aureus، وهو اسم وحدة من وحدات السكة الذهبية عند العرب وقد عرف العرب هذه العملة الرومانية وتعاملوا بها قبل الإسلام وبعده، عبد الرحمن محمد فهمي، النقود العربية ماضيها وحاضرها، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٨، وقد أشار القرآن الكريم إليها فقال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ...﴾ سورة آل عمران، آية ٧٥.

صوف وبرنسا أو عمامة وسراويل وخفين في كل عام أو عدل الجبة الصوف ثوباً قبطياً وكتب عليهم كتاباً بذلك وشرط ذلك إذا وفوا أن لا تباع نساؤهم وأبناؤهم ولا تسبوا وأن تقر أموالهم وكنوزهم في أيديهم[١].

خلال القرن الأول الذي أعقب وفاة الرسول ﷺ قام العرب بدور بارز في التاريخ الإسلامي فكونوا من أنفسهم صفوة عسكرية وفرضوا الجزية على غير المسلمين وكان غالبيتهم من غير العرب، وذلك بهدف دعم ومساندة أبناء الله الظافرين، وحاول العرب بصفة عامة الإقامة بعيداً عن رعاياهم فكانوا يعيشون في مدن عسكرية منيعة خاصة بهم كما سمحوا لهؤلاء الرعايا بممارسة طقوسهم الدينية المحلية مع الإبقاء على عاداتهم وعلى أن تظل النظم الحكومية كما هي في البلاد التي فتحوها وعلى عكس ما هو معروف لم يحاول المسلمون إجبار رعاياهم على إعتناق الإسلام بل فضلوا بدلاً من ذلك الحفاظ على الدين الحنيف كشرط أساسي لتميزهم عن غيرهم وبذلك أصبح الفتح الإسلامي لا يثير أي إحساس بالألم (بالنسبة للأقاليم المفتوحة) نتيجة لسياسة عدم التدخل في أساليب الحياة القائمة (التي اتبعها الفاتحون العرب)[٢]، واذا ما نظرنا لعدد من قتلوا على يد المسلمين نجد أن الأعداد صغيرة إذا ما قارناها بمثيلاتها في العصور الرومانية والساسانية[٣].

وقد كانت الجزية بالشام في بادئ الأمر جريباً وديناراً على كل جمجمة ثم وضعها عمر بن الخطاب على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين درهماً وجعلهم طبقات لغنى الغني وإقلال المقل وتوسط المتوسط وكان اليهود كالذمة للنصارى يؤدون إليهم الخراج فدخلوا معهم في الصلح، وقيل إن خالد بن الوليد ﷺ صالح أهل دمشق فيما صالحهم عليه على أن ألزم كل رجل من الجزية ديناراً وجريب حنطة وخلا وزيتاً لقوات المسلمين[٤].

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٢٠-٢٢٢.

(٢) ريتشارد ساليفان، ورثة الإمبراطورية الرومانية الغرب الجرماني- العالم الإسلامي- الدولة البيزنطية، ص ٧٣.

(3) Hoyland, Muslim and others, p. 23.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٣٠-١٣١، ١٥٩.

وقد اشتهر عدد من المسيحيين كانوا مقربين من حكام المسلمين فبرزت عائلة يوحنا الدمشقي في عهد الأمويين، كما برز في عهد الرشيد برز الطبيب بختيشوع بن جيورجيس الذي جعله رئيساً للأطباء، كما أصبح ابنه جبريل طبيباً لجعفر بن يحى بن خالد البرمكي[١] الذي حظى لديه ولدى الرشيد كما خدم يوحنا بن ماسويه النصرانى السرياني وقد ترجم الكتب الطبية القديمة وقد خدم الطبيب المتوكل[٢] من بعده[٣].

مما يدل على أن المسيحيين عاشوا حياة كريمة وتميزوا في عدد من المجالات في ظل الحكم الإسلامي.

ثانياً: إجبار المسيحيين على ترك دينهم وقتلهم:

ومن ضمن الفرى أن المسلمين كانوا يجبرون المسيحيين على اعتناق الإسلام إما بالسيف أو بإغرائهم بذلك فتحدث ثيوفانيس عن ذلك في أحداث عام (٧١٧/ ١٨م-٩٨/ ٩٩هـ) فقال: "بعد حدوث زلزال عنيف في سوريا، حظر عمر[٤] استخدام النبيذ في المدن وشرع في إجبار المسيحيين ليتحولوا للإسلام، ومن ثم يعفون من الضرائب، أما من يرفضون القيام بذلك فسيقتلون، فترتب على ذلك العديد من الشهداء"[٥]، وفي عام (٧٣٩/ ٧٤٠م-١٢١/ ١٢٢هـ) فرض

---

(١) هو جبرائيل بن بختيشوع بن جورجيس بن بختيشوع الجند يسابوري، كان طبيباً حاذقاً نبيلاً له تآليف في الطب وخدم الخليفة الرشيد ومن بعده، للمزيد عنه انظر: القفطي، الوزير جمال الدين أبي الحسن على بن يوسف (ت ٦٤٦هـ)، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، تعليق إبراهيم شمس الدين، لبنان، ٢٠٠٥م، ص ١٠٦-١١٥.

(٢) هو جعفر بن المعتصم، تولى الحكم بعد أخيه الواثق، وقتل يوم الاثنين لليلتين خلتا من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين، وكانت خلافته أربعة عشرة سنة وتسعة أشهر، ابن حبيب، المحبر، ص ٤٣-٤٤.

(٣) تاريخ مختصر الدول، ص١٢٥-١٢٨.

(٤) ويقصد به عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، يكنى أبا حفص، ولي الأمر بدابق يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين للهجرة، وتوفي بدير سمعان بحمص لست بقين من رجب سنة إحدى ومائة للهجرة، ابن حبيب، المحبر، ص ٢٧؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٦٢-٣٦٣.

(5) Theophanes,The Chronicle, p. 550.

هشام [1] حاكم العرب الموت على السجناء المسيحيين في كل مدن مملكته وكان من بينهم المبارك يوستاثيوس Eustathios، ابن الأرستقراطي ماريانوس Marianos، الذي أثبت أنه شهيد حقيقي لمدينة حران Harran في بلاد ما بين النهرين حيث لم يتخل عن إيمانه الخالص رغم تعرضه لكثير من العنف، كما لقى الآخرين حتفهم بالشهادة والدم"[2]، كما أمر الوليد[3] في عام (٧٤١/ ٧٤٢م- ١٢٣/ ١٢٤هـ) بضرورة قطع لسان بطرس مطران دمشق أقدس المدن، ثم نفاه إلى العربية Arabia Felix[4]؛ لأنه كان يستنكر علناً كفر العرب والمانوين"[5]*.

ولتفنيد ما سبق يمكن القول "لم يكن القرار بترك الدين الذي نشأ عليه المرء من القرارات التي يمكن الاستهانة بها، حيث كان يعنى قطع الأواصر مع العائلة والأصدقاء والجيران، لذا أقنع قادة المجتمعات غير الإسلامية جماعتهم بأن المميزات التي يقدمها الإسلام هي فقط الرفاهية الاجتماعية والإقتصادية، الجاه والثروة، ومن ثم فلم ينفك أصحاب المرويات عن الشهداء عن تصوير أبطالهم بأنه تم إغرائهم بالمقام الرفيع والثروة عن طريق بعض الوجهاء المسلمين، وذلك في حال تحولهم للإسلام، وبالرغم من أن تلك الفرضية تحظى بقبول واسع لدى الباحثين، وتحوى بعض الحقيقة في طياتها، إلا أنه من الضروري التحقق منها. ففيما يتعلق بالقبول في المناصب الرفيعة، فإن معتقد المرء لم يكن

---

(١) هو بن عبد الملك بن مروان، ويكنى أبا الوليد، تولى الحكم بعد أخيه يزيد، وتوفي بالرصافة يوم الأربعاء لسبع خلون من شهر ربيع الأول من سنة خمس وعشرين ومائة، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فكانت ولايته عشرين سنة إلا خمسة أشهر، ابن حبيب، المحبر، ص ٢٩-٣٠؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٦٥.

(2) Theophanes,The Chronicle, p. 573.

(٣) ابن يزيد بن عبد الملك، قتل لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة وهو ابن أربعين سنة، فكانت ولايته سنة وثلاثة أشهر، ابن حبيب، المحبر، ص ٣٠-٣١؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٦٦.

(٤) تم التعرض لها في التمهيد.

(5) Theophanes,The Chronicle, pp. 577-578.

* يقصد يوحنا الدمشقي.

يمثل أي عقبة، على الأقل في أول قرنين أو ثلاثة قرون من العهد الإسلامي عندما كانت لا يزال غير المسلمين يسيطرون على المهن الإدارية والطبية[1].

وبالنسبة لقولهم أن المسيحيين تحولوا للإسلام من أجل الإعفاء من الضرائب يعد أمر عار من الصحة، فإن السبيل إلى الهروب من دفع الضرائب عموماً لم يكن التحول للإسلام بشكل مباشر، بل هجران الأرض بالأساس.ففي مصر، عنى ذلك على الأغلب اللجوء إلى أحد الأديرة أو البحث عن مأوى في الريف، ولكن في العراق وبلاد ما بين النهرين، كان يعنى الهروب إلى حيث تتزايد فيها مساحة الاحتكاك بالمسلمين، مما يزيد من فرص التحول للإسلام.

تفاوتت نسب التحول للإسلام بصورة كبيرة من مجتمع إلى مجتمع فاليهود الذين اعتادوا على العيش كأقلية تحت حكم أجنبي على الأرجح كانوا هم الأقدر على التأقلم على هذا الوضع - يقصد مقاومة التحول للإسلام والثبات على اليهودية -، أما المسيحيون فقد عانوا فترات من الاضطهاد تحت حكم الرومان، فكان بإمكانهم الاستناد على هذا التاريخ، وعلى مثال الشهداء الأوائل لعلهم يجدون فيهما القوة والعزاء[2].

ويؤكد هذا بقاء المسيحيين في البلاد الإسلامية حتى وقتنا هذا فلو أجبروا حقاً ما بقى منهم أحد إلى الآن.

وقد قال ثيوفانيس: "وفي أثناء عودة المهدي إلى المدينة المقدسة (٧٧٩/ ٧٨٠م- ١٦٢/ ١٦٣هـ) أرسل Mouchesias - الحسن بن قحطبة - ومنحه سلطة لتحويل العبيد المسيحيين وتدمير الكنائس المقدسة، فجاء هذا الرجل إلى حمص وأعلن أنه لن يجبر أي شخص ليصبح مسلماً إلا الكفار السابقين، وتوقع اليهود والنصارى أنه يقصدهم، ثم بدأ على الفور بتعذيبهم لأنهم في سلوكهم ملاحدة، أسوأ من ليسياس Lysias وأغريكولاوس Agrikolaos في الزمن قديم، فدمر كثير منهم لكن بنعمة المسيح إلهنا كان غضبه الشديد تغلب بواسطة بعض النساء اللاتي عمدن حديثا، ومنهن زوجة رئيس شمامسة حمص وابن

---

(1) Hoyland, Muslim and others, pp. 23-24.
(2) Hoyland, Muslim and others, pp. 24-26.

إسياس Esaias. فتحمل هؤلاء الكثير من العذاب، لكنهم لم يستسلموا للتذمر لكل من حصلوا على ألف جلدة وتعرضوا للعديد من التعذيب حتى حصلوا علي تاج النصر من المسيح"[١].

وقد أنصف بعض المؤرخين المسيحين الإسلام وردوا على هذه الافتراءات فقال ساليفان: "يبدو أن معظم الحالات التي اعتنق فيها أصحابها الإسلام نتجت أساساً عن مزايا الدين الإسلامي، فقلما لجأت الحكومة العباسية إلى القوة كوسيلة لدخول الناس في الدين الجديد، وكانت سياستها التي درجت عليها هي إعطاء حرية كبيرة لجميع الجماعات الدينية داخل نطاق الخلافة وبخاصة اليهود والمسيحيين الذين يعتبرون طبقاً للشريعة الإسلاميى جماعات كشف الله لها جانباً من الحقيقة، ولقد فرضت الحكومة فعلا الضرائب على غير المسلمين، ومنعتهم من تقلد وظاف معينة، ولكن يحتمل أن هذه الأمور لم تكن عنيفة لدرجة الإجبار على تغيير الدين، وهكذا انتشر الدين الإسلامي بفضل محاسنه ومزاياه وأصبح رباطاً فعالا للوحدة"[٢].

وبالنسبة للردة من الإسلام فقد كان يعاقب عليها بالإعدام بموجب القانون الإسلامي، وهكذا نسمع عددا من المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام، وعادوا إلى المسيحية، واستشهدوا -قتلوا- على يد السلطات الإسلامية فكان هذا الاستشهاد بمثابة أداة هامة في أيدي المسيحيين لتنفير اخوانهم عن التحول إلى الإسلام[٣]، وبالنسبة لاحتجاجهم على المسلمين بقتل من يترك الإسلام فنجد أن نفس الحكم لديهم وهذا ما حدث لفروة بن عمرو حاكم معان الذي أعدمه البيزنطيون لتحوله إلى الإسلام دون إذن أو تصريح من السلطات البيزنطية فأعدموه كي لا يتأثر باقي الموظفين المحليين به[٤].

---

(1) Theophanes,The Chronicle, p. 624-625.

(٢) ريتشارد ساليفان، ورثة الإمبراطورية الرومانية الغرب الجرماني - العالم الإسلامي- الدولة البيزنطية، ص ١٣٨-١٣٩.

(3) Hoyland, Muslim and others, pp. 28-29, Treiger, The Arabic Tradition, p. 91-92.

(4) Kaegi, Byzantium and the early Islamic conquests, pp. 67-69.

ويمكن الرجوع للفصل الأول حيث تم التعرض لهذا الموضوع.

ثالثاً: عدم احترام مقدسات المسيحيين:

أُتهم المسلمون بأنهم لا يحترمون الصليب فقال ثيوفانيس: "في سنة (٦٤٢/ ٦٤٣م) بدأ عمر ببناء معبد في القدس - المسجد الأقصى الأصلي-[١] فبدأ ببنائه قبل وفاة البطريرك صفريونيوس، ولكن الهيكل كان لا يقف ويسقط، وعندما سأل عن سبب ذلك قال له اليهود: إذا لم تقم بإزالة الصليب الذي هو فوق الكنيسة التي على جبل الزيتون Mount of Olives فلن يقف الهيكل وعلى هذا الأساس تم إزالة الصليب من هناك، وبالتالي أصبح بنائهم محكم، ولهذا السبب أنزل أعداء المسيح العديد من الصلبان"[٢].

وقد قال بورفيرجنتيوس: "أخذ صفرونيوس عهداً على عمر بألا تمس الكنائس بسوء فلا تخرب ولا تنهب، وعندما رآه قال إن هذا هو الخراب الفظيع الذي تحدث عنه النبي دانيال وطلب عمر أن يأخذ معبد اليهود الذي بناه سليمان ليجعله مكانا تمارس فيه عبادة وقد ظل إلى يومنا هذا"[٣].

وقد قال ثيوفانيس: "أما عن الخليفة عبد الله -أبو جعفر المنصور - فقد ألحق شرور عديدة برعاياه المسيحيين حيث أزال الصلبان من الكنائس، ومنع السهرات التعليمية الليلية في أدبهم"[٤].

ويمكن الرد على هذه الشبهة بالقول إن العهد الذي أعطاه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ لصفرونيوس يعد أول معاهدة في سجل العلاقات الدولية للخلفاء الراشدين أظهر فيها المسلمون ما هو مأثور عنهم من التسامح الدينى وحرية

---

(١) عنه انظر: أحمد بن سعد الدين الغمري العثماني الشافعي (ت ١٠٥٠هـ-١٦٤٠م)، ذخيرة الأعلام بتواريخ الخلفاء الأعلام وأمراء مصر الحكام وقضاة قضاتها في الأحكام من فتوح الإسلام لزمن ناظمه، مخطوطة في معهد إحياء المخطوطات العربية.

(2) Theophanes,The Chronicle, p. 476.

(٣) بورفيروجنيتوس، إدارة الإمبراطورية، ص ٧٧.

(4) Theophanes,The Chronicle, pp. 607.

العقيدة[١]، كما أنه عد وسيلة لتأمين ملكية المسيحيين للأماكن المقدسة[٢]، وفي عهد عمر بن عبد العزيز ﷺ خاصم حسان بن مالك عجم أهل دمشق في كنيسة كان رجل من الأمراء أقطعه إياها فقال عمر ﷺ: إن كانت في عهدهم فلا سبيل لك عليها، وقال ضمرة عن علي بن أبي حملة خاصمنا عجم أهل دمشق إلى عمر بن عبد العزيز في كنيسة كان فلان قطعها لبنى نصر بدمشق فأخرجنا عمر عنها وردها إلى النصارى، فلما ولى عبد الملك ردها إلى بني نصر[٣]، وقد روى أن نصارى دمشق قالوا لعمر بن عبد العزيز ﷺ: يأمير المؤمنين قد علمت حال كنيستنا، قال: إنها صارت ماترون فعوضهم كنيسة من كنائس دمشق لم أكن في صلحهم يقال لها كنيسة توما، ويقال إن النصارى رفعوا إلى عمر بن عبد العزيز ما أخذوا عليه العهد في كنائسهم: لا تهدم ولا تُسكن وجاؤوا بكتابهم إليه وكلمهم عمر ورفع لهم في الثمن حتى بلغ مائة ألف فكتب عمر لعامله أن يدفع إليهم كنيستهم إلا أن يرضوا برضاهم فأعظمه ذلك وأعظم الناس، وفيهم يومئذ بقية من أهل الفقه وقد كبر عليهم أن يهدم المسجد ويعاد كنيسة فقال أحدهم لهم كنائس عدة لو أحبوا نعطيهم كنيستهم ولا نبقى حول مدينة دمشق ولا بالغوطة إلا هُدمت وإن شاؤوا تركت لهم كل كنيسة بالغوطة ونسجل لهم بها سجل وتركوا ما يطلبون فعرض عليهم ذلك، ووافقوا بعد ثلاثة أيام، وكتب الخليفة لهم أماناً بناء على طلبهم أمنهم أن تخرب أو تسكن وأشهد لهم شهوداً"[٤]، وقد قاموا بذلك تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ

---

(١) سمير عبد المنعم عبد الخالق أبو العينين، العلاقات الدولية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٩م.

وقد كانت هذه المعاهدة مع مواطني القدس واعتبرت أن على البيزنطيين أن يتركوا ما كانوا يستولون عليه طوعاً أو بالإكراه.

Kennedy, The great Arab conquests, p. 57.

(2) Sahas, The face to face encounter between patriarch Sophronius of Jerusalem and the Caliph Umar Ibn Al –Khatab, p. 33.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٣٠.

(٤) تاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ٢٧٣-٢٧٤.

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[1]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[2].

كما اتهم المسلمون بأنهم كانوا يهدمون الكنائس ويستخدمون حجارتها في بناء المساجد وقد تحدث عن ذلك ثيوفانس عندما ذكر أحداث عام (٦٩٠/ ٦٩١م-٧١/٧٢هـ) فقال: "أعطى عبد الملك تعليماته بإعادة بناء المعبد في مكة وأراد إزالة أعمدة كنيسة الجلجلة Gethsemane المقدسة - هذا قد يشير إما إلى كنيسة الكرب الذي لا يزال قائماً في أوائل الـ٨ المائة، أو قبر مثمنة من مريم العذراء، وإعادة بنائها من قبل الإمبراطور موريس -، الآن سرجيوس ابن منصور، وهو مسيحي جيد، الذي كان امين خزانة وعلى روابط وثيقة مع عبد الملك ونديده توسل له بـ Patricius surna med Klausys، الذي كان معروفاً بين المسيحيين في فلسطين الا يفعل ذلك، ولكنه سيقنع جستنيان بإرسال أعمدة أخرى بدلاً من تلك، وقد حدث هذا بالفعل، كما استولى الوليد في عام (٧٠٦/ ٧٠٧م-٨٧/ ٨٨هـ) على الكاتدرائية الأكثر قداسة في دمشق حسداً منه على المسيحيين، ولأن هذه الكنيسة كانت جميلة للغاية[3].

وللرد على هذه الإتهامات نجد أن المصادر العربية ذكرت: "لما ولي معاوية بن أبي سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنا في المسجد بدمشق فأبى النصارى ذلك فأمسك، ثم طلبها عبد الملك بن مروان[4] في أيامه للزيادة في المسجد وبذل لهم مالاً فأبوا أن يسلموها إليه، ثم إن الوليد بن عبد الملك[5]

---

(١) سورة العنكبوت، آية ٤٦.
(٢) سورة آل عمران، آية ٦٤.
(3) Theophanes,The Chronicle, pp. 510, 524.
(٤) ابن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه عام إحدى وستين، وتوفي عبد الملك لعشر خلون من شوال سنة ست وثمانين وهو ابن اثنتين وستين سنة، ابن حبيب، المحبر، ص ٢٢-٢٥؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٥٥-٣٥٨.
(٥) كان يكنى أبا العباس وولي الخلافة بعد وفاة أبيه، ومات يوم السبت سنة ست وتسعين وهو ابن ثلاث وأربعين سنة، ابن حبيب، المحبر، ص ٢٥-٢٦؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٥٩.

جمعهم في أيامه وبذل لهم مالاً عظيماً على أن يعطوه إياها فأبوا، فقال: لئن لم تفعلوا لأهدمنها، فقال بعضهم: يا أمير المؤمنين إن من هدم كنيسة جن وأصابته، فدعا بمعول وجعل يهدم بعض حيطانها بيده وعليه قباء خز أصفر ثم جمع الفعلة والناقضين فهدموها وأدخلها في المسجد، فلما إستخلف عمر بن عبد العزيز ﷺ شكى النصارى، إليه ما فعله الوليد بهم في كنيستهم فكتب إلى عامله يأمره برد ما زاده في المسجد عليهم فكره أهل دمشق ذلك، وقالوا نهدم مسجدنا بعد أن أذنا فيه وصلينا ويرد بيعة وفيهم يومئذ سليمان بن حبيب المحاربي وغيره من الفقهاء وأقبلوا على النصارى فسألوهم أن يعطوا جميع كنائس الغوطة التي أخذت عنوة وصارت في أيدى المسلمين على أن يصفحوا عن كنيسة يوحنا، ويمسكوا عن المطالبة بها فرضوا بذلك وأعجبهم فكتب به إلى عمر فسره وأمضاه"(١).

وقد تعرض ابن عساكر لأمر هذا المسجد فقال: "أقسم الله بأربعة مساجد وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾(٢) فهؤلاء أربعة أجبل مقدسة طور تينا وهو مسجد دمشق وطور زيتا وهو بيت المقدس وطور سيناء وهو طور موسى وطور تينانا وهو مكة(٣)، ويقال أن قوماً أدركوا في جامع دمشق شجراً من التين قبل أن يبنيه الوليد، ويقال إن حيطان مسجد دمشق الأربعة بناها هود عليه السلام وما كان من الفسيفساء فما فوق فمن بناء الوليد بن عبد الملك وبينما كان العمال يبنون الجامع وجدوا مغارة فإذا هي كنيسة ثلاثة أذرع بثلاثة أذرع وإذا فيها صندوق فيه سفط به رأس يحى بن زكريا عليهما السلام، مكتوب عليه هذا رأس يحى فأمر به الوليد فرد إلى مكانه، وقال إجعلوا العمود الذي فوقه مغيراً من الأعمدة، وبالنسبة للأمر الشائع عن هدم الوليد بقية

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٣١-١٣٢.

(٢) سورة التين، آية ١-٣.

(٣) وللتعرف على شرف مسجد دمشق وفضله انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ٢٣٦-٢٤٨.

الكنيسة وإدخاله إياها إلى الجامع وأن موضع مسجد دمشق كان كنيسة من كنائس العجم فلما فتح دمشق كان المسلمون يصلون في ناحية منها، والنصارى في ناحية عنها فلم يزالوا كذلك حتى ولى الوليد بن عبد الملك فلما ولى بعث إلى النصارى وقال لهم أعطونا نصف الكنيسة[1] الذي بأيديكم ونحن نبني لكم كنيسة حيث شئتم من دمشق فأبوا عليه فقال لهم ائتونا بالعهد فأتوه به فقال لهم قد رضيتم به فأنا أسجل البعض عنكم فنظروا فإذا كنيسة كذا وكنيسة كذا وكنيسة كذا وكنيسة كذا فرضوا بأن أعطوا الكنيسة وكف عن نسائهم، ويقال أن الوليد لما أتوه بالعهد قال لهم إنا أخذنا كنيسة توما عنوة والكنيسة الداخلة صلحا فأنا أهدم كنيسة توما، وكانت أكبر من هذه الداخلة فرضوا هدم الكنيسة الداخلة يعني نصف الكنيسة الذي كان بايديهم فهدمها وأدخلها في المسجد، وقد بدأ هدمها عام (٨٦هـ)، وشرع في بنائها عام ٨٧ هـ وأتم بنائها في عهد هشام بن عبد الملك[2].

ولتفنيد ما سبق نجد أن ابن عساكر ذكر سبب هدم الوليد بن عبد الملك للكنيسة فقال: "هدمها لأنها لم تكن في العهد، وقد قال الوليد للمغيرة المقرئ مولاه: إن المسلمين قد كثروا، وقد ضاق بهم المسجد، وقد بعثت إلى هؤلاء النصارى أصحاب هذه الكنيسة لندخلها في المسجد فأبوا علينا، وقد أقطعتهم قطائع كثيرة، وبذلت لهم مالاً فامتنعوا، فقال له المغيرة: يا أمير المؤمنين لا تغتم قد دخل خالد من باب الشرقي بالسيف، وباب الجابية دخل منه أبو عبيدة بن الجراح في الأمان فنماسحهم إلى أي موضع بلغ السيف، فإن يكن لنا فيه حق أخذناه، وإن لم يكن لنا فيه حق داريناهم حتى نأخذ باقي الكنيسة فندخله في المسجد،

---

(١) تعجب كيندي من وجود نص عند فتح مدينة دمشق ينص على إعطاء ربع الكنيسة لاستخدامها كمسجد فرآه شرطاً غريباً إذ كيف يتشارك أتباع ديانتين في مبنى ديني رئيسي للعبادة بعدما اشترك اتباعهم في حرب عنيفة، كما استخدم المسلمون نصف الكاتدرائية على انها المسجد الأول.

Kennedy, The great Arab conquests, p. 53.

(٢) ابن عساكر، التاريخ الكبير، مج ١، ص ١٩٦-٢٠٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ٢٤٩-٢٥٠.

فبلغت المسحة إلى سوق الريحان من القنطرة الكبيرة أربعة أذرع وكسر بالذراع القاسمى فإذا باقي الكنيسة قد دخل في المسجد، فبعث إليهم فقال لهم: هذا حق قد جعله الله تبارك وتعالى لنا لنصلي فيه لم يصل المسلمون في غصب وظلم لم نأخذ حقنا الذي جعله لنا، فقالوا له يا أمير المؤمنين قد أقطعتنا أربع كنائس وبذلت لنا من المال كذا وكذا فإن رأيت أن تتفضل علينا فافعل فامتنع حتى سألوه وطلبوا إليه فأعطاهم كنيسة حُميد بن درة وكنيسة أخرى جنب سوق الجبن وكنيسة مريم وكنيسة الصلبية"[1].

وهذا يدل على حسن معاملة المسلمين وتحريهم العدل وعدم الجور خلال تعاملهم مع المخالفين لدينهم.

والمعروف تاريخياً أن أهل دمشق والشام كتبوا كتاباً لأبى عبيدة بن الجراح ﷺ كما كتبوا كتاباً مماثلاً لعمر بن الخطاب ﷺ يسألونه الأمان على أنفسهم وأهل ملتهم واشترطوا له على أنفسهم شروطاً أبرزها احترام الإسلام وشعائره، وعدم التوسع في بناء أماكن جديدة لعبادتهم فضلاً عن الجهر بممارسة شعائرهم، ومراعاة مشاعر المسلمين وترك الحرية لبنى دينهم لمن أراد الدخول في الإسلام[2].

وبالنسبة للشروط التي اشترطها النصارى على أنفسهم نجد بعضها يخالف روح الإسلام الذي تجلت عظمته في العهدة العمرية والتي منح فيها عمر ﷺ للمسيحيين في بيت المقدس بعض الضمانات الدينية والاجتماعية، فهو لم يستول على الهياكل المسيحية الكبرى، وأظهر مع المسيحيين ما هو مأثور من تسامح ديني[3] فكفل لهم الحرية الدينية التي أمر بها الله ﷻ في كتابه، فليس من أحكام الإسلام أن يمنع الآخرون من التمسك بعقيدتهم فالقرآن يقرر أنه

---

(١) تاريخ مدينة مشق، ج ٢، ص ٢٥٥-٢٥٦.

Tritton, A, S., The Caliphs and their Non-Muslim subjects A critical study of the covenant of Umar, London, 1930, pp. 41-42.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ١٢٠-١٢١، ص ١٧٤-١٧٩.

(٣) عمر كمال توفيق، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٧٢.

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾[1]، ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾[2] وبالنسبة لإلزام أهل الكتاب بلبس لباس معين[3] لم يطبق أيام الرسول، أما عند الفتح الإسلامي فقد كان رداء السكان المحليين مختلفاً عن رداء العرب المسلمين، وقد منع المحليون من ارتداء زي العرب كضرورة أمنية في عصور الفتح ولعل الهدف منها تأكيد التمايز وليس التمييز بمعنى أن الزي شكل من أشكال التعبير يعبر بها الإنسان بها عن هويته[4].

رابعاً: تعريب الدواوين:

يذكر ثيوفانيس "أنه في عام (٧٥٨/ ٧٥٩م-١٤١/ ١٤٢هـ) قام العرب بطرد المسيحيين من مناصبهم الحكومية لكن لفترة قصيرة، حيث اضطروا لإعادتهم للقيام بواجباتهم مرة أخرى لأنهم غير قادرين على كتابة الأرقام، كما منع كتابة سجلات المكاتب العامة باللغة اليونانية، وإستخدمت اللغة العربية بدلاً منها بإستثناء الأرقام ولهذا السبب بقي التوثيق مسيحي حتى هذا اليوم"[5].

والمتأمل لما كتبه ثيوفانيس يجده أنه لم يكن منصفاً عندما ذكر هذا الخبر الذي يستشف منه أن عملية التعريب حدثت بمجرد دخول المسلمين تلك الأراضي، ولكن هذا لم يحدث فالمتعارف عليه أن العرب لم يكن لديهم أي اهتمام في تغيير العوامل الديموجرافية الدينية للأراضي المهزومة، فلم يكن لديهم أي رغبة في إحداث اضطراب في النظام الاجتماعي والإداري فتركت إدارة الشؤون المحلية للأفراد المحليين أو للصفوة القديمة الذين كانوا في الجهاز الإداري للإمبراطورية البيزنطية والساسانية، ثم إدخالها أو دمجها في النظام الجديد فعملوا لحساب أسيادهم الجدد[6].

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٦.

(٢) سورة الكهف، آية ٢٩.

(٣) أبي يوسف، كتاب الخراج، ص ١٢٧-١٢٨.

(٤) إياد محمد إسماعيل أبو ربيع، المواقف والعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، ص١٠٧-١٠٨.

(5) Theophanes,The Chronicle, pp. 524, 596.

(6) Lapidus, A History of Islam societies, p. 52.

وبالنسبة لطرد الموظفين المسيحيين من مناصبهم وتحويل السجلات لتكتب بالعربية نجد أن ذلك قد وقع فعلاً لكن ثيوفانيس لم يذكر الظروف التي جعلت المسلمين يقومون بهذا الأمر فالمعروف أن ديوان الشام ظل بالرومية حتى ولي عبد الملك بن مروان فلما كانت سنة (٨١هـ-٧٠٠م) أمر بنقله وذلك أن رجلاً من كتاب الروم إحتاج أن يكتب شيئاً فلم يجد ماء فبال في الدواة فبلغ ذلك عبد الملك فأدبه وأمر سليمان بن سعد بنقل الديوان فسأله أن يعينه بخراج الأردن سنة ففعل وولاه الأردن فلم تنقض السنة حتى فرغ من نقله، وأتى عبد الملك فدعا بسرجون كاتبه فعرض ذلك عليه فغمه وخرج من عنده كئيباً فلقيه قوم من كتاب الروم فقال اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم"(١)، وفي عهد الوليد بن عبد الملك منع الكتاب النصارى من أن يكتبوا الدفاتر بالرومية لكن أمروا أن يكتبوها بالعربية"(٢)، فحلت العربية محل اليونانية بالديوان الأموى إلا أن العرب اضطروا للاحتفاظ بنفس النظام بل وبعلامات الترقيم البيزنطية وظل كتابهم من النصارى، فالديوان الأموى ظل لفترة طويلة في أيدى أسرة سرجون البيزنطية، فوجد امتزاج بقايا الحضارة البيزنطية التي وجدت في الشام ومصر وفلسطين بمقوماتها الاقتصادية والفكرية والفنية مع العنصر العربي الذي جاء رافعاً راية الإسلام(٣)، وترى الباحثة أن لا ضير في أن يكون الديوان باللغة العربية لغة القرآن وهي رمز لهوية المسلمين، كما أنهم لم يكونوا يعرفون غيرها، كما كان الكتاب اليونان يتلاعبون بما يكتبونه، لذا أضحى من الواجب أن يتم التسجيل باللغة العربية حيث إنه لا يعقل أن تكتب دولة ما بلغة عدوها.

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٠١.

Tritton, The Caliphs and their Non-Muslim subjectets, pp. 18-19.

(٢) ابن العبري، مختصر الدول، ص ١٠٠.

(٣) عمر يحيى، التوجهات في العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الدولة البيزنطية والدولة الإسلامية في عهد الأسرة الأيسورية (٧١٧-٨٢٠م/ ٩٨-٢٠٥هـ)، السعودية، د. ت، ص ٢٨.

خامساً: الأيقونات(١) والصور:

كان للأيقونات مكانة في قلوب كثير من البيزنطيين جعلتهم يدافعون عنها بكل قوتهم ويهاجمون كل من يعارضها، فتعرض ثيوفانيس لهذا الأمر فقال: "جاء ساحر يهودي من مواليد اللاذقية/ لاوديكيا Laodikeia بفينيقيا البحرية Maritime Phoenicia إلى يزيد[٢] ووعده بأنه سوف يحكم العرب أربعين سنة إذا دمر الأيقونات المقدسة التي يتم تبجيلها في الكنائس المسيحية طوال فترة حكمه، وقد أقنع يزيد بعدم أهميتها، لذا أصدر يزيد مرسوماً عاماً[٣] ضد الصور المقدّسة، ولكن بنعمة ربنا يسوع المسيح وبشفاعة أمه العفيفة وكل القديسين توفي يزيد في نفس العام قبل وصول مرسومه الشيطاني لمعظم الناس[٤]، ورغم أن مرسوم يزيد كان قصير الأمد إلا أن هذا الأمر أثر على المسيحيين ولربما تسبب في المروق في بيزنطة[٥]، وقد لاق هذا اعتراضاً واسعاً[٦].

---

(١) Icons مصطلح مشتق من الفعل الإغريقي القديم Eiko بمعنى أنا أشبه أو أماثل والإسم Eikon معناه صورة أو صورة مقدسة، إبراهيم على طرخان، الحركة اللاإيقونية في الدولة البيزنطية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٦.

(٢) هو ابن عبد الملك بن مروان، ويكنى أبا خالد، تولى الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز، وتوفى بالبلقاء من أعمال دمشق لأربع بقين من شعبان سنة خمس ومائة، فكانت ولايته أربع سنين وشهراً، ومات وهو ابن سبع وثلاثين سنة، أنظر: ابن حبيب، المحبر، ص٢٨-٢٩؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٣٦٤.

(٣) عام (٧٢٣م-١٠٤هـ) حظر فيه الصور من الكنائس المسيحية.

Shedlock,The iconoclastic edict of the Emperor Leo III,, P. 50

وأمر بتحطيم جميع الصور في جميع الكنائس والبيوت والمحلات وأرسل من يحطمها فحطمت، ويقال إنه قال لاثين عاماً، أسد رستم، حرب في الكناس، ص ١٨.

(4) Theophanes,The Chronicle, p. 555.

(5) Triger, the Arabic tradition, p. 92.

(٦) وللتعرف على الكتابات التي كتبت ضد أعداء الصور يمكن الرجوع إلى:

Joannis Damasceni ... opera omnia qua exstant opera et studio P. Michaelis Lequien, P G 94, PP. 1383-1390,, adversus Constantinum cabalinum, pp. 323 ff, Sancti Patris nostril Gregorii papae Romani de Sacris imaginibus ad Leonem Isaurum imperatorem Epistula prima m Mansi, Sacrorum Conciliorum, XII, =

كما قام الإمبراطور ليو بنفس الخطأ المؤلم فأصبح مسؤولا عن إلحاق الكثير من الشرور بنا، وكان شريكه في هذه الفظاظة - رجل يدعى بيسر Beser كان أسيراً في سوريا وتخلى عن الإيمان المسيحي وأصبح مشبع بالمذاهب العربية، وعاد إلى الدولة الرومانية بعدما أطلق سراحه من العبودية، فأعجب ليو بقوة جسمه ولبقاته فقربه إليه ووافقه في بدعته أسقف Nakoleia الذي كان مليئاً بكل أنواع الشر"[1].

ولتفنيد ما سبق لابد من التعرض لتاريخ الأيقونات والصور التي لا يعرف متى بدأ إستخدامها في بيزنطة على نطاق واسع، ولكنها كانت موجودة وقت حكم الإمبراطور قسطنطين الأول Constantine I، وبحلول منتصف القرن الرابع الميلاى تم تمثيل السيد المسيح في الفسيفساء وغيرها من الأعمال كالصور والمنسوجات[2]، وقد لجأت الكنيسة منذ فترة مبكرة من تاريخها بإستخدام الأيقونات كوسيلة لتعليم أتباعها، ومنذ فترة مبكرة أيضاً أخذ المؤمنون بشيء من التشجع من قبل رجال الدين في احترام بل وتقديس بعض تلك الصور[3]، ولكن في القرن الثامن بولغ في تقدير تلك الأيقونات والإعتزاز بها، ففي كل مكان في الكنائس والأديرة بل أيضاً في المساكن والحوانيت وفوق الأثاث والملابس وضعت صور المسيح والعذراء والقديسين، وقد أخذ الناس يسجدون لها ويضيئون أمامها المشاعل والشموع ويزينونه بالأشرطة ويحرقون لها البخور ويقبلونها

= PP.960-981, S.P.N. Theodori Studitae (759-826) opera omnia, PG 99, Antirrheticus primus, secundo et tertio adversus iconomachos, pp. 327 ff, Constantini Manssis Compendium Chronicum, PG 127, colume. 375-386, By Unknown, chronographiaica narratio, complectens ea quae tempore leonis filii bardae armeni contigerunt, pp. 1023-1035

(1) Anastasii, Historia Ecclesiastica ex Theophane, CSB, p. 618, Theophanes,The Chronicle, p. 555.

(2) Shedlock, R, J., The iconoclastic edict of the Emperor Leo III, 726 A. D, MA Theses, University of Massaohusetts Amherst, 1968, PP. 40-42.

(٣) كان باسيلوس الكبير وغريغوريوس النيسي ممن استصوبا الاستعانة بالتصوير، أسد رستم، حرب في الكنائس، ص ٩.

بإخلاص وخشوع، وأصبحوا يقسمون بالأيقونات، ونسبت إليها المعجزات والقدرة على شفاء المرضى، صحيح أن رجال الدين قد قالوا في بادئ الأمر: إن الأيقونات ما هي إلا صور للقديسين، ولكن العامة ما لبثوا أن نسوا ذلك وولوا اهتمامهم بشكل مباشر للأيقونات التي بدت لهم كأشخاص واقعيين، والتاريخ البيزنطي مليء بالأساطير الدينية عن الأيقونات التي تتكلم وتتحرك، ومنذ فترة مبكرة ثار الكثير من المؤمنين المسيحيين على ذلك التدهور في العقيدة المسيحية[1]، حيث لم يرض هذا الفريق عن هذا الأمر، فبدت تظهر معالم الإحتجاج والإنكار لتقديس الأيقونات ومقاومتها من آن لآخر[2]، وكان على رأس هؤلاء أفسابيوس Eusebius أسقف قيصرية فلسطين (٣٤٠م) الذي لم يرض عن التزيين والتزويق ورأى في تعليق الصور وإقامة التماثيل لدعة وضلالاً، وإشترك في هذه المعارضة في هذا القرن الرابع أستيريوس Austerivs أسقف أماسية Amasea البونط الذي احتج على التطرف في تزيين الكنائس[3]، ومنذ أواخر القرن الخامس الميلادي أبدى بعض الأساقفة إنكارهم لما يعمله الأيقونيون من السجود للصور المقدسة حيث رأوه ضرب من الوثنية، وكان على رأس الرافضين الأسقف فيلوكسين Philoxin في هيرابوليس Hierapolis وخلال القرن السادس الميلادي قامت حركة عامة في إنطاكية ضد عبادة الصور وتطورت هذه الحركة في الرها حيث قذف العساكر الثائرون صور المسيح بالأحجار، ومن أبرز المسئولين الذين قاوموا الأيقونات الإمبراطور موريس Maurice (٥٨٢-٦٠٢م) كما قام سيرينيوب Serenube أسقف مرسيليا Marseille الذي خطا الخطوة العملية في إنكار الأيقونات حيث حطم جميع الأيقونات بالكنائس[4] وازدادت الحركة التي كانت ضد عبادة الأيقونات قوة في القرن السابع الميلادي وخاصة في الألوية الآسيوية

---

(١) أسد رستم، حرب في الكنائس، ص ٩-١٣؛ عمر كمال توفيق، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٨٤-٨٥.

(٢) إبراهيم على طرخان، الحركة اللاإيقونية، ص ٨-١٠.

(٣) أسد رستم، حرب في الكنائس، ص ٩، وللتعرف على المزيد ممن رفضوا الأيقونات وإحتجوا عليها انظر: أسد رستم، ص ١٩-٢٠.

(٤) إبراهيم على طرخان، الحركة اللاإيقونية، ص ٨-١٠.

من الإمبراطورية على الأرجح لتأثير اليهودية والإسلام [1] نظراً للاحتكاك المباشر والدائم بين الطرفين بمختلف صوره العسكرية والاقتصادية والثقافية، والمسلمون منذ البداية أعلنوا موقفهم من هذه الصور والتماثيل وكانوا يعارضونها أشد المعارضة ويعتبرونها شكلاً من أشكال الوثنية، لذلك كانوا دائمي المعايرة للنصارى بأنهم وهم أهل كتب إلا أنهم تحولوا إلى عباد للأوثان والصور، وكان هذا الموقف يأخذ صوراً مختلفة من التعبير والبروز، وكان أثر هذا الموقف واضحاً في تأثيره على الأرمن الذين كانوا يجاورون المسلمين فنجد أنه في عهد الإمبراطور فيليبكوس Philippus (711-713م/92-94هـ) والذي سبق عهد ليو الثالث Leo III بقليل وكان أرمينياً، لم يعترض على تلك العدواة التي أظهرتها أرمينيا للصور والتماثيل بل وسمح بالنقاش حول هذا الموضوع وكان مؤيداً له، ولا شك أن هذا الموقف كان تأثراً مباشراً بالمسلمين وبفكرهم عن التصوير والتمثيل ومحاربة إتخاذها رموزاً للعبادة، ومن أجل ذلك ما دخل هذا الإمبراطور نزاعاً مع كنيسة روما، وكانت أرمينيا الموطن الاصلي لهذا الإمبراطور، والجزء الهام من أراضي الإمبراطورية الشرقية موطناً لكثيرين من رجال الدين وقواد الجيوش والأباطرة الذين حاربوا عبادة الصور والايقونات، ولاشك أن تركز المعارضين لعبادة الايقونات في الولايات الشرقية للإمبراطورية البيزنطية كان له الكثير من الأسباب، لعل من أهمها مجاورة تلك الولايات للدولة الإسلامية والاحتكاك العسكري الدائم، وما أحرزه من تأثير فكري وعقائدي، لا يمكن إنكار أنه كان موجوداً وواضحاً وبارزاً، يضاف إلى ذلك أن طائفة البيالصة -Pauliciance وهم أحدى الطوائف المسيحية- الذين عاشوا في وسط الجزء الشرقي لآسيا الصغرى، وكانوا على صلات بالمسلمين كانوا يعارضون عبادة الصور، وكان لهم تأثيرهم وعلاقتهم الواضحة بالإمبراطور فيليبكوس الذي أتاح لهم نشر أرائهم وأفكارهم في تلك الأنحاء، وكان اليهود

---

(١) عمر كمال توفيق، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٨٤-٨٥.

أيضاً والذين تواجدوا في الولايات الشرقية للإمبراطورية، مثلهم مثل المسلمين، يستنكرون عبادة الأيقونات، وهاجموها بشتى الصور[١].

وبالنسبة للإمبراطور ليو فهو من أصل آسيوي ونشأ في إقليم مناهض لعبادة الأيقونات[٢]، فهب لدحض الأيقونات وهو الأرثوذكسي المتحمس[٣] وخلفاؤه الأيسوريين الذين كانوا أتقياء مخلصين ومنهم رجال تفقهوا في علم اللاهوت، كما كانوا مهتمين بتنقية الكنيسة من الشوائب التي علقت بها من جراء عبادة الأيقونات حتى يتجنبوا بذلك غضب السماء، وأنهم قد حاولوا ذلك بالتعاون مع بعض رعاياهم ورجال الكنيسة[٤]، وقد قرر ليو تطهير الكنيسة من الممارسات غير الصحية وغير التقليدية، وكان غرضه تنقية الدين ورفع مستوى المجتمع، فكان يقوم بمهمة شاقة، وهي إزالة الصور من الكنيسة والتي كانت تقليدية لمئات السنين على الرغم من أنها كانت مصممة لإرشاد المؤمنين[٥]، لكنهم أحاطوها بهالة من التقديس والإجلال، بل وصلت إلى مرحلة أنهم كانوا يسجدون ويركعون لها ويرتلون الأناشيد الدينية، مما ساعد على تفشي الجهل والتأخر واختلاط التعاليم الدينية بالأوهام والأساطير[٦]، وبالطبع كان هناك معارضين لرافضي الأيقونات تحركهم مصالحهم الخاصة لذا عارض رجال الدين

---

(١) عمر يحيى، التوجهات في العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية، ص ٣٢.

(٢) عمر كمال توفيق، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٨٥.

(٣) إبراهيم على طرخان، الحركة اللاإيقونية، ص ١٠.

(٤) وللتعرف على الكتابات التي كتبت ضد أعداء الصور يمكن الرجوع إلى:
Joannis Damasceni … opera omnia qua exstant opera et studio P. Michaelis Lequien, P G 94, PP. 1383-1390,, adversus Constantinum cabalinum, pp. 323 ff, Sancti Patris nostril Gregorii papae Romani de Sacris imaginibus ad Leonem Isaurum imperatorem Epistula prima m Mansi, Sacrorum Conciliorum, XII, PP. 960-981, S.P.N. Theodori Studitae (759-826) opera omnia, PG 99, Antirrheticus primus, secundo et tertio adversus iconomachos, pp. 327 ff, Constantini Manssis Compendium Chronicum, PG 127, colume. 375-386, By Unknown, chronographiaica narratio, complectens ea quae tempore leonis filii bardae armeni contigerunt, pp. 1023-1035

(5) Shedlock,The iconoclastic edict of the Emperor Leo III, P. 55

(٦) عفاف صبرة، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية، ص ٧٦.

الحركة اللاأيقونية ولعل سبب معارضة رجال الدين هو خوفهم على نفوذهم وأموالهم؛ فالمعروف أن الرهبان كانوا قد إستحوذوا على نفوذ كبير بفضل اشرافهم على الأيقونات وعبادتها، بالإضافة إلى زيادة سيطرة الأديرة على مساحات واسعة من الأراضي معفاة من الضرائب بالإضافة إلى جذبها عدد كبير من الرجال للعمل بها، فحرمت الإمبراطورية من مواردها المالية والبشرية حيث صرف هؤلاء الرجال عن الخدمة في الجيش؛ لذا أضحى هذا الوضع جد خطير على الإمبراطورية، فقرر ليو ومن أتى بعده التخلص من هذا الخطر[١]، لذا قد يكون موقف ليو من الأيقونات سياسياً إدارياً[٢]، بل لا يخفى ما كان للصلات الثقافية من تأثير على أرض الواقع، فقد رأى المؤرخون أنها كانت واحدة من ملامح التأثير الثقافي والعقائدي لدى البيزنطيين ماعرف بقضية اللاأيقونية أو محاربة عبادة الصور Iconclastism، وكان أول المعترضين على هذا القرار البطريرك جرمانوس بطريرك القسطنطينية والبابا جريجوري الثاني بابا روما ويوحنا الدمشقي الذي كان يشغل وظيفة كبيرة في البلاط الأموي وإستقال ليتفرغ للرد على محطمي الأيقونات والتقليل من شأنها[٣].

وبالنسبة لمحاولة جعل الإمبراطور ليو كمن يحاول إرضاء اليهود أو العرب بقراره ضد الأيقونات، ترى الباحثة أن هذا لا يعقل؛ صحيح أن اضطهاداته لمؤيدى الأيقونات لا يغفل عنها وكذلك عداؤه وحروبه ضد العرب، فالمعروف أن الإسلام ينهى عن الوثنية وما يشبهها عن قرب أو عن بعد، وبالنسبة للديانة اليهوية فالمعروف أنها تحرم عبادة الصور وأعلنوها صراحة أنها تخالف عقيدتهم، ولعل ليو الأيسوري اعتقد أن تقارب العقيدة المسيحية من التعاليم

---

(١) عمر كمال توفيق، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٨٥-٨٩.

(٢) أسد رستم، حرب في الكنائس، بيروت، ١٩٥٩م، ص ٢١-٢٢.

(٣) عمر يحيى، التوجهات في العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الدولة البيزنطية والدولة الإسلامية، ص ٣٠.

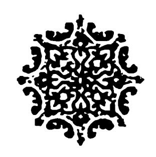
وللتعرف على ما كتبه الدمشقي انظر: يوحنا الدمشقي، آراؤه اللاهوتية، ص ٣٧، ٤٦؛ أسد رستم، حرب في الكنائس، ص ٢٦-٢٧.

Shedlock,The iconoclastic edict of the Emperor Leo III, P. 56

الإسلامية واليهودية في هذا الصدد يسهل عليه سياسياً أمر خضوع المسلمين واليهود أو توقي شرهم على الأقل حماية لإمبراطوريته[1].

وقد كان عمر بن عبد العزيز ﵁ يتبع عادةً إسلامية في الكتابة إلى الحكام المسيحيون، في محاولة لتحويلهم إلى الإسلام، فسأل الإمبراطور في إحدى رسائله: لماذا تعبدون عظام الرسل والانبياء وأيضا الصور والصليب، فأجاب الإمبراطور ليو: بالنسبة للصور، نحن لا نعطيهم هذا الاحترام، إلا الذي تلقيناه من الكتاب المقدس وذلك من خلال العثور على وصية في العهد القديم وهي الأمر الإلهي لموسى أن أعدم في المعبد شخصيات من الشيروبيم Cherubim، ومحفزة بالتعلق الصادق لتلاميذ الرب الذين احترقوا حب المخلص نفسه، لقد شعرنا دائماً بالرغبة في الحفاظ على صورهم فيصبحوا كأحياء ونمجد الله الذي لديه أنقذنا بواسطة وسيط ابنه الوحيد، ونمجيد القديسين. ولكن بالنسبة للخشب والألوان، فنحن لا نعطيهم أي تقديس[2].

وبالنسبة لقول ثيوفانيس أن ساحراً يهودياً/ عرافاً هو من تنبأ ليزيد بذلك فهو بالتأكيد غير صحيح إطلاقاً خاصة إذا علمنا أن يزيد هذا لم يعمر في الحكم كما تنبأ له العراف اليهودي، وإنما حكم قرابة أربع سنوات فقط، وإنما كان موقفه نابعاً من عقيدته الدينية.



(١) إبراهيم على طرخان، الحركة اللاإيقونية، ص ١٠-١٢؛ عمر يحيى، التوجهات في العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية، ص ٣٣.

(2) Shedlock,The iconoclastic edict of the Emperor Leo III, PP. 50-52

الخاتمة

وبعد أن انتهينا من عرض وجهات النظر البيزنطية تجاه الإسلام والمسلمين خلال (القرنين الثاني والثالث الهجريين الثامن والتاسع الميلاديين) آنذاك برزت لنا واتضحت نتائج مهمة منها:

- وجود اتصال للعرب مع القوى المعاصرة في هذا الوقت كالدولة البيزنطية والدولة الفارسية قبل مجئ الإسلام، وقد قسم العرب ولائهم بين هاتين القوتين، بل إنهما شاركا في النزاع الدائر بينهما.

- أبرزت الدراسة وجود عدة مسميات للعرب يرجع أصلها للرافد التوراتى والرافد الكلاسيكي اليوناني، - كالإسماعيليون والهاجريون والسراقنة وساكني الخيام والسراسن - وقد أريد بهذه المسميات رسم صورة ذهنية مشوهة عن العرب في عقول المسيحيين البيزنطيين، وبمرور الوقت حدث دمج للرافدين وأصبح مصطلح أي منهما يشير للعرب بما يحمله من محتوى سلبي.

- ولعل أبرز النتائج أن الدراسة ألقت الضوء على أن البيزنطيين هم حملة لواء تشويه الإسلام، في عيون النصارى من خلال تتبع الدراسة لشبهات البيزنطيين حول الرسول ﷺ وخلصت أنهم حاولوا إستخدام حياته الخاصة للنيل منه ولتشويه صورته في عيون بني جلدتهم كي يمنعونهم من التفكير في الدخول في هذا الدين.

- ألحق البيزنطيون الأكاذيب بالنبي محمد ﷺ لهدم أساس الإسلام.

- تعرضت الدراسة لما كتبه الجدليون عن الإسلام ودحض الوحي ومحاولتهم وسمه بالهرطقة المسيحية فتوصلت إلى أن الإسلام دين راسخ البنيان لا يزعزعه إدعاء مدع أو تشكيك كائن من كان؛ لأن الأدلة والقرائن على صدقه وانتسابه إلى الله ثابتة ولا ينكرها إلا جاحد أو حاقد.

- ألقت الدراسة الضوء على رد فعل الجدليين البيزنطيين للإسلام ونبيه محمد ﷺ وقد برز ذلك من خلال رفضهم للعقيدة الإسلامية من خلال محاولة هدم ثوابت الإسلام، فأضحت محاولتهم يشوبها الوضوح حيث ربطوا الإسلام بالهرطقات المسيحية المنتشرة في ذلك الوقت، بل إنهم عالجوا ثوابت الإسلام بشيء من السطحية والتشويه فبرز عدم معرفتهم الجيدة بالإسلام، وخشيتهم من إنتشاره في ربوع العالم.

- أبرزت الدراسة أن يوحنا الدمشقي هو رائد التشكيك الأول في الثوابت الإسلامية، حيث لم يصف الإسلام إلا بالهرطقة، كما أنه كان جاهلاً بحقيقة الإسلام، وأن إتهامه المسلمين بالوثنية ما هو إلا رد فعل على اتهام المسلمين للمسيحيين بالوثنية.

- أبرز البحث أن يوحنا الدمشقي سلط الضوء على العلاقة بين المسيحية والإسلام في وقت مبكر.

- ومن أبرز محاولات التشويه التي شنها البيزنطيون بدعاية غير منصفة قيامهم بتصوير المسلميين كمن يلهثون وراء شهواتهم وذلك خلال دحضهم للثواب الإسلامي في الآخرة.

- وقد توصلت الدراسة إلى أن أمر الثواب والعقاب الذي إستخدمه البيزنطيون كذريعة لدحض الإسلام يعد من أبرز سمات الإسلام ومن أبرز الأدلة على أنه منزل من عند الله ﷻ.

- كما وضح أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي أعلى من شأن المسيح ﷺ وأمه مريم الصديقة، وأحاطهما بهالة من الإحترام والتقدير.

- أثبتت الدراسة أن جذور الصراع الإسلامي البيزنطي منذ عصر الرسول ﷺ كأساس لفهم طبيعة الصراع الإسلامي البيزنطي.

- عندما أرسل النبي محمد ﷺ سراياه وغزواته كان يحركه هدفان الأول: وأد محاولات العرب المتنصرين ومن خلفهم البيزنطيين في مهدها، ومن ثم محاولة نشر الإسلام في تلك المناطق.

- وقد رأينا تمسك الخلفاء الراشدون بالسير على خطى النبي ﷺ بنشر الإسلام بين الناس، فبدأت حركة الفتوحات الإسلامية بمجرد تولى الصديق الحكم واستمرت في عهد خليفته عمر الفاروق ﷺ حيث توسعت رقعة الإسلام فشملت الشام ومصر والعراق ومناطق أخرى.

- أثبت البحث أن نيقيتاس البيزنطي درس القرآن من خلال ترجمات خاطئة؛ حيث لم يكن هناك نسخة مضبوطة في ذلك الوقت.

- أبرزت الدراسة عدم تفريق الإسلام بين الدين والسياسة، وكذلك بيزنطة التي لم تفرق بين عالمية الإنجيل وعالمية الإمبراطورية، لذا لجأ أتباع كل دين لإثبات أن دينهم هو الدين العالمى.

- أبرزت الدراسة أن كثير من المحاورات والمناظرات التي تحدث عنها الكتاب البيزنطيين وأنها قالوا أنها كانت تتم مع الجانب الإسلامي أو مع طوائف مسيحية كانت في كثير من الأحيان من وحى خيال مؤلفها لتقديم حجج على المسلمين ولتثبيت مسيحي الشرق الذين يتعرضون لأسئلة المسلمين المحرجة.

- أثبتت الدراسة أن المحاورات التي حدثت مع الخلفاء إن صح حوثها فإنما تدل على أن كل من البطريرك تيموثي وثيودور أبو قرة بالانفتاح الفكري الذي كان في عهد الخليفة المهدي وخلفائه هارون الرشيد والمأمون.

- أثبتت الدراسة أن محاولة الكتاب الربط بين الإسلام والمسيحية بجعل الأول هرطقة مسيحية كان الهدف منه وضع سد منيع بين المسيحيين والإسلام كي لا يفكر أحد من المسيحيين في بالبحث في هذا الدين أو التعرف عليه فضلاً عن التفكير في إعتناقه.

- أبرزت الدراسة أن الكتاب لم يكونوا منصفين في كتاباتهم عن الإسلام والمسلمين، فلم يراعوا أية معايير للإنصاف.

- أبرزت المناقشات سواء التي ذكرها يوحنا الدمشقي أو البطريرك تيموثي أو التي حدثت في بلاط الخليفة المأمون أن هناك محاولة مستميتة لإظهار المحاور المسيحي وهو يمسك بزمام الحوار وأن المحاور المسلم ساذج يقر بكل ما يقوله خصمه.

- أثبتت الدراسة أن المحاور المسيحي كان يستخدم آيات القرآن كدليل تكميلى ظناً منه أنها تؤيد حجته.

- أثبتت الدراسة ضعف الشبهات التي أوردتها المؤلفات المسيحية والتي تتعلق بالمارسات الإسلامية.

- أوضحت الدراسة أن تمسك المسلمين بعقيدتهم الإسلامية وإعدادهم للجهاد كان له أثر كبير في نجاحهم في فتح بلاد الشام ومصر.

- قدم الأسطول الإسلامي خدمات جليلة للدولة الإسلامية حيث أنجز فتح بعض جزر البحر المتوسط.

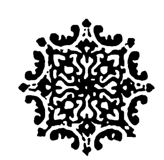
- تعرض البحث لعدد من المعاهدات التي تمت بين الجانبين الإسلامي والبيزنطي خلال فترة الدراسة، وقد برز أن القوى هو من يملي شروطه على الضعيف.

- تعرضت الدراسة لشبهات البيزنطيين في الفقه الإسلامي وخلصت إلى أن الأديان جميعاً تدعوا إلى ما فيه صلاح العباد لأنها آتية من منبع واحد.

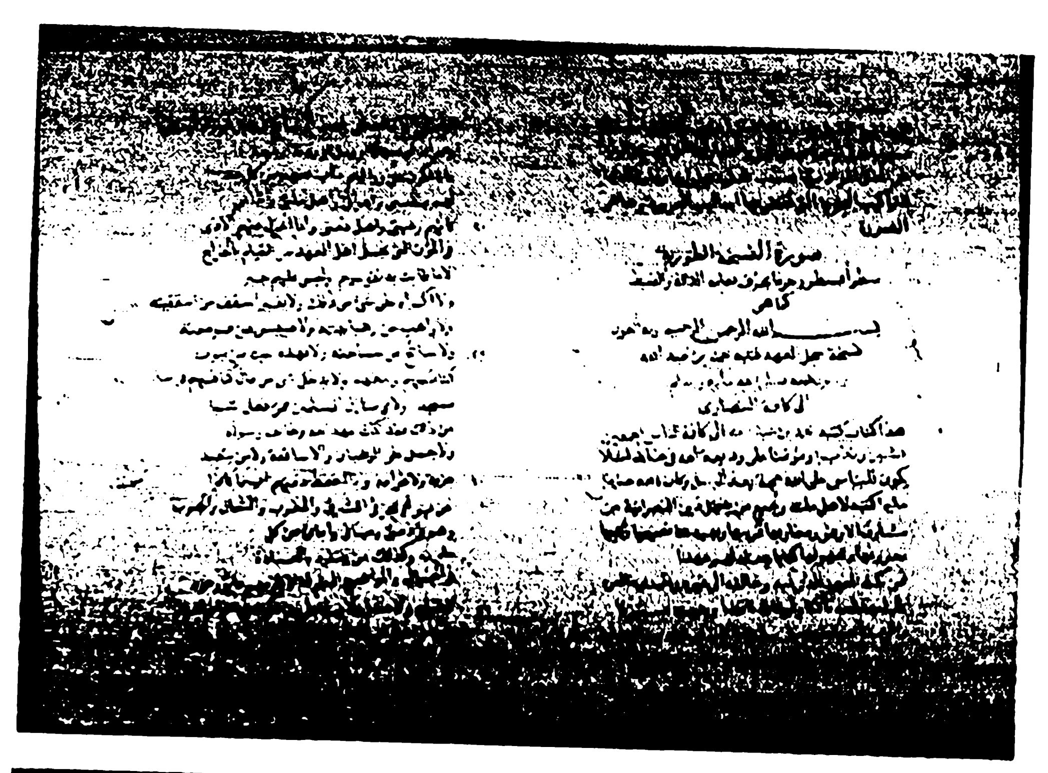
- استغل الجدليون بعض الأحداث التاريخية التي وقعت في الشام، وتم إخراجها من سياقها للقول بأنه حدث نوع من الإضطهاد للمسيحيين في الشام.

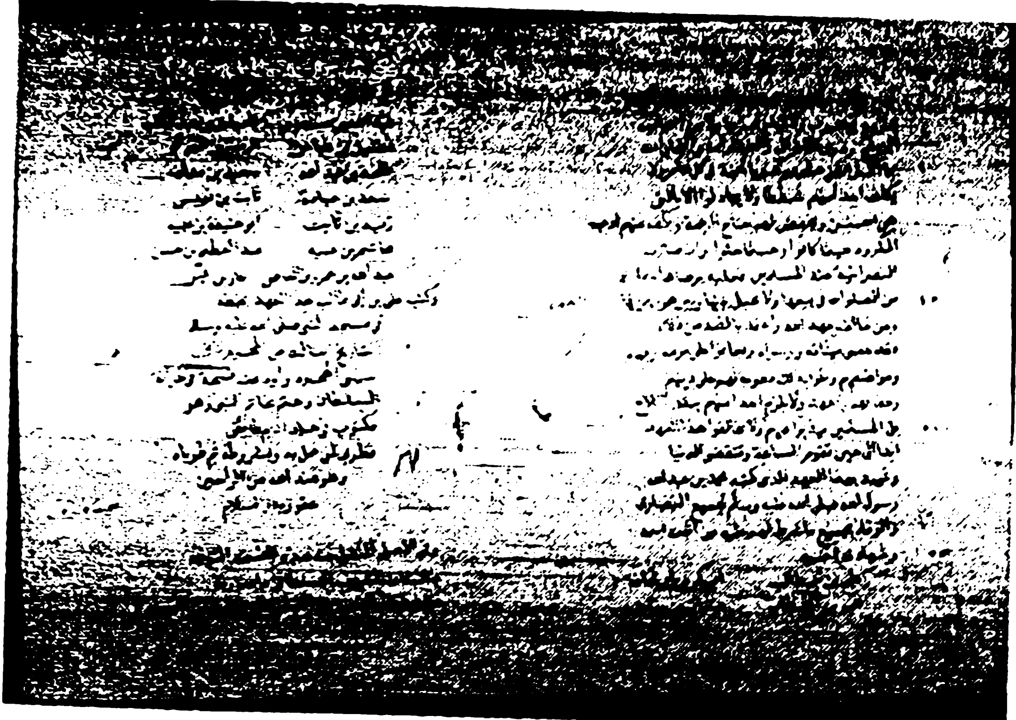
- نستنتج أن هناك تأثيراً إسلامياً في ظهور حركة محاربة الصور وتحطيم الايقونات وكان هذا التأثير نتيجة طبيعية للجوار والاحتكاك.

- ترتب على فتح المسلمين للشام ومصر وجود نوع من الاحتكاك الفكرى نجح المسلمون من الاستفادة منه.



الملاحق والصور





ملحق رقم (١)

صورة لمخطوطة العهدة النبوية الطورية، دار الكتب المصرية، ١٩٦٣م.

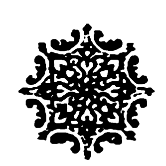
«النص»

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله إلى كافة الناس أجمعين بشيراً ونذيراً ومؤتمناً على وديعة الله في خلقه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً، كتبه لأهل ملته ولجميع من ينتحل دين النصرانية من مشارق الأرض ومغاربها قريبها وبعيدها، فصيحها وعجميها، معروفها ومجهولها.. كتاباً جعله لهم عهداً فمن نكث العهد الذي فيه وخالفه إلى غيره وتعدى ما أمره كان لعهد الله ناكثاً ولميثاقه ناقضاً وبدينه مستهزئاً وللّعنة مستوجباً سلطاناً كان أو غيره من المسلمين المؤمنين، وإن احتمى راهب أو سائح في جبل أو واد أو مغارة أو عمران أو سهل أو رمل أوردته أو بيعة فأنا أكون من ورائهم ذاب عنهم من كل عدو لهم بنفسي وأعواني وأهل ملتي وأتباعي كأنهم رعيتي وأهل ذمتي وأنا أعزل عنهم الأذى في المؤن التي يحمل أهل العهد من القيام بالخراج إلا ما طابت به نفوسهم وليس عليهم جبر ولا إكراه على شيء من ذلك، ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا حبيس من صومعته ولا سائح من سياحته ولا يهدم بيت من بيوت كنائسهم وبيعهم، ولا يدخل شيء من بناء كنايسهم في بناء مسجد، ولا في منازل المسلمين فمن فعل شيء من ذلك فقد نكث عهد الله وخالف رسوله، ولا يحمل على الرهبان والأساقفة ولا من يتعبد جزيةً ولا غرامة وأنا أحفظ ذمتهم أين ما كانوا من بر أو بحر في المشرق والمغرب والشمال والجنوب وهم في ذمتي وميثاقي وأماني من كل مكروه، وكذلك من ينفرد بالعبادة في الجبال والمواضيع المباركة لا يلزمهم ما يزرعوه لا خراج ولا عشر ولا يشاطرون لكورة برسم أفواههم ويعانوا عند إدراك العلة باطلاق قدح واحد من كل أردب برسم أفواههم ولا يلزموا بخروج في حرب ولا قيام بجزية، ولا من أصحاب الخراج وذوي الأموال والعقارات والتجارات مما أكثر اثنتي عشر درهم بالحجة في كل عام، ولا يكلف أحداً منهم شططاً ولا يجادلوا إلا بالتى هي أحسن ويخفض لهم جناح الرحمة، ويكف

عنهم أدب المكروه حيثما كانوا وحيثما حلوا، وإن صارت النصرانية عند المسلمين فعلية يرضاها بتمكينها من الصلوات في بيعها ولا يحيل بينها وبين هوى دينها، ومن خالف عهد الله واعتمد بالضد من ذلك فقد عصى ميثاقه ورسوله ويعانوا على حرمة بيعهم ومواضعهم ويكون ذلك معونة لهم على دينهم وفقاً لهم بالعهد ولا يلزم أحد منهم بنقل سلاح، بل المسلمين يذبوا عنهم ولا يخالفوا هذا العهد أبداً إلى حين تقوم الساعة وتنقضى الدنيا، وشهد بهذا العهد الذي كتبه محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ لجميع النصارى والوفاء بجميع ما شرط لهم عليه من اثبت اسم في مسجد النبي ﷺ وشهادته آخره".

وفي آخر المخطوطة مكتوب: "وكتب علي بن أبي طالب هذا العهد بخطه في مسجد النبي ﷺ بتاريخ الثالث من محرم ثانى سنى الهجرة وشهد بهذا العهد صحابة رسول الله ﷺ ومنهم: أبو بكر بن أبي قحافة، عمر بن الخطاب، عثمان ابن عفان، علي بن أبي طالب، عبد الله بن مسعود، العباس بن عبد المطلب، والزبير بن العوام، وأودعت نسخة في خزانة السلطان وختم بخاتم النبي وهو مكتوب في جلد أديم طائفي فطوبى لمن عمل به وبشروطه ثم طوبى وهو عند الله من الراجين عفو ربه والسلام".



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

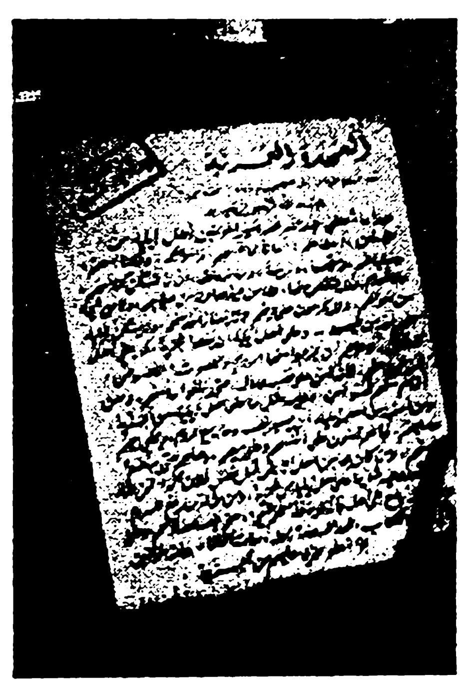
وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك ..... كتب وحضر سنة ١٥ هـ

خالد بن الوليد، عمرو بن العاص، عبد الرحمن بن عوف، معاوية بن أبي سفيان ..... عمر بن الخطاب

ملحق رقم (٢) العهدة العمرية

library.foraqsa.com



flickr.com

ورغم أن هناك شكوك في صحة هـذا العهـد لكنـه لا يتنـافى مـع تعـاليم الإسلام وعدل عمر بن الخطاب وحسن تعاملـه مـع أهـل الذمـة الـذين شـعروا بعدله، لذا لم يسلموا القدس إلا له.

«النص»

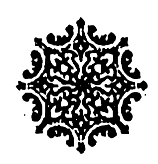
بسم الله الرحمن الرحيم

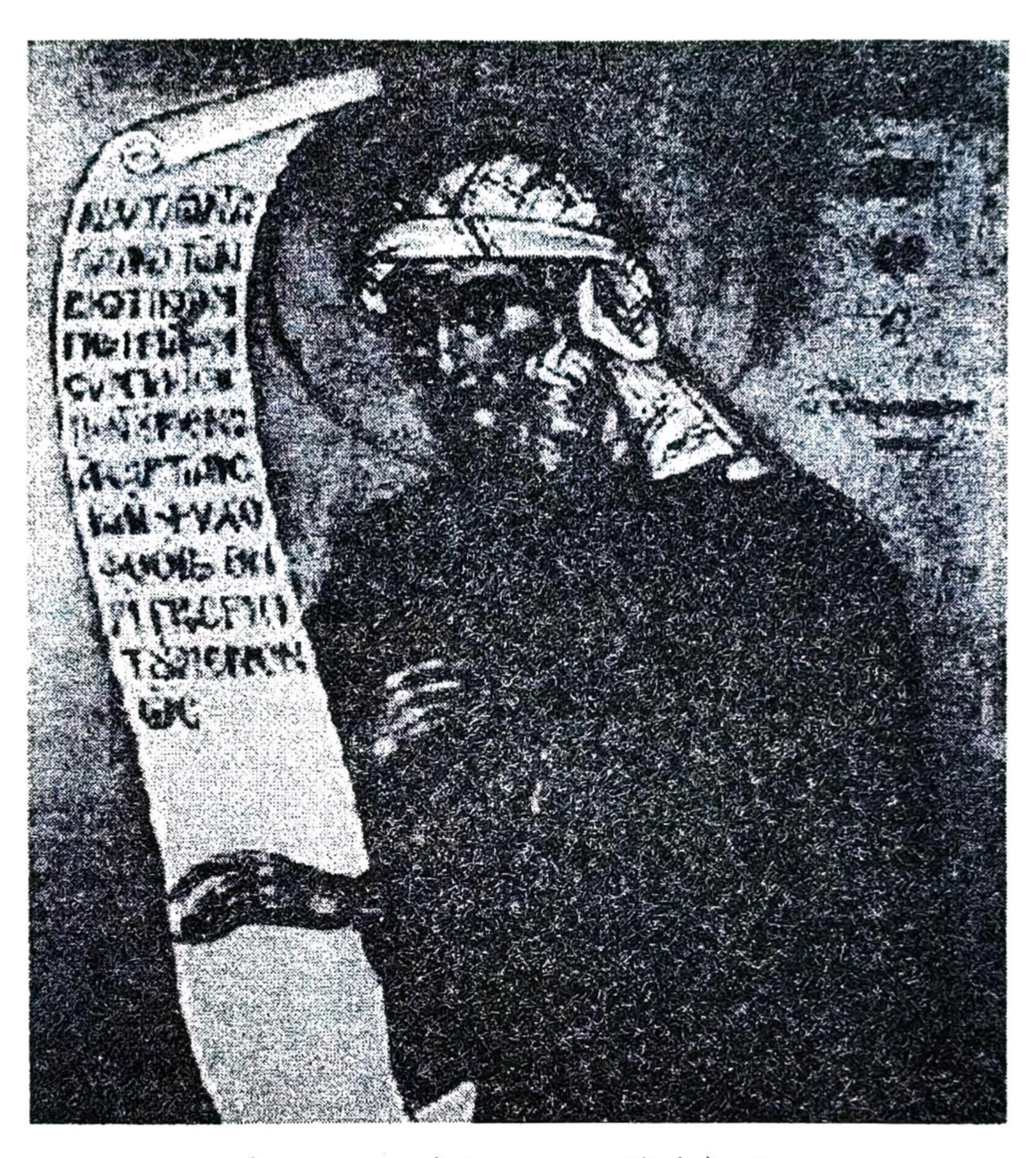
هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ومن حيزها ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطو الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بِيَعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بِيَعهم وصلبهم حتى يبلغوا أمنهم. فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن شاء سار مع الروم. ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم.

- وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

كتب وحضر سنة خمس عشرة هجرية.

شهد على ذلك: خالد بن الوليد، وعبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان.





صورة رقم (١) القديس يوحنا الدمشقي - ويكيبيديا

ar.wikipedia.org



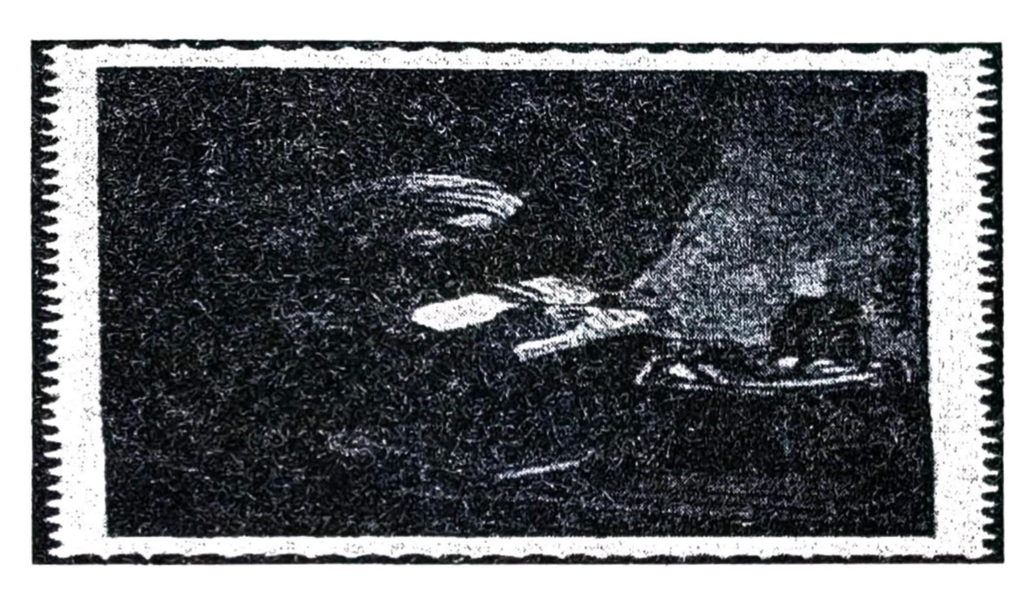
صورة رقم (٢) تذكار القديس يوحنا الدمشقي - الكنيسة الكاثوليكية بمصر

catholic-eg.com



صورة رقم (٣) ثيودور أبوقرة

josephzeitoun.com



رقم (٤) الكندي

marefa.org



صورة رقم (٥) العملة الإسلامية الأولى من بيزنطية وفارسية لإسلامية

raseef22.net





دينار أموي يعود إلى سنة ٦٩٦م، في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان القرشي، وهو أول من أمر بسك الدنانير باللغة العربية، ويظهر رسم له على العملة، كما أن الشهادة مكتوبة حول اسمه أيضاً بالخط الكوفي

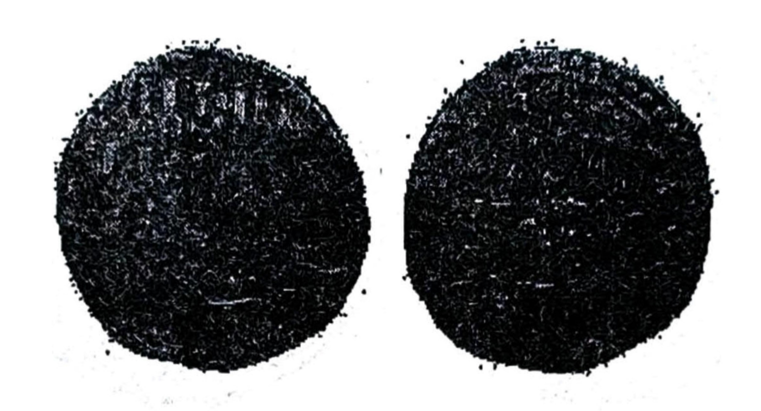
صورة رقم (٦)

google.com



صورة رقم (٧) الدينار الإسلامي

youm7.com



صورة رقم (٨) للدينار الإسلامي

forums.roro44.net



صورة رقم (٩) الدينار الإسلامي

iraqonana.com





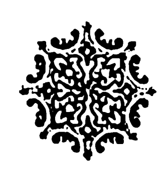
صورة رقم (١٠) نموذج لأختام لمعاوية بن أبي سفيان



قائمة المختصرات المستخدمة في البحث

قائمة المختصرات:

CSHB	Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae,
CRS	Cultural and Religious Studies
ChO	Christiana Orientalia
DOP	Dumbarton Oaks Papers
ER E LS	Revue d'etudes et de Recherches sur les Eglises de Langue Syriaque
GOThR	Greek Orthodox theological Review
JMIH	Journal of Medieval and Islamic History
JBTH	A Journal of Bible and Theology
JSAI	Jerusalem Studies in A rabic and Islam
MAH	Mélanges d'archéologie et d'histoire
ODB	The Oxford Dictionary of Byzantium
OS	Orientalia Suecana
PG	Patrologia Graecae
SJ MS	Speculum A Journal of Medieval Studies
SC	**Studia Ceranea**
ZP E	Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية:

Foreign original Sources:

- Agapius on the Reigns of Mu'awiya and 'Abd al-Malik The missing parts of Agapius, by Robert Hoyland, Edition of Agapius, Ms. Laurentiana Orientali 323

- Anastasii, Historia Ecclesistica ex Theophane, CSB.

- Athanasio di Alessandria, lettere festali, Anonimo, Indice lettere festali, introduzione, traduzione e note di Alberto.Camplani, Ed. paoline, Milao 2003, lettera 19.

- Cedrenus, G., vol. Im, CSB, Bonnae, 1838.

- Cedrini, G., Historiarum Compendium, P G. 121.

- Discorides, de materia medica, Johannesburg South Africa, First published, 2000, in archive.org

- Ephram Monahi, Imperatorum et patriarcharum recensus, interpete Angelo Maio, Bonnae, 1840.

- Georgius Monachus (Congnomento Harmartolus), Chronicon Breve Quod E Diversis Annalium Scriptoribus Et Expositoribus Decerpsit , Concinnavitque, patrologiae cursus completes Patrrologiae graecae , tomus. CX, 1863.

- Ghewond's History, Translated from Classical Armenian by Robert Bedrosian, Sources of the Armenian Tradition (Long Branch, N. J., 2006).

- Glycas, M., Annalium pars IV, Bonnae, 1836.

- Joannis Damasceni ... opera omnia qua exstant opera et studio P. Michaelis Lequien, P G 94,toms 95, adversus Constantinum cabalinum

- Leonis Diconi Caloensis Historiae, tomus III, Bonae, 1828.

- Manssis, C., Compendium Chronicum, PG 127, colume. 375-386, By Unknown, chronographiaica narratio, complectens ea quae tempore leonis filii bardae armeni contigerunt.

- , S.P.N. Nicephori Archiepiscopi Constantinoplitani, opera, PG. 100, Brevierium Historicum des rebus gestis post imperium Mauricii.

- Nicephori Ptriarchae, Constantinopolitnopolitanti, De rebus post Mauricium gestis, PG, 100.

- Sancti Patris nostril Gregorii papae Romani de Sacris imaginibus ad Leonem Isaurum imperatorem Epistula prima m Mansi, Sacrorum Conciliorum, XII.

- Sebeos, History, Translated from Classical Armenian by Robert Bedrosian, N.Y, 1985.

- Skylitzes, J., A Synopsis of Byzantine History 811-1057, translated by John Wortley, Cambridge university, 2010.

- Strabo,The Geography of Strabo, Trans, Jones, H, L., London, MCMXXX, vol. VII.

- Theodori Studitae (759-826) opera omnia, PG 99, Antirrheticus primus, secundo et tertio adversus iconomachos

- theophanes, The Chronicle of Theophanes Confessor, Byzantine and Near Eastern History AD 284-813, Translated by Cyril Mango and Roger Scott, Oxford, 1997.

- Theophanis Chronographia, ex recensione Ioannis Classeni, vol, I, Bonnae, MDCCCXXXIX.

- Theophanes Continuatus m Ioannes cameniata, Symon magister, George monachus m ex recognition Immanuelis Bekkeri, CSHB M Bonnae m 1838.

- chronographiaica narratio, complectens ea quae tempore leonis filii bardae armeni contigerunt

- Zonarae, I., Historiarum, tomus. III, Bonnae, 1987.

- , Zonarae, I., Epitomae Historiarum, Libri. XIII-XVII, edidit Theodorus Buttner-Wobst, Bonnae , 1897.

- , Sancti Patris nostril Gregorii papae Romani de Sacris imaginibus ad Leonem Isaurum imperatorem Epistula prima m Mansi, Sacrorum Conciliorum, XII.

ثانياً: المصادر العربية والمعربة:

- القرآن الكريم.

- الكتاب المقدس.

- إنجيل برنابا، ترجمه من الانجليزية، د/ خليل سعادة، دار البشير، القاهرة، ١٩٩٥م.

- صورة لمخطوطة العهدة النبوية الطورية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٣ م.

- أحمد بن سعد الدين الغمرى العثمانى الشافعى (ت ١٠٥٠هـ-١٦٤٠م)، ذخيرة الأعلام بتواريخ الخلفاء الأعلام وأمراء مصر الحكام وقضاة قضاتها في الأحكام من فتوح الإسلام لزمن ناظمه، مخطوطة في معهد إحياء المخطوطات العربية، د. ت.

- ابن أبي خيثمة، أبي بكر أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب (ت ٢٧٩م)، التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة، مج ٢، تحقيق صلاح فتحي هلل، ط ١، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٤ م.

- ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بان الأثير الجزرى الملقب بعز الدين (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، مج ١-٣، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٨٧م.

- ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٣، ٨، ٩، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

- ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا، ط٤، المكتبة القيمة، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

- ابن العبري، أبي الفرج غريغوريوس بن أهرون الملطى ابن الحكم (٦٨٥هـ)، تاريخ مختصر الدول، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

- ابن أعثم، أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ/٩٢٦م)، كتاب الفتوح، ج ١-٢، تحقيق على شيرى، ط ١، دار الأضواء، لبنان، ١٩٩١م.

- ابن المقفع، ساويرس، تاريخ مصر من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة، ج ١ - ٢، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، القاهرة، ٢٠١٢م.

- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادى (ت ٤٣٨هـ)، كتاب الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والحدثين وأسماء كتبهم، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

- ابن النقاش، الإمام محمد بن على بن عبد الواحد الكالي (ت ٧٦٣هـ)، كتاب المذمة في استعمال أهل الذمة، تحقيق د/ عبد الله إبراهيم بن علي الطريقي، www. Alukah. net

- ابن إسحق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني (ت ١٥١هـ)، السيرة النبوية، ج١، ٢، تحقيق أحمد فريد المزيدى، لبنان، ٢٠٠٤م.

- ـــــــ، السير والمغازي، تحقيق د/ سهيل زكار، دمشق، ١٩٧٨م.

- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اللواتى، رحلة ابن بطوطة تُحفة النُظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج ١، تقديم وتحقيق/ محمد عبد المنعم العريان، راجعه وفهرسه/ مصطفى القفاص، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٧م.

- ابن تيمية، شيخ الإسلام أبي العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، مجموع فتاوى، مج٣، تحقيق الشيخ الألباني، دار الصفوة، د. ت.

- ـــــــــــ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مج ١-٢، تحقيق د/ علي بن حسن بن ناصر وآخرون، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٩م.

- ابن حبيب، أبوجعفر محمد بن حبيب ابن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥)، المحبر، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، صححه د/ إيلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د. ت.

- ابن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، (١٦٤-٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد، ج ١، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت، د. ت.

- ابن حوقل، أبي القاسم ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، القسم الأول، ط ٢، بيريل، ليدن، ١٩٣٨م.

- ابن حيان، وكيع محمد بن خلف بن حيان (٣٠٦هـ)، أخبار القضاة، ج٢، بيروت، د. ت.

- ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون، (٧٣٢-٨٠٨ هـ/ ١٣٣٢-١٤٠٦) تاريخه المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذى الشأن والأكبر، ج٢، ضبط المتن ووضع الحواشى والفهارس أ. خليل شحادة، مراجعة د/ سهيل زكار، بيروت، ٢٠٠٠م.

- ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن حلكان (٦٠٨-٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج ٦، تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٨م.

- ابن خياط، الإمام المحدث أبي عمرو خليفة بن خياط شباب العصفرى (ت ٢٤٠ هـ/ ٨٤٥م)، تاريخه، تحقيق د/ أكرم ضياء العمري، ط ٢، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٥م.

- ابن خيثمة، أبي بكر أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب، (ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢م)، التاريخ الكبير المعروف بتاريخ بـن خيثمـة، ج ١، تحقيـق صـلاح بـن فتحى هَلل، القاهرة، ٢٠٠٤م.

- ابن ربن، على بن ربن الطبري، الـدين والدولـة في إثبـات نبـوة الـنبي محمد ﷺ، تحقيق عادل نويهض، ط ١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٣م.

- ________، الرد على أصناف النصارى، تحقيق وتقديم خالد محمد عبده، القاهرة، ٢٠٠٥ م.

- ابن سعد، محمـد بـن سـعد بـن منيـع الزهـري (ت ٢٣٠هـ)، كتـاب الطبقات الكبير، ج ٢ في مغـازي رسـول الله ﷺ وسـراياه، ج ٤، ج ٥، تحقيـق د/ على محمد عمر، القاهرة، ٢٠٠١م.

- ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بـن حمـاد، رسـالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخـزر والـروس والصـقالبة سـنة (٣٠٩ هـ/ ٩٢١م)، تحقيق د/ سامي الدهان، دمشق، ١٩٦٠م.

- ابن عبد الحكم، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبـد الله بـن عبـد الحكـم أبو القاسم القرشي (١٨٧-٢٥٧هـ)، فتـوح مصـر وأخبارهـا، تحقيـق، محمـد صبيح، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٤م.

- ابن عساكر، أبي القاسم على بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعى المعروف بابن عساكر (٤٩٩/ ٥٧١هـ)، تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسـمية مـن حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديهـا وأهلـها، ج ٢، تحقيـق محـب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمرى، بيروت، ١٩٩٥ م.

- ________، التاريخ الكبير، مج ١، ط روضة الشام، دمشق، ١٣٢٩هـ.

- ابن عقيل، أبي الوفاء على بـن عقيـل بـن محمـد بـن عقيـل البغـدادي الحنبلي (ت ٥١٣هـ)، التذكرة في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن محمـد بـن حنبل، تحقيق د/ ناصر بن سعود بن عبد الله السلامة، الرياض، ٢٠٠١م.

- ابن قتيبة الدينوري أبي محمد عبد الله بن مسلم (٢١٣ - ٢٧٦ هـ/ ٨٢٨ - ٨٨٩م)، كتاب المعارف، تحقيق د/ ثروت عكاشة، ط ٤، دار المعارف، ١٩٨١م.

- ابن قدامة المقدسي، الإمام الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة، مختصر منهاج القاصدين، تعليق شعيب الأرنؤوط، بيروت، ١٩٧٨م.

- ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (٧٠١-٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، مج ١-٨، تحقيق سامي بن محمد السلامة، ط ٢، دار طيبة، السعودية، ١٩٩٩م.

- ـــــــــــ، البداية والنهاية، ج ١٢، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، هجر للطباعة والنشر، الجيزة، ١٩٩٨م.

- ابن هشام (١٢٥/ ٧٤١م)، السيرة النبوية، ج ١-٤، تحقيق أ. د/ عمر عبد السلام تدمري، ط ٣، بيروت، ١٩٩٠م.

- أبوعبيدة القاسم بن سلام (١٥٧-٢٢٤ هـ/ ٧٧٤-٨٣٧م)، كتاب الأموال، تحقيق د/ محمد عمارة، القاهرة، ١٩٨٩م.

- أبي داود، الإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، (٢٠٢-٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، ج ١، ٣، ٥، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، دمشق، ٢٠٠٩م.

- أبي محمد عبد الملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبي إدريس ابن سنان، كتاب التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، روايته عن وهب ابن المنبه ، ط ١، صنعاء، ١٣٤٧ هـ.

- أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٣هـ)، كتاب الخراج، بيروت، ١٩٧٩م.

- الأزرقي، الإمام أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي (ت ٢٥٠هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، دراسة وتحقيق، عبد الملك ابن عبد الله بن دهيش، ط ١، ٢٠٠٣ م.

- الأصبهاني، الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، المعروف بأبي الشيخ (ت ٣٦٩هـ)، أخلاق النبي ﷺ وآدابه، ج١، دراسة وتحقيق د/ صالح بن محمد الونيان، دار المسلم، الرياض، ١٩٩٨م.

- الأصفهاني، حمزة بن الحسن، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

(Hamzae Isphanensis Annaium,, libri X, edited by Gottwaldt, L,M,E., tom. 1, petropoli sumtibus editoris, Lipsae in commissis apud leopodum voss in Annalium, MDCCCXLIV, textus Arabicus).

- الأزدي، أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري، كتاب فتوح الشام، صححه وليم ناسوليس، الأيرلندى، كلكتة، ١٨٥٤م

- الآلوسي، السيد محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج ٢، عُنى بشرحه وتصحيحه وضبطه، محمد بَهجَة الأثرى، القاهرة، ١٩٢٤م.

- الأنصاري، الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن على بن أحمد بن حديدة الأنصاري، ت ٧٨٣ هـ/ ١٣٨١ م، المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، ج ٢، صححه وعلق عليه الشيخ محمد عظيم الدين، عالم الكتب، بيروت، د. ت.

- البخاري، كتاب التاريخ الكبير، القسم الأول من الجزء الأول، من نسخة كوبريلي، صححه وعلق على حواشيه، الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليماني، طبع بحيدر آباد الدكن، إسلامبول، ١٣٦٢هـ.

- البقلاني، أبي بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، ١٩٧٨م.

- البعلي، الإمام أحمد بن عبد الله بن أحمد البعلى (١١٠٨-١١٩م)، الروض الندى شَرحُ كَافي المُبتدي، مج ١، تحقيق نور الدين طالب، دار النوادر، بيروت، ٢٠٠٧م.

- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، ط ١، مطبعة الموسوعات، القاهرة، ١٩٠١م.

- ــــــــــــ، جُمل من أنساب الأشراف، ج٢ الشمائل النبوية وأخبار الإمام على بن أبي طالب، حققه وقدم له د/ سهيل زكار، د/ رياض زركلي، لبنان، ١٩٩٦ م.

- البلنسي، أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعبي، الاكتفا في مغازى المصطفى ومغازي الثلاثة الخلفا، رقم ٣-٥٦، المكتبة الأحمدية (معهد المخطوطات العربية)، تصوير أغسطس ٢٠٠٥.

- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠ هـ/ ١٠٤٨م)، كتاب البيرونى في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، الهند، ١٩٥٨م.

- البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقى، ولد في بيهق (٣٨٤-٤٥٨هـ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، السفر الأول - الخامس، تحقيق د/ عبد المعطى قلعَجى، ط١، بيروت، ١٩٨٨م.

- الترجمان، أبي محمد عبد الله الترجمان الميورقي (ت ٨٣٢هـ)، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، دراسة وتحقيق وتعليق عمرو وفيق الداعوق، ط ١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٨م.

- التلمحري، ديونسيوس، تاريخ الأزمان، ترجمة، شادية توفيق حافظ، مراجعة، السباعى محمد السباعي، ط ١، المركز القومى للترجمة، ع ١٢٧٧، القاهرة، ٢٠٠٨م.

- التلمحري، رحلات البطريرك ديونسيوس التلمحري في عهد الخليفتين المأمون والمعتصم، تحقيق تيسير خلف، ط١، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٤ م.

- الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المختار في الرد على النصارى، تحقيق د/ محمد عبد الله الشرقاوي، بيروت، ١٩٩١م.

- الذهبي (٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، العبر في خبر من غبر، ج ١، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول، لبنان، ١٩٨٥م.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ٩، تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري، ط ٢، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٩٩١م.

- الربعي، القاضى أبي محمد عبد الله بن أحمد بن زبر الربعي (٢٥٥-٣٢٩هـ)، جزء فيه شروط النصارى، وبذيله أحاديث لأبي محمد عبد الوهاب بن أحمد الكلابي (٣٠٦-٣٩٦هـ)، تحقيق أنس بن عبد الرحمن بن عبد الله العقيل، لبنان، ٢٠٠٦ م.

- الزبيدي، الإمام زين الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي (٨١٢-٨٩٣هـ)، فتح البارى على مختصر البخاري حاشية على التجريد الصحيح، تحقيق أبي عبد الله محمد يسرى، ط١، دار اليسر، القاهرة، ٢٠٠٧م.

- السرياني، مار ميخائيل السريانى الكبير، تاريخه، ج ٢-٣، عربه عن السريانية مارغريغوريوس صليبا شمعون، أعده وقدم له مارغريغوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردين، ١٩٩٦م.

- الشوكاني، محمد بن على، نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، ج ١-٤، ٨-٩، ١٢، ١٥، تحقيق محمد صبحى بن حسن حلاق، ط ١، دار ابن الجوزى، الرياض، ١٤٢٧هـ.

- الصالحي، الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج١، تحقيق د/ مصطفى عبد الواحد، القاهرة، ١٩٩٧م.

- الطبري، أبي جعفر بن جرير الطبرى (٢٢٤-٣١٠ هـ/ ٨٣٨-٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، ج ١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، د.ت؛ ج ٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠ م؛ ج٥، ط ٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠م؛ ج ٦، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.

- العسقلاني، الإمام أحمد بن حجر العسقلاني ٧٧٣-٨٥٢ هـ، فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ج6 ، المكتبة السلفية، الرياض، ١٣٧٩هـ.

- القفطي، الوزير جمال الدين أبي الحسن على بن يوسف (ت ٦٤٦هـ)، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، تعليق إبراهيم شمس الدين، لبنان، ٢٠٠٥م.

- الكلبي، أبي المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي، جمهرة النسب، رواية السكري عن أبي حبيب، تحقيق د/ ناجي حسن، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.

- الكندي، عبد المسيح بن إسحق الكندي، رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحق الكندي يدعوه بها إلى الإسلام ورسالة عبد المسيح إلى الهاشمي يرد عليه، ليدن، كليكتة، د.ت.

- الماوردي، الإمام أبي الحسن على بن محمد ابن حبيب البصرى (٣٧٤-٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد جاد، القاهرة، ٢٠٠٦ م.

- المبرد، أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، نسب عدنان وقحطان، نسخه وصححه عبد العزيز الميمنى الراجكوتى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الهند، ١٩٣٦م.

- المسعودي، أبي الحسن على بن الحسين بن على، كتاب التنبيه والإشراف، بمطبعة بريل، ليدن، ١٨٩٣م.

- المنذري، الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (٥٨١-٦٥٦هـ)، مختصر صحيح مسلم، خرج أحاديثه وعلق عليه محمد خليل الطوخي، القاهرة، ٢٠٠٧م.

- مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحدائق، من خلافة الوليد ابن عبد الملك إلى خلافة المعتصم، ج ٣، مكتبة المثنى، حماة، د. ت.

- النووي، الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقي (٦٣١-٦٧٦هـ)، رياض الصالحين، تحقيق عبد العزيز رباح وآخرون، ط ٢، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٩٧م.

- النيسابورى، الإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ)، صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مج ١، ط ١، دار طيبة، الرياض، ٢٠٠٦م.

- الهمذاني، قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، تثبيت دلائل النبوة، ج ١، حققه وقدم له د/ عبد الكريم عثمان، لبنان، ١٩٦٦م.

- الواحدي، الإمام أبي الحسن على بن أحمد، (ت ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق ودراسة، كمال بسيونى زغلول، ط١، لبنان، ١٩٩١م.

- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (١٣٠-٢٠٧ هـ/ ٧٧٧-٨٢٢م) كتاب المغازي، ج ١، تحقيق د/ مارسدن جونس، عالم الكتب، د.ت.

- ـــــــــــــــ، فتوح الشام، ضبطه وصححه عبد اللطيف عبد الرحمن، ج ١، دار الكتب العلمية، ط ١، لبنان، ١٩٩٧.

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب (ت ٢٨٤-٨٩٧م)، تاريخه، ج ١-٢، ليدن، ١٨٨٣ م، ج ٣، مطبعة الغرى، النجف، ١٣٥٨م.

- أغابيوس بن قسطنطين الرومي المنبجي، المكلل بفضائل الحكمة المتوج بأنواه الفلسفة الممدوح بحقائق المعرفة، بيروت، ١٩٠٧م.

- بروكوبيوس القيصري، نصوص من بروكوبيوس القيصري.

- In www.academia.edu/38001527/.

- بيان ليما المعمودية الإفخاريستيا والكهنوت، تعريب الأب ميشال نجم، منشورات النور بالإشتراك مع مجلس كنائس الشرق الأوسط، ١٩٨٤م.

- ثيودور أبو قرة (ت ٨٢٥م)، مجادلة أبي قرة مع المتكلمين المسلمين في مجلس الخليفة المأمون، ترجمه وحققه الأرشميندريت أغناطيوس ديك، ط ٢، حلب، ٢٠٠٧.

- ـــــــــــــــ، ميمر في وجود الخالق والدين القويم، تحقيق الأب أغناطيوس ديك، المكتبة البوليسية، لبنان، ١٩٨٢ م.

- الإمام جلال الدين المحلى (٧٩١-٨٦٤م)، جلال الدين السيوطي (٨٤٩-٩١٣م)، تفسير الجلالين الميسر، حققه وعلق عليه د/ فخر الدين قباوة، لبنان، ٢٠٠٣م.

- عمار البصري، كتاب البرهان وكتاب المسائل، تحقيق ميشال الحايك، بيروت، ١٩٧٧ م.

- الإمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجينتوس، ادارة الإمبراطورية البيزنطية، عرض وتحليل وتعليق د/ محمود سعيد عمران، بيروت، ١٩٨٠م.

- مسلم، الإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى (٢٠٦-٢٦١هـ)، صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مج ١-٢، دار طيبة، ط ١، الرياض، ٢٠٠٦ م.

- نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت ٥٧٣هـ)، ملوك حمير وإقبال اليمن، تحقيق: علي بن إسماعيل المؤيد، إسماعيل بن أحمد الجرافي، ط ٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨م.

- البطريرك نقفور، التاريخ المختصر (٦٠٢-٧٩٩م)، نقله للعربية وعلق عليه، د/ هاني عبد الهادي البشير، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

- يوحنا الذهبى الفم، تفسير رسالة بُولس الرسول إلى أهل أفسس، تعريب القمص مرقص داود، القاهرة، ١٩٧٧م.

- ــــــــــ، ثمانى عظات في المعمودية، ط ١، المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٩٣م.

- يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، لبنان، ١٩٩٧م.

- ــــــــــ، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، عربه عن اليونانية، الأرشمندريت أدريانوس شكور، ط ١، المكتبة البولسية، لبنان، ١٩٨٤م.

- ــــــــــ، آراؤه اللاهوتية ومسائل علم الكلام، حقق سيرته وعلق عليه د/ كمال اليازجي، منشورات النور، لبنان، ١٩٨٤م.

- يوحنا النقيوسي، تاريخ العالم القديم، تقديم القمص بيشوى عبد المسيح، القاهرة، د. ت.

- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ترجمة القمص مرقس داود، القاهرة، ١٩٧٩م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

Foreign References

- **Block,V, J.,**

Competing Christian Narratives on the Qur'an, The Qur'an in Christian-Muslim Dialogue: Historical and Modern Interpretations, ed. Ian Richard Netton, Isalmic Culture and Civilization (London: Routledge, 2013).

- **Bury,C,W,C.,**

The Byzantine Empire, New York, 1915.

, A History of the Eastern Roman empire from the fall Irene to the accession of Basil I, (A.D. 802-867), London , 1912.

A History of the late Roman Empire from Arcadius To Irene (395-800 A.D), vol. II, London, 1889.

- **Cameron, A., and Herrin, H.,**

Constantantinople in the early eighth century the parastaseis syntomoi chronikai in columbia syudies in the classical tradition, edited by William v. Harrias and others, vol. X, Lieden, 1984.

- **Firestone, R.,**

Hagar and Ishmael in Literature and Tradition as a foreshadow of their Islamic Personas, Bormann , no daate.

- _________, The "Other" Ishmael in Islamic Scripture and Tradition,

- **Gibson, D.,**

Suggested Solutions for Issues Concerning The Location of Mecca in Ptolemy's Geography,Nabataea 2013, in http://nabataea.net

- **Gottheil, R.,**

A Christian Bahira legend, Arabic text (MS, Paris Arabie 215), first puplished in Zeitchrift fur assyriologie, vol. 13 (1898).

- Greisiger, L.,

The Apocalypse of Pseudo-Methodius (Syriac), in Christian-Muslim Relations A Bibliographical History, edited by David Thomas & others, vol. 1, Leiden. Boston, 2009.

- Griffith, S.,

The Qur'an in Christian Thought:Reflections from an Historical Perspective, USA, no date.

- ________, The unity and Trinity Christian Doctrinal Development in Response to the Challenge of Islam—An Historical Perspective, James Clarke and Co Ltd, 2014.

- Hoyland, R, G.,

Seeing Islam As others saw it A Survey and Evaluation of Christian, Jewish and Zoroastrian writings on early Islam, The Darwin Press, INC. Princeton, New Jersey, ١٩٩7.

________, In god's path the Arab conquests and the creation of an Islamic empire, Oxford, 2015.

________, Muslim and others, in the formation of the clasicak world, general editor Lawrenece I, Conrad, Ashgate, USA, No date, vol. 18

- Jankowiak, M.,

The first Arab siege of Constantinople, in Construting The seventh century, edited by Constantin Zuckerman, Paris, 2013.

- Goldsworthy, A.,

How Rome fell, U.S.A, 2009

- Lapidus, I.,

A History of Islam societies, third edition, USA, 2014

- Merrill, J, E.,

OF The tracte of John of Damascus on Islam, Beacon, New York, no date.

- **Macdonald, M.C.A.,**

On Saracens, the Rawwāfah Inscription and the Roman Army, in Literacy and Identity in Pre - Islamic Arabia, Ashgate, N. D.

- **MacDougall, J.,**

Relationship between the Byzantine - Christians and Arab-Muslims in the Middle Ages, Candice Isherwood-Brooks and, Sharon, pp. 6-7, available at:

,(http://www.fordham.edu/halsall/byzantium/index.html,http://www.jstor.org/stable/4422506

- **Marshall, D.,**

Christianity in the Qur'an, in Islamic Interpretations os Christianity, edited by Lioyd Ridgeon, New York, 2001.

- **Martínez, F, G.,**

Hagar in Targum Pseudo –Jonathan, in www.academia.edu

- **Matthews, A, J.,**

in Defence of his lord: An Examination of ST John Damascene's critique of Islam, in www. academia.edu

- **Mayerson, p.,**

The Word Saracen (Cαρακηνόc) in the Papyri Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik, Bd. 79 (1989)

- **Nikolsky, R.,**

Ishmael Sacrificed grasshoppers, 2010, in www.academia.edu

- **Niavis, P.,**

The Reign of the Byzantine empror Niephorus I (802-811), Ph.d. University of Edinburgh, 1984

- **Oman, C,W,C.,**

Byzantine Empire, N.Y,١٩15.

- **Petersen, L,I,R.,**

Siege Warfare and Military Organization in the Successor States (400-800 ad) Byzantium, the West and Islam, Boston, 2013

- **Qutbuddin, T.,**

Muhammad, in Islam A Short Guide to the Faith, Edit , Allen & Shawkat M. Toorawa ,Cambrdige, 2011.

- **Roggema, B.,**

The debate between patriarch John and an Emir of the Mhaggraye ; a reconsideration of earliest Christian-Muslim debate, Rome, no date.

- **Sahas, D.,**

John Damascus on Islam the " Heresy of the Ishmaelites " , Leiden, Brill, 1972.

________, The face to face encounter between patriarch Sophronius of Jerusalem and the caliph Umar ibn Al Khattab: friends or foes ?, in The Encounter of Eastern Christianity with Early Islam, The History of Christian-Muslim Relations, Editorial , David Thomas, and others, Boston, 2006 , Vol. 5

- **Saunders, J, J.,**

A History of medieval Islam, New York, 1965.

- **Sicker, M.,**

The Islamic world in Ascendancy From the Arab Conquests to the Siege of Vienna, United States of America , 2000

- **Suermann, H.,**

The Apocalypse of Pseudo-Ephrem, in Christian Muslim Relations A Bibliographical History, edited by David Thomas & others, vol. 1, Leiden. Boston, 2009..

- **Thomas, L, W.,**

A critical analysis of Christian responses to Islamic claims, A critical analysis of Christian responses to Islamic claims about the work of the Prophet Muhammad , `the Messenger of God, Durham theses, Durham University, (1993)

- **Tolan, J, V.,**

" A Wild man whose hand will be against all '; Saracens and Ishmaelites in Latin Ethnographical traditions, from Jerome to Bede ", in Vision of community in the post-Roman world, the west, Byzantium and the Islamic world, 300-1100, ed. Walter Pohl, Clemens Gantner, Richard Payne, Ashgate, No date.

- **Treiger, A.,**

The Arabic Tradition article (The Orthodox Christian World), ed. Augustine Casiday, London: Routledge, 2012.

- **Tritton, A, S.,**

The Caliphs and their Non-Muslim subjects A critical study of the covenant of Umar, London, 1930

رابعاً: المراجع العربية والمعربة:

- آباء الكنيسة القبطية، بستان الرهبان، بني سويف، ١٩٦٨م.

- القس أثناسيوس المقارى، قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية، مطابع النوبار-العبور، ط ١، مصر، ٢٠١٣م.

- أحمد حسين الجميلى، العلاقات الخارجية لدولة الغسانة، الأردن، ٢٠١٦.

- أحمد ديدات، ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد، ترجمة وتحقيق إبراهيم خليل أحمد، تقديم عوض الله جاد حجازى، دار المنار، ١٩٨٨م.

- ــــــــــــ، الخمر بين المسيحية والإسلام، القاهرة، ١٩٩١م.

- ــــــــــــ، الله في اليهودية والميسيحية والإسلام، ترجمة وتعليق محمد مختار، القاهرة، ١٩٩٠م.

- ــــــــــــ، مسألة صلب المسيح، بين الحقيقة والافتراء، ترجمة جمال نادر، عمان، ١٩٩٥م.

- ــــــــــــ، هل الكتاب المقدس كلام الله؟، www.kutub-pdf.ne

- ــــــــــــ، هل مات المسيح على الصليب، ترجمة على الجوهري، القاهرة، ١٩٩٥م.

- ــــــــــــ، هل المسيح هو الله؟ وجواب الإنجيل عن ذلك، ترجمة محمد مختار، القاهرة، د. ت.

- أحمد شلبي، المسيحية، القاهرة، ١٩٩٨م.

- ــــــــــــ، أديان الهند الكبرى (الهندوسية- الجينية- البوذية)، ط١١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

- أحمد على عجيبة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، القاهرة، ٢٠٠٤ م.

- أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠-١١٠٠م)، ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م.

- أسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ج ١، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٥م.

- ــــــــــــ، حرب في الكنائس، بيروت، ١٩٥٩م.

- أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، ج ١، المدينة المنورة، ١٩٩٤م.

- السيد سابق، فقه السنة، ط ١، دار الحدث، القاهرة، ٢٠٠٤م.

- ألفرد بتلر، فتح العرب، عربه محمد فريد أبو حديد بيك، مكتبة مدبولي، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٦م.

- أندريه نايتون، كارل غوستاف يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ترجمة سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، د. ت.

- إبراهيم أحمد العدوي، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، القاهرة، ١٩٥١م.

- ـــــــــــ، الأمويون والبيزنطيون "البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٣م.

- إبراهيم بيضون، تاريخ بلاد الشام في العصور الإسلامية في إشكالية الموقع والدور، لبنان، ٢٠٠٢ م.

- ـــــــــــ، تاريخ بلاد الشام في العصور الإسلامية في إشكالية الموقع والدور، لبنان، ٢٠٠٢م.

- إبراهيم علي طرخان، الحركة اللاإيقونية في الدولة البيزنطية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م.

- إحسان عباس: بحوث في تاريخ بلاد الشام، دولة الأنباط، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن، ١٩٨٧م.

- إدوارد غالي الدهبي، معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٣م.

- باتريشيا كرونيه & مايكل كوك، الهاجريون، ترجمة نبيل فياض، ط ١، ١٩٩٩م.

- بتشر، كتاب تاريخ الأمة القبطية وكنيستها، مج ٢، تعريب إسكندر تادرس، القاهرة، ١٩٠١م.

- بدر عبد الرحمن محمد، تاريخ الدولة العربية عصر الخلفاء الراشدين والدولة الأموية، ج ٢، القاهرة، ١٩٩٨م.

- القس بولا رأفت عزيز، دراسة آبائية في سر الإفخاريستا، القاهرة، ٢٠١٥.

- تيسير خلف، الرواية السريانية للفتوحات الإسلامية، دمشق، ٢٠١٠م.

- تيودول ری مرميه، الأسرار حياة الإيمان نؤمن، تعريب الخوري يوسف درغام، لبنان، ١٩٨٦م.

- ثيودور نولدكه، أمراء غسان، وهى رسالته أمراء غسان من آل جفنة، التي نشرتها أكادمية العلوم البروسيانية في برلين، نقلها للعربية بندلي خوري، قسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣م.

- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، بغداد، ١٩٩٣م، ج ١.

- جوزيف داهموس، سبع معارك فاصلة في القرون الوسطى، ترجمة د/ محمد فتحي الشاعر، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت.

- جوزيف نسيم، الإسلام والمسيحية وصراع القوى بينهما في العصور الوسطى، ط١، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ١٩٨٦م.

- الإكسرخوس جوزيف نصر الله، منصور بن سرجون، المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي "عصره- حياته- مؤلفاته"، نقله للعربية، الأرشمندريت أنطوان هبي، ط ١، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، ١٩٩١ م.

- حاتم الطحاوي، فتوح المسلمين لبلاد الشام وأرمينا، قرآة في مصنف المؤرخ الأرميني "سيبوس"، دار عين، القاهرة، ٢٠١٤م.

- حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٨٣م.

- حلمي محروس إسماعيل، الشرق العربي القديم وحضارته بلاد ما بين النهرين والشام والجزرة العربية القديمة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

- حياة إبراهيم محمد، نوبخذ نصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ ق.م)، بغداد، ١٩٨٣م.

- دنلوب، تاريخ يهود الخزر، نقله للعربية وقدم له د/ سهيل زكار، دمشق، ١٩٩٠م.

- رقية العلواني وآخرون، مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحي، دمشق، ٢٠٠٨ م.

- ريتشارد ساليفان، ورثة الإمبراطورية الرومانية، الغرب الجرمانى-العالم الإسلامي-الدولة البيزنطية، ترجمة وتقديم د/ جوزيف نسيم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٥ م.

- سامر سيد قنديل، الرؤى الأوربية عن الإسلام من الفتوحات الإسلامية حتى الحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٩ م.

- ستيفن رنسمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.

- سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، بيروت، ١٩٧٦م.

- سمير عبد المنعم عبد الخالق أبو العينين، العلاقات الدولية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٩م.

- سيدة إسماعيل كاشف، مصر الإسلامية وأهل الذمة، القاهرة، ١٩٩٣م.

- طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي (العصور الوسطى)، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٨م.

- ــــــــــ، بيزنطة والعالم الخارجي، ج ١، البيزنطيون والعالم الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٣م.

- ــــــــــ، قطوف الفكر البيزنطي، ج١ (الأدب)، القاهرة، ٢٠٠٢م.

- ــــــــــ، بيزنطة: مدينة الحضارة والنظم (دراسات وبحوث)، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠١٥م.

- عبد الرحمن أحمد سالم، المسلمون والروم في عصر النبوة، دراسة في جذور الصراع وتطوره بين المسلمين والبيزنطيين حتى وفاة الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م.

- عبدالرحمن محمد فهمى، النقود العربية ماضيها وحاضرها، القاهرة، ١٩٦٤ م.

- عبد العزيز رمضان، المرأة والمجتمع في الإمبراطورية البيزنطية من القرن التاسع وحتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، القاهرة، ٢٠٠٥م.

- الشيخ عبد الغني ابن ياسين اللبدي الحنبلي (ت ١٣١٩هـ)، كتاب دليل الناسك لأداء المناسك على مذهب الإمام المبجل أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى، مطبعة التقدم العلمية، ط ١، القاهرة، ١٣٣٠هـ.

- عبد الكريم بن محمد اللاحم، المطلع على دقائق زاد المستنقع، فقه الأطعمة والذكاة والصيد والذبائح والأيمان والنذور، الرياض، ١٤٣٢هـ /٢٠١٢م

- ـــــــــــ، المطلع على دقائق زاد المستنقع (فقه الأسرة، النكاح)، مج١، مج ٣، الرياض، ٢٠١٠م.

- عرفان شهيد، روما والعرب، دمشق، ٢٠٠٨م.

- عزيز سوريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة إسحاق عبيد، القاهرة، ٢٠٠٥م.

- عفاف صبرة، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٢م.

- علية عبد السميع الجنزوري، هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م.

- علي بن محمد عودة الغامدي، يوحنا الدمشقي (٣٥-١٣٢هـ/ ٦٥٥-٧٥٠م) رائد العدوان الفكري على الإسلام، الكتاب الأول، ط١، مكة المكرمة، ٢٠١٥م.

- عمر كمال توفيق، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م.

- عمر يحيى، التوجهات في العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الدولة البيزنطية والدولة الإسلامية في عهد الأسرة الأيسورية (٧١٧-٨٢٠م/ ٩٨-٢٠٥هـ)، السعودية، د. ت.

- فازيليف، العرب والروم، ترجمة، د/ محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، د. ت.

- فايز نجيب إسكندر، بنيامين الأول البطريرك الثامن والثلاثون (٦٢٣-٦٦٢م)، د.ت

- ـــــــــــ، أرمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين في ضوء كتابت المؤرخ الأرميني جيفوند (٦٣٢-٦٦١م/١١-٤٠هـ)، ج ١، الإسكندرية، ١٩٨٢م.

- فكتور سحاب، إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢م.

- فيليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة/ كمال اليازجي، ج ٢، ط ٣، بيروت، د. ت.

- ـــــــــــ، العرب تاريخ موجز، بيروت، ١٩٩١م.

- ليلى عبد الجواد إسماعيل، الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥م.

- ـــــــــــ، تاريخ مصر وحضارتها في الحقبة البيزنطية -القبطية-، دار الثقافة العربية، ٢٠٠٧م.

- محمد الأمين السويدي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، ط، بمبى، ١٢٩٦هـ.

- محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د. ت.

- محمد حسين هيكل، حياة محمد، القاهرة، ١٩٧٧م.

- محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، مج ٥، الرياض، ١٤٢٧هـ.

- محمد عبد الحليم، شبهات وافتراءات حول الرسول ﷺ وردود كبار العلماء عليها، دار الكتب، القاهرة، ٢٠٠٧م.

- محمد عبد الرحمن عوض، والاختلاف والإتفاق بين انجيل برنابا والأناجيل الأربعة، دار البشير للطباعة، القاهرة، ١٩٨٦م.

- محمد عبد الشافي المغربي، مملكة الخزر اليهودية وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين في العصور الوسطى، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

- محمد مبروك نافع: عصر ما قبل الإسلام، القاهرة، ٢٠١٧م.

- محمد متولي الشعراوى، مريم والمسيح، جمع وإعداد وترتيب عبد القادر أحمد عطا، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، د. ت.

- محمود سعيد عمران، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، لبنان، ٢٠٠٢م.

- مهدى رزق الله أحمد، صفوة السيرة في سيرة خير البرية، السعودية، ٢٠١٢ م.

- نبيه عاقل، الإمبراطورية البيزنطية دراسة في التاريخ السياسي والثقافي والحضارى، دمشق، ١٩٦٩م.

- نورمان بينز، الإمبراطورية، ترجمة د/ حسين مؤنس، محمود يوسف زايد، القاهرة، ١٩٥٠م.

- نيقولو باربارو، الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني ١٤٥٣ م، ترجمة د/ حاتم عبد الرحمن الطحاوي، دار عين للدراسات والبحوث الإنساني والاجتماعية، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٢ م.

خامساً: الدوريات الأجنبية:

Foreign periodicals.

- Accad, M.,

The Gospels in the Muslim Discourse of the ninth to the fourteenth centuries: an exegetical inventorial table (part 1), Islam and Christian-Muslim Relations, vol. 14, No. 1, 2003.

- Bahkou , A.,

The Monk Encounters the Prophet—The Story of the Encounter between Monk Bahīra and Muhammad as It Is Recorded in the Syriac Manuscript of Mardin 259/2, Cultural and Religious Studies, Nov.-Dec. 2015, Vol. 3, No. 6, p. 349-357.

- Cohen, A.,

Hagar and Ishmael: A Commentary, Interpretation: A Journal of Bible and Theology, 2014, Vol. 68(3).

- Eniola, S, G.,

An Islamic Perspective of Sex and Sexuality: A Lesson for Contemporary Muslim, IOSR Journal Of Humanities And Social Science (IOSR-JHSS), Vol. 12, Issue 2 (May.-Jun. 2013), PP. 20 - 28.

- Goddard, B.,

Review of Roggema's The Legend of Sergius Bahira: Eastern Christian Apologetics and Apocalyptic in Response to Islam' Speculum-A journal of medieval studies, vol, 85, no. 4

- Griffith, S.,

The Qur'an in Arab Christian texts; The Deveopment of an Apologetical argument: Abu Qurrah in the maglis of Al-Ma'mun, In: Parole de l'Orient: revue semestrielle des etudes syriaques et arabes chretiennes: recherches orientales: revue d'etudes et de recherches sur les eglises de langue syriaque, vol. 24 (1999).

_______,The Melkites and the Muslims: the Qur'an, Christology, and Arab Orthodoxy, Al-QanṬara XXXIII 2, julio-septiembre 2012, pp. 413-443.

________, Disputing with Islam in Syriac: the case of the monk of Bet hale and A Muslim emir , Hugoye: Journal of Syriac Studies, Vol. 3: 1, 2010 by Beth Mardutho: The Syriac Institute and Gorgias Press.

- **Heidemann, S.,**

Numismatics, in, The New Cambridge History of Islam, vol. I, The Formation of the Islamic World Sixth to Eleventh Centuries Edited by Chase, F. Robinson, Cambridge university press, 2010

- **kraft**

- Kraft, A., On the Eschatological Elucidation of the 'Ishmaelite' Phenomenon, Oxford University Research Archive, (2010)

- **Harmakaputra, H, A.,**

Muslim-Christian Debates in the early Abbasid period: The Cases of Timothy I and Theodore Abu Qurra, MIQOT, Vol. XXXVIII, No. 2, Juli - Desember 2014.

- **Heilo, O.,**

Empire of Clay and Iron: Divisions in the Byzantine state ideology and Christian apocalyptic expectations from the reigns of Heraclius to Leo III (610-718), Instructions for contributors to Scandinavian Journal of Byzantine and modern Greek Studies, No. 1, 2015.

- **Hogel, Ch.,**

An early anonymous Greek translation of the Qur'ān The fragments from Niketas Byzantios' Refutatio and the anonymous Abjuratio, Christiana Orientalia 7 (2010).

- Kaegi , W, E.,

Initial Byzantine Reactions to the Arab Conquest, Church History, Vol. 38, No. 2. (Jun., 1969).

____

Byzantium and The Early Islamic Conquest, Cambridge Universitty press, 2005

- **Łodź, B, C.,**

Islam, the Arabs and Umayyad Rulers, according to Theophanes the confessor's chronography, Studia Ceranea 2, 2012.

- **Luke, T.,**

Abd al-Malik's Coinage Reforms: the Role of the Damascus Mint. In: Revue numismatique, 6e série-Tome,١٦5, année 2009, pp. 357 - 381.

- **Maccoull, L.S.B.,**

The Coptic Apolypse of pseudo-pesyntheus: Coptic protest undedr Islamic rule, in Coptic Church Review, vol. 9, Number.1, spring 1988.

- **Martínez, F, J.,**

La Literature Apocaliotica Las primeras reacciones cristianas Ala conquista Islamica en oriente , Conferencia del ciclo "Europa y el islam" Real Academia de la Historia, 29 de abril del año 2002.

- **Meyendorff, J.,**

Byzantine view of Islam, DOP,Vol.18,(1964).

- **Munoz, F, G.,**

Consideraciones sobre la versión latina de las cartas de al-Hašimi y al-Kindi, Christiana Orientalia 2 (2005).

- **Odier, B, J.,**

Levi Della Vida. Une version latine de l'Apocalypse syro-arabe de Serge-Bahira. In: Mélanges d'archéologie et d'histoire, tome 62, 1950.

- **Roland, A.,**

Secrecy, Technology, and War: Greek Fire and the Defense of Byzantium, 678 - 1204 , in Technology and Culture, Vol. 33, No. 4 (Oct., 1992

- **Sahas, D, J.,**

Ritual of Conversion from Islam to the Byzantine Church, Greek Orthodox theological Review, Volume 36, No. 1, 1991.

- **Szilagyi, K.,**

A prophet like Jeuses ? Christians and Muslims debating Muhammad's death, Jerusalem Studies in Arabic and Islam (JSAI), 2009 , tom, 36.

- ________, Muhammad and the monk: the making of the christian Bahira legend, Jerusalem Studies in Arabic and Islam (JSAI), 34, 2008.

- _________, Why did Heraclius not defend D Jerusalem, and fight the Arabs ?, parole del'Ortent 24 (1999).

- **Tolan J.,**

Réactions chrétiennes aux conquêtes musulmanes. Etude comparée des auteurs chrétiens de Syrie et d'Espagne. In: Cahiers de civilisation medieval, 44e année (n°176), Octobre-décembre 2001.

- **Witakowski, W.,**

The eschatological program of apocalypse of Pseudo-Methodios: does it make sense ? Roczink orrientalistyczny (annual of oriental studies), 53:1 (Warsaw, Poland, 2000).

- **Yusuf, J.,**

From Hebrew 'Slave' to Arabian 'Sage': Linking the Jewish and Muslim Narratives in the Story of Hagar, the African in Pre-Islamic Arab History, CJR: Jan. 2017, pp. 1-28, in www.academia.edu.

- **Dr. Abdul-Rahman Al-Sheha,**

Islamic Perspective on Sex, Translated by Abdurrahmaan Murad, Reviewed by: Osama Emara (Islamhouse.com)

- **Ahsan, M.,**

Sex and Sexuality in Islam, Culture, Health & Sexuality, September–October 2007; 9(5): 551–552.

- **Dr. Richard Long,**

New study proves taking a shower immediately after sex will prevent STDS, Harvard Medical Center، Things You Should (and Shouldn't) Do After Sex.

سادساً: الدوريات العربية:

- أحمد الشعيبي، وثيقة المدينة المضمون والدلالة، كتاب الأمة، ع ١١٠، ط ١، الدوحة، ديسمبر ٢٠٠٥- يناير ٢٠٠٦م.

- أنجيليكي غريغوري زياكا، الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين الحوار والمناظرة، ترجمة ميخالى جورج سولومونيدس، مجلة التسامح، ع ٢٩، ٢٠١٠م.

- إقبال بن عبد الرحمن إبداح، الوحي القرآني بين المفسرين والمستشرقين، دراسة تحليلة مقارنة، ط ١، دار دجلة، الأردن، ٢٠١١ م.

- بشير العبيدي، موقف بيزنطة الرسمي من الإسلام كما تخيله أبو سفيان تأثير المخيال في النظر إلى الذات وإلى الآخر، أسطور، ع ٧، يناير ٢٠١٨م.

- سلامة النعيمات، علاقة إمارة الغساسنة بالدولة البيزنطية خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج 6، ع 4، 2012م.

- سلامة النعيمات، ومحمد النصرات، السراسنة (Saracens) وعلاقتهم بالامبراطوريتين الرومانية والبيزنطية (القرنين الثالث والرابع الميلاديين)، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج، ٣٨، ع ٢٠١.

- طارق منصور، نهى عبد العال سالم، البيزنطيون ونرجمة القرآن الكريم إلى اليونانية في القرن التاسع الميلادي: الجزء الثلاثون أنموذجاً.

Journal of Medieval and Islamic History, VIII (2013-2014).

- عبد البديع حمزة زللي. إشارات في القرآن والحديث إلى الكائنات الحية الدقيقة، المنهل مج ٥٩، ع ٥٤٨، ص ٥٨-١٦ (١٤١٨هـ).

- عبد العزيز رمضان، سياسة بيزنطة التنصيرية تجاه العناصر العربية المسلمة (القرون ٧-١١م).

in www.academia.edu

- عمرو عثمان، دستور المدينة: قراءة في تاريخ نص، أسطور للدراسات التاريخية، ع ٣، يناير ٢٠١٦ م، ص ٦٧ - ٩٤.

- كتابات للقديس يوحنا الدمشقي، آباء الكنيسة، المجلد ٣٧ (واشنطن دي سي، مطبوعات الجامعة الكاثوليكية الأمريكية، ١٩٥٨.

- محمد حسن بدر الدين، بواكير الجدل الكلامي المسيحي العربي جدل يوحنا الدمشقي مع المسلمين، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية، مارس ٢٠١٨م.

- موسى زناد سهيل، النسراكينوي بين أكذوبة نقفور وحقائق التاريخ، بحوث ودراسات، المورد، ٢٠٠٦ م، ع ٤.

- نينا فيكتوريا بيغوليفسكيا، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، نقله عن الروسية، صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الخرطوم، ١٩٨٣م.

- وفاء مختار غزالي علي، أضواء جديد على حملة المسلمين على القسطنطينية عام (٩٨-١٠٠هـ/ ٧١٦-٧١٨م) مجلة قطاع الدراسات الإنسانية، ع ١٣، يونيو ٢٠١٤ م.

دوائر المعارف الأجنبية:

Knowledge of foreign circles:

- American Encyclopdia,Vol, 9, U.S.A,١٨29.
- The Encyclopedia Britannica, Vol, II, IX, London, 1973.
- Medieval Islam Civilization, An Encyclopedia,Vol, I, London, 2006.
- New Catholic Encyclopdia,Vol, IX, London,١٩66.
- New Catholic Encyclopdia,Vol,٦, Washington, 2003.

سابعاً: الرسائل الجامعية الإنجليزية:

Theses foreign:

- **Abou-Seada, A.,**

Byzantium and Islam (9-10 centuries)A Historical evalution of the role of Religion in Byzantine-Muslim Relations, PHD,University of Birmingham, 2000.

- **Bertaina, D.,**

An Arabic Account of Theodore Abu Qura in debate at the court o Caliph ak-Ma'mun: A study in early Christian and Muslim literary dialogues, PHD, The Catholic university of America, Washington, 2007.

- **Bradford, B, C.,**

The Qur'anic Jesus: A Study of Parallels with Non - Biblical Texts, PHD, Michigan University, August 2013.

- **Demetriades, J, M.,**

Nicetas of Byzantium and his encounter with Islam: A study of the " Anatpoiih " and the two " Epistles " to Islam, PHD, Michigan, 1972.

- **Hackenburg, C.,**

An Arabic-to-English Translation of the Religious Debate between the Nestorian Patriarch Timothy I and the 'Abbāsid Caliph al-Mahdī, MA Thesis, The Ohio State University, 2009.

- **Husseni, S, L.,**

Early Christian Explanatons of The Trinity in Arabic in The context of Muslim Theology, PHD Thesis, Theology and Religion University of Birmingham, March 2011.

Kennedy, H.,

The great Arab conquests How the spread of Islam changed the world we live in, London, 2010

- **Lcdr, D, E, K.,**

Arab - Byzantine war 629-644 AD, MA OF Military Art and Sience Militry History, Faculty of U. S. A Army, Kanssas , 2007.

- **Martinez, F, J.,**

Eastern Christian Apocalyptic in the early Muslim period: Pseudo –Methodius and Pseduo –Athanasius , PHD Thesis, The Catholic university of America,Washington, 1985

- **Nikolaou, S., A**

Survey of Byzantine responses to islam , MA, Australian catholic university, 2007.

- **Rhodos, B.,**

John Damascene in context: An Examination of " The Heresy of the Ishmaelites " with special consideration given to the religious political, and social contexts during the seventh and eighth century Arab conquests, MA, Lynchburg, Virginia, 2009.

- **Sacramento, M.,**

Three Apocalypses of the early Muslim period in the context of confrontations, Thesis PHD, Cardiff University, 2005.

- **Shedlock, R, J.,**

The iconoclastic edict of the Emperor Leo III, 726 A. D, MA Theses, University of Massachusetts Amherst, 1968

- **Vila, D, H.,**

Christian martyrs in the firsy Abbasid century and the development of An Apoligetic against Islam, PHD, Faculty of Graduate school of Saint Louis, 1999.

- **Wilde, C, E.,**

The Qur'ān in Christian Arabic texts (750 - 1258 C.E.), The Catholic University of America, PHD thesis, Washington, 2011.

Doctrina Iacobi nuper baptizati " **Teachings of Jacob, the newly baptized** " in Christian Muslim Relations A Bibliographical History, edit, David Thomas and others, vol. I (600-900), Leiden, Boston, 2009.

ثامناً: الرسائل الجامعية العربية:

- إياد محمد إسماعيل أبو ربيع، المواقف والعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين خلال فترة صدر الإسلام (٤٠ ق.ب- ٤٠ هـ/ ٥٧٠-٦٦٠م)، رسالة ماجستير، جامعة بير زيت، ٢٠١٣م.

- جاسم محمد راشد العيساوي، الوثيقة النبوية والأحكام الشرعية المستفادة منها، رسالة ماجستير، الإمارات، ٢٠٠٦م.

- مهند صادق محمد العلة، الجهود الإسلامية في فتح القسطنطينية، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، ٢٠١١م.

- هبه عبد المنصف ناصف، الثالوث في مصر القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، ٢٠٠٠م.

تاسعاً: القواميس الأجنبية:

Dictionaries foreign

- **Evedy**

The New Peguin atlas of medieval History, 1961.

- **Khazdan, A, P.,**

The Oxford Dictionary of Byzantium (OBD), N.Y, 1991, vol, 1-3.

عاشراً: المعاجم العربية:

-الحموي، الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومي البغدادي، معجم البلدان، مج ٢، دار صادر، بيروت، د.ت.

- دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ترجمة وتعليق د/ حسن

حبشي، القاهرة،٢٠٠٣م.

- قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير: الدكتور بطرس عبد الملك - الدكتور جون ألكساندر - الأستاذ إبراهيم مطر، الطبعة العاشرة، صدر عن دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٥م.

- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مصر، ١٩٨٩م.

- المعجم الوسيط، ط ٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤م .

الشبكة العنكبوتية:

أهم مواقع الكتب الإلكترونية :

-www.academia.edu/38001527

- www.al-mostafa.com

- www.alkindi.ideo-cairo

- http//Archiev.org/index.php

- www.euic-edu.eg

- http://en.bookfi.org/

- http://libgen.info

- http://nabataea.net

- https://www.facebook.com/groups/450319128343655/

- https://www.facebook.com/groups/med.history/

- http//Archiev.org/index.php

أسرة التاريخ الوسيط :

-https://www.facebook.com/groups/450319128343655/

-https://www.facebook.com/groups/med.history/

العالم البيزنطي

ويكيبيديا الموسوعة الحرة

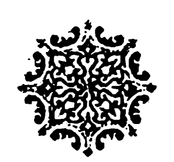
- Ar- wikipedia.org/wiki/الموسوعة العربية -

- Books.Google.com

منتديات ستوب بنك ستوب للمعلومات

- www.Google.com,eg

- www.Jestor. org



الـمُلخص

برز الإسلام في الربع الثاني من القرن السابع الميلادي كدولة قوية بعقيدتها، فتية برجالها الذين آمنوا بهذه العقيدة، وحملوا لواء دعوتها في صدورهم وسعوا لإنارة العالم بهذا النور؛ لذا كان لابد أن يحدث إحتكاك بأكبر قوتين في ذلك الوقت وهما دولتا الفرس والروم، فنجحت دولة الإسلام في القضاء على دولة الفرس واحتواءها، كما دخلت في صراع مرير مع الدولة البيزنطية استمر عدة قرون، نجح المسلمون خلالها من الإستحواذ على معظم الأراضي البيزنطية كبلاد الشام وفلسطين ومصر وآسيا الصغرى، ولم يقدر لهذا الصراع أن ينتهي إلا بسقوط القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية في يد المسلمين ومن ثم القضاء على الدولة البيزنطية عام ١٤٥٣ م.

تهدف هذه الدراسة "المسلمون في المؤلفات البيزنطية في القرنين الثاني والثالث الهجريين الثامن والتاسع الميلاديين" إلى دراسة وتحليل ما كتبه الكتاب البيزنطيون عن الإسلام والمسلمين، وتسليط الضوء على الأعمال الجدلية البيزنطية والتي أبرزت مدى حنقهم وبغضهم للإسلام والمسلمين ومن ثم إعتبروه عدواً يهدد دينهم ودولتهم.

ترسخت هذه الصورة السيئة للإسلام والمسلمين باديء ذي بدء على يد بعض نصارى الشرق الذين كانوا يدينون بالولاء للإمبراطورية البيزنطية قبل الفتوحات الإسلامية يحركهم تأثرهم ببعض النبؤات والرؤى التي تواكب انتشارها في ذلك الوقت، فعمدوا إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين في عيون بني دينهم، وقد حاولت الباحثة خلال هذه الدراسة إبراز ما كتبوه ومن ثم رسخ في أذهان البيزنطيين وكتابهم طوال فترة العصور الوسطى، بل إنه قد أصبح مادة سلسة لكل من أراد الهجوم على الإسلام والمسلمين.

تحتوى الدراسة على مقدمة وتمهيد ودراسة تحليلية لمصادر البحث ثم ستة فصول يعقبهم خاتمة.

الفصل الأول بعنوان "الرسول ﷺ في الكتابات البيزنطية والرد عليها"، ويناقش الصورة السيئة التي رسمها البيزنطيون للنبي محمد ﷺ وللأسف عمدوا على التقليل من شرف نسبه ﷺ وذلك باستهجانهم وسخريتهم من نسبه الذي يمتد لإسماعيل عليه السلام بن السيدة هاجر للإيحاء بأنه من سلالة العبيد، كما تعرض البحث لعدم اعتراف البيزنطيين بالنبي ﷺ ولا برسالته ومن ثم تمسكوا بكل ما يقلل منه -من وجهة نظرهم- فنسجوا الأوهام حول رسالته وحياته الخاصة.

أما **الفصل الثاني** بعنوان "تشكيك المؤلفات البيزنطية في ثوابت الإسلام"، وفيه تم تسليط الضوء على الكتابات البيزنطية التي حاولت النيل من الإسلام بمحاولة ربطه بالهرطقات المسيحية تارة، أو بمحاولة زعزعة إيمان المسلمين بكتابهم من خلال الإدعاء بأنه عمل بشرى، وأيضا محاولتهم التشكيك في الثواب والعقاب في الآخرة، ويُختتم الفصل بدحض إدعاء البيزنطيين بأن قصص القرآن مستوحاة من الكتاب المقدس.

جاء **الفصل الثالث** بعنوان "المسيح في القرآن الكريم"، وفيه تم عرض أقوال النصارى في المسيح عليه السلام، وقد إتضح أنهم غالوا في حبهم فوضعوه في مرتبة لا يجوز لإنسان أن يصل إليها فظلموه بذلك، وقد تم دحض قولهم هذا من خلال إبراز رؤية الإسلام للمسيح عليه السلام فاتضح أن الإسلام هو من أعطاه حقه ووضعه في مكانه الصحيح بكونه عبد الله ورسوله مع تنزيهه عن كل ما ألحقه به النصارى زوراً وبهتاناً، وتم تفنيد حججهم.

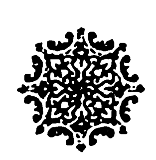
أما **الفصل الرابع** بعنوان "الفقه الإسلامي في الكتابات البيزنطية"، وقد رصد موقف البيزنطيين الجدلى ومحاولتهم هدم الإسلام من خلال هدم أركانه كالصلاة والصيام والحج، ومن ثم محاولتهم تشويه هذه الأركان وإظهار أنها

شيء مبتدع غير منطقى، وقد أبرز البحث مدى تهاوى هذه التهم، كما تم تناول الشبهات التي تناولتها الكتابات البيزنطية عن "الممارسات الإسلامية"، كالختان وما حرم من الأطعمة والأشربة، وقد برز تخبط رؤى الجدليين، أثناء محاولتهم إثبات أن هناك أصولاً يهودية للإسلام، واختتم الفصل بالحديث عن "المرأة"، حيث حاول الجدليون البيزنطيون إبراز تعنت الإسلام معها وتم الرد على اتهاماتهم من الكتاب والسنة.

أما الفصل الخامس بعنوان "الفتوحات الإسلامية في الكتابات البيزنطية"، وفيه تم التعرض لوجهة نظر البيزنطيين عن الفتح الإسلامي لبلاد الشام وبيت المقدس ومصر ومحاولات فتح قبرص ومحاولات فتح القسطنطينية ومن ثم مقابلتها بما جاء في المصادر الإسلامية وتفنيد ما جاء من شبهات، كما تم العروج على المعاهدات التي عقدت بين المسلمين والبيزنطيين فبرز إستغلال كل طرف لضعف الآخر.

أما الفصل السادس والأخير والمعنون بـ"المسلمون والنصارى في كتابات البيزنطيين"، وفيه تم مناقشة إدعاءات البيزنطيين بعدم المساواة بين المسلمين والمسيحيين، وإجبار المسيحيين على ترك دينهم وقتلهم، وعدم احترام مقدساتهم، وقد تم دحض إفترائتهم، وانتهى الفصل بمبحث عن "الأيقونات"، وفيه ألقي الضوء علي بداية ظهور الأيقونات وتطورها، وصولاً لموقف الإمبراطور ليو الثالث منها.

وفي الخاتمة عرضت الباحثة لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.



الفهرس